

مكتبة 1641

الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز



Book #2

الأرض

المحترقة

THE SCORCH

TRIALS

جيمس داشنر

ترجمة: إسراء محمود





الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

الأرض

المحترقة

THE SCORCH

TRIALS

مكتبة | 1641

جيمس داشنر

ترجمة: إسراء محمود





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● ترجمة: إسراء محمود

● مراجعة وتحرير: محمد الجيزاوي

● تدقيق لغوي: نهال جمال

● تنسيق داخلي: معتر حسنين علي

● الطبعة الأولى: مايو / 2022م

● رقم الإيداع: 2021/23801م

● الترقيم الدولي: 4-66-6902-977-978

● العنوان الأصلي: The Scorch Trials

● العنوان العربي: الأرض المحترقة

● طبع بواسطة: Delacorte Press

● طبع بواسطة: ديلاكورت بريس

● حقوق النشر: 2010، جيمس داشنر

copyright © 2010 by James Dashner

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

15 1 2024

مكتبة

t.me/soramnqraa

# الأرض المحترقة

اشترك في مكتبة للحصول على بقية السلسلة  
3 قصص قادمة ..

انضم ل مكتبة .. اصحح الكود

telegram @soramnqraa



إهداء إلى وِزلي، وبرايسون، وكايلا، ودالين.

أفضل أبناء على الإطلاق.



## الفصل الأول

# مكتبة

t.me/soramnqraa

تحدثت إليه قبل أن ينهار العالم من حوله.

- مرحبًا، أما زلت نائمًا؟

تقلب توماس في سريره، شعر بالظلام يلفه من كل جانب وأن الهواء قد تحوّل إلى شيء صلب يجثم على صدره. ارتعب في بادئ الأمر وجحظت عيناه سريعًا، إذ ظن نفسه قد عاد مرة أخرى إلى الصندوق؛ ذاك المكعب المعدني الفظيع والبارد الذي أتى به إلى الجلايد والمتاهة. ولكن ظهر هناك ضوء خافت، وبدأت ظلال باهتة لا يمكن تمييزها في الظهور شيئًا فشيئًا في كل أنحاء الغرفة الواسعة والسُّرر ذات الطوابق وخزائن الملابس. والتقطت أذناه أصوات أنفاس الشباب الهادئة وشخيرهم وهم يغطون في سبات عميق. ملأه ذلك بالطمأنينة. لقد أصبح في أمان الآن بعد أن تم إنقاذه وإحضاره إلى هذا المهجع. ليس هناك ما يقلق بشأنه. لا هوام بعد الآن. لا مزيد من الموت.

- توم؟

انبعث صوت في رأسه. صوت فتاة. كان همسًا غير واضح ولا مرئي. لكنه سمعه على الرغم من ذلك ولم يتمكن قط من أن يفسر لأي أحد كيفية ذاك الأمر. اتكأ على وسادته وأطلق زفرة عميقة إذ هدأت أعصابه المشدودة من وطأة لحظة الرعب تلك. أجاب على الصوت بكلمات انبعثت من بين أفكاره.

- تيريسا؟ كم الوقت؟

- لا أدري. لكنني لا أستطيع النوم. ربما غلبني النعاس لساعة تقريبًا.  
ربما أكثر من ذلك. كنت أمل أن تكون مستيقظًا كي تبقى معي.  
حاول توماس ألا يبتسم. حتى مع كونها غير قادرة على رؤيته، فلا يزال  
الأمر محرّجًا على الرغم من ذلك.

- لم تعطيني أي خيار آخر في هذا الأمر، أليس كذلك؟ أظن أنه من  
الصعب قليلًا أن تنامي بينما يتحدث أحدهم بداخل جمجمتك.  
- هكذا إذن، عد إلى النوم إذن.  
- لا، أنا بخير.

أخذ يحدق إلى الطابق العلوي من سريره بلامح ساكنة والظلال تلف  
وجهه وسط الظلام. كان مینهو يتنفس وكأن هناك كميات هائلة من البلغم  
عالقة في حلقه.

- فيم تفكرين؟

- ماذا في رأيك؟ (بدت كلماتها تحمل تعبيرًا تهكميًا بشكل ما) إنني  
أرى هوامًا باستمرار. جلدهم المقزز، وأجسادهم اللزجة، وأذرعهم  
المعدنية، والأسياخ. لقد كان موتنا وشيكا يا توم، كيف بإمكاننا أن  
ننسى أشياء فظيعة كذلك؟

أدرك توماس ما كان يدور في رأسه، لن تغادره تلك الصور؛ إن الأشياء  
الفظيعة التي قد حدثت في المتاهة ستظل تطارد أفراد الجلايد لبقية حياتهم.  
أدرك أن معظمهم إن لم يكن جميعهم سيعانون اضطرابات نفسية متقدمة،  
حتى إنهم ربما يفقدون عقولهم تمامًا.

كانت تلك الصورة بالذات مطبوعة في ذهنه بقوة كعلامة مميزة مطبوعة  
بالحديد المحمي، صورة صديقه تشاك وهو مطعون في صدره وينزف  
محتضراً بين ذراعيه.

أدرك توماس أنه لن ينسى ذلك أبدًا، لكن ما قاله لتيريسا كان مختلفًا.

- سوف ننسى. الأمر فقط سيستغرق بعض الوقت، هذا كل شيء.

- إن داخلك مثقل بهذا الأمر.

- أعلم.



كم هو سخيّف حبه لسماعها تقول له أشياء مثل ذلك! وأن تهكمها يعني أن كل شيء سوف يصبح على ما يرام! إنك أبله. قال لنفسه متمنياً ألا تكون قد سمعت تلك الفكرة.

- كم أكره أنهم فصلوني عنكم يا رفاق.

فهم توماس لماذا فعلوا ذلك، لقد كانت هي الفتاة الوحيدة وبقيّة أفراد الجلايد كانوا فتياناً في سن المراهقة. مجرد حفنة من الأطفال الذين لا يثقون بهم بعد.

- أظن أنهم أرادوا حمايتك.

- أجل، أظن هذا.

تسللت الكأبة التي تغلف كلماتها وتلتصق بها كالقطر إلى دماغه.

- ولكنه لأمر مزعج أن أصبح بمفردي بعد كل ما خضناه معاً. على كل حال، إلى أين أخذوك؟

بدا صوتها حزيناً إلى الحد الذي جعله يوشك أن ينهض للبحث عنها، ولكنه كان يعلم الأفضل.

- تمامًا في الجانب الآخر من تلك الحجرة المشتركة التي تناولنا فيها طعامنا ليلة البارحة. إنها غرفة صغيرة تحوي عدة أسرة ذات طوابق. إنني أكيدة من أنهم يغلقون الأبواب لدى خروجهم.

- أرايت، أخبرتك أنهم أرادوا حمايتك. (ثم استدرك مسرعاً) ليس لأنك بحاجة إلى الحماية. إن بإمكانك الاعتماد عليك مقارنة بنصف هؤلاء العراقيب على الأقل.

- نصفهم فقط؟

- حسنًا. ثلاثة أرباعهم، وأنا من بينهم.

تبع ذلك صمت طويل، مع ذلك كان توماس لا يزال قادرًا على أن يشعر بوجودها. كان يشعر بها. كان الأمر أشبه بعلمه بأن صديقه مينو مستلقٍ على بعد بضعة أقدام قليلة فوقه على الرغم من أنه لم يكن يستطيع رؤيته. وليس فقط بسبب شخيره، إن الأمر فقط هو أنك تشعر بالشخص عندما يكون بالقرب منك. كان توماس هادئًا على نحو مفاجئ على الرغم من كل

أحداث الأسابيع القليلة الماضية، وقد غلبه النعاس سريعاً مرة أخرى. خيم الظلام على عالمه مجدداً، ولكنها كانت هناك، بالقرب منه بأشكال عدة. كانت بالكاد... تلامسه.

لم تكن لديه أي فكرة عن مرور الوقت وهو في تلك الحالة. جزء منه نائم، وجزء مستمتع بوجودها وفكرة أنهم قد تم إنقاذهم من ذلك المكان الفظيع. أنهم كانوا في أمان، وأنه تمكن هو وتيريسا من أن يظلا على اتصال بعضهما ببعض من جديد. إن هذه الحياة تبدو جيدة؛ نوم هانئ، ضوء خافت، دفء، بدن صحيح، وشعور بالخفة وكأنه يطفو.

بدا العالم من حوله يتموه ويتلاشى، أصبح كل شيء رتيباً وحلوًا، وأصبح الظلام باعثاً على الراحة بشكل ما. كان يحلم.

\*\*\*

إنه صغيرٌ جداً. في الرابعة تقريباً؟ الخامسة؟ ينام على سرير تغطيه بطانية حتى ذقنه. تجلس امرأة بجانبه وتضم يديها على حجرها. شعرها طويل بني اللون، وقد بدأت علامات التقدم في السن تغزو وجهها. يظهر الحزن في عينيها. كان يعلم هذا على الرغم من محاولتها جاهدة إخفاء ذلك بابتسامة.

يريد أن يقول شيئاً، أن يسألها سؤالاً، لكنه لا يستطيع. إنه ليس موجوداً هنا حقاً، لقد كان فقط يشاهد ما يجري من مكان ما لا يفهم بالضبط أين. بدأت تتكلم بصوت عذب وغازب في الوقت ذاته حتى تشوش عقله.

- إنني لا أعلم لِمَ اختاروك، ولكنني أعلم شيئاً واحداً، أنك مميز بطريقة ما، لا تنس ذلك أبداً، ولا تنس أبداً إلى أي حد. . .

تقطع صوتها وجرت الدموع على صفحة وجهها.

- لا تنس أبداً كم أنني أحبك.

أجابها الولد، ولكنه لم يكن توماس حقاً الذي يتكلم. حتى لو كان هو فعلاً. بدا كل ذلك ضرباً من الخيال.

- هل ستصبحين مجنونة مثل كل أولئك الناس الذين في التلفاز يا أمي؟  
مثل... أبي؟

اقتربت منه المرأة وممرت أصابعها من خلال شعره. المرأة؟ كلا، لا يمكنه مناداتها هكذا. إنها والدته، إنها... أمه.

- لا تقلق بشأن هذا يا عزيزي. أنت لن تكون هنا لترى ذلك يحدث. كانت ابتسامتها قد اختفت.

\*\*\*

انتهى الحلم سريعًا تاركًا توماس في عتمة الفراغ لا شيء معه سوى أفكاره. هل رأى لتوه ذكرى آتية من غياهب ذاكرته المفقودة؟ هل رأى أمه حقًا؟ لقد كان هناك شيء عن أن والده كان مجنونًا. أخذ الألم ينخر عميقًا بداخله، حاول أن يخرط نفسه في النسيان أكثر.

لاحقًا، لا يعلم كم من الوقت قد مضى بالضبط، تحدثت تيريسا إليه مجددًا.  
- توم، هناك خطب ما.



## الفصل الثاني

هكذا بدأ الأمر، سمع تيريسا تنطق بتلك الكلمات الثلاث، ولكنها بدت وكأنها آتية من بعيد من عمق نفق طويل. تحولت غفوته إلى شيء أشبه بسائل دبق، ثخين ولزج يحاصره. كان وعيه حاضرًا، ولكنه أدرك أنه كان منفصلاً عن العالم يلفه الإرهاق من كل جانب. لم يقدر على الاستيقاظ.

- توماس!

صرخت به، شعر بشيء حاد ينخر رأسه، تسلل الوجع إلى نفسه، لكنه شعر وكأنه شيء أشبه بالحلم. بإمكانه فقط أن ينام. إنهم بأمان الآن، فليس هناك ما يستدعي القلق بشأنه بعد الآن. أجل، لا بد أنه كان حلمًا. تيريسا بخير، إنهم جميعًا بخير. هدأت نفسه مجددًا واستسلم للنوم.

تسللت بعض الأصوات الأخرى إلى وعيه. ضربات قوية مصحوبة بصوت ارتطام أجسام معدنية ببعضها، صوت شيء يتهشم، وأولاد يصيحون، صوت مكتوم أشبه بصدى صيحات قادم من بعيد. صرخات معذبة كأنها قادمة من الجحيم. لكنها لا تزال بعيدة. كأن شرنقة وثيرة من القماش السميك تلفه.

لاحقًا أقلق شيء ما نومته. لم يكن ذلك صحيحًا. لقد نادته تيريسا وأخبرته أن هناك خطبًا ما! أخذ يقاتل النوم العميق الذي تملكه ويقاوم الثقل الذي يجثم فوق صدره.

استيقظ! صاح إلى نفسه. استيقظ!

بعد ذلك اختفى شيء ما في داخله. ثم تبعه آخر في لحظات. لقد أحس وكأن عضوًا كاملًا قد استأصل للتو من جسده.

كانت هي. ولم تعد هناك.

- تيريسا! تيريسا! هل أنت هناك؟

كان عقله يصرخ. لم تأتِه أي إجابة، ولم يعد ذاك الشعور المطمئن بوجودها بالقرب منه حاضرًا. صاح باسمها مجددًا وكان لا يزال في خضم قتاله مع سحابة النوم المظلمة التي تحاصره.

وأخيرًا، انبثق الواقع وحل محل الظلام. فتح توماس عينيه في فزع وانتفض جالسًا على السرير. انزلق في جلسته واضعًا قدميه على الأرض ثم انتصب واقفًا وأخذ يتفحص المكان من حوله. لقد أصبح كل شيء ضربًا من الجنون.

كان أفراد الجلاید الآخرون يسرون جيئةً وذهابًا صائحين. امتلأت الغرفة بأصوات فظيعة، مخيفة وبشعة كمثل صيحات معدبة لحيوانات تتعرض لأشد أنواع التعذيب. كان هنالك السيد طاسة يشير إلى خارج النافذة بوجه شاحب. وكان كلُّ من نيوت ومينهو يهرعان إلى الباب. كان وينستون يدفن وجهه الذي يكسوه الرعب وحب الشباب بين يديه، كأنما قد رأى لتوه زومبي أكلاً للحوم. كان الآخرون يتدافعون بعضهم ببعض كي يظفروا بنظرة من النوافذ المختلفة، مع حرصهم على البقاء بعيدين عن الزجاج. مع الأسف أدرك توماس أنه لا علم له بمعظم أسماء العشرين فتى الذين نجوا من المتاهة، يا لها من فكرة غريبة لتخطر على باله في خضم كل تلك الفوضى!

لمح شيئًا ما بطرف عينه جعله يلتفت موجَّهًا نظره إلى الحائط. محا ما رآه كل أثر من شعور الاطمئنان والأمان الذي كان يشعر به في أثناء حديثه مع تيريسا في الليل. جعله يشك في أن تلك المشاعر من الممكن أن تكون موجودة في عالم كالذي يوجد هو فيه الآن. نفذ ضوء ساطع يعمي الأبصار من خلال نافذة تبعد ثلاثة أقدام عن سريره، كانت مغطاة بستائر ملونة. كان الزجاج مهشَّمًا، وحوافه المسننة تستند على قضبان فولاذية متشابكة. وقف رجل على الجانب الآخر من النافذة يجمع القضبان بيدين دامتيتين. عيناه جاحظتان وداميتان تنطقان بالجنون. تغطي الجروح والندوب وجهه الذي لفحته الشمس. رأسه أصلع، اللهم إلا من بضع بقع مصابة بشيء أشبه بطحالب المستنقعات الخضراء. هناك جرح طولي بشع على خده الأيمن،

تمكّن توماس من أن يرى الأسنان من خلال الجرح المتقيح للجلد المنسلخ  
عن اللحم. اللعاب المختلط بالدماء يسيل في خطوط متفرقة من وجنة الرجل.  
- إنني نَزَق. إنني نَزَق لعين.

صاح الرجل رعبًا ثم أخذ يصرخ مرددًا كلمتين دون توقف وبصاقه  
يتطاير مع كل صيحة.

- اقتلني! اقتلني! اقتلني!





## الفصل الثالث

شعر توماس بيد تصفع كتفه من الخلف بقوة، أطلق صيحة فزع والتفت ليرى مينهو يحدق خلفه إلى الشخص الذي يصرخ كالممسوس من خلف النافذة.

- إنهم في كل مكان.

بدا صوت مينهو مغمومًا يتماشى بشكل ممتاز مع ما شعر به توماس في تلك اللحظة، بدا وكأن كل شيء كانوا يأملونه في الليلة الماضية قد أضحى سرابًا.

- وليس هناك أي أثر لأولئك الذين قاموا بإنقاذنا.

لقد عاش توماس في رعب وفزع طوال الأسابيع الماضية، ولكن هذا أصبح لا يُحتمَل، لقد شعر بالأمان فقط لأنه تعرض للاختطاف مرة أخرى، كان مصدومًا هو نفسه، ولكنه على الرغم من ذلك تخلص بسرعة من ذلك الجزء الصغير به الذي رغب في أن يقفز مجددًا إلى سريره وينتحب باكياً. دفع ألم تذكُّر والدته الذي لا ينفك يشعر به، وتلك الأمور المتعلقة بأبيه والناس الذين يصابون بالجنون بعيدًا عن عقله، أدرك توماس أن على أحدهم أن يتحلى بالمسؤولية، كما أنهم كانوا بحاجة إلى خطة تمكّنهم من البقاء على قيد الحياة في خضم ما يحدث.

- هل تمكن أي منهم من الدخول حتى الآن؟ هل يوجد قضبان مثل هذه على كل النوافذ؟

أوما مينهو ناحية واحدة من ضمن العديد من النوافذ التي تملأ جدران الغرفة المستطيلة الطويلة.

- نعم، لقد كان الظلام يُعم المكان حتى نتمكن من ملاحظة ذلك الليلة الماضية، خصوصًا مع تلك الستائر اللعينة، ولكنني متأكد منهم لحسن الحظ.

ألقي توماس نظرة على أفراد الجلاید حولهم، وآخرين كانوا محتشدين في مجموعات صغيرة، اعتلت وجه كل منهم نظرات تحمل عدم التصديق والرعب في الوقت ذاته.

- أين نيوت؟

- إنني هنا.

التفت توماس ليرى الفتى الأكبر، لم يكن يعلم إلى أي حد يشناق إليه.

- ماذا يجري؟

- أظن أنني أملك أي فكرة بحق الجحيم؟ مجموعة من المجانين يشتهون تناولنا على الفطور على ما يبدو، يجب أن نجد غرفة أخرى لنجتمع فيها جميعًا، إن تلك الأصوات الصاخبة تثير جنوني.

أوما توماس في انهماك. وافقَ على الخطة لكنه تمنى أن يهتم نيوت ومينهو بالأمر، كان متلهفًا للوصول إلى تيريسا، ويتمنى أن يكون تحذيرها له مجرد أضغاث أحلام أو هلوسة تحت وطأة المخدر وإرهاق النوم العميق، وتلك الرؤيا التي ظهرت فيها والدته...

تحرك صديقه وأخذا يصيحان ويلوحان بأذرعهما لكي يجمعا أفراد الجلاید. استرق توماس نظرة إلى ذاك المسخ المجنون في النافذة ثم أشاح بنظره على الفور، تمنى لو أنه لم يذكر عقله بمظهر الدماء والجلد المنسلخ، ونظراته المخبولة والصراخ الهستيري.

- اقتلني! اقتلني! اقتلني!

هرع توماس إلى أبعد حائط والتصق به بقوة.

- تيريسا! تيريسا! هل تسمعيني؟

صاح في عقله مجدداً. ظل منتظراً وأغمض عينيه كي يركز. مد يديه في خياله بحثاً عن أي أثر لها. لا شيء. لا يوجد حتى خيال عابر ولم يشعر بأي شيء، لم تكن هناك أي إجابة من أي نوع.

- تيريسا! أين أنت؟ ماذا حدث؟

قال بانفعال أكبر مطبقاً فكيه على بعضهما.

لا شيء، شعر بضربات قلبه تتباطأ حتى كاد يتوقف تماماً، كان يشعر وكأنما قد ابتلع كتلة كبيرة من الصوف.

فتح عينيه ليرى أفراد الجلايد مجتمعين حول الباب الأخضر المؤدي إلى المنطقة المشتركة حيث تناولوا البيتزا اليوم الفائت، أخذ مينهو يدفع المقبض النحاسي ويهزه بقوة بلا طائل. كان مقفلاً بإحكام.

كان الباب الآخر والوحيد يؤدي إلى غرفة الاستحمام والخزائن، والتي لم تكن تحوي أي مخارج أخرى، هكذا كان الوضع، وكانت هناك النوافذ، وتحتوي جميعها على تلك القضبان المعدنية، حمداً لله، إذ يوجد خارج كل منها حشد هائج من المجانين يصرخون ويصيحون، على الرغم من أن القلق كان يأكله كالحمض المصبوب في شرايينه، توقف توماس مؤقتاً عن المحاولة للوصول إلى تيريسا وانضم إلى أفراد الجلايد الآخرين، حاول نيوت أن يجرب حظه مع الباب لكن دون جدوى كذلك.

- إنه مقفل.

همهم عندما استسلم أخيراً وتهاوت ذراعه المرهقتان على جنبه.

- حقاً؟ يا لك من عبقري!

قال مينهو وهو يطوي ذراعيه القويتين المشدودتين، كانت عروقه ناتئة في كل مكان، خُيِّلَ إلى توماس لوهلة أنه بإمكانه أن يرى الدماء تتدفق خلالها.

- لا عجب أنك سُميت تيمناً بإسحق نيوتن؛ لديك قدرات تفكير باهرة.

لم يكن نيوت رائق المزاج، أو ربما أنه فقط تعلم أن يتجاهل تلميحات مينهو المتعالية منذ وقت طويل.

- فلنكسر هذا المقبض اللعين.

أخذ ينظر حوله كأنه يتوقع أن يناوله أحد مطرقة ثقيلة.

- أود فقط لو يصمت أولئك الملاعين... النزقون.

صرخ مينهو والتفت محدقًا في غضب إلى أقرب واحد إليه، كانت امرأة تبدو أكثر بشاعة من الرجل الذي رآه توماس، لديها جرح غائر بوجهها يمتد إلى جانب رأسها.

- نزقون؟

ردد السيد طاسة. كان الطباخ كثيف الشعر ملتزمًا الصمت حتى ذلك الوقت، بالكاد كان ملحوظًا، فكر توماس أنه بدا مرتعبًا أكثر مما كان عندما أقدموا على محاربة الهوام كي يهربوا من المتاهة، ربما كان هذا الوضع أسوأ، بدا كل شيء آمنًا وعلى ما يرام عندما استلقى كل منهم في سريره الليلة الماضية، أجل، ربما كان هذا أسوأ، أن يُسلب منك هذا الشعور فجأة.

أشار مينهو إلى المرأة التي تصرخ كالممسوسة.

- هذا ما يطلقونه على أنفسهم، ألم تسمع به؟

- لا يهمني لو كان اسمهم شجر الصفصاف، فكر في طريقة نعبر بها هذا الباب اللعين.

قاطع نيوت متهكمًا.

- هاك.

قال فتى قصير القامة يحمل طفاية حريق رفيعة وصلبة انتزعها من الحائط. تذكر توماس أنه رآه من قبل، انتابه شعور بالذنب مرة أخرى لأنه لم يتذكر حتى اسم هذا الفتى.

أخذ نيوت الأسطوانة الحمراء استعدادًا لانتزاع مقبض الباب، اقترب توماس بقدر المستطاع متحمسًا لرؤية ما يوجد على الجانب الآخر من الباب على الرغم من الشعور المقيت الذي لديه بأن أيًا كان ما يوجد هناك، فإنه لن يعجبهم.

رفع نيوت طفاية الحريق ثم هوى بها بقوة على المقبض النحاسي المستدير، كان صوت الضربة القوية مصحوبًا بدوي حاد، وقد تطلب الأمر ثلاث ضربات أخرى حتى سقط المقبض كله مرتطمًا بالأرض مصحوبًا

بصرير قطع معدنية مكسورة، تحرك الباب حركة ثقيلة نحو الخارج، بالكاد انفتح بما يكفي لكي يروا الظلام على الجانب الآخر.

وقف نيوت ساكنًا يحدق من خلال تلك الفتحة الطويلة الضيقة من الظلام كأنما يتأهب لخروج شياطين طائرة من العالم السفلي من خلالها، أعاد طفاية الحريق دون وعي إلى الفتى الذي وجدها.

- هيا بنا.

أحس توماس بأنه سمع رجفة خفيفة في صوته.

- مهلاً، هل نحن واثقون من أننا نريد الخروج إلى هناك؟ ربما كان هذا الباب مقفلاً لسبب ما.

لم يستطع توماس إلا أن يتفق مع السيد طاسة، بدا أن هنالك خطبًا ما في الأمر.

تقدم مينهو ليقف بجانب نيوت مباشرة، ووجّه نظره ناحية السيد طاسة ثم نظر إلى توماس في عينيه.

- ما الذي بإمكاننا فعله غير ذلك؟ أنجلس هنا ومنتظر حتى يتمكن أولئك الممسوسون من الدخول؟ بحقك.

- لن يتمكن أولئك المسوخ من كسر قضبان النوافذ بسهولة، دعونا فقط نفكر قليلاً.

قاطع السيد طاسة بحسم.

- لم يعد هناك وقت للتفكير.

قال مينهو ثم أخرج قدمه فانفرج الباب مفتوحًا، لو كان هناك أي شيء، فقد بدا أنه الظلام الذي يزداد سوادًا على الجانب الآخر.

- كما أنه كان يجب عليكم التحدث قبل أن نفجر القفل إلى أشلاء أيها الغبي، لقد فات الأوان الآن.

- أكره عندما تكون محقًا.

دمدم السيد طاسة من بين أسنانه، ولم يتمكن توماس من التوقف عن التحديق من خلال الباب المشرع إلى الظلام الدامس الذي يلف المكان، انتابه

شعور بالخوف من شر لا مفر منه، إذ أدرك أنه لا بد من وجود خطب ما وإلا لجاؤ الناس الذين أنقذوهم منذ وقت طويل، لكن مينهو ونيوت كانا محقين... لا بد أن يذهبوا من هنا للبحث عن بعض الإجابات.

- قشراً، سأذهب أولاً.

لم ينتظر إجابة وعبر الباب المفتوح، ابتلعه الظلام الحالك في الحال، نظر نيوت إلى توماس بتردد ثم تبعه. لسبب ما فكر توماس أنه يجب عليه أن يكون التالي، لذلك فعل.

بخطى بطيئة غادر غرفة المهجع وولج الظلام الذي يخيم على غرفة الطعام المشتركة ويدهاه ممدودتان للأمام.

لم يكن الضوء المنبعث من خلفهم كافياً لكي تتضح لهم ماهية الأشياء، ربما سار أيضاً وعيناه نصف مغلقتين، ورائحة المكان من حولهم لا تُطاق.

ارتفع صوت صراخ مينهو في المقدمة، ثم صاح إليهم:

- مهلاً، توخوا الحذر، هناك شيء ما... غريب يتدلى من السقف.

سمع توماس صوتاً أشبه بالعواء أو الأنين، كان شيء ما يصدر صريراً، كأن مينهو تعثر بأرجوحة تتدلى مقتربة من الأرض فأخذت تتأرجح جيئة وذهاباً. نخر نيوت من مكان ما في الميمنة على إثر صوت صرير المعدن الذي يحتك بالأرض.

- إنها طاولة.

صاح نيوت.

- احترسوا من الطاولات.

أتى صوت السيد طاسة من خلف توماس.

- هل يتذكر أي أحد مكان مفاتيح الإضاءة؟

- إنني متجه إليها الآن، أقسم إنني متأكد من رؤيتي بعضاً منها في مكان ما هنا.

تابع توماس التقدم للأمام دون رؤية أي شيء وقد اعتادت عيناه الظلام بعض الشيء، كان كل شيء من قبل يبدو وكأنه حائط أسود، بينما أصبح

الآن بإمكانه أن يرى بعض الظلال، مع ذلك كان شيء ما يعيقه، كان لا يزال مشوشًا قليلًا، ولكن الأشياء بدت وكأنها ليست حيث يجب أن تكون، بدا الأمر تقريبًا وكأن...

دوى صوت مينهو يتأوه وهو يندفع كأنه قد اصطدم لتوه بكومة من الخردة، امتلأت الغرفة مجددًا بصوت صرير.

قبل أن يتمكن توماس من أن يسأل عما حدث، تعثر هو نفسه بشيء ما، شيء ثقيل، ذي شكل غير مألوف، له ملمس القماش.

- وجدته.

صاح نيوت.

أتت بعض الطقطقات ومن ثم تألقت الغرفة بأضواء الفلورسنت فجأة، أُصيب توماس على إثرها بعمى مؤقت، هرع مبتعدًا عن الشيء الذي اصطدم به وأخذ يدعك عينيه حتى تعثر بشيء قاسٍ آخر ثم ألقاه بعيدًا عنه.

- انتبه!

صاح مينهو.

الكثير من الناس، نحو اثني عشر على أقل تقدير، تتدلى أجسادهم عبر الغرفة الواسعة، كل منهم معلقٌ بواسطة حبال ملفوفة حول أعناقهم التي انتفخت وازرقق لونها، كانت الجثث المتخشبة تتأرجح جيئةً وذهابًا بهدوء شديد وألسنتهم الباهتة تتدلى خارج أفواههم البيضاء التي هرب منها الدم، أعينهم الزجاجية مفتوحة، ولكنها توحى بالموت المؤكد، بدا من مظهرها أنهم ظلوا بهذا الوضع لساعات، وملابسهم وبعض وجوههم بدت مألوفة.

سقط توماس جاثيًا على ركبتيه. إنه يعرف أولئك الأموات.

إنهم الأشخاص الذين أنقذوا أفراد الجلايد، منذ الليلة الماضية فقط.





## الفصل الرابع

نهض توماس وتحاشى النظر إلى تلك الجثث، يمشي حيناً ويتعثر بنيوت حيناً، كان الأخير لا يزال واقفاً دون حراك بجوار لوحة مفاتيح الأضواء، يجيل نظراته المرتعبة بين الجثث المتدلّية عبر الغرفة.

انضم مينهو إليهم وهو يلعن في داخله، تتابع خروج أفراد الجلايد من المهجع وكانوا يصيحون لدى إدراكهم لما يرونه. سمع توماس بعضاً منهم يتقيأ، ويغطون أنوفهم وأفواههم بأيديهم في تقزز ويبصقون، حتى هو شعر برغبة ملحة في التقيؤ، ولكنه قاومها. ما الذي حدث؟ كيف لكل شيء أن يُسلَب منهم بهذه السرعة؟ تقلصت معدته وشعر بأنه يوشك على الانهيار يأساً.

ثم تذكر تيريسا.

- تيريسا! تيريسا!

أخذ يستدعيها في عقله، حاول مرارًا ومرارًا وهو يصرخ في عقله بعينيه مغمضتين وفكيه مطبقين بإحكام.

- أين أنتِ؟

- تومي...

قال نيوت وهو يقترب منه ليضغط على كتفه.

- ما خطبك بحق الجحيم؟

فتح توماس عينيه وأدرك أنه منحّن إلى خصره ويطوي ذراعيه حول معدته، اعتدل ببطء وحاول مقاومة الألم الذي يفتك بأحشائه.

- ماذا... ماذا برأيك؟ انظر حولنا.
- أجل، ولكنك بدوت وكأنك تتألم أو شيء مثل هذا.
- أنا بخير... إنني فقط أحاول أن أصل إليها في عقلي، ولكنني لا أستطيع.
- لم يكن بخير، كان يكره تذكيرهم بأنه يتواصل مع تيريسا عن طريق التخاطر، ومع كل أولئك الناس الذين ماتوا...
- علينا أن نجد المكان الذي يضعونها فيه.
- تفوّه دون تفكير، حاول أن يجد شيئاً يساعده على تصفية ذهنه، أخذ يمسح الغرفة بعينيه متحاشياً النظر إلى الجثث، يبحث عن أي باب يمكن أن يقوده إلى غرفتها، لقد قالت إنها كانت في الجهة الأخرى من الصالة التي تناولوا جميعاً الطعام فيها.
- هناك. باب أصفر ذو مقبض نحاسي.
- إنه محق، تفرقوا وابتحثوا عنها.
- قال مينهو للجميع.
- أظن أنني وجدتها بالفعل.
- تحرك توماس وقد فاجأته السرعة التي استعاد بها تركيزه، هرع باتجاه الباب متخطياً الطاولة والجثث. لا بد أنها هناك بالداخل، في أمان مثلما كانوا جميعاً. كان الباب مغلقاً وتلك علامة جيدة، كان مقفلاً على الأغلب. ربما قد غطت في نوم عميق مثله، وهذا بإمكانه أن يفسر اختفاءها وعدم ردها.
- كاد أن يبلغ الباب عندما تذكر أنهم ربما يحتاجون إلى شيء ما لكسر الباب.
- ليجلب أحدكم طفاية الحريق تلك!
- صاح من فوق كتفه، كانت رائحة صالة الطعام مروعة، أرغم نفسه على أخذ نفس عميق ثم غطى أنفه وفمه بيده.
- أحضرها يا وينستون.
- أمر مينهو من بعده.

اقترب توماس من الباب أولاً وحاول أن يستخدم المقبض، لم يتزحزح، إذ كان مقفلاً بإحكام. وقع نظره على لوحة بلاستيكية مربعة وشفافة معلقة على يمين الحائط، نحو خمسة إنشات وتحتوي على ورقة بداخلها، تمكن من قراءة بضع كلمات مطبوعة على سطحها.

## تيريسا آجنس. المجموعة أ، مبحث 1.

### الخاتمة.

على نحو غريب، لم يكثرث توماس سوى باسم تيريسا الأخير، أو على الأقل ما حدث ليكون ذلك اسمها الأخير، آجنس، لقد فاجأه الاسم، ولكنه لم يدرٍ لِمَ. تيريسا آجنس، لم يتمكن من العثور على أي أحد يحمل هذا الاسم ضمن القدر الشحيح من البيانات التي تطفو في ذاكرته الضامرة، لقد سُمي هو نفسه تيمناً بالمخترع العظيم توماس إديسون، ولكن تيريسا آجنس؟ لم يسمع بها قط.

بالتأكيد، فكل أسمائهم كانت أشبه بمزحة أكثر من أي شيء آخر، ربما كان ذلك طريقة قاسية لصانعي المتاهة -وكد أو أياً كان من فعل هذا لهم- لكي يفصلوا أنفسهم عن الأناس الحقيقيين الذين سرقوهم من أمهاتهم وآبائهم الحقيقيين. لم يتحمل توماس أن ينتظر حتى اليوم الذي عرف فيه الاسم الذي سُمي به عند مولده، الاسم المحفور في عَقَلِي والديه، أياً كانا، وأينما كانا.

إن أضغاث الذاكرة التي استعادها شيئاً فشيئاً خلال مرحلة التحول، جعلته يعتقد أنه لم يكن لديه أبوان يحبانه، وأنهما أياً كانا من هما، فإنهما لم يريداه، وأنهم أخذوه من ظروف مروعة، ولكنه الآن يرفض تصديق ذلك، وبخاصة بعدما رأى أمه في أحلامه ليلاً.

تقطع مينهو بأصابعه أمام عيني توماس.

- مرحباً؟ هل اسمك توماس يا ترى؟ ليس وقتاً مناسباً لأحلام اليقظة بين كل تلك الجثث التي تشبه رائحة إبطي السيد طاسة، استيقظ.

التفت توماس إليه.

- آسف، إنني فقط أجد الأمر غريباً حول كون اسم تيريسا الأخير هو آجنس.

تأفف مينهو مستنكراً.

- ومن يهتم بشأن ذلك بحق الجحيم؟ ماذا تعني تلك الجملة اللعينة بأنها خائنة؟

- وماذا تعني المجموعة أ، مبحوث أ1؟

أردف نيوت من بعده وهو يمرر طفاية الحريق إلى توماس.

- على كل حال، حان دورك لتكسر مقبض الباب اللعين.

التقطها توماس بحركة مفاجئة، إذ كان غاضباً من نفسه لأنه ضيَّع ثواني قليلة في التفكير في بطاقة غبية، تيريسا بالداخل وفي حاجة إلى مساعدتهم، حاول ألا ينشغل بكلمة خائنة، أمسك بالأسطوانة وهوى بها على المقبض النحاسي بقوة، شعر بالضربة تردت في ذراعيه إثر الهزة العنيفة للمعادن بعضها ببعض عبر الهواء، وجد أن تلك الضربة لم تؤثر كثيراً وتطلب منه الأمر ضربتين أخريين حتى سقط المقبض على الأرض وانفجر الباب إنشاً أو اثنين.

ألقي توماس بطفاية الحريق جانباً وسحب الباب بيده حتى انفتح عن آخره، مشاعر مختلطة من التنبؤ والرعب مما هو على وشك أن يجده، كان هو أول من ولج الغرفة المضيئة.

بدأت الغرفة نموذجاً مصغراً لمهجع الفتیان، احتوت فقط على أربعة أسرة ذات طابقين، وخزانتي ملابس وباب مغلق، يفترض أنه يؤدي إلى حمام آخر، كانت كل الأسرة مرتبة ونظيفة عدا سرير واحد ألقيت أغطيته جانباً بإهمال ووسادة توشك على السقوط من حافته، وملاءته يظهر عليها التجعد، ولكن لم يكن هناك أي أثر لتيريسا.

- تيريسا!

صاح توماس وقد أرهق الرعب حلقة إثر صياحه.

انبعث صوت اندفاع مياه المراض من خلف الباب المقفول فتنفس توماس الصعداء فجأة، تهيأ وبدأ في السير باتجاه الحمام، ولكن هرع نيوت وأمسكه من ذراعه.

- إنك معتاد العيش مع الأولاد، لا أظن أن من التهذيب أن تقوم باقتحام حمام الفتيات هكذا، فقط انتظر حتى تخرج.
- بعد ذلك يجب أن يأتي الجميع لنجتمع هنا معًا.
- أردف مینهو مضيئًا.

- لا تصل الرائحة الكريهة إلى هنا، ولا يوجد أي نوافذ يصلنا منها صراخ النزقين.

لم يكن توماس قد لاحظ قلة النوافذ حتى هذه اللحظة، على الرغم من أنها أكثر الأشياء وضوحًا، بالمقارنة مع الفوضى التي تعم مهجعهم، نزقون، كاد ينسى ذلك.

- أتمنى لو تسرع قليلًا.

همهم توماس.

- سأحضر الجميع إلى هنا.

التفت مینهو واتجه عائذًا إلى صالة الطعام. أخذ توماس يحدق إلى باب الحمام، تدافع نيوت والسيد طاسة وآخرون من أفراد الجلايد إلى الغرفة واتخذ كل منهم مجلسًا على السرر، يميلون للأمام متكئين بزئودهم على ركبهم ويفركون أيديهم بعضها ببعض في شرود، تنطق لغة أجسادهم بأقصى معاني القلق والجزع.

- تيريسا!

حدّثها توماس في عقله.

- هل يمكنك سماعي؟ إننا ننتظر هنا بالخارج.

لم تأتِ أي إجابة، هو لا يزال يشعر بذلك الفراغ في عقله وكأنما حضورها قد اختفى للأبد.

أتى صوت باب يُفتح، تحرك مقبض باب الحمام ومن ثم انفتح الباب باتجاه توماس، اتخذ خطوة ناحية الباب واستعد كي يشد تيريسا بين ذراعيه غير عابئ بمن حولهما، ولكن الفتاة التي خرجت إلى المهجع لم تكن تيريسا، توقف توماس فجأة حتى كاد يسقط، شعر أن كل شيء بداخله يوشك أن ينهار.

لقد كان فتى!

كان يرتدي الملابس ذاتها التي ارتداها جميعهم منذ يومين، منامة نظيفة باللون السماوي ذات قميص مزرر وسروال خفيف. كان الفتى ذا بشرة قمحية، وشعره الداكن مخلوق بشكل مبالغ فيه، الشيء الوحيد الذي منع توماس من أن يمسك بخناق الفتى ويهزه بعنف حتى يحصل منه على بعض الإجابات كانت تلك النظرة البريئة المتفاجئة التي اعتلت وجهه.

- من تكون أنت؟

سأله توماس متعمداً أن تبدو كلماته قاسية.

- من أكون أنا؟

أجابه الفتى بشيء من التهكم.

- بل أنت من تكون؟

نهض نيوت على قدميه وبالفعل كان واقفاً بالقرب من الفتى الجديد أكثر مما كان توماس.

- لا تعبت معنا بحق الجحيم، إننا أكثر منكم عدداً، أخبرنا من تكون.

عقد الفتى ذراعيه وتأهب جسده في تحدّ.

- حسناً، اسمي أريس، ما الذي تود معرفته بعد؟

شعر توماس برغبة في ضرب الفتى الذي يتصرف بكبر وتعالٍ بينما تيريسا مفقودة.

- كيف جئت إلى هنا؟ أين الفتاة التي نامت هنا الليلة الماضية؟

- فتاة؟ أي فتاة؟ إنني الشخص الوحيد هنا، وقد كان الأمر كذلك مذ جاؤوا بي إلى هنا الليلة الماضية.

التفت توماس ليشير باتجاه الباب المؤدي إلى صالة الطعام.

- توجد بطاقة في الخارج تؤكد أن هذه غرفتها، تيريسا... آجنس، لا يوجد أي شيء عن فتى لعين يدعى أريس.

لا بد أن شيئاً ما في نبرة صوته جعل الفتى يدرك مدى جدية الأمر، رفع يديه في إشارة لتهدئة الموقف.

- انظر يا رجل، أنا لا أعرف شيئًا عما تقول، لقد جاؤوا بي إلى هنا الليلة الماضية، ونمت في هذا السرير (أشار إلى السرير المبعثرة أغطيته) واستيقظت منذ خمس دقائق وذهبت لكي أتبول، لم أسمع باسم تيريسا أجنس في حياتي قط، آسف.

تبدد شعور الراحة الذي شعر به توماس لدى سماعه لاندفاع مياه المرحاض في بادئ الأمر، تبادل نظرة مع نيوت، ليست لديه أي فكرة عما يجب أن يسأله.

هز نيوت كتفيه هزة خفيفة ثم التفت ثانية إلى أريس.

- من الذي جاء بك إلى هنا الليلة الماضية؟

قام أريس برفع ذراعيه عاليًا في الهواء ثم أنزلهما مجددًا وصرع جنبه في قلة حيلة.

- إنني لا أعرف ذلك حتى يا رجل، بعض الناس المسلحون من الذين قاموا بإنقاذنا، أخبرونا أن كل شيء قد أصبح على ما يرام الآن.

- أنقذونا من ماذا؟

سأله توماس، لقد أصبح الأمر مريبًا، مريبًا حقًا.

نكس أريس رأسه إلى الأرض وتدلّت كتفاه، بدا وكأن دفعة من الذكريات البشعة قد هاجمته، زفر الفتى ورفع نظره إلى توماس ثم أجاب أخيرًا.

- من المتاهة يا رجل... من المتاهة.





## الفصل الخامس

هدأت سورة توماس، أدرك لتوه أن هذا الفتى لم يكن يكذب، نظرة الرعب التي تملكتم أريس كانت نظرة يعرفها جيداً، لقد شعر توماس بها هو نفسه ورآها على الكثير من الوجوه الأخرى، هو يعرف بالضبط أي نوع من الذكريات البشعة التي تجعل أحدهم يصل إلى هذه الحالة، وأدرك كذلك أن أريس لا يعلم أي شيء مما حدث لتيريسا.

- ربما عليك أن تجلس، أظن أن لدينا الكثير لنتحدث بشأنه.

- ما الذي تعنيه؟ من أنتم أيها الرفاق؟ من أين أتيتم؟

افتعل توماس شبه ضحكة.

- المتاهة، الهوام، وكِد، سمها كيفما شئت.

هناك الكثير من الأحداث، من أين يمكنه البدء؟ ناهيك بقلقه على تيريسا الذي يجعل رأسه يدور ويجعله يود لو يهرع خارج الغرفة على الفور للبحث عنها، ولكنه لم يفعل.

- إنكم تكذبون.

قال أريس وقد استحال لونه إلى الأصفر وأصبح يتكلم همساً.

- كلا، إننا لا نكذب، تومي محق، يجب علينا أن نتحدث، على ما يبدو أننا أتينا من أماكن متشابهة.

أجاب نيوت.

- من يكون هذا الفتى؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

استدار توماس ليجد مينهو ومن خلفه يقف حشد من أفراد الجلاید على الجانب الآخر من الباب، مقطبين وجوههم في اشمئزاز من الرائحة التي بالخارج، لا يزال الرعب يملأ أعينهم لما قد رأوه في الغرفة من خلفهم.

- مينهو، إليك آريس.

قال توماس ثم خطا جانبًا وأشار إلى الفتى الآخر.

- آريس، إليك مينهو.

تفوه مينهو ببضع كلمات مبهمة، كأنه لم يستطع أن يقرر من أين يبدأ.

- انظر...

تكلم نيوت.

- لنُنزل كل تلك الأسرة العلوية ونضعهم حول الغرفة، بعد ذلك يمكننا أن نجلس جميعًا لنرى ما الذي يجري بحق الجحيم.

هز توماس رأسه رافضًا.

- كلا، أولاً يجب علينا أن نذهب لنجد تيريسا، لا بد أنها في غرفة أخرى.

- ليس هناك غرفة أخرى.

- ماذا تعني؟

- لقد تفقدت المكان برمته للتو، هناك صالة الطعام، وهذه الغرفة، ومهجعنا، وبعض أبواب لعينة تؤدي إلى الخارج، والتي دخلنا منها حيث توقفت الحافلة بالأمس، مؤصدة بالسلاسل من الداخل، لا يبدو ذلك منطقيًا، ولكنني لم أتمكن من إيجاد أي أبواب أو مخارج أخرى.

هز توماس رأسه في تشتت، شعر وكأن ملايين العناكب قامت لتوها بغزل شباكها حول عقله.

- ولكن... ماذا عن الليلة الماضية؟ من أين أتى الطعام؟ ألم يلحظ أحد أي غرف أخرى، مطبخ، أي شيء؟

أخذ يجيل بصره بينهم أملًا في أي إجابة، ولكن أحدهم لم ينبس ببنت شفة.

- ربما يوجد باب سري.

تلك نيوت أخيرًا.

- انظر، يمكننا فقط القيام بكل شيء على حدة، نحتاج إلى أن...

- كلا!

صاح توماس.

- لدينا اليوم كله للتحدث مع هذا الفتى أريس، إن البطاقة الموجودة أمام الباب تؤكد أن تيريسا يجب أن تكون هنا في مكان ما... علينا أن نجدها!

دون أن ينتظر ردًا، اتجه توماس إلى الباب عائدًا أدراجه إلى صالة الطعام، شق طريقه بين حشد الفتيان حتى خرج، ضربته الرائحة كأن دلوًا من أقذار البواليع قد صب فوق رأسه، كانت الجثث الزرقاء المنتفخة معلقة كما يعلق الصيادون طرائدهم لكي تجف، وأعينهم الزجاجية تحرق مباشرة إليه.

امتلات معدته بإحساس مألوف ومثير للغثيان بالاشمئزاز آثار رغبته في التقيؤ. أغمض عينيه لثوان ليستحث أحشائه على الاستقرار، وعندما استجابت لمحاولاته أخيرًا، طفق يبحث عن أي أثر لتيريسا متحاشيًا النظر إلى الجثث بقدر المستطاع.

لكن فكرة مريعة طرأت في ذهنه، ماذا لو كانت...

أخذ يجري في أرجاء الغرفة وهو يبحث في وجوه الجثث، لم يكن وجهها من ضمنهم، حلت الراحة محل الرعب للحظة عابرة، ومن ثم قام بتركيز انتباهه على الغرفة نفسها.

كانت الحوائط التي تحيط به عادية كما يجب أن تكون، حوائط ملساء مطلية بدهان أبيض وتخلو من أي نوع من الزينة، ولسبب ما يجهله لم تكن هناك أي نوافذ، دار حول محيط الغرفة ممرًا يده على طول الحائط بينما يقوم بذلك. وصل إلى باب مهجع الفتيان ثم تخطاه حتى وصل إلى المدخل الكبير الذي أتوا من خلاله في الليلة الماضية، كانت تهطل أمطار غزيرة في ذلك الوقت، وهو شيء كان أقرب للمستحيل الآن بالنسبة إلى الشمس الساطعة التي رآها تتأجج من خلف الرجل الممسوس قبل قليل.

احتوى المدخل -أو المخرج- على بابين كبيرين من الحديد مطلين من الخارج بفضة لامعة، وكما قال مينهو؛ تربط سلسلة عملاقة يبلغ سمك حلقاتها إنشاً كاملاً بين مقابض الأبواب وتوصدها بإحكام، واثنان من الأقفال الضخمة لتبقيها بهذا الشكل. شعر ببرودة المعدن بيديه، لقد كان منيعاً.

توقع أن يسمع صوت ارتجاجه من الجهة الأخرى -بفعل محاولات النزقين للدخول تمامًا كما كانوا يفعلون خلف نوافذ المهجع- ولكن الصمت ظل مخيمًا على الغرفة، كانت الأصوات الوحيدة الآتية من مهجعي النوم مكتومة وعبارة عن صيحات النزقين البعيدة وهمهمات محادثات أفراد الجلايد من المهجع الآخر.

استكمل توماس رحلته الطويلة على قدميه وهو في أوج خيبة الأمل حتى بلغ الغرفة التي من المفترض أنها غرفة تيريسا مجددًا. لا شيء، لم يجد حتى شق أو أثر يشير إلى وجود مخرج آخر، لم تكن الغرفة الكبيرة حتى مربعة الشكل، بل كانت بيضاوية، مستديرة وبلا زوايا.

لم يحتر تمامًا، عاد بتفكيره إلى الليلة الفائتة، عندما جلسوا هناك جميعًا والتهموا البيتزا كشعوب المجاعات، مؤكّد أنهم رأوا أبوابًا أخرى، مطبخ أو أي شيء، ولكنه كلما فكر في الأمر، وكلما حاول أن يتخيل كيف بدت الأشياء، وجد كل شيء يزداد تشوشًا وغموضًا. دق ناقوس خطر في رأسه... لقد تم اللعب بعقولهم من قبل، هل قاموا بذلك مجددًا؟ هل مُحيت ذاكرتهم أو عدلت؟

وماذا حدث لتيريسا؟

فكّر يائسًا أن يزحف على الأرض حتى يجد بابًا خفيًا أو أي شيء، أي شيء يدلّه على ما قد حدث، لكنه لم يستطع أن يظل دقيقة أخرى بصحبة تلك الأجساد المتعفنة، الشيء الوحيد الذي تبقى هو ذاك الفتى الجديد، زفر والتفت عائدًا إلى الغرفة الصغيرة التي وجدوه بها، لا بد أن أريس يعلم شيئًا سوف يساعدهم.

فُصِلت الأسرة العلوية عن السفلية ووضعت بمحاذاة الحائط حول الغرفة، تمامًا كما أمر نيوت، مما وفر مساحة كافية لآريس وأفراد الجلايد التسعة عشر الباقين لكي يجلسوا في دائرة في مواجهة بعضهم بعضًا.

عندما رأى مينهو توماس، أشار له بيده إلى مساحة فارغة بجانبه.

- لقد أخبرتك يا صديقي، تعال واجلس لنتكلم، كنا ننتظرك، ولكن أولاً أغلق هذا الباب اللعين بقدر الإمكان... إن الرائحة بالخارج أسوأ من رائحة قدمي جالي النتننة.

جذب توماس الباب وأغلقه دون أن يزيد شيئاً ثم عاد واتخذ مجلساً، ود لو يدفن وجهه بين راحتيه، ولكنه لم يفعل. لم يكن هناك ما يدل على أي نوع من الخطر الذي يهدد تيريسا. كان هناك شيء مريب يحدث، ولكن ملايين التفسيرات ممكنة الحدوث، والكثير من تلك التفسيرات أشارت إلى كونها بخير.

كان نيوت على أحد الأسرّة على اليمين، جلس على أقصى مقدمة السرير حيث كان مستنداً بطرف مؤخرته فقط على المرتبة.

- حسناً إذاً، لنبدأ حفل الحكايات اللعين هذا حتى نتمكن من الوصول إلى حل المشكلة... وأن نعثر على شيء يمكننا أكله.

شعر توماس أنه يتضور جوعاً، كان يسمع هدير معدته، لم ينتبه لوجود تلك المشكلة بعد، أمر الماء محلول، إذ لديهم دورات المياه، ولكن لم يكن هناك أي أثر لوجود طعام في أي مكان.

- حسناً إذاً، تكلم يا أريس، فلتخبرنا كل شيء.

جلس الفتى الجديد في مواجهة توماس مباشرة في الجانب الآخر من الغرفة، وأفراد الجلايد يحيطون بالفتى الغريب من كل جانب على السرير. هز أريس رأسه.

- غير ممكن، فلتبدؤوا أنتم أولاً يا رفاق.

- حقاً؟

أجابه مينهو.

- ما رأيك لو تبادلنا جميعاً الأدوار في سحق كل إنش من وجهك اللعين؟ ثم بعد ذلك نسألك أن تتكلم مجدداً.

- مينهو...

قال نيوت بحدة.

- لا يوجد داعٍ...

أشار مينهو بحدة إلى آريس.

- بربك يا صديقي، لأن كل ما لدينا الآن هو أن هذا الفتى قد يكون من المؤسسين، أحد أفراد وِكد، تركوه هنا للتجسس علينا، ربما قام بقتل أولئك الناس بالخارج، إنه الشخص الوحيد الذي لا نعرفه، والأبواب والنوافذ جميعها مغلقة! لقد سئمت من غطرسته وتكبره طوال الوقت بينما نحن عشرون فتى مقابله هو بمفرده، عليه أن يتكلم أولاً.

تأوه توماس في داخله، كان يعلم شيئاً واحداً وهو أن هذا الفتى لن يتكلم معهم إذا استمر مينهو في تروييعه.

زفر نيتون ونظر إلى آريس.

- إن لديه وجهة نظر، فقط قم بإخبارنا عما عنيته بشأن مجيئك من المتاهة اللعينة، لأننا هربنا من ذلك المكان، ونحن بالتأكيد لم نقابلك هناك.

فرك آريس عينيه، ثم نظر إلى نيتون مباشرة.

- حسناً، استمعوا، لقد نُفيت إلى تلك المتاهة العملاقة بأسوارها الحجرية الشاهقة... ولكنهم قاموا بمحو ذاكرتي قبل ذلك، ما عرفت غير اسمي، لقد عشت هناك مع مجموعة من الفتيات، كان عددهم يقترب من الخمسين وكنت أنا الفتى الوحيد، تمكناً من الهرب منذ أيام قليلة، وضعنا الناس الذين ساعدونا في صالة رياضية كبيرة لعدة أيام، ثم قاموا بنقلي إلى هنا الليلة الماضية... ولكن أحداً لم يفسر أي شيء. وأنتم ما أمر وجودكم في متاهة أيضاً؟

بالكاد سمع توماس كلمات آريس الأخيرة التي تفوه بها وسط غيمة من أصوات أفراد الجلاید المتفاجئة، شعر بعقله مشوشاً كأنما تحيطه غيمة من الدخان، لقد أخبرهم آريس بما حصل له ببساطة وسرعة كأنما يصف تفاصيل رحلة إلى الشاطئ، ولكن هذا بدا ضرباً من الجنون، ورائعاً، لو كان حقيقياً. لحسن الحظ نطق أحدهم بما كان توماس يحاول أن يجد طريقة لشرحه في عقله بالضبط.

- مهلاً لحظة...

تلكم نيوت:

- لقد عشتَ في متاهة ضخمة، في مزرعة، حيث تُغلق الأسوار كل ليلة؟ فقط أنت بصحبة عشرات الفتيات؟ هل كانت هناك مخلوقات تُسمى الهوام؟ هل كنت آخر من وصل؟ وهل أصبح كل شيء جنونياً لدى وصولك؟ هل دخلت في غيبوبة؟ وبصحبتك ملاحظة تفيد بأنك الأخير على الإطلاق؟

- مهلاً، مهلاً، مهلاً...

تلكم آريس من قبل حتى أن ينهي نيوت كلامه.

- كيف لك أن تعلم كل هذه الأشياء؟ كيف...

- إنها التجربة اللعينة نفسها.

قال مينهو وقد اختفت النبرة العدوانية من صوته:

- أو نفس ال... أيّاً كان، ولكن كان هناك فتيات وفتى واحد، ونحن كنا جميعنا فتيان وفتاة واحدة، لا بد وأن وكِد قامت ببناء اثنتين من تلك المتاهة... لإجراء اختبارين مختلفين!

تمكن توماس من قبول هذه الأفكار، وتمكن أخيراً من استجماع شتات نفسه لكي يتحدث، نظر إلى آريس...

- هل كانوا يلقبونك بالمحفّز.

أوماً آريس، كان مشتتاً مثله مثل كل من في الغرفة.

- وهل يمكنك أن...

بدأ توماس سؤاله، ثم تردد، شعر مثلما يشعر في كل مرة يحاول الحديث بهذا الأمر، كأنه يعترف للعالم بأنه مجنون.

- هل يمكنك أن تتحدث إلى واحدة من تلك الفتيات بداخل عقلك؟ أتدري، كالتخاطر وما شابه؟

اتسعت عينا آريس، أخذ يحدق إلى توماس وكأنما قد أدرك سرّاً محظوراً يستطيع شخص واحد فقط أن يفهمه.

- هل يمكنك سماعي؟

بدت الجملة في غاية الوضوح في عقل توماس حتى ظن في بادئ الأمر أن آريس قد تكلم بصوت عال.

- هل يمكنك سماعي؟

كرر الفتى. تردد توماس، ابتلع ريقه.

- أجل.

- لقد قتلوها، لقد قتلوا صديقتي المقربة.

أجابه آريس.



## الفصل السادس

- ما الذي يجري؟
- سأل نيوت وهو يجيل بصره جيئةً وذهابًا بين توماس وأريس.
- لماذا تنظران بعضكما إلى بعض يا رفاق وكأنكما وقعتما في الحب للتو؟
- بإمكانه فعل ذلك أيضًا.
- أجاب توماس دون أن يبعد ناظريه عن الفتى الجديد بينما يرى الآخرين بطرف عينيه فقط، لقد بثت جملة أريس الأخيرة الرعب في أوصاله، إذا قتلوا صديقتة الأثيرة...
- يفعل ماذا؟
- تساءل السيد طاسة.
- ماذا في رأيك؟
- أجابه مينهو.
- إنه غريب الأطوار مثل توماس، بإمكانهما أن يتحدثا إلى بعضهما في رأسيهما.
- أخذ نيوت يحدق إلى توماس الآن.
- حقًا؟
- أوماً توماس برأسه وكاد أن يتحدث إلى أريس في عقله مجددًا، ولكنه تكلم بصوت عال في اللحظة الأخيرة:

- مَنْ قتلها؟ ماذا حدث؟

- من قتل من؟ كفاك من أمور الشعوذة غريبة الأطوار تلك بينما نحن هنا.  
بعينين دامعتين الآن، قطع توماس أخيرًا اتصال عينيه بأريس ونظر إلى  
مينهو.

- لقد كان لديه أحد يمكنه أن يفعل ذلك معه، فقط كما فعلت أنا، أعني...  
كما أفعل، ولكنه قال إنهم قتلوها، أريد أن أعرف من يكون أولئك.

تدلى رأس آريس، بدت عيناه مغلقتين من حيث يجلس توماس.

- إنني حقًا لا أعلم من يكونون، إن الأمر في غاية التعقيد، لم أعد قادرًا  
على التفريق بين الأناس الطيبين من الأشرار، ولكنني أعتقد أنهم جعلوا  
تلك الفتاة، بيت... تطعن... صديقتي، كان اسمها ريتشل، لقد ماتت،  
رباه، لقد ماتت.

دفن وجهه بكلتا يديه.

شعر توماس بوخزة ارتباك مؤلمة، كان كل شيء يشير إلى أن آريس جاء  
من نسخة أخرى من المتاهة، وأعدَّ بنفس الطريقة عدا النسبة بين الفتيات  
والفتيان، ولكن ذلك سيجعل آريس في منزلة النسخة المذكورة من تيريسا،  
ويبدو أن بيت تلك هي النسخة التي تحاكي جالي، الذي قتل تشاك، وبواسطة  
سكين، هل يعني ذلك أنه كان من المفترض لجالي أن يقتل توماس بدلًا من  
ذلك؟

ولكن لماذا آريس هنا الآن؟ وأين تيريسا؟ كل الأشياء التي كادت تتضح  
في عقله تشوشت مرة أخرى.

- حسنٌ، وكيف انتهى بك الحال معنا؟ أين كل تلك الفتيات اللاتي لا تنفك  
تتحدث عنهن؟ كم واحدة منهن استطاعت الهروب معك؟ هل قاموا  
بإحضاركم جميعًا إلى هنا أم أنه أنت فقط؟

لم يستطع توماس ألا يشعر بالأسف على آريس، كي يُعذَّب بكل هذا القدر  
من الأسئلة بعد شيء مثل الذي حدث، إذا تبدلت الأدوار، إذا رأى توماس  
تيريسا وهي تُقتل... لقد كانت رؤية ذلك يحدث لتشاك سيئة بما يكفي.

أكانت سيئة بما يكفي؟ أم كانت رؤية تشاك يموت هي الأسوأ على الإطلاق؟  
فكر توماس في نفسه وود لو يصرخ، كان كل شيء في العالم في تلك اللحظة  
مثيرًا للشفقة.

رفع آريس رأسه أخيرًا، ومسح بضع دموع عن خده، فعل ذلك بأقل قدر  
من الشعور بالخجل، وأدرك توماس فجأة أن هذا الفتى يعجبه.

- انظر، إنني مشتتٌ مثلي مثل أي واحد منكم، لقد نجا نحو ثلاثين شخصًا  
منًا، قاموا بأخذنا إلى تلك الصالة الرياضية، أطعمونا، ونظفونا، ثم  
أحضروني إلى هنا الليلة الماضية قائلين إنه لا بد أن يتم فصلي لأنني  
فتى... هذا كل ما في الأمر، حتى ظهرت م أيها العراقيب.

- عراقيب؟!!

كرر مينهو، وهز آريس رأسه.

- لا تكثر، إنني لا أعرف ماذا تعني حتى، إنها مجرد كلمة كانوا  
يستعملونها عندما وصلت.

تبادل مينهو نظرة مع توماس، تعلق وجهه شبه ابتسامة. بدا وكأن كلتا  
المجموعتين قاموا باختراع مفرداتهم الخاصة.

- مرحبًا.

صاح أحد أفراد الجلايد لم يكن توماس يعرفه مطلقًا، كان الفتى يقف  
مستندًا على الحائط وراءه ويشير إليه.

- ما هذا الذي على جانب رقبتك؟ هناك شيء أسود اللون أسفل رقبتك  
بالضبط.

حاول آريس أن يلقي نظرة، ولكنه لم يتمكن من الانحناء حتى يرى هذا  
الجزء من جسده.

- ماذا؟

التفت الفتى فرأى توماس بقعة داكنة في أعلى ياقة منامة الفتى من  
الخلف مباشرة، بدا أن هناك خطأً سميًا يمتد من تجويف ترقوته وحتى  
ظهره، كان مليئًا بالفراغات كأنه يتكون من حروف مكتوبة.

- ها هنا، سألقي نظرة.

تقدم نيوت ونهض عن السرير واتجه نحوه، كان عرجه -الناجم عن شيء ما حدث في الماضي لم يشاركه مع توماس قط- واضحًا أكثر من المعتاد، اقترب وقام بإزاحة قميصه إلى الأسفل أكثر كي يتمكن من رؤية النقوش الغريبة بوضوح.

- إنه وشم.

أعلن نيوت وهو يفرك عينيه وكأنما لا يصدق عينيه.

- ماذا يقول؟

سأل مينهو على الرغم من أنه كان قد نهض بالفعل عن السرير واقترب لينظر بنفسه.

عندما لم يجب نيوت على الفور، دغدغ الفضول توماس وأجبره على النهوض، وفي لحظات أصبح واقفًا بجانب مينهو وانحنى ليتفحص الوشم بنفسه، عندما رأى الكلمات الموشومة في حروف متراسة، شعر وكأن قلبه توقف للحظة.

**ملك منظمة وكِد. المجموعة ب، المبحوث ب.1، الرفيق.**

- ماذا يُفترض بهذا أن يعني؟

- ما المكتوب؟

سأل آريس ومد يده وجذب ياقة قميصه للأسفل ليتحسس رقبتة وكتفيه.

- أقسم إن ذلك لم يكن موجودًا الليلة الماضية.

كرر نيوت الكلمات إليه.

- منظمة وكِد؟ ظننت أننا هربنا منهم، وأنكم قد هربتم منهم أيضًا. أيًا كان.

التفت والانفعال بادٍ على ملامحه وذهب عائدًا إلى سريره.

- وما الذي يجعلهم يلقبونك بالرفيق؟

سأله مينهو وهو لا يزال يحدق إلى الوشم. هز آريس رأسه في غير علم.

- ليس لدي أي فكرة، أقسم لكم، من المستحيل أن ذلك كان موجودًا قبل ليلة البارحة، لقد استحممت، ونظرت في المرآة، كنت سأتمكن من رؤيتها، وبالطبع كان سيتمكن أحدهم من ملاحظتها في المتاهة.

- أتقول إنهم قاموا بوشمك في منتصف الليل؟ دون أن تشعر بذلك؟  
بحقك يا رجل!

- أقسم لك بذلك.

أصر آريس على موقفه ومن ثم نهض واقفًا واتجه إلى الحمام، ربما لكي يحاول رؤية الكلمات بنفسه.

- إنني لا أصدق كلمة واحدة لعينة مما يقول.

همس مينهو لتوماس وهو عائد إلى مقعده، ثم بمجرد أن انحنى لكي يجلس على السرير، تحرك قميصه بما يكفي لكي يكشف عن خط أسود سميك على رقبته.

- مهلاً!

قال توماس وقد أحس لثانية أنه فقد قدرته على الحركة.

- ماذا؟

تساءل مينهو وأخذ ينظر إلى توماس كأن أذنًا جديدة قد نمت على جبهته للتو.

- رقب... رقبك.

تمكن توماس من النطق أخيرًا.

- إن لديك مثلها على رقبك أيضًا.

- ماذا تقول بحق الجحيم؟

قال مينهو ومن ثم التفت ينظر إلى الخلف مقطبًا وجهه إذ كان يحاول عبثًا رؤية شيء لا يمكنه بلوغه. هرع توماس إلى مينهو، ودفع يديه بعيدًا ثم جذب ياقة قميصه من الخلف.

- اللعنة... إنها هناك بالضبط! نفس الكلمات عدا...

قرأ توماس الكلمات دون النطق بها.

ملك منظمة وكِد. المجموعة أ، مبحوث أ.7، القائد.

- ماذا هناك يا رجل؟

صاح مينهو به.

احتشد معظم أفراد الجلايد في مجموعة متلاصقة خلف توماس، وتلاحموا لكي يظفروا بالرؤية. قرأ توماس الكلمات الموشومة بصوت عال، ودُهِش أنه تمكن من قولها دون تلعثم.

- هل تمازحني يا رجل؟

قال مينهو وانتصب واقفًا، وهرع مخترقًا حشد الفتیان ليشق طريقه إلى الحمام في إثر أريس.

ثم بدأت نوبة من الجنون، أحس توماس بأحدهم يقوم بجذب قميصه بينما كان يتفحص آخرين، أخذ الجميع يصيحون بعضهم على بعض.

- يحمل جميعهم الوشم الخاص بالمجموعة أ.

- ملك منظمة وكِد، هذا فقط.

- أنت المبحوث أ - ثلاثة عشر.

- المبحوث أ - تسعة عشر.

- أ - ثلاثة.

- أ - عشرة.

أخذ توماس يدور ببطء حول نفسه وقد أصابه الدوار وهو يشاهد أفراد الجلايد يكتشفون أن جميعهم لديهم مثل تلك الوشوم. لم يحصل معظمهم على نفس التوصيف مثل أريس ومينهو، وحصلوا فقط على جملة الملكية، كان نيوت يتفحص الفتیان واحدًا تلو الآخر كي ينظر بنفسه، كان وجهه ثابتًا كالحجر كأنه كان مركزًا على حفظ كل الأسماء والأرقام في عقله، ثم، بمحض الصدفة إلى حد ما، وقف كل منهما في مواجهة الآخر.

- ماذا يقول خاصتي؟

جذب توماس قميص نيوت جانبًا ثم انحنى ليقرأ الحروف المنقوشة على جلده.

- أنت المبحوث أ - خمسة، ويلقبونك بالصمغ.

نظر إليه نيوت في ذهول.

- الصمغ؟

ترك توماس قميصه وتنحى جانباً.

- أجل، ربما لأنك نوعاً ما كنت كالصمغ الذي جمعنا معاً، لا أعلم، اقرأ خاصتي.

- لقد قرأته بالفعل...

لاحظ توماس تعبيراً مريباً ارتسم على وجه نيوت، تعبير يوحي بشيء من التردد، أو الخوف، كأنه لم يرغب في إخبار توماس بمحتوى الوشم الخاص به.

- ماذا؟

- أنت المبحوث أ - اثنان.

أجابه نيوت ثم أخفض عينيه نحو الأرض.

- وماذا بعد؟

حثه توماس على الكلام. تردد نيوت ثم أجابه دون أن ينظر إليه مباشرة.

- إنهم لم يمنحوك أي لقب، مكتوب فقط أنك... ستقتل من قبل المجموعة ب.





## الفصل السابع

لم يكن لدى توماس وقت كافٍ ليفكر فيما قاله نيوت للتو، لقد كان يحاول أن يحدد ما إذا كان مشتتًا أم خائفًا، إذ دوى صوت رنين جرسٍ صاخبٍ في أرجاء الغرفة، وضع يديه على أذنيه بحركة غريزية وأخذ ينظر من حوله إلى الآخرين.

لاحظ نظرات الارتباك التي اعتلت وجوههم ومن ثم داهمه نفس الشعور، لقد كان ذاك هو الصوت نفسه الذي سمعه في المتاهة قبل أن تظهر تيريسا بداخل الصندوق مباشرة، كانت تلك هي المرة الوحيدة التي سمعه فيها، لكنه بدا مختلفًا وأكثر قوة بداخل غرفة صغيرة كتلك، يتردد صداه كصوت الرعد، ولكنه مع ذلك كان أكيدًا من أنه الصوت نفسه، الصوت الذي استُخدم داخل الجلايد لكي يعلن عن قدوم فرد جديد.

لم يتوقف الصوت، وقد بدأ توماس بالفعل يشعر بصداع يضرب جبهته. أخذ أفراد الجلايد يطوفون في أرجاء الغرفة ويحدقون ببلاهة إلى الجدران والسقف كأنهم يحاولون اكتشاف مصدر الصوت. اتخذ بعضهم مجلسًا على الأسرة يضغطون بأيديهم على جانب رؤوسهم.

حاول توماس العثور على مصدر الصوت هو أيضًا، ولكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء، لا أثر لمكبرات الصوت أو فتحات تدفئة أو مكيف هواء في الجدران، لا شيء، فقط صوت دوي ينبعث من كل حذب وصوب مرة واحدة. جذبه نيوت من ذراعه وصرخ في أذنه.

- إنه نفس صوت تنبيه القادم الجديد للعين.

- أعلم!

- لماذا يرن هكذا؟

هز توماس كتفيه في غير علم أملًا ألا يكون وجهه قد خانه ولم يوضح إلى أي حد هو منزعج. من أين له أن يعلم ما الذي يجري؟

خرج مينهو وأريس من الحمام، أخذ كل منهما يفرك مؤخرة رقبته دون وعي ويجيل بصره في الغرفة بحثًا عما يفسر ما يحدث. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا ليدرك كل منهما أن الآخرين لديهم نفس الوشوم. مضى السيد طاسة متجهاً نحو الباب المؤدي لصالاة الطعام وأوشكت راحة يده أن تلمس موضع مقبض الباب قبيل كسره.

- توقف!

صاح توماس باندفاع، وهرع ناحية السيد طاسة عند الباب مستشعرًا نيوت وهو يتبعه مباشرة.

- لماذا؟

سأل السيد طاسة مستفهمًا ولا تزال يده معلقة في الهواء على بُعد إنشآت قليلة من الباب.

- لا أعلم...

لم يكن توماس متأكدًا من أن صوته كان مسموعًا وسط كل تلك الأصوات الصاخبة.

- إنه جرس إنذار، ربما يكون هناك شيء ما سيئٌ بحق على وشك الحدوث.  
- أجل!

صاح به السيد الطاسة.

- وربما يتحتم علينا الخروج من هنا!

لم ينتظر ردًا من توماس وقام بدفع الباب، ثم دفعه بقوة أكبر عندما أبى أن يتحرك. عندما لم يتزحزح قيد أنملة، اندفع ناحيته بكامل وزنه ودفعه بكتفه.

دون جدوى، كان الباب مقفلًا بإحكام كأن حائطًا قد بُني من خلفه.

- لقد كسرتم المقبض اللعين!

صرخ السيد طاسة ثم قام بصفع الباب براحة يده.

لم يُرد توماس أن يصرخ ثانية، لقد كان متعبًا ويؤلمه حلقه، أدار ظهره واستند إلى الحائط وعقد ذراعيه. معظم أفراد الجلايد بدا عليهم الإرهاق مثلهم مثل توماس... أتعبهم البحث عن إجابات لأسئلتهم أو عن مخرج من ذلك المكان. كان كل منهم إما جالسًا على الأسرة أو واقفًا في أرجاء الغرفة، تعلق وجوههم بتعبيرات مبهمة.

كان اليأس أكثر من أي شيء آخر هو ما دفع توماس إلى أن يستدعي تيريسا مجددًا، ثم عدة مرات أخرى، ولكنها لم تجب، كما أنه في خضم هذه الضوضاء لم يكن متأكدًا إذا كان بإمكانه التركيز بما يكفي لكي يسمعها على كل حال، لا يزال يشعر بغيابها، الأمر أشبه بأن تستيقظ يومًا، لتجد أنه لم يعد هناك أسنان في فمك، لن تكون في حاجة إلى أن تهرع إلى المرأة لتتأكد أنها اختفت.

ثم توقف جرس الإنذار.

لم يبدو أن للصمت صوتًا خاصًا قط، كأن قفيرًا من النحل الطنان قد هبط على الغرفة في ضراوة ووحشية جعلت توماس يسرع بوضع إصبعيه في أذنيه، كل نفس، كل تهيدة في الغرفة كانت كأنفجار مدوّ إذا ما قورنت بغيمة الهدوء الثقيلة والغريبة.

كان نيوت أول من كسر الصمت.

- لا تخبرني أننا سوف نستمر في استقبال أفراد جدد يُلقون على حجرنا بحق الجحيم.

- أين يوجد صندوق هذا المكان القشري؟

دمدم مينهو متهكمًا.

أتى صوت صرير خفيف انتبه إليه توماس ونظر بتيقظ نحو الباب المؤدي إلى صالة الطعام، لقد فُتح الباب عدة إنشآت كاشفًا عن خط من الظلمة من حيث أصبح مواربًا.

- أخمن أنهم يريدوننا أن نخرج الآن.

قال مينهو.

- لم لا تخرج أنت أولاً إذا؟

اقترح السيد طاسة، فبدأ مينهو بالتحرك بالفعل.

- لا مشكلة، ربما سنحصل على عرقوب صغير جديد يمكننا أن نسيء معاملته ونصفعه على مؤخرته عندما نشعر بالملل.

بلغ الباب ثم توقف ونظر بطرف عينيه إلى توماس، تحول صوته فجأة ليصبح أكثر حنوًا.

- يمكننا أن نحصل على تشاك آخر.

أدرك توماس أنه يجب ألا يحزن، فعلى كل حال، مينهو فقط كان يحاول أن يظهر -بطريقته الخاصة الغريبة- أنه يفتقد تشاك كما يفعل الجميع، ولكن تذكيره بصديقه، وبخاصة في لحظة صعبة كتلك، جعله يشعر بالغضب. أخبره حدسه بأن يتجاهل هذا الغضب... إذ كان يمر بوقت عصيب بما فيه الكفاية لمواجهة الأمور التي تحدث من حوله، كان بحاجة إلى أن يفصل نفسه عن مشاعره لبعض الوقت وأن يركز في الماضي قدمًا، خطوة بخطوة حتى ينتهي هذا الأمر.

- أجل، هل ستخرج أم تريدني أن أخرج أولاً؟

- ماذا يقول وشمك؟

أجاب مينهو بهدوء عن سؤال توماس.

- لا يهم، هيا فلنخرج.

أوماً مينهو وهو ما زال لا ينظر إليه مباشرة، ابتسم بعد حين وكل الأشياء التي كانت تؤرقه بشدة بدت وكأنها قد اختفت وحل محلها أسلوبه الهادئ المعتاد.

- حلو الكلام، قم بإنقاذي إذا جاء أحد الزومبي ليأكل قدمي.

- اتفقنا.

أراده توماس أن يحث الخطى وينهي ذلك الأمر، كان يدرك أنهم على مشارف تغيير كبير آخر في رحلتهم السخيفة تلك، ولم يرد أن يطيل ذلك أكثر.

دفع مينهو الباب ليفتحه فتحول خط الظلماء الرفيع إلى رقعة حالكة السواد. إن صالة الطعام الآن مظلمة كما كانت عندما غادروا مهجع الفتیان سابقًا. دلف مينهو عبر الباب وتبعه توماس على الفور.

- تمهل لحظة...

همس مينهو.

- لسنا بحاجة إلى أن نلعب لعبة تصادم السيارات مجددًا مع الرفاق الأموات، انتظر حتى أجد مفاتيح الأضواء أولًا.

- لماذا قاموا بإطفائها؟ أعني، من ذا الذي قام بإطفائها؟

نظر مينهو إليه وقد انعكس خيط من ضوء غرفة آريس على وجهه بما يكفي لتتضح الابتسامة الثابتة عليه.

- لماذا تزعج نفسك بطرح الأسئلة يا صديقي؟ لم يسبق أن كان أي شيء منطقيًا من قبل وسيبقى الوضع هكذا على الأغلب، دعك من هذا الآن ولا تبرح مكانك.

ابتلع الظلام مينهو بسرعة، وتمكن توماس من سماع خطواته الهادئة على السجاجيد والحفيف الذي تصدره يده التي يمررها على الحائط في أثناء سيره.

- وجدتها!

صاح بالاتجاه الذي بدا له يصل إلى توماس. أُصِدِرَت بضعة أصوات قصيرة ومن ثم غُمرت الغرفة بالضوء. لجزء ضئيل من الثانية، لم يدرك توماس التغيير الواضح الذي طرأ على المكان، ولكنه تدارك ذلك بغتة، لقد أدرك وكأنما قد استعاد يقظة كل حواسه الأخرى أيضًا، أن رائحة الجيف البشعة قد اختفت.

وقد عرف السبب الآن.

لقد اختفت الجثث دون أي أثر يشير إلى أنها كانت هنا من قبل.



## الفصل الثامن

مرت بضغ لحظات حتى أدرك توماس أنه قد توقف عن التنفس، سحب قدرًا كبيرًا من الهواء إلى رئتيه كأنما رُدَّت إليه الحياة فجأة، ظل يحدق إلى الغرفة التي أصبحت الآن فارغة، لا وجود للجيف المنتفخة زرقاء اللون، لا رائحة كريهة تخز أنفه.

هرع نيوت نحوه، وسار بعرجه الطفيف إلى أن توقف في منتصف الغرفة المغطاة بالسجاجيد.

- هذا مستحيل!

قال وهو يدور دورة بطيئة حول نفسه بينما يحدق إلى السقف حيث كانت الجثث معلقة بالحبال منذ دقائق قليلة فقط.

- لم يمض من الوقت ما يكفي لأحدهم لأن يقوم بإخراجها، ولم يأتِ أي أحد آخر إلى تلك الغرفة اللعينة، كنا لنسمعه!

تنحى توماس جانبًا وأسند ظهره إلى الحائط بينما تتابع خروج أريس وفتيان الجلايد واحدًا تلو الآخر من غرفة المهجع الصغيرة، تعالت أصوات المهممات بين أفراد المجموعة، إذ شعر كل واحد منهم بأنه يجب عليه إخبار الآخر، لقد لاحظ جميعهم اختفاء الجثث. بالحديث عن توماس، لقد داهمه إحساس بالخواء مرة أخرى، كأنه فقد لتوه القدرة على الاندهاش من أي شيء.

- إنك محق.

قال مینهو لنيوت.

- لقد كنا بداخل الغرفة والباب مغلق لمدة، نحو عشرين دقيقة؟ غير ممكن أن أحدهم قام بنقل كل تلك الجثث بهذه السرعة، كما أن هذا المكان مغلق من الداخل!

- ناهيك بالرائحة التي اختفت وكأنها لم تكن.  
أوما مينهو مؤمناً.

- حسنٌ، إنكم سريعو البِدَاهَة حقًا يا رفاق. (أتى صوت السيد طاسة عبر الجلبة) ولكن انظروا حولكم، لقد اختفوا، لذلك مهما فكرتم وأياً كان ما فكرتم به، فبطريقة ما لقد قاموا بالتخلص منهم.

لم يشعر توماس بالرغبة في الجدل بهذا الأمر، ولا حتى في الحديث عنه. إذا كانت الجثث قد اختفت فلا بأس، لقد رأوا أشياء أكثر غرابة.  
- مهلاً...

تكلم وينستون.

- لقد توقف أولئك المجانين عن الصراخ والصياح.  
انتصب توماس واقفاً وأصاخ السمع... صمّت.

- لقد ظننت أننا فقط لم نتمكن من سماعهم من غرفة آريس، ولكنك محق... لقد توقفوا.

انطلق الجميع يهرولون إلى غرفة المهجع الكبيرة الكائنة في نهاية صالة الطعام. تبعهم توماس والفضول يملؤه لكي يلقي نظرة على العالم الخارجي من النوافذ، إذ كان من قبل غير قادر على النظر جيداً بسبب رعبه من النزقين الذين يصرخون ويلصقون وجوههم بالقضبان المعدنية.

- غير معقول!

صاح مينهو من خارج الغرفة ثم ولجها واختفى بالداخل دون أن يشرح أي شيء. لاحظ توماس في أثناء سيره باتجاه الغرفة أن كل فتى منهم يقف جاحظ العينين ويتردد لثانية أمام عتبة الباب قبل أن يتقدم ويدلف إلى المهجع، انتظر حتى دخل كل فتى من فتیان الجلايد وآريس من بعدهم ثم تبعهم.



داهمه شعور الصدمة نفسه الذي رآه باديًا على وجوه رفاقه، كانت الغرفة نفسها كما خرجوا منها قبل قليل تقريبًا، ولكن كان هناك فرق واحد بارز للغاية: كل النوافذ، كلها بلا استثناء، دُعمت بحائط من الطوب أُقيم خلف القضبان المعدنية مباشرة من الخارج حتى أصبح كل إنش من فتحة النافذة مسدودًا تمامًا، ومصدر الضوء الوحيد في الغرفة هي وحدات الإضاءة التي في السقف.

- حتى لو كانوا في غاية السرعة لنقل تلك الجثث، فإنني واثق من أنهم لم يكن لديهم الوقت الكافي ليقيموا جدرانًا حجرية، ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟

أخذ توماس يراقب مينهو وهو يقترب من إحدى النوافذ ويمرر يده خلال القضبان المعدنية ويدفع الطوب بيده.

- متماسك وصلب.

أعلن مينهو وضرب الحائط.

- إنها لا تبدو حديثة البناء حتى.

دمدم توماس واقترب من إحداها ليتحسسها بنفسه، كانت صلبة وباردة.

- إن الملاط جاف، لقد خدعونا بطريقة ما، هذا هو الأمر.

- خدعونا؟ كيف؟

تساءل السيد طاسة.

هز توماس كتفيه استهجانًا وقد عاد إليه شعور الخواء مجددًا، وكان لا يزال يتمنى يائسًا أن يتمكن من التحدث إلى تيريسا.

- لا أعلم، هل تتذكر المنحدر؟ لقد قمنا بالقفز في الهواء فابتلعنا حفرة غير مرئية، من يدري ما الذي يقدر أولئك الناس على فعله.

مرت نصف الساعة التالية بتناقل، قضاها توماس في تفكير مؤرق، حاله كحال الجميع، فحص الجدران، وبحث عن أي شيء آخر قد تغير، وقد كان هناك الكثير، وكل شيء أغرب من الآخر. أصبحت كل الأسرة في مهجع الفتیان مرتبة ونظيفة، ولا يوجد أي أثر للملابس المتسخة التي كانوا يرتدونها جميعًا قبل أن يبدلوا ملابسهم ويرتدوا المنامات التي قاموا بإعطائها لهم الليلة

الماضية. أُعيد ترتيب خزانات الملابس، ولكن التغيير كان طفيفاً للغاية، حتى إن بعضاً منهم لم يوافق على أن أي شيء قد تحرك على الإطلاق. في كلا الحالين، فقد أصبح لدى كل واحد منهم ملابس جديدة وزوجان من الأحذية، وساعة رقمية لكل فتى منهم.

ولكن التغيير الأكبر بين كل تلك التغييرات، والذي اكتشفه مينهو، كان متمثلاً في البطاقة الموجودة خارج الغرفة التي وجدوا فيها آريس، فبدلاً من أن تقول تيريسا آجنس، المجموعة أ، مبحوث أ.1، الخائنة. أصبحت تقول:

آريس جونز، المجموعة ب، المبحوث ب.1.

### الرفيق.

أخذ الجميع يتفحص اللوحة الجديدة ثم تفرقوا كل واحد في اتجاه عدا توماس الذي وجد نفسه واقفاً أمام اللوحة يحدق إليها لا إرادياً. كانت البطاقة الجديدة بالنسبة إلى توماس تُعد تقريراً رسمياً بأنه فقد تيريسا... وأتى آريس بدلاً عنها. لم يكن هناك أي شيء منطقي، ولم يعد أي شيء يهم. عاد أدراجه إلى مهجع الفتیان ووجد السرير الذي نام عليه الليلة الماضية... أو على الأقل السرير الذي اعتقد أنه نام عليه... ثم استلقى ووضع الوسادة على رأسه، كما لو أن ذلك سيجعل الجميع يذهب بعيداً عنه.

ما الذي حدث لها؟ ما الذي حدث لهم هم أنفسهم؟ أين كانوا؟ وما الذي كان يفترض بهم فعله؟ والوشوم...

أدار رأسه جانباً ثم جسده كله، اعتصر عينيه وعقدَ ذراعيه بشدة وضم ساقيه إلى صدره حتى أصبح في وضعية الجنين، ثم أخذ يناديها بذهنه مصمماً على أن يستمر في استدعائها إلى أن تجيبه.

- تيريسا!

صمت.

- تيريسا!

صمت أطول.

- تيريسا!

صرخ باسمها في عقله، وقد تشنج كل جسده تحت وطأة الجهد.

- تيريسا! أين أنت؟ أرجوكِ أجيبيني! لمَ لا تحاولين التواصل معي؟ تير...

- اخرج من رأسي!

ترددت الكلمات في عقله كالصدى، سمعها بغاية الوضوح والقوة تتردد في جمجمته حتى شعر بألم شديد يضرب خلف عينيه ويدخل أذنيه. نهض جالسًا على السرير ثم انتصب واقفًا، إنها هي، مؤكد أنها هي.

- تيريسا؟

أخذ يضغط بأصابعه على صدغيه.

- تيريسا؟

- أيًا تكن أنت، فلتخرج من رأسي اللعين!

عاد توماس إلى الخلف بظهره حتى تعثر وجلس على السرير مرة أخرى، أبقى عينيه مغلقتين وحافظ على تركيزه.

- تيريسا؟ ما الذي تقولينه؟ إنه أنا... توماس، أين أنت؟

- اخرس!

إنها هي، ليس لديه شك في ذلك، ولكن صوتها الأثيري كان يملؤه الخوف والغضب.

- فقط اخرس! أنا لا أعرف من تكون! دعني وشأني!

- لكن...

حاول توماس الكلام، ولكنه شعر بأنه تائه كليًا.

- تيريسا! ما خطبك؟

توقفت هنيهة قبل أن تجيب كأنما تستجمع أفكارها، وعندما تحدثت مجددًا أخيرًا، شعر توماس بشيء من الهدوء يتخلل صوتها.

- دعني وشأني، وإلا سأسعى خلفك وأقطع رقبتك، أقسم بذلك.

ثم اختفت. استمر توماس في ندائها مجددًا على الرغم من تحذيرها ووعيدها، ولكنه شعر بالفراغ ذاته الذي كان يشعر به منذ اختفت أول مرة، لم يكن يشعر بوجودها.

ألقي توماس بنفسه على السرير، شعر بشيء يحترق بداخله، دفن رأسه بالوسادة مجددًا بسرعة وأخذ ينتحب للمرة الأولى مُد قُتِلَ تشاك، ولكن الكلمات التي كُتبت على بطاقة باب غرفتها -الخائنة- ظلت تظهر في عقله كلما حاول أن يدفعها بعيدًا عنه.

على نحو مفاجئ، لم يكثر أحد أو يسأله عما يحدث. أخذ نحيبه المكتوم يخمد ويتحول إلى زفرات متلاحقة حتى غط في النوم، ومجددًا، كان يحلم.

\*\*\*

هذه المرة هو أكبر قليلًا، ربما في السابعة أو الثامنة، ضوء شديد السطوع يتراقص فوق رأسه، استمر أشخاص يرتدون بذلات خضراء غريبة ونظارات مضحكة في التحديق إليه بغرابة، يحجب رؤوسهم سطوع الضوء اللامع الذي يعاكس عينيه بالأسفل. تمكن من رؤية أعينهم فقط، إذ كانت أفواههم وأنوفهم تغطيها الأقنعة. بطريقة ما كان توماس في ذلك العمر وفي نفس الوقت، مثل المرة السابقة، يراقب بصفته الحالية من خارج الحلم، لكنه يشعر بخوف الولد.

يتحدث الناس بأصوات مكتومة وخافتة، رجال ونساء، ولكنه لا يملك أي فكرة عن أي يكون منهم.

لا يمكنه أن يستوعب أي شيء مما يحدث، الأمر فقط عبارة عن أضغاث، أجزاء من محادثات، كل شيء فيها يبث الرعب في نفسه.

- سيتحتم علينا أن نتعمق أكثر معه هو والفتاة.

- هل بإمكان أدمغتهم تحمل هذا؟

- هذا أمر مدهش للغاية، أتعلمين؟ إن فيروس الوهج متأصل بداخله.

- من الممكن أن يموت.

- أو أسوأ، من الممكن أن يعيش.

سمع شيئًا آخر، شيء لم يجعله يرتجف خوفًا أو اشمئزازًا أخيرًا.

- أو من الممكن أن يقوم هو والآخرين بإنقاذنا، إنقاذنا جميعًا.

## الفصل التاسع

شعر عندما استيقظ بالصداع يضرب رأسه كقطع الجليد التي تتهشم من أذنيه وصولاً إلى دماغه، جفل وهو يمد يده ليفرك عينيه، إذ شعر فجأة بنوبة غثيان جعلت الغرفة تدور من حوله، ثم تذكر الأشياء الفضيعة التي قالتها تيريسا، والحلم القصير، فملأه الحزن والكآبة. من يكونون أولئك الناس؟ هل كان ذلك حقيقياً؟ ما معنى تلك الأشياء البشعة التي قالوها عن دماغه؟

- مسرور لأنك ما زلت تعلم كيف تأخذ قيلولة.

نظر توماس شزراً إلى نيوت الذي كان واقفاً بجانب سريره ويحدق إليه.

- منذ متى وأنا نائم؟

سأل توماس وهو يحاول استجماع تفاصيل الحلم وتيريسا من زوايا عقله -ذاكرته- ووضعها في زاوية مظلمة في عقله ليعذب ذاته بها لاحقاً.

نظر نيوت إلى ساعة يده.

- منذ ساعتين. في الواقع أنه عندما لاحظ الآخرون أنك نائم طمأنهم ذلك بعض الشيء. ليس هناك ما يمكننا فعله سوى الجلوس والانتظار إلى أن يطرأ شيء جديد، ليس لنا مخرج من هذا المكان.

جاهد توماس ألا يتأوه عندما عدل نفسه إلى وضعية الجلوس، أسند ظهره إلى الحائط عند مقدمة السرير.

- هل لدينا أي طعام حتى؟

- لا، ولكنني متأكد للغاية بأن أولئك الناس لن يتكذبوا ذلك العناء ليحضرونا إلى هنا، ويقوموا بخداعنا أو أيّاً ما كان ذلك، فقط لكي

يتركونا نجوع حتى الموت، سوف يحدث شيء ما، هذا يذكرني بعدما أرسلوا أول مجموعة منا إلى الجلايد، أول وفد أُرسِل إلى الجلايد كنا أنا ومينهو وألبي وآخرين، فتيان الجلايد الأصليون.

قال آخر جزء من كلامه بتهمك ملحوظ.

تفاجأ توماس وذُهل من كونه لم يتطرق من قبل إلى ذلك الأمر.

- كيف يذكرك هذا بذلك؟

تركزت نظرة نيوت على الجدار القائم خلف إحدى نوافذ الغرفة.

- لقد استيقظنا جميعًا في منتصف النهار، مستلقين على الأرض بالقرب من باب الصندوق، الذي كان مغلقًا، وقد مُحيت ذاكراتنا تمامًا كما حدث لك لدى مجيئك. استجمعنا شتات أنفسنا وتوقفنا عن الذعر، كنا نحو ثلاثين شخصًا، وبالطبع لم يكن لدى أي منا فكرة عما يحدث بحق الجحيم، كيف وصلنا إلى هناك أو ما الذي علينا فعله، يسيطر علينا الرعب والشتات، ولكننا سرعان ما أدركنا حقيقة أننا جميعًا في هذا الوضع المزري ونظّمنا أنفسنا وشرعنا نستكشف المكان، خلال أيام كنا قد قطعنا المزرعة كلها عدوًا، كل واحد أصبح يعرف دوره.

شعر توماس ببعض الراحة عندما قل الألم الذي يضرب جمجمته وقد ملأته الدهشة لدى سماعه قصة بداية الجلايد. لم تفلح الصور المتفرقة التي استعادها من ذاكرته خلال مرحلة التحول في تكوين ذكريات كاملة ومفصلة.

- هل كان كل شيء مهيبًا من قبل المنشئين بالفعل؟ مثل المحاصيل والحيوانات وكل تلك الأشياء؟

أومأ نيوت بالإيجاب، ولم يزل يحدق إلى الحائط الذي يسد النافذة.

- نعم، ولكن الأمر استغرق منا عملاً شاقًا لكي يصبح كل شيء سهلًا ومنظمًا، تطلب كل شيء العديد من المحاولات والإخفاقات كي نتمكن من تحقيقه.

- إذن... كيف ترى ما يحدث الآن؟

كرر توماس السؤال، فنظر نيوت إليه أخيرًا.

- أظن حينها كان كل منا لديه شعور بأنه لا بد وأن هنالك سببًا ما خلف إرسالنا إلى هنا، إذا أراد أحد قتلنا، لماذا لم يقم فقط بقتلنا؟ هكذا ببساطة، ما الذي يجعلهم يرسلوننا إلى مكان هائل يحتوي على منزل وحظيرة وحيوانات؟ ولأننا لم نملك أي خيار آخر، فقد قبلنا الأمر وطفقنا نعمل ونستكشف.

- لكننا انتهينا من استكشاف المكان هنا بالفعل، لم نجد ماشية ولا طعامًا... ولا متاهة.

- أجل، ولكن بحقك، الطريقة هي نفسها. لا شك في أننا هنا الآن لسبب لعين، وسنعرفه عاجلاً أو آجلاً. أشار نيوت إلى الحمام.

- لدينا قدر وفير من المياه، سيكون لدينا بضعة أيام قبل أن نموت جوعاً، شيء ما سوف يحدث.

كان توماس يؤمن بذلك في قرارة نفسه أيضاً، لكنه كان يجادل لكي يرسخ الفكرة في عقله فقط.

- ولكن ما أمر أولئك الأموات الذين رأينا جثثهم؟ ربما هم الذين قاموا بإنقاذنا في حقيقة الأمر، وأنهم قُتلوا، وقُضي أمرنا نحن الآن. أو ربما كان يُفترض بنا أن نفعل شيئاً، ولكن الأمور لم تجر كما يجب وتركونا هنا حتى نموت.

انفجر نيوت ضحكاً.

- إنك لمتشائم أخرق يا رأس المصائب. كلا، بعدما اختفت كل تلك الجثث بطريقة سحرية ما، وهذه الجدران، إنني أقول إن هذا شيء أشبه بمتاهة أخرى، غريبة ولا يمكن معرفة مغزاها، لغز أخير وأكثر تعقيداً، ربما يكون هذا هو اختبارنا التالي، من يدري. سيكون لدينا فرصة، مهما يحدث، كما حدث معنا في المتاهة اللعينة... إنني أكيد من هذا.

- أجل...

دمدم توماس، أخذ يتساءل إذا كان يجب أن يخبره بما رآه في حلمه حتى قرر أن يؤجل ذلك لوقت لاحق.

- أتمنى أن تكون محققًا، إذا لم نُفاجأ بظهور أي وحوش، فسنكون بخير. هز نيوت رأسه استهجانًا قبل حتى أن ينهي توماس كلامه.
- بريك يا رجل، احترس مما تتمنى بحق الجحيم، ربما سيرسلون شيئًا أسوأ.

قفزت صورة تيريسا في عقل توماس فجأة فجعله ذلك يفقد رغبته في الحديث تمامًا.

- من هو المتفائل خفيف الظل الآن؟

قال مجبرًا نفسه على الكلام.

- لقد نلتَ مني.

أجابه نيوت ثم نهض واقفًا.

- أظن أنني سأذهب لأضايق أحدًا آخر إلى أن يحدث شيء مثير، والذي أمل أن يكون قريبًا بحق الجحيم... إنني جائع.

- احترس مما تتمنى.

- نلت مني مجددًا.

ابتعد نيوت وارتمى توماس على السرير مستلقيًا على ظهره وأخذ يحدق إلى الطابق العلوي من السرير. أغمض عينيه بعد دقائق، ولكنه أسرع بفتحها ثانية على الفور عندما ظهر وجه تيريسا له وسط ظلام أفكاره. فكر أنه إذا كان ينوي النجاة من كل ذلك، فسيتحتم عليه أن يحاول التوقف عن التفكير بها في الوقت الحالي.

الجوع.

إنه كالحيوان العالق داخل أحشائك، قال توماس في نفسه بعد قضاء ثلاثة أيام بمعدة خاوية، إن الأمر أشبه بحيوان وحشي ينهش أحشائه بمخالب بليدة محاولاً أن يشق طريقه إلى خارج معدته، هكذا كان شعوره في كل ثانية من كل دقيقة من كل ساعة، كان يشرب الماء من حين إلى حين من صنوبر الحمام، لكن ذلك لم يكن كافيًا للتأثير في الوحش الثائر داخله، بل يمكننا القول إنه بفعلته تلك كان يزيد هذا المخلوق ضراوة ووحشية فيتيح له أن يزيد العذاب بداخله.



شعر كل منهم بالشيء عينه أيضًا، حتى لو احتفظ معظمهم بآلامه في قرارة نفسه. أخذ توماس يراقبهم في أثناء سيرهم في أرجاء الغرفة، برؤوسهم مطأطئة وفكوكهم مرتخية، كأنما تحرق كل خطوة يخطونها ألف سعة حرارية، استمر الجميع يلحق شفاهه، ويمسك كل منهم بمعدته بإحكام ويدفعها بيده بقوة كأن ذلك سيعمل على تهدئة ذاك الوحش الغاضب. لم يكن أي من أفراد الجلايد ليقدم على الحركة، اللهم إلا كي يذهب إلى الحمام لاستخدامه أو للشرب. مثلما فعل توماس، فقط استلقوا على الأسرة ذات الطوابق في وهن، وقد ذبل جلداهم وغارت أعينهم في عظام وجوههم.

شعر توماس وكأن هناك مرضًا يتفشى بينهم، ولم تفعل رؤيته للآخرين إلا زيادة الأمر سوءًا، كتنكير صارم بأن ما يشعر به ليس بالشيء الذي يمكنه تجاهله ببساطة، بأنه شيء حقيقي، وأن الموت يتربص بهم في إحدى زوايا الغرفة. حلقة مفرغة من النوم الفاتر، إلى الحمام ثم الارتداء مجددًا على السرير، فنوم فاتر... نوم خلا تمامًا من أضغاث الأحلام التي اعتاد أن يراها، أصبح الأمر لا يطاق، لم يكسر تلك الحلقة المملة سوى تفكيره بتيريسا، كانت كلماتها القاسية له هي الشيء الوحيد الذي خفف من احتمالية الموت، حتى لو بالقدر الضئيل، إنها هي الأمل الوحيد الذي بإمكانه التشبث به بعد المتاهة وموت تشاك، والآن قد اختفت، وليس لديهم طعام، وثلاثة أيام طوال قد مروا إلى الآن.

### الجوع والمعاناة.

لقد توقف عن إزعاج نفسه بالنظر إلى ساعته، إذ كان ذلك فقط يجعل الوقت يمر أبطأ ويذكّر جسمه بالوقت الذي قضاه دون طعام، ولكنه فكر أنه من المحتمل أنهم كانوا في منتصف ظهيرة اليوم الثالث منذ اليوم الذي انبعث فيه صوت الإنذار فجأة من صالة الطعام.

أخذ يحرق إلى الباب المؤدي إلى الخارج مدرّجًا أنه يجب أن ينهض ليستطلع الأحوال، ولكن عقله كان قد غرق بالفعل في نوبة أخرى من نوبات النوم المتقطع والمشوش، وقد أصبح العالم من حوله يلفه الضباب.

ظن أنه ربما تخيل ذلك، ولكنه سمعه مجددًا.

حث نفسه على النهوض... فغلبه النوم بدلًا من ذلك.

- توماس!

أتى صوت مينهو الواهن، ولكنه أقوى مما كان عندما سمعه أول مرة.

- توماس، استيقظ يا صديقي.

فتح توماس عينيه وقد أصابته الدهشة من أنه نجا من نوبة نوم أخرى دون أن يموت. لم تتضح الأشياء أمام ناظريه لثانية، لم يصدق في بادئ الأمر أن ما فكر أنه على بعد إنشآت قليلة من وجهه كان حقيقياً، ولكن لم تلبث هيئتها أن اتضحت، بقوامها المستدير الأحمر، تزين بعض النقاط الخضراء سطحها الأملس اللامع، جعلته يشعر وكأنما ينظر إلى الجنة بذاتها.

تفاحة.

- من أين...

لم يتمكن من إنهاء جملته إذ استنفدت هاتان الكلمتان وحدهما كل قوته.

- فقط قم بأكلها.

قال مينهو وأتبع قوله بقضمة رطبة، نظر توماس إلى صديقه ليراه يلتهم تفاحته الخاصة. ثم استجمع ما تبقى من قواه الكامنة في مكان ما بداخله وارتكأ على ساعده وأمسك بثمره الفاكهة الموضوعة على السرير، رفعها إلى فيه وقضم قضمة صغيرة، كانت نكهة الفاكهة وعصارتها التي امتلأ بها لعابه أشبه بنصرٍ عظيم.

انقض وهو يئن حماسةً على بقيتها وأكلها عن آخرها من قبل أن ينهي مينهو التفاحة خاصته حتى... مع أنه قد شرع في الأكل قبله.

- هديء من روعك وتمهل... استمر في الأكل بهذا الشكل وستجد نفسك تتغوط كل شيء في غضون دقائق معدودة. إليك واحدة أخرى... حاول أن تأكلها ببطء هذه المرة.

قام مينهو بتقديم تفاحة أخرى إلى توماس الذي أخذها دون أن يشكره والتهم قضمة كبيرة، وبينما يمضغ ويحاول جاهداً أن يبتلع قبل أن يحشر قضمة كبيرة أخرى في فمه، كان قد بدأ لتوه يشعر بشيء من الطاقة التي أخذت تشق طريقها خلال أوصاله.

- يا له من شعور رائع... قشراً، إنه شعور رائع.

دمدم توماس.

- لا تزال تبدو كالأحمق عندما تستخدم كلمات الجلاید.

أجاب مینهو قبل أن يأخذ قضمة أخرى من تفاحته، تجاهل توماس جملته.

- من أين أتت هذه؟

تردد مینهو في أثناء مضغه ثم استأنف...

- لقد وجدناها بالخارج في صالة الطعام، كانت موجودة بالقرب من...

شيء آخر، إن جميع الشباب الذين عثروا عليها يؤكدون أنهم تفقدوا

هذا المكان قبل دقائق قليلة فقط ولم يجدوا لها أي أثر، ولكن على أي

حال، هذا لا يهمني.

نهض توماس وجلس مدلياً ساقيه من السرير.

- ماذا وجدوا أيضاً؟

قضم مینهو من تفاحته ثم أوماً ناحية الباب.

- اذهب وانظر بنفسك.

تململ توماس ونهض ببطء، كان لا يزال يشعر بالوهن الشديد، وكأنما قد

انتزعت كل أحشائه خارجاً وكل ما تبقى منه كان عظاماً قليلة وبضعة أوتار

تجعل قدميه قادرتين على حمله، ولكنه انتصب واقفاً وشعر بعد ثوان قليلة

بأنه قد أصبح أفضل مما كان عندما قطع رحلته الأخيرة الطويلة والمضنية

إلى الحمام.

بمجرد أن ظن أنه استجمع توازنه، سار باتجاه الباب ودف إلى صالة

الطعام. فقط منذ ثلاثة أيام كانت تلك الغرفة تعج بالجنث، أما الآن، فقد كانت

ممتلئة بفتيان الجلاید يحصدون الغنائم من كومة طعام ضخمة بدت وكأنها

أُلقيت هنالك دون أي ترتيب، من فاكهة وخضراوات ومعلبات صغيرة.

ولكنه بالكاد لاحظ ذلك، إذ جذب انتباهه منظر أكثر غرابة كان في إحدى

زوايا الغرفة، مد يده ليستند إلى الحائط من خلفه لكي يحافظ على توازنه.

وجد مكتباً خشبياً كبيراً قد وُضع قبالة الباب المؤدي إلى غرفة المهجع

الآخر، وخلف المكتب يجلس رجل على كرسي ويرتدي زياً أبيض، قدماه

مرفوعتان على المكتب ويتقاطع كاحلاه.

كان الرجل يقرأ كتاباً.



## الفصل العاشر

ظل توماس واقفًا لدقيقة كاملة يحدق إلى الرجل الجالس أمام المكتب ويقرأ بأريحية، بدا الأمر وكأنه يقرأ بهذه الطريقة وفي تلك البقعة عينها كل يوم طوال حياته، ذو شعيرات قليلة ورفيعة ملتصقة برأس أصلع شاحب، وأنف طويل معقوف إلى اليمين قليلًا، وعينان بنيتان ماكرتان تتحركان جيئة وذهابًا بينما يقرأ... بدا الرجل مسترخيًا ومتوترًا في الوقت ذاته.

والبذلة البيضاء، البنطال، القميص، ربطة العنق، والمعطف، كلها بيضاء. ما هذا بحق السماء؟

حوّل توماس نظره إلى فتیان الجلاید المنهمكين في التهام الفاكهة والأطعمة التي يستخرجونها من حقيبة بدا أنها تحتوي على مزيج من المكسرات والبذور، لم يكثر أي منهم للرجل الجالس وراء المكتب.

- من يكون ذاك الرجل؟

صاح توماس بهم جميعًا، رفع أحد الفتیان ناظريه وتوقف عن المضغ لثوانٍ ومن ثم أسرع يبتلع الطعام الذي يملأ فمه.

- إنه لم يخبرنا بأي شيء، فقط قال إننا يجب أن ننتظر إلى أن يصبح جاهزًا.

هز الفتى كتفيه مستهجنًا كأنما لا يوجد شيء مهم واستكمل التهام برتقالته المقشرة.

انتبه توماس مجددًا إلى الرجل الغريب، كان لا يزال جالسًا هناك، مستمرًا في القراءة، قلب الصفحة فأصدر حفيظًا بسيطًا وأخذ يقرأ بعينه.

لم يستطع توماس على الرغم من ارتبائه ومعدته التي تتقلص طلباً للمزيد من الطعام، منع نفسه من أن يذهب متجهاً إلى الرجل ليتحقق من أمره، ليستفيق على أكثر الأشياء غرابة...

- انتبه...

صاح أحد فتیان الجلاید، لكنه قد تأخر كثيراً. فعلى مقربة عشرة أقدام فقط من المكتب، اصطدم توماس بشيء أشبه بحائط خفي، ضرب أنفه بالحاجز أولاً مصطدماً بسطحٍ بدا كلوح زجاجي بارد، ثم اصطدم باقي جسده بالحاجز غير المرئي صدمة ارتد على إثرها إلى الوراء. مد يده في حركة غريزية ليدلك أنفه بينما أخذ يحدق في محاولة لفهم كيف أنه لم يلحظ وجود حاجز زجاجي أمامه.

ولكن لم تفلح نظراته الحادة، إذ إنه لم يتمكن من رؤية أي شيء، ولا حتى قدر ضئيل من انعكاس الزجاج أو أي أثر يدل على وجود شيء ما في أي مكان، كل ما رآه هو الهواء. لم يزعج الرجل نفسه في خضم كل ذلك بأن يأتي بأي حركة أو إشارة تدل على أنه قد لاحظ أي شيء.

اقترب توماس ببطء أكثر هذه المرة وهو يمد يديه إلى الأمام إلى أن تمكن أخيراً من لمس ذاك الحاجز غير المرئي كلياً... مانا؟ بدا ملمسه كالزجاج؛ سطح أملس وصلب وبارد، ولكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء على الإطلاق يشير إلى وجود حاجز صلب أمامه.

أخذ توماس يهرول يمناً ويسرة وهو يتحسس الجدار غير المرئي، كان الحاجز منتصباً بعرض الغرفة جاعلاً الاقتراب من ذاك الغريب الجالس خلف المكتب ضرباً من المستحيل.

أخذ توماس أخيراً يضرب الحاجز بيديه بأقصى قوته ضربات متتالية ثقيلة، ولكن شيئاً لم يحدث. وقف بعض فتیان الجلاید من خلفه، وأريس منهم، وبدا عليهم كيف أنهم قد حاولوا فعل ذلك من قبل.

على بُعد اثني عشر قدمًا تقريباً أمام توماس، افتعل الرجل غريب المظهر زفرة طويلة وهو يرفع قدميه المتقاطعتين عن المكتب وينزلهما إلى الأرض، وضع إصبعاً بداخل الكتاب ليحدد الصفحة التي وقف عندها ونظر إلى توماس دون أن يبذل جهداً ليخفي الانزعاج البادي على وجهه.

- كم مرة عليّ أن أكرر هذا؟

قال الرجل بصوته الأخف الذي يليق تمامًا بجلده الشاحب وشعيراته الرفيعة وقوامه النحيف... والبذلة بالطبع، تلك البذلة البيضاء الغبية. على نحو غريب لم تكن كلماته مكتومة بفعل الحاجز الزجاجي على الإطلاق.

- لا يزال أمامنا سبع وأربعون دقيقة كي يُسمح لي بالشروع في تنفيذ المرحلة الثانية من التجارب، من فضلك تحلّ ببعض الصبر واتركني بمفردتي، لقد أتيح لكم هذا الوقت لكي تأكلوا وتزودوا أنفسكم بالطاقة، وإنني حقًا أتصحبك بأن تغتنم هذه الفرصة أيها الشاب. والآن، إذا لم تمنع...

دون أن ينتظر إجابة، استند بظهره إلى كرسيه ورفع قدميه مجددًا على المكتب ثم قام بفتح الكتاب عند الصفحة التي حددها واستأنف القراءة.

فقدَ توماس قدرته على الكلام كليًا، ولّى ظهره إلى الرجل والمكتب ومال إلى الحاجز الخفي، كان ظهره مستندًا إلى سطحه الصلب. ما الذي قد حدث للتو؟ لا بد أنه لا يزال نائمًا ويرى حلمًا.

لسبب ما جعلته هذه الفكرة يتذكر جوعه، فأخذ ينظر بتوق شديد إلى تل الطعام المكوم أمامه. لاحظ مينهو الواقف أمام باب غرفة المهجع مستندًا إلى حافته عاقدًا ذراعيه.

أشار توماس بإبهامه من فوق كتفه ورفع حاجبيه مستفهمًا.

- هل قابلت صديقنا الجديد؟

أجابه مينهو واعتلت وجهه ابتسامة متكلفة:

- إنه لشيء عجيب حقًا هذا الفتى، عليّ أن أحضر لنفسي واحدة مثل تلك البذلة الفضيحة، قطعة فاخرة.

- هل أنا مستيقظ؟

- إنك كذلك. فلتأكل الآن... إنك تبدو في حالة مريضة، تقريبًا بنفس سوء ذلك الواشي القذر الجالس هناك يقرأ كتابه.

كان توماس مدهوشًا من قدرة مينهو على تجاهل غرابة ذلك الرجل ذي البذلة البيضاء الذي ظهر من حيث لا يدرون، وذاك الحاجز غير المرئي، ومن

هذا التبلد الذي أصبح شيئاً عادياً للغاية، لم يعد أي شيء غريباً بعد الصدمة الأولى، أي شيء يمكنه أن يصبح عادياً. نفخ كل ذلك عن رأسه وجر قدميه إلى الطعام وبدأ في الأكل، تفاحة أخرى، ثم برتقالة، كيس من المكسرات المتنوعة متبوعاً بقالب حلوى مطاطي من حبوب الجرانولا والفاكهة المجففة. كان جسده يتوسل من أجل الماء، ولكنه لم يستطع استجماع طاقته ليتحرك بعد.

- عليك أن تكبح نفسك.

أتى صوت مينهو من خلفه.

- لدينا بعض الرفاق يتقيئون في كل مكان لأنهم أفرطوا في الأكل، أظن أن ما أكلته كافٍ يا صديقي.

نهض توماس منتشياً بإحساسه بمعدته الممتلئة عن آخرها، لم ينس ذلك الوحش الضاري الذي عاش بأحشائه لوقت طويل. أدرك توماس أن مينهو على حق... عليه أن يتوقف، وأماً لصديقه قبل أن يوليه ظهره ليحضر مشروباً، أخذ يتساءل طوال الوقت عما يخبئه لهم المجهول عندما يصبح الرجل ذو الزي الأبيض مستعداً لتنفيذ «المرحلة الثانية من التجارب».

أياً كان ما يعنيه ذلك.

بعد مضي نصف ساعة، جلس توماس وبقية فتیان الجلايد على الأرض، عن يمينه جلس مينهو وعن شماله نيوت، جميعهم في مواجهة الحاجز الخفي وذلك الرجل المراوغ شبيه ابن عرس يجلس خلف المكتب، لا تزال قدماه مرفوعتين، وعيناه تنتقلان بين صفحات الكتاب. أحس توماس أنه يستعيد طاقته وقوته تتدفق بداخله من جديد.

نظر إليه الفتى الجديد، أريس، نظرة لا يدري كنهها في الحمام، كأنما يرغب في أن يتحدث إليه عن طريق التخاطر لكنه كان خائفاً من أن يفعل ذلك، تجاهله توماس وأسرع متجهاً إلى الحوض وأخذ يتجرع من الماء ما استطاعت معدته التي أصبحت ممتلئة بالطعام أخيراً، انتهى بعد وقت قصير ومسح فمه، وجد أن أريس قد ذهب وجلس بالقرب من الجدار وأخذ يحدق إلى الأرض. شعر توماس بالأسف من أجله، فقد كانت الأمور أسوأ بالنسبة



إلى آريس كما هي بالنسبة إلى فتیان الجلايد، خصوصًا إذا كان هو والفتاة المقتولة التي ذكرها مقربين كما كان توماس وتيريسا.

كان مينهو أول من خدش غشاء الصمت.

- أظن أننا جميعًا فقدنا عقولنا مثل أولئك... ماذا كانوا يطلقون على أنفسهم؟ نزقون. أولئك النزقون عند النوافذ، إننا جميعًا نجلس هنا في انتظار محاضرة من السيد جرد وكأن ذلك أمر طبيعي وكأننا في مدرسة أو شيء مثل ذلك. يمكنني أن أخبرك بالأمر برمته... إذا كان لديه أي شيء جيد ليقوله، فلن يكون بحاجة إلى حاجز سحري لعين ليحمي نفسه منّا، والآن، ألا تتفقون معي؟

- فقط تمهل واستمع.

تكلم نيوت.

- ربما يكون كل شيء على وشك الانتهاء.

- أجل، بالطبع، وسيشرع السيد طاسة في تكوين عائلة، وسيتخلص وينستون من خلية حبّ الشباب التي تغزو وجهه، وسنرى توماس ذاك يبتسم لمرة واحدة في حياته.

التقت توماس إلى مينهو وتكف ابتسامة مزيفة.

- هاك، أسعيد أنت؟

- يا لك من عرقوب قبيح يا رجل.

أجابه مينهو.

- إذا قلت أنت ذلك.

- فلتخرسا أنتما الاثنان.

همس نيوت.

- أظن أنه سيبدأ الآن.

نظر توماس ليجد أن ذاك الغريب -أو السيد جرد كما أطلق عليه مينهو مشكورًا- قد أنزل قدميه أرضًا ووضع الكتاب على المكتب، قام بإزاحة كرسيه إلى الخلف ليتمكن من الوصول إلى أحد الأدراج بسهولة ومن ثم فتح

# مكتبة

t.me/soramnqraa

الدرج وأخذ يعبث بأشياء لم يتمكن توماس من رؤيتها. قام أخيرًا بإخراج ملف متعدد الجيوب المتخمة كلها بالأوراق.

- آه، ها هي ذي.

قال السيد جرد بصوته الأخفض، ثم وضع الملف على المكتب مفتوحًا على الصفحة المعنية ومن ثم وجّه نظره إلى الفتیان الجالسين أمامه.

- أود أن أشكركم من أجل تجمعكم بهذا الشكل المنظم مما يتيح لي إخباركم بما... بما أمرت بإخباركم به. استمعوا إليّ جيدًا من فضلكم.

- ما الذي يجعلك بحاجة إلى ذلك الحاجز؟

صاح به مينهو فمد نيوت ذراعه من خلف توماس ولكم ذراع مينهو.

- أغلق فمك!

استأنف السيد جرد كأنه لم يسمع صيحة مينهو.

- إنكم جميعًا لا تزالون هنا بسبب إرادتكم الخارقة في النجاة على الرغم من كل المعوقات بالإضافة إلى... أسباب أخرى. لقد تم إرسال نحو ستين شخصًا للعيش في الجلايد، حسنًا، الجلايد خاصتكم، على أي حال. وستون آخرون في الجلايد (ب)، ولكن دعونا منهم الآن.

استقرت عينا الرجل على أريس لوهلة، ثم عاد يمسح الحشد بعينيه ببطء مجددًا، لم يكن توماس يعلم إذا لاحظ أحدهم ذلك، ولكنه كان أكيدًا مما لا يخالطه الشك من أن تلك النظرة السريعة كانت تحمل في طياتها شيئًا من سابق معرفة. ماذا يعني ذلك...؟

- ومن بين كل أولئك الناس، فقط شذمة قليلون تمكنوا من النجاة ليكونوا هنا اليوم، إنني أعتقد أن بإمكانكم اكتشاف ذلك بأنفسكم حتى الآن، ولكن هناك العديد من الأشياء التي مررت بها لم تحدث سوى لغرض معرفة وتحليل ردود أفعالكم تجاهها. وعلى الرغم من ذلك فإنها ليست فقط مجرد تجربة، ولكنها في الوقت ذاته... محاولة تكوين خطة عمل، إذ يتم تحفيز منطقة القتل ومن ثم تجميع عينات النتائج حتى تُضاف جميعها بعضها إلى بعض بهدف تحقيق أعظم طفرة سيشهدها تاريخ العلوم والطب. وتلك المواقف التي تتعرضون

لها يُطلق عليها اسم المتغيرات، وكل منها قد تمت دراسته بدقة... لاحقًا سوف أشرح لكم أكثر. وعلى الرغم من أنني لست مخولًا بإطلاعكم على كل شيء هذه المرة، فمن المهم للغاية أن تكونوا على علم بهذا القدر: تلك التجارب التي تُجرى عليكم ذات أغراض في غاية الأهمية. استمروا في استجابتكم للمتغيرات على نفس المنوال الجيد، استمروا في النجاة من الموت، وسوف تفخرون بمعرفة أنكم لعبتم دورًا في إنقاذ الجنس البشري... وإنقاذ أنفسكم، بالطبع.

توقف السيد جردز لهنيهة كي يرى تأثير خطبته على الأرجح. نظر توماس إلى مينهو ورفع حاجبيه.

- إن هذا الرجل مصاب بالخبل.

همس مينهو.

- كيف لهروبنا من متاهة لعينة أن ينقذ الجنس البشري؟

- إنني أتحدث باسم مجموعة تُدعى وكِد... (استأنف السيد جردز) أعلم أن للاسم وقعًا مروعًا عليكم، ولكنه اختصار لمنظمة مكافحة الكوارث العالمية، وحدة تجارب منطقة القتل. يوجد غرض واحد لوجودنا، فقط غرض واحد، وهو إنقاذ العالم من الكوارث، وأنتم هنا في هذه الغرفة تمثلون جزءًا أساسيًا مما نخطط لفعله.

إن الموارد التي نملكها لم يسبق وأن عرفتها أي منظمة من أي نوع في تاريخ الحضارة، مواردنا المالية لا تفنى تقريبًا، مع ثروة بشرية غير محدودة وتقدم تكنولوجي منقطع النظير وأبعد مما قد يرغب به أكثر البشر نكاءً أو يتمناه. ومع تقدمكم خلال هذه التجارب، فقد رأيتم وسوف تستمرون في رؤية الأدلة على هذا التقدم التكنولوجي والموارد التي خلفه. إذا أمكنني أن أخبركم بأي شيء اليوم، فهو أنه يجب عليكم ألا تصدقوا ما تراه أعينكم، ولا عقولكم كذلك بالمناسبة، لهذا السبب قمنا ببرهنة ذلك بالجثث المعلقة والجدران التي أُقيمت خلف النوافذ، كل ما أود قوله إن ما ترونه أحيانًا لا يكون حقيقيًا، وأحيانًا ما لا ترونه يكون حقيقيًا، يمكننا أن نتلاعب بعقولكم ومستقبلاتكم العصبية عند الضرورة. إنني أعلم أن ذلك يبدو مربكًا ومخيفًا قليلًا، ربما.

فكر توماس أن الرجل على الأغلب ليس عليه أن يكون متفهمًا إلى هذا الحد، وظلت كلمة «منطقة القتل» تقفز وتطن في رأسه، لم تتمكن ذاكرته المبتورة من تحديد ما تعنيه، ولكنه قد رآها ذات مرة على اللوحة المعدنية في المتاهة، تلك اللوحة التي كُتبت عليها الكلمات المكوّن منها اختصار وكِد. أخذ الرجل يجيل بصره ببطء على كل فتى من فتیان الجلايد في الغرفة، كانت حبيبات العرق تلتمع فوق شفته العليا.

- كانت المتاهة جزءًا من تلك التجارب، وليس هناك أي متغير مما تعرضتم له لم يكن ذا غرض فعال من أجل مجموعة أنماط منطقة القتل الخاصة بنا، كان هروبكم جزءًا من التجارب، وممركتكم مع الهوام، ومقتل الفتى تشاك، الحرية المزعومة ورحلتكم التالية في الحافلة، كل شيء... كان جزءًا من التجارب.

شعر توماس بالغضب يعتمل في صدره لدى ذكر تشاك، نهض بنصف قدميه قبل أن يدرك ما الذي أوقفه، فقد جذبته نيوت مجددًا إلى الأرض. انتصب السيد جرد واقفًا عن كرسيه بسرعة كأنما تحفز إثر ذلك، مما جعل الكرسي يصطدم بالجدار من خلفه، ثم وضع يديه على المكتب ومال بجسده ناحية فتیان الجلايد.

- كل ما عشتموه كان جزءًا من التجارب، هل تدركون هذا؟ أو المرحلة الأولى، كي أكون أكثر تحديدًا، ولا يزال لدينا نقص خطير فيما نحن بحاجة إليه، لذا كان علينا أن نزيد من مستوى التجارب من أجل تحقيق نتائج أفضل، والآن حان وقت المرحلة الثانية، حان الوقت لكي تزداد الأمور صعوبة وتعقيدًا.

## الفصل الحادي عشر

خيم الصمت على جنبات الغرفة، وأدرك توماس ضيقه من اعتقادهم المنافي للعقل بأن كل شيء حتى تلك اللحظة كان سهلاً بالنسبة إليهم، مجرد الفكرة جعلت الرعب يسري في أوصاله، ناهيك بفكرة التلاعب بعقولهم. لكنه بدلاً من ذلك كان متلهفًا بشدة لمعرفة ما يوشك هذا الرجل على إخبارهم به، لقد أصبح عقله خاويًا من الكلمات فحسب.

انتظر السيد جردز دهرًا ثم انحنى إلى الكرسي وتحرك به إلى الأمام ليجلس خلف المكتب مرة أخرى.

- ربما يتبادر إلى أذهانكم، أو ربما يبدو الأمر وكأننا نسعى فقط لاختبار قدرتكم على البقاء على قيد الحياة. في ظاهر الأمر، من الممكن أن تعد تجربة المتاهة هكذا نوعًا ما، ولكنني أؤكد لكم... لا يقتصر الأمر على النجاة والرغبة في البقاء على قيد الحياة فحسب، بل إن ذلك مجرد جزء من هذه التجربة، لكنكم لن تدركوا الصورة الكاملة للأمر إلا في النهاية. لقد تسببت الانفجارات الشمسية في تدمير أجزاء شاسعة من الأرض، بالإضافة إلى وباء لم يشهده الجنس البشري قبلاً، يفتك بالناس في جميع أنحاء الأرض... وباء اسمه فيروس الوهج، لأول مرة نرى حكومات الأمم جمعاء - أو ما نجا منها - يتعاونون بعضهم مع بعض، لقد قاموا بتوحيد قواهم لإنشاء وِكد، إنكم جزء كبير من هذه المعركة، وسيكون لديكم كل الدوافع الممكنة للتعاون معنا، لأن... ويؤسفني قول ذلك، كل واحد منكم قد أصيب بالوباء.

سارع برفع يديه ليقاطع المهمات التي أخذت تهدر.

- الآن... الآن! لا داعي للقلق... يستغرق فيروس الوهج وقتًا للحضانة وظهور الأعراض، ولكن بنهاية تلك التجارب، سيثمر جهدكم بالعلاج، ولن تعانوا من أي... آثار جانبية منهكة أبدًا، ليس بإمكان الكثيرين توفير العلاج، كما تعلمون.

شقت يد توماس طريقها لا إراديًا إلى عنقه، كأن احتقان حلقه كان أول مؤشر بأنه مصاب بفيروس الوهج، لقد تذكر جيدًا كل ما أخبرته به المرأة في حافلة الإنقاذ بعد هروبهم من المتاهة، عن إلى أي مدى يدمر فيروس الوهج الدماغ، ويجعلك تفقد عقلك ببطء ويجردك من إنسانيتك ومشاعرك الأساسية مثل الشفقة والعاطفة، وكيف يحولك إلى شيء أحقر من الحيوانات.

فكر في النزقين الذين رأهم من نوافذ المهجع، فهاجمته رغبة مفاجأة في أن يهرع إلى الحمام لينظف يده وفمه جيدًا. إن الرجل محق... هناك ما يحتم عليهم النجاح في المرحلة التالية.

- ولكن دعونا من حصة التاريخ هذه وكفى مضيعة للوقت. (استأنف السيد جرد حديثه) إننا نعرفكم الآن، نعرفكم جميعًا، ليس مهمًا ما أقوله أنا أو ما هو خلف مهمة وكِد، فإنكم جميعًا ستبذلون ما في وسعكم مهما كلفكم الأمر، ليس لدينا أي شك في هذا، وبتنفيذكم لما نأمركم به، ستنقذون أنفسكم بالحصول على العلاج الذي يسعى من أجله الكثير من الناس.

سمع توماس مهمات مينهو الساخرة فحشي أن يقوم بإلقاء تعليق آخر من تعليقاته المغرورة، فحثه توماس على أن يصمت قبل أن يقدم على فعل ذلك.

نظر السيد جرد إلى كومة الورق الفوضوية بداخل الملف المفتوح على المكتب والتقط ورقة منها ثم قلبها على الوجه الآخر، أخذ يتفحص محتوياتها بتناقل ثم تنحنح قبل أن يعلن.

- المرحلة الثانية، تجارب الأرض المحترقة، سوف تبدأ فعليًا في الساعة السادسة من صباح الغد، سوف تدخلون هذه الغرفة وستجدون ناقلًا مسطحًا، سيبدو هذا الناقل المسطح لأعينكم في هيئة جدار متلألئ رمادي، سيكون على كل منكم أن يخطو عبر ذاك الجدار خلال خمس

دقائق بعد حلول الساعة السادسة، لذا مرة أخرى، سيُفتح الجدار

بحلول السادسة وسيغلق بعد ذلك بخمس دقائق، أتفهمون ذلك؟

أخذ توماس يحدق إلى السيد جردز كمن أصابه مسٌّ من السحر، بدا له الأمر وكأنما يشاهد فيلمًا مسجلًا... كأن ذاك الغريب لم يكن موجودًا بالفعل، لا بد أن فتیان الجلايد الآخرين قد شعروا بنفس الشيء، لأن أحدًا منهم لم يجب عن سؤاله البسيط، وماذا يكون الناقل المسطح ذلك على أي حال؟

- إنني أكيد من أنكم جميعًا يمكنكم سماعي. هل... تفهم... ون... ما قلته؟

أومأ توماس ودمدم بعض الفتیان من حوله بكلمات إيجاب هادئة.

- جيد. (التقط السيد جردز ورقة أخرى على مضض وقلبها) بحلول ذلك الوقت ستكون تجارب الأرض المحترقة قد بدأت. إن القواعد في غاية البساطة؛ سيكون عليكم العثور على طريق الخروج من هنا، ثم تتوجهون مسافة مئة ميل شمالًا، وإذا نجحتم في الوصول إلى الملاذ الآمن خلال أسبوعين، فستكونون قد اجتزتم المرحلة الثانية. عند تلك النقطة، وعند تلك النقطة فقط، سوف تعالجون من فيروس الوهج. سيتم ذلك خلال أسبوعين بالضبط... ستبدأ منذ لحظة عبوركم إلى المركبة، وإذا لم تنجحوا في تلك المهمة، سينتهي بكم الحال أوماتًا.

من المتوقع أن ينفجر كل من في الغرفة بالجدال والأسئلة والرعب، ولكن ما حدث هو أن أحدًا لم ينبس ببنت شفة، شعر توماس أن لسانه قد استحال إلى جذور نبتة قديمة متييسة.

أغلق السيد جردز الملف بسرعة وحزم محتوياته حتى أكثر من السابق، ثم أعاده مرة أخرى إلى الدرج الذي أخرجه منه، نهض واقفًا ثم تنحى جانبًا وقام بدفع الكرسي بداخل المكتب، وأخيرًا شابك يديه في بعضهما أمامه، ووجَّه انتباهه إلى فتیان الجلايد مرة أخرى.

- الأمر بسيط، حقًا.

قال ذلك بمنتهى البساطة حتى يظن من يسمعه أنه أخبرهم لتوه بطريقة فتح صنابير الاستحمام في الحمام.

- لا توجد قواعد صارمة، لا توجد إرشادات محددة، سيكون لديكم كم قليل من الإمدادات، وليس هنالك أي شيء يساعدكم خلال رحلتكم. فلتعبروا إلى الناقل المسطح في الوقت المحدد، جدوا طريق الخروج من هنا، اتجهوا شمالاً مسافة مئة ميل حتى بلوغ الملاذ الآمن. إما النجاح أو الموت.

نجحت كلمته الأخيرة في جعل كل منهم يستفيق من سباته، فانفجروا جميعاً يتحدثون في الوقت ذاته.

- ماذا يكون الناقل المسطح ذلك؟

- كيف أصبنا بفيروس الوهج؟

- متى سوف تظهر علينا أعراض المرض؟

- ما الذي حدث للجثث التي بالخارج؟

تتابعت الأسئلة وتداخلت جميعها في صيحة فزع واحدة. بالنسبة إلى توماس فهو لم يكثر، فعلى أي حال لن يخبرهم الرجل الغريب بأي شيء، ألا يدركون ذلك جميعاً؟

ظل السيد جرد واقفاً بثبات متجاهلاً ثورتهم، وعيناه الداكنتان تتأرجحان بين حشد الفتيان بينما هم يتحدثون، إلى أن استقرت نظرته على توماس الذي كان جالساً في سكون هناك ويحدق إليه هو الآخر، يكرهه، ويكرهه ويكرهه العالم.

- احرصوا أيها البله!

صاح بهم مينهو أخيراً فتوقف سيل الأسئلة.

- لن يجيب ذاك الأخرق عن أسئلتكم، لذلك لا تضيعوا وقتكم.

أوماً السيد جرد إلى مينهو وكأنه يشكره، أو ربما اعترافاً بفطنته.

- مئة ميل نحو الشمال، أتمنى لكم حظاً موفقاً، تذكروا... جميعكم مصابون بفيروس الوهج الآن، لقد أدخلناه في أجسامكم لكي نمدكم بالدوافع الكافية للقيام بتلك المهمة، والوصول إلى الملاذ الآمن يعني حصولكم على العلاج.



استدار الرجل وتحرك باتجاه الحائط وكأنه على وشك أن يمر من خلاله، ولكنه توقف فجأة واستدار ناحيتهم مرة أخرى.

- تذكرت، يوجد شيء أخير، لا تفكروا أن بإمكانكم تجنب تجربة الأرض المحترقة إذا قررتم ألا تدخلوا إلى الناقل المسطح خلال خمس دقائق من حلول الساعة السادسة في صباح الغد، إذا بقي أحدكم هنا سوف يتم إعدامه بأكثر... الأساليب شرًا. من الأفضل أن تستغلوا الفرص التي أمامكم في العالم الخارجي، حطًا موفقًا لكم جميعًا.

وهكذا ولأهم ظهره وبدأ التحرك مجددًا باتجاه الحائط بطريقة غير مفهومة.

وقبل أن يتمكن توماس من رؤية ما حدث، بدأت طبقة من الضباب تتكون على الحاجز غير المرئي الذي يفصلهم عنه، وخلال ثوانٍ كان قد تحول إلى بياض مبهم، بعد ذلك اختفى كل شيء ليتضح أمامهم الجانب الآخر من صالة الطعام مرة أخرى... عدا أنه لم يكن هنالك أي أثر للمكتب وكرسیه، وبالطبع لا أثر للسيد جرد.

- حسنًا، قسرًا.

دمدم مينهو بجانب توماس.



## الفصل الثاني عشر

تعالّت أسئلة فتیان الجلايد وعجت الغرفة بجداولهم مجدداً، ولكن توماس قد غادر، كان بحاجة إلى الانفراد بنفسه قليلاً ولم يجد سوى الحمام ليهرب إليه، فبدلاً من أن يذهب إلى مهجع الفتیان، ذهب إلى الحمام الذي استخدمه كل من تيريسا وأريس، استند بظهره إلى الحوض وأحاط نفسه بذراعيه وأخذ يحدق إلى الأرض، لحسن الحظ أن أحداً لم يلحق به.

لم تكن لديه فكرة عن كيف سيبدأ في ربط كل تلك المعلومات ببعضها، جثث معلقة في السقف تفوح منها رائحة الموت والتعفن، ثم تختفي تماماً في غضون دقائق، ثم يظهر رجل غريب -ومكتبه!- لا يدري أحد من أين، وحاجز خفي لا يعلم كنهه أحد، ومن ثم يختفي كل شيء.

كانت تلك الأشياء حالياً هي أقل ما يقلقون بشأنه، أصبح من الواضح الآن أن عملية إنقاذهم من المتاهة كانت مزيفة، ولكن من هم الذين استخدمتهم وكد لكي يُخرجوا فتیان الجلايد من غرفة المؤسسين، ليضعوهم في تلك الحافلة ثم يحضروهم إلى هنا؟ وهل عرف أولئك الناس أنهم سوف يُقتلون؟ وهل قُتلوا بالفعل حتى؟ لقد قال السيد جرذ إنهم يجب ألا يصدقوا أعينهم أو عقولهم، فكيف لهم أن يصدقوا أي شيء بعد الآن؟

والشيء الأسوأ من بين كل ذلك هو ما قاله بشأن إصابتهم بفيروس الوهج، وبأن خوضهم لتلك التجارب سيوفر لهم العلاج...

اعتصر توماس عينيه وأغمضهما وأخذ يدلك جبهته، لقد أخذوا منه تيريسا، ليس لأحدهم عائلة، ويفترض بهم في صباح الغد البدء في شيء سخيف

يُدعى المرحلة الثانية، والتي على ما يبدو أنها ستكون شيئاً أسوأ من المتاهة، وكل أولئك المجانين بالخارج... النزقين، كيف لهم أن يتصرفوا بشأنهم؟ فكر فجأة في تشاك وما الذي يمكن أن يقوله إذا كان هناك بالخارج.

إنه شيء بسيط على الأغلب، شيء مثل، اللعنة على كل ذلك.

إنك محق يا تشاك، اللعنة على العالم أجمع، فكر توماس في نفسه.

لم تمض سوى أيام قليلة مذ رأى صديقه مطعوناً في قلبه، لقد مات تشاك المسكين بين يدي توماس، ولكن الآن لم يستطع توماس منع نفسه من أن يفكر بأنه على الرغم من بشاعة ما حدث، ربما كان ذلك أفضل شيء يحدث لتشاك... ربما كان الموت أفضل مما هم مقبلون عليه.

خطر في ذهنه الوشم الموجود خلف رقبته...

- يا رجل، كم من الوقت تحتاج لكي تتغوط؟

ذلك كان مينهو. نظر توماس فرآه واقفاً أمام باب الحمام.

- الجو بالخارج لا يطاق، الجميع يصيح بالأطفال الرضع. فليقولوا ما يريدونه، إننا نعرف جميعاً ما سوف نقوم بفعله.

اقترب مينهو منه وأسند كتفه إلى الحائط.

- ألسنت أنت السيد المبتهج؟ انظر يا رجل، ليس أي من أولئك العراقيب بالخارج أقل منك شجاعة، سوف نعبر جميعاً ذاك الشيء دون استثناء... أياً كان ما يسميه... في صباح الغد. من ذا الذي سيكثر بصياحهم ونباحهم الآن؟

أشاح توماس بناظريه مستنكراً.

- إنني لم أتفوه بأي كلمة عن كوني أكثر شجاعة من أي أحد قط، إنني فقط سئمت من سماع أصوات كل أولئك الناس، وأنت منهم.

أصدر مينهو ضحكة مكبوتة ساخرة.

- أيها الأخرق، إنك تبدو مضحكاً جداً عندما تحاول أن تكون وضيعاً.

- شكراً... الناقل المسطح.

- ماذا؟

- هكذا أطلق العرقوب ذو البذلة البيضاء على الشيء الذي سنعتبر خلاله...  
ناقل مسطح.

- آه، أجل، لا بد أنه شيء أشبه ببوابة.

رفع توماس عينيه لينظر إليه.

- هذا ما أعتقده، شيء مثل الجرف... سطح منبسط يقوم بنقلك إلى  
مكان ما، ناقل مسطح.

- إنك عبقرى لعين.

انضم نيوت إليهم لاحقًا.

- لماذا تختبئان؟

مد مينهو يده وضرب توماس على كتفه.

- لسنا مختبئين، إن توماس ينتحب فقط ويولول على حياته ويتمنى أن  
يعود إلى حضن أمه.

- تومي...

قال نيوت بصوت يخلو من الدهشة.

- لقد خضتَ مرحلة التحول، واستعدت جزءًا من ذكرياتك، ما الذي  
تتذكره من تلك الأشياء؟

لقد فكر توماس مطولًا في ذلك، ولكن معظم الذكريات التي استعادها بعد  
لدغة وحوش المتاهة كانت مشوشة ومبهمة.

- لا أعلم، لست قادرًا على تخيل كيف يبدو العالم الحقيقي بالخارج أو  
كيف كان الأمر عندما كنت أساعد في تصميم المتاهة، لقد أصبح كل  
شيء مبهمًا مجددًا أو اختفى تمامًا، رأيت بعض الأحلام الغريبة، ولكن  
ليست بشيء ذي فائدة.

انتقلوا لاحقًا إلى نقاش حول بعض الأشياء التي سمعوها من زائرهم  
الغريب، مثل الانفجارات الشمسية والوباء وإلى أي مدى ستتغير نظرتهم  
للأمور بعدما عرفوا أنهم قيد اختبار أو تجربة علمية. تحدثوا عن أشياء

- كثيرة... لم يكن لها أي إجابات، وكلها يلفها خوف دفين من الفيروس الذي من المفترض أنهم مصابون به الآن، حتى عم الهدوء أخيرًا.
- حسنٌ، هناك أمور سوف نكتشفها. (تكلم نيوت) كما أنني أحتاج إلى بعض المساعدة لكي أتأكد من أن الطعام لن يختفي قبيل مغادرتنا غدًا، هناك شيء ما يخبرني أننا سوف نحتاج إليه.
- لم يخطر ذلك على بال توماس حتى.
- معك حق، هل لا يزال الشباب يلتهمون الطعام بالخارج؟
- هز نيوت رأسه نافيًا.
- لا، إن السيد طاسة يتولى هذا الأمر، هذا الفتى يقدس الطعام... أظن أنه سعيد لأنه أصبح مسؤولًا عن شيء ما مجددًا، ولكنني قلق، إذ ربما يفزع الشباب ويحاولون أكل الطعام على الرغم من ذلك.
- كلا، بحقك... إن كل واحد منا خاض كل تلك المسافة وصولًا إلى هنا لسبب ما، لقد مات كل الأغبياء إلى الآن.
- نظر مينهو بطرف عينيه إلى توماس كأنه كان يخشى أن يظن توماس أنه تضمّن تشاك في جملته، وربما تيريسا كذلك.
- ربما، أتمنى أن يكون كذلك.
- أجابه نيوت.
- كنت أفكر أننا ربما نكون بحاجة إلى تنظيم أنفسنا وأن نستجمع شتاتنا، وأن نتصرف كما فعلنا في الجلايد اللعينة، لقد كانت الأيام الأخيرة فوضى عارمة، الجميع يصيح ويتذمر، نتصرف دون ترتيب أو تخطيط، سيصيبني هذا الأمر بالجنون.
- ما الذي تتوقع منا فعله؟ أن نصطف ونقوم بأداء بعض التمارين الرياضية؟ إننا عالقون في سجن لعين مكون من ثلاث غرف.
- ضرب نيوت الهواء بيده بعنف كأن كلمات مينهو كانت بعوضًا.
- على أي حال، إنني فقط أقول إن كل شيء سوف يتغير تمامًا بدايةً من الغد، وينبغي لنا أن نستعد لمواجهة ذلك.

على الرغم من كل هذه النقاشات، أحس توماس أن نيوت لم ينجح في إيصال فكرته.

- ما الذي تقصده؟

توقف نيوت لهنيهة ونظر إلى توماس ثم إلى مينهو.

- يجب أن نضمن وجود قائد متماسك بيننا بحلول الغد، يجب ألا يكون هناك أي شك فيمن سيتولى هذه المسؤولية.

- إن ذلك هو أغبي شيء تفوهت به على الإطلاق أيها الأعرج... أنت القائد وتعلم ذلك، جميعنا نعلم ذلك.

هز نيوت رأسه نافيًا بإصرار.

- يبدو أن الجوع قد جعلك تنسى الوشم اللعينة، أتظن أنها لا تعني أي شيء؟

- كلا، بحقك... أحمقًا تعتقد أنها تعني أي شيء؟ إنهم فقط يتلاعبون بعقولنا!

اقترب نيوت من مينهو وجذب قميصه كاشفًا وشمه بدلًا من أن يجيبه، لم يلقِ توماس نظرة، بل تذكره... إن الوشم يفيد بأن مينهو هو القائد.

أبعد مينهو يد نيوت عنه وبدأ وصلة تعليقاته الساخرة المعتادة، لكن توماس كان قد انفصل عنهما بالفعل، إذ أخذ قلبه يخفق بشدة في ضربات متلاحقة ومؤلمة، كل ما استطاع أن يفكر فيه كانت كلمات الوشم الموجود على رقبته هو.

أنه سوف يُقتل.





## الفصل الثالث عشر

شعر توماس أن الوقت يتأخر وأدرك أنهم بحاجة إلى أن يأخذوا قسطًا من النوم هذه الليلة ليستعدوا من أجل الصباح، لذا قضى هو وفتيان الجلاید بقية الليلة في حزم الأطعمة والملابس الزائدة التي ظهرت في خزائنهم، بعض الأطعمة كانت معبأة في أكياس بلاستيكية، وقاموا بتعبئة الأكياس الفارغة بالماء وربطوها بقطع ممزقة من قماش الستائر، لم يتوقع أحد من تلك الأكياس الضعيفة أن تصمد لوقت طويل دون أن تُسرَّب، ولكنها كانت أفضل فكرة قد تخطر على بال أي أحد منهم.

تمكن نيوت أخيرًا من إقناع مينهو أن يتولى القيادة. أدرك توماس مثله كمثل الجميع أنهم بحاجة إلى أحد ليتولى قيادتهم، لذلك اطمأن عندما وافق مينهو على مضمض.

وجد توماس نفسه مستلقيًا في سريره نحو الساعة التاسعة يحدق إلى سقف السرير العلوي مجددًا، بدت الغرفة غارقة في صمت غريب على الرغم من أنه يعلم أن أحدًا لم يكن نائمًا بعد، كان الخوف يلفهم مثلما فعل به بكل تأكيد، لقد خاضوا غمار المتاهة وأحداثها المرعبة، ورأوا بأعينهم عن قرب ما تملك وكد القدرة على فعله. لو كان السيد جردن صادقًا بشأن أن كل ما حدث كان جزءًا من خطة محكمة، فذلك يعني أن أولئك الناس أجبروا جالي على قتل تشاك، وأنهم أطلقوا النار على امرأة من مسافة قريبة، وعيّنوا أناسًا من أجل إنقاذهم فقط لكي يقتلوهم عندما تنتهي المهمة... ولم يكن ذلك كل شيء.

وفوق كل ذلك قاموا بإصابتهم بوباء لا يعرفون كنهه وألقوا لهم العلاج طعمًا لكي يدفعهم على الاستمرار، من يعلم حتى ما هو الصدق من الكذب.

ظلت كل الأدلة تلح على أنهم قد اختاروا توماس من أجل شيء محدد بطريقة ما. لقد كانت أفكارًا مؤرقة... لقد خسر تشاك حياته، واختفت تيريسا، ولكن أن يأخذوا هذين الاثنين منه...

شعر أن حياته تحولت إلى ثقب أسود، ولم تكن لديه أي فكرة من أين سيأتي بالإرادة للاستمرار في الغد ويستكمل مواجهة ما تخبئه لهم وكِد ولا يعلم ما هو إلا الله، ولكنه علم أنه سيفعل ذلك - وليس فقط ليحصل على العلاج - لن يتوقف أبدًا، والآن بالذات، بعد كل ما فعلوه به هو وأصدقائه، إذا كانت الطريقة الوحيدة لكي يجتمع بهم هي أن يخوض كل اختباراتهم وتجاربهم، وأن ينجو، فسيقوم بهذا الأمر.

فليكن...

راح في النوم أخيرًا تحت وطأة أفكاره الانتقامية التي بعثت فيه شيئًا من الطمأنينة بالفعل، ولكن بطريقة منهكة ومتعبة.

قام كل واحد من فتیان الجلاید بضبط منبه ساعته الرقمية على الساعة الخامسة صباحًا، استيقظ توماس قبل ذلك بفترة ولم يتمكن من النوم مرة أخرى إلى أن امتلأت أرجاء الغرفة أخيرًا بنغمات التنبيه ونهض مدليًا ساقيه من السرير وأخذ يفرك عينيه. قام أحدهم بفتح الأنوار فغشى بصره ضوء أصفر، نهض واتجه إلى الحمام لكي يستحم، من يعلم متى ستتاح له فرصة تنظيف نفسه مرة أخرى.

قبل عشر دقائق من الوقت الذي حدده لهم السيد جردن، جلس فتیان الجلاید كلهم في تأهب يحمل معظمهم أكياسًا بلاستيكية ممتلئة بالماء وأغطية السرير المحزمة بجانب كل واحد منهم، وقرر توماس مثله مثل البقية أن يحمل الماء في يده خشية أن تنسكب الأكياس. ظهر الحاجز غير المرئي في منتصف الليل مجددًا في صالة الطعام جاعلاً عبورهم من خلاله مستحيلًا، وظل فتیان الجلاید جالسين في مهجعهم بالقرب منه مباشرة، وقبالة المكان حيث قال الرجل ذو البذلة البيضاء إن الناقل المسطح سيظهر فيه.

جلس آريس بجانب توماس مباشرة وتحدث للمرة الأولى منذ... حسنًا، لم يستطع توماس أن يتذكر متى كانت آخر مرة سمع فيها صوت الفتى.

- هل ظننت أنك جُننت؟ (سأله الفتى الجديد) عندما سمعت صوتها لأول مرة بداخل رأسك؟

حذق توماس إليه ملتزمًا الصمت لفترة، لم يكن يرغب في الحديث إلى هذا الفتى حتى هذه اللحظة لسبب ما لا يعلمه، ولكن هذا الشعور اختفى فجأة، ليس ذنب آريس أن تيريسا قد اختفت.

- نعم، ولكنني اعتدت ذلك بعد أن استمر الأمر لفترة طويلة... فقط بدأت في القلق من أن يظن الآخرون أنني جُننت، لهذا السبب لم نخبر أي أحد بذلك الأمر لفترة طويلة.

- بدا الأمر غريبًا بالنسبة إلي.

قال آريس وبدا عليه أنه غارق في التفكير، إذ أخذ يحرق إلى الأرض بشدة.

- لقد كنت في غيبوبة لعدة أيام، وعندما استيقظت وجدت أن تواصلني مع ريتشل بهذه الطريقة كان أكثر شيء طبيعي في العالم. إنني واثق من أنها لو لم تستجب لي ولم ترد، فإنني كنت لأفقدتها. لقد كانت فتيات المجموعة الأخريات يكرهنني... وأراد معظمن قتلي، ريتشل وحدها التي كانت...

توقف لفترة وانتصب مينهو واقفًا ليتحدث إليهم جميعًا قبل أن يتمكن آريس من إنهاء ما كان يقوله مما أسعد توماس، لأن سماع ما حدث له من نسخته المشابهة جعله فقط يفكر مجددًا في تيريسا، وذلك ألمه بشدة، لم يكن يرغب في أن يفكر بها بعد الآن وأراد فقط أن يصب تركيزه في البقاء على قيد الحياة في الوقت الحالي.

- أماننا ثلاث دقائق.

قال مينهو بلهجة بدت في غاية الجدية لأول مرة.

- هل لا يزال كل منكم ينوي الذهاب؟

أوماً توماس مؤكدًا ولاحظ الجميع يفعل نفس الشيء.

- هل غير أحدكم رأيه خلال الليل؟ فليتكلم الآن أو يصمت للأبد، لأنه بمجرد ذهابنا إلى حيث يأخذنا ذلك الشيء، إذا اكتشف أي عرقوب

منكم أنه دجاجة جبانة وقرر الرجوع فلن أتركه يعود قبل أن أكسر  
أنفه وأسحق أعضائه التناسلية.

نظر توماس إلى نيوت الذي دفن رأسه بين يديه وأخذ يضحك بصوت عالٍ.  
- هل لديك مشكلة ما يا نيوت؟

سأل مينهو بصوت حاد على نحو مفاجئ صدم توماس الذي تلهف ليرى  
رد فعل نيوت، ولم تكن دهشة الفتى الأكبر أقل منه في شيء إذ قال:

- آه... كلا. لقد أثارت مهاراتك القيادية اللعينة إعجابي ليس إلا.

جذب مينهو ياقة قميصه إلى أسفل رقبتة ومال بجسده كي يري الجميع  
وشمه.

- ما المكتوب هنا أيها الأخرق؟

أخذ نيوت ينظر يمناً ويسرة وقد اكتسى وجهه حمرة قانية.

- نعلم أنك الزعيم يا مينهو، لا تطل الأمر.

- كلا، بل أنت لا تطل الأمر.

قال مينهو معترضاً وموجهاً إصبعه نحو نيوت ثم قال مستدرجاً:

- إننا لا نملك وقتاً لهذا الهراء لذا فلتغلق فمك.

لم يستطع توماس إلا أن يأمل أن مينهو كان فقط يفعل ذلك كي يرسخ  
القرار الذي اتخذوه بجعله القائد ولكي يتأكد من أن نيوت فهم ذلك. وعلى  
الرغم من أن مينهو كان يتظاهر، فقد أتقن ذلك بكل تأكيد.

صاح أحد فتيان الجلاید:

- إنها السادسة بالضبط.

وكأن هذا الإعلان أثار انتباهه، تحول الحاجز غير المرئي إلى حائط من  
سديم مرة أخرى كبقعة بيضاء في منتصف الغرفة ولم يمر إلا جزء من الثانية  
حتى اختفى تماماً، لاحظ توماس تبدل الحائط المقابل لهم على الفور، إذ  
تحول جزء كبير منه إلى سطح مستو يلمع كالسراب.

- هيا بنا!

صاح مينهو وهو يلقي بذراع حقيبته فوق كتفه ويحمل كيسًا ممتلئًا بالماء في يده الأخرى.

- لا تتزاحموا... لدينا فقط خمس دقائق للعبور من خلال الحائط، سأذهب أنا أولاً.

أشار إلى توماس.

- وأنت ستبقى في النهاية... تأكد أن الجميع عبروا من بعدي قبل أن تأتي.

أوماً توماس وهو يحاول أن يقاوم الحريق الذي يتأجج بداخله، مد يده ومسح حبيبات العرق عن جبهته.

تقدم مينهو إلى الحائط الرمادي وتوقف أمامه مباشرة، بدا الناقل المسطح غير مستقر على الإطلاق، مما جعل التركيز على حركته مستحيلًا لتوماس، إذ أخذت العديد من الظلال ودوامات من درجات مختلفة للون الأسود تتراقص على سطحه، ظلت المركبة تفتح وتغلق وتحيط بها هالة تغشاها كأنها سوف تختفي في أي لحظة.

التفت مينهو لينظر إليهم مجددًا.

- أراكم في الجانب الآخر أيها العراقيب.

قال ذلك ثم خطا بداخل الحائط الرمادي الضبابي الذي ابتلعه بالكامل.



## الفصل الرابع عشر

أخذ توماس يرسلهم واحدًا تلو الآخر من خلف مينهو دون أن يتذمر أحد، بل إن أحدًا لم يقل أي كلمة حتى، اكتفوا فقط بتبادل نظرات مترددة وخائفة عند اقترابهم من الناقل المسطح قبل أن يلقوا بأنفسهم بداخله. تردد كل فتى من فتیان الجلايد دون استثناء لثانية قبل أن يخطو خطوته الأخيرة بداخل المربع الرمادي الضبابي، وظل توماس يتابع كل واحد منهم ويربت على كتفه قبل أن تبتلعه البوابة مباشرة.

وبعد دقيقتين لم يكن هناك سوى أريس ونيوت برفقة توماس.

- هل أنت متأكد من هذا؟

تحدث أريس إلى توماس في عقله، فانفتح توماس في سعال كاد أن يخنقه تحت وطأة المفاجأة بالكلمات التي تدفقت بداخل رأسه... لم يسمع كلماته بوضوح، ولكنها كانت مسموعة على كل حال. فكر -وأمل- أن يكون أريس قد فهم أنه لا يود التواصل بهذه الطريقة، ذلك فقط كان من أجل تيريسا وليس لأي أحد آخر.

- فلتسرع...

أجابه توماس بصوت عالٍ علامة الرفض بأن يجيبه بالتخاطر.

- ينبغي لنا أن نسرع.

عبر أريس البوابة ونظرة ألم تعطي ووجهه، وتبعه نيوت مباشرة... وبهذا الشكل أصبح توماس بمفرده في صالة الطعام الضخمة، نظر من حوله لمرة أخيرة وتذكر الجثث المنتفخة التي كانت معلقة هناك منذ أيام قليلة فقط،

وفكر في المتاهة وكل الأشياء السخيفة التي خاضوا غمارها، وأطلق تنهيدة عالية بقدر ما استطاع على أمل أن يتمكن أي أحد في مكان ما من سماعه، ثم التقط كيس الماء خاصته وغطاء سريره المعبأ بالطعام وخطا بداخل الناقل المسطح.

لفه شعور حاد بالبرودة التي سرت في كل إنش من جلده كأن ذلك الحائط الرمادي مسطح طائر من المياه المتجمدة، كان قد أغلق عينيه في اللحظة الأخيرة وعندما فتحتها الآن لم ير شيئاً سوى الظلام التام، ولكنه تمكن من سماع بعض الأصوات.

- مرحباً!

قال بصوت عال متجاهلاً الرعب المفاجئ الذي يملأ صوته.

- يا رفاق...

قبل أن يتمكن من إنهاء جملته تعثر بشيء ما وسقط على الأرض أعلى جسد يتحرك من تحته.

صاح الشخص متأوهاً وأخذ يدفع توماس من فوقه، كان كل ما تمكن توماس من فعله هو التشبث بكيس الماء بقوة، إلى أن جاء صوت مينهو قائلاً:

- فليصمت الجميع ويبق ساكناً!

الطمأنينة التي شعر بها توماس جعلته يصرخ من السعادة تقريباً.

- توماس، هل هذا أنت؟ هل أنت موجود هنا؟

- أجل!

تمكن توماس من النهوض على قدميه وأخذ يتحسس المكان من حوله بغير هدى كي يضمن أنه لن يصطدم بأحد، لم يشعر أنه لمس شيئاً غير الهواء، ولم ير شيئاً سوى الظلام.

- لقد كنت أنا آخر من عبر، هل الآخرون بخير؟

- لقد كنا مصطفين ونقوم بعد أنفسنا في هدوء ونظام حتى سقطت علينا كالثور. فلنعمل ذلك مجدداً... واحد!

صاح توماس عندما لم يأت صوت أي أحد:



- اثنان!

استمر فتیان الجلايد في العد من بعد الرقم ثلاثة إلى أن جاء صوت أريس آخرًا:

- عشرون.

- حلو الكلام، جميعنا هنا، بغض النظر عن أين يكون هنا، لا يمكنني رؤية أي شيء بحق الجحيم.

ظل توماس واقفًا دون حراك مركزًا على تحديد أماكن الفتیان الآخرين وسماع صوت أنفاسهم، ولكنه خاف أن يتحرك.

- لسوء الحظ ليس لدينا كشاف للإضاءة.

- شكرًا لتوضيح ما هو واضح بالفعل يا سيد توماس.

كان ذلك صوت مينهو.

- حسنًا إذًا، استمعوا إليّ جيدًا، إننا نقف في شيء أشبه بممر نوعًا ما... يمكنني أن أشعر بجدران على جانبيّ، أظن أن معظمكم واقف عن يميني، توماس، إنك تقف في المكان الذي دخلنا منه، من الأفضل أن نتأكد من أننا لم ندع أي فرصة للخروج من الناقل المسطح عن طريق الخطأ، لذلك فليتبع الجميع صوتي ويتحرك نحوي، ليس لدينا خيار سوى أن نسلك هذا الممر وسنرى ما سوف نجده.

بدأ مينهو في التحرك بعيدًا عن توماس بعدما قال كلماته الأخيرة تلك، وأدرك من أصوات خطوات الأقدام الخافتة واحتكاك الصرر القماشية بالملابس أن الجميع في إثره. عندما شعر توماس أنه آخر من تبقى وأنه لن يتعثّر بأحد مرة أخرى، بدأ يتحرك ببطء إلى يساره ماديًا يده إلى أن لمس جدارًا باردًا ومن ثم تبع بقية الفريق وترك يده تلامس الجدار في أثناء سيره لكي يرشده.

لم ينبس أحدهم بكلمة في أثناء تقدمهم، وانزعج توماس من عدم تمكن عينيه من التأقلم مع الظلام، إذ لم يكن هناك ولو بصيص ضئيل من الضوء، كان الهواء باردًا، ولكن رائحته أشبه بالغبار. اصطدم توماس مرتين بالشخص الذي يتحرك أمامه، ولكنه لم يعرف قط من يكون، لأن الفتى لم يقل أي شيء لدى اصطدامهما ببعضهما.

استمروا بالتقدم أكثر فأكثر، واستمر النفق في الامتداد إلى الأمام دون أن ينحرف يميناً أو يساراً، لم يكن هناك ما يؤكد له أن ذلك ليس ضرباً من خيال وأنه لا يتحرك حقاً سوى الأرض التي تحت قدميه ويده التي لا تزال تنزلق على الجدار، وإلا كان سيشعر وكأنه يطفو في الفضاء دون أن يتقدم قيد أنملة.

لم يتمكن من سماع أصوات إلا احتكاك الأحذية بالأرض الخرسانية وبعض الهمسات بين فتیان الجلايد من حين لآخر، شعر توماس بكل خفقة يخفقها قلبه على طول سيرهم في نفق الظلام الأبدي ذاك، فلم يستطع منع نفسه من أن يتذكر الصندوق، ذاك المكعب المظلم ذو الهواء العفن الذي أوصله إلى الجلايد، لقد جعله ذلك يشعر بنفس الإحساس تقريباً، ولكن على الأقل أصبح لديه الآن جزء ضئيل من ذاكرته، ولديه أصدقاء ويعلم أين مكانهم... على الأقل أصبح الآن يدرك اللعبة، وأنهم يحتاجون إلى علاج للوباء وأنه من المحتمل أن يتعرضوا لأشياء فظيعة من أجل الحصول عليه.

امتلاً النفق فجأة بصوت همسات حادة بدا أنها قادمة من الأعلى وتصلب توماس في مكانه كالصخر... لم يكن هذا أياً من فتیان الجلايد، وكان أكيداً من ذلك.

جاء صوت مینهو من المقدمة وهو يحث الآخرين أن يصمتوا، ثم سأل:

- هل سمعتم ذلك يا رفاق؟

بينما ترددت أصوات فتیان الجلايد وهم يجيبون عن السؤال بالإيجاب، وجّه توماس أذنه نحو السقف لكي يتمكن من التقاط صوت آخر من بين تلك الأصوات، مر الصوت الهامس في ثوان، ولم تكن سوى كلمات قصيرة قليلة بدت وكأنها قد خرجت من رجل عجوز اشتد به المرض، ولكن الرسالة كانت مبهمة تماماً لم يستطع فهمها.

حاول مینهو إسكات الجميع مرة أخرى وأخبرهم أن يسيخوا السمع.

على الرغم من الظلام الحالك الذي يحيط بهم من كل جانب، أغمض توماس عينيه في محاولة لتقوية تركيزه على حاسة السمع، إذ أراد أن يلتقط ما قاله ذلك الصوت في حالة جاء مجدداً.

مرت أقل من دقيقة قبل أن يهمس الصوت العتيق المشوش ذاته مرة أخرى وتردد صداه في الهواء كأن هناك مكبرات صوت ضخمة مثبتة في السقف. سمع توماس أصواتًا عديدة تتهامس في نفس الوقت كأنه تمكّن من سماع الصوت هذه المرة، وصدمه ما قد سمعه، ولكنه لم يتمكن حتى من تمييز كلمة أو كلمتين منه، فتح توماس عينيه مجددًا ولم يتغير أي شيء أمام ناظره، إذ لم يرَ إلا ظلامًا تامًا غارقًا في السواد. انبعث صوت نيوت قائلاً:

- هل تمكن أي أحد من سماع ما قاله؟

- كلمات قليلة فقط.

جاء صوت وينستون.

- بدا وكأن في منتصفها «عودوا أدراجكم».

- أجل، هذا صحيح.

أكد أحدهم.

فكر توماس فيما التقطته أذناه، وتمكّن من استعادة الصوت، بدا وكأن هاتين الكلمتين كانتا من ضمنهما في موضع ما: عودوا أدراجكم.

- فليركز الجميع ويصيخ سمعه جيدًا هذه المرة.

امتلاً الممر المظلم بصمت تام عندما قال مينهو ذلك.

وعندما تردد الصوت هذه المرة، استطاع توماس فهم كلماته جيدًا.

- لديكم فرصة لمرة واحدة، عودوا أدراجكم الآن ولن يتم تقطيعكم.

أدرك من خلال ردود الأفعال التي تردت أمامه أن الجميع تمكن من التقاطها هذه المرة أيضًا.

- لن يتم تقطيعنا؟!

- ماذا يفترض أن يعني ذلك؟

- قال إن بإمكاننا أن نعود أدراجنا!

- لا يمكننا أن نثق بعرقوب مجهول يهمس في الظلام.

حاول توماس أن يمنع نفسه من التفكير في كون الكلمات الثلاث الأخيرة لا تنذر بالخير أبدًا - لن يتم تقطيعكم - هذا لا يبدو شيئًا جيدًا على الإطلاق، وعدم قدرتهم على رؤية أي شيء زاد الأمر سوءًا حتى كاد يفقد عقله.

- هيا لنستمر بالتقدم! لا يمكنني تحمل ذلك أكثر من هذا، فلنكمل سيرنا فقط!

تردد صوت السيد طاسة:

- تمهل دقيقة، قال الصوت إنها فرصة لمرة واحدة، علينا أن نفكر مليًا على الأقل.

وجاء صوت آخر:

- أجل، ربما ينبغي لنا أن نعود حقًا.

هز توماس رأسه مستنكرًا على الرغم من أن أحدًا لا يمكنه رؤيته.

- هذا مستحيل. تذكروا ما قاله لنا ذاك الرجل صاحب المكتب، إننا جميعًا سنموت ميتات بشعة إذا تراجعنا.

أصر السيد طاسة:

- حسنًا، ما الذي يجعله ذا سطوة أكثر من هذا الصوت في هذه اللحظة يا صديقي؟ كيف لنا أن نعرف من الذي يجب أن نستمع إليه ومن علينا تجاهله؟

أدرك توماس أنه سؤال جيد، ولكنه شعر أن تراجعهم ليس أمرًا صحيًا.

- إنني أخمن أن الصوت مجرد اختبار لنا، علينا أن نستمر.

أتى صوت مينهو من المقدمة مؤكدًا:

- إنه محق. هيا فلنذهب.

لم يكذب يقول كلمته الأخيرة حتى تردد الصوت الهامس عبر الهواء مجددًا، وكان هذه المرة مشبعًا بحقد طفولي.

- أنتم جميعًا ميتون، سوف تقطعون جميعًا إربًا، ميتون ومقطعون.

ليس هناك شعرة واحدة في رقبة توماس لم تنتصب وشعر بحريق في ظهره، توقع توماس أن يسمع صيحات أخرى لكي يتراجعوا، ولكن فتيان

الجلاليد فاجؤوه مجددًا، لم ينبس أحدهم ببنت شفة وما كانت إلا ثواني حتى عاد الجميع يتقدم إلى الأمام من جديد. كان مينهو محقًا عندما قال إن كل الأغبياء قد تم التخلص منهم.

استمروا في السير عميقًا بداخل الظلام وقد أصبح الهواء أدفأ قليلًا وبدا أنه أصبح محملاً بحبيبات من الغبار، أخذ توماس يسعل عدة مرات وكان بحاجة ماسة إلى شرب الماء، ولكنه لم يرد أن يغامر بفتح كيس الماء خاصته بينما هو غير قادر على رؤيته، لم يكن ينقصه سوى أن ينسكب كيس مياهه على الأرض.

يتقدمون للأمام.

ويصبح الجو أدفأ فأدفأ.

يزدادون عطشًا.

ظلام.

استمروا بالسير، كان الوقت يمضي ببطء لا يُحتمل.

لم تكن لدى توماس أي فكرة عن كيف لهذا الممر أن يكون حقيقيًا، لا بد أنهم قد قطعوا مسافة ميلين أو ثلاثة أميال على الأقل منذ أن سمعوا همسات تحذير ذاك الصوت الغريب آخر مرة، أين كانوا؟ أتحت الأرض؟ بداخل مبنى عملاق ما؟ لقد قال السيد جرد إن عليهم أن يجدوا مخرجًا، كيف...؟  
أتى صوت صراخ أحد الفتیان على بعد بضعة أقدام أمامه.

لقد بدت في أول الأمر مثل صيحة فزع مفاجئة، كأن أحدهم رأى شيئًا مفاجئًا، ولكن بعد ذلك تصاعد إلى رعب خالص، لم يتمكن من معرفة مَنْ كان، ولكن الفتى استمر في الصراخ حتى جف حلقه، كان يطلق صيحات معذبة عالية كحيوان يقف أمام بيت الدم القديم في الجلايد إلى أن سمع توماس صوت ارتطام جسد بالأرض.

هرع نحو الصوت لا إرادياً وهو يتدافع بين فتیان الجلايد الذين تجمدوا من الخوف وتحركوا جميعًا باتجاه الأصوات غير الآدمية، لم يكن يعرف لماذا اعتقد أنه بإمكانه المساعدة أكثر مما قد يفعل أي أحد آخر، ولكنه لم يتردد

لحظة، ولم يهتم حتى لخطواته، إذ ألقى بنفسه وسط الظلام، بعد وقت طويل من السير بلا هدى، بدا الأمر وكأن جسده يتوق إلى الحركة.

نجح في الوصول وتمكن من سماع الفتى الذي أصبح الآن مستلقياً أمامه وأخذ يضرب الأرض الخرسانية بذراعيه وساقيه وهو ما زال يبذل جهداً في مقاومة شيء ما لا يعلم أحد كنهه، قام توماس بوضع كيس الماء وحزمة الطعام جانباً في ركن بعيد، ثم مد يديه واقترب بخوف بحثاً عن ذراع أو ساق ليمسكها، أحس بفتيان الجلايد الآخرين يتجمعون من خلفه وأخذوا يطلقون صيحات عالية تحمل أسئلة أجبر نفسه على تجاهلها في جو تعمه الفوضى.

- مرحباً! ما الذي يجري؟

صاح توماس باتجاه الفتى المنازع، استطاع أن يلمس بنطال الفتى بأطراف أصابعه، ثم قميصه، ولكن جسد الفتى كان ينتفض في كل أنحاء المكان مما جعل الإمساك به مستحيلًا، واستمرت صيحاته في ملء ذرات الهواء.

في النهاية استجمع توماس شتات أفكاره وقرر أن يندفع إلى الأمام وألقى بكل جسده على جسد الفتى الذي يصارع الأرض، هبط على الفتى بارتطام قطع أنفاسه، شعر بالجسد الذي يتلوى على الأرض، وغرس كوعه بين أضلاعه، تبع ذلك صفعه على وجهه، ثم جاءت ركبته وضربته بين فخذه ضربة موفقة، صاح توماس:

- توقف! ما خطبك؟

هدأت صيحات الفتى شيئاً فشيئاً كأن أحدًا سحبه إلى قاع نهر، ولكن تشنجاته لم تهدأ على الإطلاق، وضع توماس جبهته وربت بساعده على صدر الفتى لكي يتحكم به، ثم مد يده ليصل إلى شعره أو وجهه، ولكنه شعر أنه صُعبق عندما تحسست يده ما كان هناك.

لم يكن هناك رأس، ولا شعر أو وجه، لم تكن هناك رقبة حتى، لا شيء من تلك الأشياء التي من المفترض أن تكون هناك.

وجد توماس بدلاً من تلك الأشياء كرة ضخمة وملساء بشكل مثالي من المعدن البارد.

## الفصل الخامس عشر

مضت ثوانٍ قليلة بعد ذلك في غاية الغرابة، إذ سكن الفتى تمامًا بمجرد أن لمست يد توماس تلك الكرة المعدنية الغريبة، تحولت ذراعاها وساقاه إلى السكون، وفي لحظة واحدة اختفى تصلب جسده المرتجف. استشعر توماس سائلًا ثخينًا ينضح على الكرة المعدنية من حيث يفترض برقبة الفتى أن تكون، كان يعرف أنه دم، إذ أمكنه تمييز رائحته المؤكسدة.

أفلتت الكرة بعد ذلك أسفل أصابع توماس وتدحرجت مبتعدة مصدرة صوت احتكاك مدوّ إلى أن تعثرت بجدار وتوقفت، لم يتحرك الفتى الراقد تحته قيد أنملة أو يصدر أي صوت، بينما استمرت أصوات فتیان الجلاید تتعالى بصيحات محملة بالأسئلة اليائسة في قلب الظلام، ولكن توماس تجاهلهم.

سرى الفزع في أوصاله، إذ تخيل الفتى... أو الوضع الذي لا بد أنه كان عليه. كل شيء كان يستعصي على الفهم، ولكن الفتى كان ميتًا دون شك، لقد قُطع رأسه بشكل ما أو... تحول إلى رأس معدني؟ ما الذي حدث بحق الجحيم؟ أخذ عقل توماس يدور مما استغرق منه وقتًا حتى لاحظ الدماء التي تجري على يده والتي استند بها على الأرض عندما أفلتت الكرة من تحتها. ارتعب وزحف عائدًا إلى الورا ليبتعد عن الجسد وأخذ يمسح يده في بنطاله ويصيح، ولكن بغير قدرة على تكوين كلمات واضحة، إلى أن جاء اثنان من فتیان الجلاید وجذباه من الخلف وساعدها كي ينهض على قدميه، قام بدفعهما بعيدًا عنه في فزع وتعثر بأحد الجدران فجذبه أحد من كتفه وسحبه إليه.

- توماس!

كان ذلك صوت مينهو.

- توماس! ما الذي حدث؟

حاول توماس أن يستجمع شتات نفسه ويهدئ من روعه، أحس بتقلب في معدته وألم في صدره.

- لا... لا أدري، من كان هذا! من ذا الذي كان يرقد أسفلي ويصرخ؟

أجاب صوت وينستون المرتجف:

- إنه فرانكي... أظن ذلك، لقد كان بالقرب مني مباشرة، كان يمزح معي، ثم حدث كأن شيئاً ما قام بسحبه على نحو مفاجئ، أجل... إنه هو، مؤكد أنه هو.

كرر مينهو مستفهماً:

- ما الذي حدث؟!

أدرك توماس أنه لا يزال يفرك يديه في بنطاله.

- انظر...

قال ذلك قبل أن يسحب نفساً طويلاً إلى رثتيه. إن فعل كل هذه الأشياء في الظلام يثير جنونه.

- ما حدث هو أنني سمعته يصرخ فهرعت إلى هنا كي أساعده، قفزت فوقه وحاولت أن أقيد ذراعيه لكي أعرف ما خطبه، ثم مددت يديّ بحثاً عن رأسه لكي أجذبه من خديّه... لا أعلم حتى لماذا فعلت ذلك... وكل ما استطاعت يداي لمسها كان...

لم يتمكن من نطقها، عندما تكون الحقيقة منافية للعقل فلا يمكن لشيء أن ينافسها في ذلك.

استحثه مينهو صائحاً:

- ماذا؟

تأوه توماس ثم أفلتها من لسانه:



- لم يكن رأسه رأسًا، بل كان أشبه بـ... كرة... معدنية كبيرة، لست أدري يا رجل، ولكن ذلك ما شعرت به، وكأن كرة معدنية ضخمة ابتلعت... ابتلعت رأسه اللعين.

- ما الذي تقوله بحق الجحيم؟

لم يعرف توماس كيف له أن يقنعه أو يقنع أي أحد منهم.

- ألم تسمعوا صوت تدحرجها على الأرض مباشرة قبل أن يخمد صراخه مباشرة؟ إنني أعلم أن...

قاطعته صوت أحدهم معلنًا:

- إنها هنا!

كان ذلك صوت نيوت. سمع توماس صوت صرير معدني مرة أخرى تبعه صوت نيوت وهو ينخر بجهد كبير.

- لقد سمعتها تتدحرج بهذا الاتجاه، وهي مبللة بالكامل بسائل لزج... يبدو وأنه دم.

همس مینهو في غير تصديق:

- ماذا بحق الجحيم؟! كم حجمها؟

انفجر فتیان الجلايد يتساءلون في صيحة واحدة. صاح بهم نيوت:

- فليهدأ الجميع!

وعندما هدؤوا قليلًا أجابهم بهدوء:

- لا أعلم.

سمعه توماس وهو يحاول أن يمسك بالكرة بحرص لكي يقيسها.

- ولكنها أكبر من رأس لعين بالتأكيد، إنها مستديرة وكروية على نحو مثالي وذات سطح أملس.

سيطر على توماس شعور بالحيرة والتقزز، ولكن كل ما فكر فيه هو الخروج من ذاك المكان، ود لو يخرج من ذاك الظلام.

- يجب أن نعدو، علينا أن نذهب من هنا، الآن.

- أو ربما علينا أن نعود أدراجنا.

قال صوت لم يستطع توماس تمييزه.

- أياً ما كان هذا الشيء الكروي، فإنه قام بقطع رأس فرانكي عن جسده، تماماً كما حذرنا ذلك العرقوب القديم.

أجابه مینهو بغضب:

- هذا مستحيل، لن يحدث هذا، إن توماس محق، لن نسير بشكل عشوائي هكذا بعد الآن، فليبعد كل منكم مسافة قدمين عن الآخر ويبدأ في العدو، وابقوا منخفضين، وإذا اقترب أي شيء من رأسكم فلتضربوه بأقصى ما يمكنكم.

لم يعترض أحد منهم، وذهب توماس ليحضر طعامه ومياهه بسرعة، ترددت بعض الأصوات بين المجموعة ومن ثم انطلق الجميع يعدو، يبعد كل منهم مسافة كافية عن الآخر لكيلا يصطدم بعضهم ببعض، لم يعد توماس إلى حيث كان في مؤخرة الفريق، إذ لم يرغب في تضييع الوقت في التنظيم، وانطلق يعدو ويعدو بأقصى قوة يتذكر أنه عدا بها قبلاً في المتاهة.

كان يشم رائحة العرق ويتنفس الغبار والهواء الساخن، وأصبحت يده لزجة ورطبة من أثر الدماء في قلب الظلام الدامس.

انطلق في العدو بلا توقف.

تمكنت واحدة أخرى من كرات الموت من الفتك بشخص آخر، وكانت هذه المرة قريبة جداً من توماس، قتلت فتى لم يسبق أن تحدث إليه بكلمة واحدة، سمع توماس صوتاً واضحاً لاحتكاك المعدن ببعضه مصحوباً بعدة ضربات قوية، ثم انطلقت الصرخات المدوية لتثير الرعب بين الآخرين.

ولكن أحداً لم يتوقف، ربما حدث شيء بشع، على الأغلب قد حدث، ولكن أحداً لم يتوقف قط.

سمع توماس صوت دوي ارتطام الكرة المعدنية بالأرض بمجرد أن خفتت أصوات الصرخات تاركة هدوء لا يشوبه سوى تلعثم خافت، سمعها تتدحرج وتصطدم بالحائط ثم تتدحرج مرة أخرى.

واستمر في العدو دون أن يبطن قط.

أخذ قلبه يخفق بقوة وآلمه صدره بشدة وتقطعت أنفاسه بفعل الهواء المحمل بالغبار الذي كان يستنشقه في أثناء عدوه. فقد قدرته على الإحساس بالوقت ولم يكن لديه أي فكرة عن المسافة التي قطعوها، ولكن مينهو صاح بالجميع لكي يتوقفوا وقد غمرهم شعور بالطمأنينة، فقد انتصر إرهاقه على رعبه من ذلك الشيء الذي يقتل الناس في النهاية.

امتلاً الحيز الصغير الذي يقفون فيه بأصوات لهائهم ورائحة أنفاسهم الكريهة التي تشبع بها الهواء، كان السيد طاسة هو أول من استجمع قواه لكي يتحدث، فصاح قائلاً:

- لماذا توقفنا؟

صاح به مينهو بدوره:

- لأنني كدت أكسر ساقِيَّ عندما تعثرت بشيء ما هناك!

- أظن أنها سلالم.

شعر توماس بمعنوياته ترتفع، ولكنه دفع هذا الشعور بعيداً عنه على الفور، لقد أقسم ألا يضع آمالاً عالية في أي شيء مرة أخرى، ليس قبل أن ينتهي كل ذلك.

قال السيد طاسة بصوت تغمره السعادة:

- حسناً إذن، فلنصعد السلالم.

- هل تظن أن علينا ذلك؟ ماذا كنا سنفعل دونك يا طاسة؟ جدياً.

سمع توماس صوت خطوات مينهو الثقيلة وهو يصعد السلالم بسرعة، كانت خطواته تصدر رنيناً عالياً كأنه يخطو على معدن رقيق، لم تكن إلا ثوانٍ قليلة قبل أن ينضم إليه آخرون حتى أصبح الجميع في إثر مينهو خلال وقت قصير.

عندما بلغ توماس الدرجة الأولى من السلم، تعثر ووقع ضارباً ركبته بالدرجة الثانية، استند على يديه ليستعيد توازنه مجدداً، وكاد يفجر كيس الماء خاصته، ونهض ثم استأنف صعوده متخطياً درجتين من وقت لآخر، من يدري متى قد تهاجمهم الكرات المعدنية تلك، وكان على أهبة استعداد له لكي

تكون خطواته التالية في مكان لا يلفه السواد، سواء كان يضع أمالاً عريضة في ذلك أم لا.

انبعث صوت مدوّ من الأعلى كان أكثر من مجرد خطى أقدام، ولكنه لا يزال يبدو كصوت معدني.

جاء صوت مینهو يتأوه عاليًا تبعه صوت أنين وهمهمات من تعثر أفراد الجلايد بعضهم ببعض قبل أن يتمكنوا من إيقاف أنفسهم.

سأل نيوت:

- هل أنت بخير؟

وتمكن توماس من أن يفلت سؤالًا من بين أنفاسه المتثاقلة:

- ما الذي... اصطدمت به؟

أجابه مینهو بحنق واضح:

- إنه السقف اللعين، هذا هو، لقد اصطدمنا بالسقف، وليس هناك أي مكان آخر...

أحنى مینهو ظهره، وتمكن توماس من أن يسمع حركة يديه التي استخدمها لاستكشاف المكان على طول الجدران والسقف.

- مهلاً، أظن أنني وجدت...

صدر صوت تكسير واضح أمسكه عن إكمال جملته ومن ثم بدا العالم من حول توماس وكأنما باب من أبواب جهنم قد فُتح على مصراعيه، صرخ وهو يحجب عينيه بيديه، إذ انبعث ضوء متوهج ومتأجج من الأعلى لم يستطع أن يمنع كيس الماء من أن يسقط من بين يده، فبعد التعرض للظلام الدامس طوال تلك الفترة، لن يكون في مقدوره تحمل سطوع الضوء المفاجئ... حتى مع يديه اللتين تحجبان عينيه إذ تخلل الوهج البرتقالي من بين أصابعه وأجفانه وداهمته بالأسفل موجة حارة من الرياح الملتهبة.

سمع توماس صوت ارتطام مفاجئ عمّ بعده الظلام ثانية، إذ أنزل يديه بحذر شديد وأغمض عينيه نصف إغماضة تحت وطأة الدوار الذي أصابه.

قال مینهو:

- قشراً! يبدو أننا عثرنا على مخرج، ولكنني أعتقد أننا سنخرج إلى شمس متأججة! رباها! لقد كان الضوء ساطعاً للغاية، وحراراً للغاية.

اقترح نيوت:

- دعونا فقط نفتح أعيننا شيئاً قليلاً لكي نعتاد الضوء.

بعد ذلك سمع توماس مينهو يقول له:

- خذ هذا القميص واحشره بالفتحة، فليغلق الجميع عينيه!

فعل توماس ما قيل له، ثم قام بتغطية عينيه بيديه مجدداً، عادت الأشعة البرتقالية المتوهجة بعد ذلك وشرعوا في تنفيذ الخطة، استغرق توماس دقيقة تقريباً إلى أن بدأ يفتح عينيه شيئاً فشيئاً، لم يستطع إلا أن يغمضهما نصف إغماضة، إذ كان لا يزال وكأن هناك مليون شعاع من الضوء موجّهين نحوه، ولكنه تمكن من تحملها شيئاً فشيئاً. غمر الضوء المكان، ولكن بعد دقائق قليلة قد أصبح كل شيء على ما يرام.

أصبح الآن بإمكانه رؤية أنه يقف على بعد عشرين درجة في الأسفل من حيث يجثم مينهو ونيوت أسفل النافذة الموجودة بالسقف، انبعثت ثلاثة خطوط من أشعة الشمس المتوهجة من جوانب النافذة التي أبقاها القميص المحشور بإحدى زواياها مفتوحة، كان كل شيء من حولهم -كالجدران، والسلام، وحتى النافذة نفسها- مصنوعاً من معدن رمادي باهت، التفت توماس لينظر في الاتجاه الذي جاؤوا منه، فوجد أن السلام قد ابتلعها الظلام في الأسفل، لقد سعدوا عالياً أكثر مما تخيل.

قال مينهو:

- هل أصاب أحدهم العمى الآن؟ أشعر أن مقلتي كقطعتي مارشملو مشويتين.

شعر توماس بالشيء ذاته، لقد احترقت عيناه وظلت تحكه وتدمع دون توقف، بينما أخذ جميع أفراد الجلايد يفركون أعينهم حتى سأل أحدهم:

- ماذا يوجد بالخارج إذن؟

هز مينهو كتفيه في غير علم ثم حاول أن ينظر خلال الفتحة الصغيرة في النافذة وهو يحيط عينيه بيده كدرع للحماية.

- لا يمكننا أن نعرف ذلك، فكل ما يمكنني رؤيته هو الكثير من الضوء الساطع، الأمر وكأننا نقف على سطح الشمس بحق الجحيم، ولكنني لا أظن أن هناك أي أناس بالخارج (توقف قليلاً)، أو نزقين.

قال وينستون، وقد كان واقفاً أسفل توماس بدرجتين:

- هيا، فلنخرج من هنا، إنني أفضل أن تلسعني الشمس عن أن تتم مهاجمتي بواسطة كرة معدنية، هيا بنا!

أجابه مينهو:

- لا عليك يا وينستون، لا تكن كنعجة الراعي المتهورة، أردت فقط أن ننتظر إلى أن تعتاد أعيننا أولاً، سوف أفتح النافذة بشكل كامل لكي أتأكد أننا سنكون على ما يرام، فليستعد الجميع.

تقدم مينهو خطوة لكي يتمكن من أن يسند كتفه اليمنى إلى اللوح المعدني.

- واحد، اثنان، ثلاثة!

زفر وهو يمدد ساقيه ويضرب بكتفه النافذة ثم غمر الضوء والحرارة طريق السلالم كله بمجرد أن فُتحت النافذة مصدرة صوت صرير معدني لا يُحتمل، وجّه توماس نظره إلى الأرض بسرعة، لقد بدا الضوء الساطع غير معقول، حتى مع كونهم قد ظلوا لساعات طويلة يتجولون في ظلام تام.

سمع توماس أصوات حركة وتدافع بالأعلى فنظر ليرى نيوت ومينهو يهَمَّان بالخروج من الفتحة المربعة التي تنبعث منها أشعة شمس تعمي الأبصار عبر النافذة التي فُتحت للتو، ارتفعت حرارة ممر الدرج كأنه فرنٌ أُشعل للتو.

قال مينهو وقد جفل وجهه:

- تَبَّأ بحق الجحيم! هناك شيء غير طبيعي يا رجل، إنني أشعر أن جلدي يحترق بحق.

أكد نيوت وهو يدلك مؤخرة رقبته بيده:

- هذا صحيح، لست متأكداً من كوننا سنستطيع الخروج إلى هناك، ربما سيكون علينا أن ننتظر إلى أن تغرب الشمس.

علت أصوات أنين أفراد الجلايد اعتراضًا على اقتراح نيوت، ولكنهم هدؤوا  
لمَّا داهمهم وينستون بصيحة عالية:  
- رباه! احترسوا! احترسوا!

التفت توماس ينظر إلى وينستون بأسفل الدرج، كان يشير إلى شيء ما  
فوقه مباشرة بينما تراجع بضع درجات إلى الأسفل، على السقف، وعلى بعد  
أقدام قليلة فوق رؤوسهم مباشرة، كانت هناك كتلة كروية ضخمة كالفضة  
الذائبة أخذت تتكون وتلتحم مع بعضها وتتسرب شيئًا فشيئًا من المعدن،  
كأنه يذوب متحولًا إلى قطرة دموع ضخمة، أخذت تتضخم أكثر فأكثر أمام  
عيني توماس المحدقتين، وتتشكل في غضون ثوانٍ إلى كرة من مادة لزجة  
ذائبة ترتعش في حركة بطيئة، ومن ثم، وقبل أن يتمكن أي أحد من أن يقدم  
على أي ردة فعل، انفصلت الكرة عن السقف وسقطت تمامًا.

ولكنها بدلًا من أن تُسكب على الأدراج وتغمر أقدامهم، هزمت كرة المعدن  
المذاب الهائلة قوانين الجاذبية وطارت بحركة أفقية لتتجه مباشرة إلى وجه  
وينستون، رجت صرخاته المروعة أرجاء المكان، إذ سقط وظل يتدحرج على  
السلالم.





## الفصل السادس عشر

أضنت توماس فكرة ملحة وهو يجر قدميه نحو الأسفل إلى وينستون، لم يكن يعلم إذا كان زاهبًا لأنه أراد أن يساعده أم لأنه لم يستطع أن يتحكم في فضوله بشأن وحش الفضة ذلك.

توقف وينستون أخيرًا بعدما ارتطم بشيء ما، وقد استلقى على ظهره لحسن الحظ على إحدى الدرجات. لم يكونوا قد اقتربوا حتى من القاع، فقد تكفل الضوء الساطع المنبعث من النافذة المفتوحة على مصراعها بالأعلى بأن يجعل كل شيء واضحًا غاية الوضوح، كانت كلتا يدي وينستون تغطي وجهه في محاولة يائسة لإزالة السائل الفضي... وجد كرة المعدن المنصهر قد التحمت بالفعل بالجزء العلوي من رأسه، وابتلعت رأسه بدءًا من فوق أذنيه، أصبحت الآن تسيل متدلّية كالقطر الثقيل من فوق الأذنين وتغطي حاجبيه.

قفز توماس من فوق جسد الفتى والتفت ليجثو على ركبتيه على الدرجة التي تحته مباشرة، استمر وينستون يسحب ويدفع السائل الفضي اللزج ليبقيها بعيدة عن عينيه، وقد بدا على نحو مفاجئ أن هذا يجدي نفعًا، ولكن الفتى ظل يصرخ بما لديه من قوة وهو ينتفض ويتشنج ويضرب الحائط بقدميه.

- قم بانتزاعها عني!

صرخ الفتى بصوت يختنق ألمًا لدرجة أن توماس كاد أن يستسلم ويجري هاربًا، فإذا كانت تؤلم إلى هذا الحد...

بدا السائل كمادة لزجة شديدة الكثافة، عنيده وعالية المقاومة... كأنها شيء حي، وما إن ينتزع وينستون جزءاً منها عن عينيه، حتى ينزلق بعضها من بين أصابعه من الجانب ومن ثم تعيد الكرة، تمكن توماس من أن يرى مواضع من الجلد الذي انتزع عنه المادة، كان منسلخاً ومتقرحاً.

صرخ وينستون بشيء لم يتمكن أحد من فهمه من بين صرخاته المعدبة التي بدت وكأنه يتحدث لغة غريبة كلياً، أدرك توماس أنه كان عليه أن يفعل شيئاً، ولكن نفذ الوقت لذلك.

خلع حزمة أمتعته عن كتفيه وألقاها وأخذ يفرغ محتوياتها فتبعثرت الفاكهة والأكياس وتساقطت على الدرجات، أخذ ملاءة السرير وقام بلفها على يديه لتحميها، ثم انطلق نحوه. أمسك توماس بكتلة المعدن المنصهرة من الجانبين، إذ انزلقت لتوها على أذني وينستون الذي انهمك في مقاومتها قبل أن تغطي عينيه مرة أخرى. شعر توماس بالحرارة تنبعث من القماش حتى ظن أنها قد تشتعل في يده، قام بتثبيت قدميه واعتصر هذا الشيء بأقصى قوته ومن ثم انتزعها بعنف.

تمكن من رفع المادة المعدنية المهاجمة عدة إنشآت مصدرة صوت انزلاق لزوج مؤرق قبل أن تنزلق من بين يديه وتلتصق بأذني وينستون مرة أخرى. تمكن الفتى على نحو لا يُعقل من أن يصرخ بصوت أعلى من ذي قبل، تقدم بعض فتيان الجلاید ليحاولوا مساعدتهما، ولكن توماس صاح بهم لكي يبتعدوا، إذ ظن أنهم يحاولون منعه.

صاح توماس بوينستون:

- علينا أن نفعلها معاً!

صمم على أن يحكم قبضته بقوة أكثر هذه المرة.

- استمع إليّ يا وينستون، علينا أن نفعلها معاً... حاول أن تمسك بها جيداً وترفعها عن رأسك.

لم يبدُ على الفتى أي علامة على أنه فهم ما قاله، إذ كان يصارع بينما ينتفض جسده بالكامل، لو لم يكن توماس واقفاً تحته بدرجة، لكان الفتى قد سقط حتى نهاية الدرج الآن.

صاح توماس:

- عند العد إلى ثلاثة! وينستون! عند العد إلى ثلاثة!

لم تأته أي إجابة أيضًا، إذ استمر وينستون بالصراخ، يضرب ويركل بعزم قوته ويصفع الكتلة المعدنية.

نضحت عينا توماس بالدموع، أو ربما كان ذلك عرقًا يسيل من جبهته، ولكنه يحرقه، وشعر أن درجة حرارة الهواء من حوله قد بلغت المليون درجة، تشنجت عضلاته وضربات من الألم سرت في ساقيه وأخذت تتشنج بشدة.

صاح به مجددًا متجاهلاً كل ذلك ومال نحوه ليحاول مرة أخرى:

- فقط افعل ذلك! واحد... اثنان... الآن!

أمسك بالمعدن اللدن من الجانبين وشعر بملمسه الذي يجمع بين اللزوجة والصلابة، ومن ثم انتزعتها عنوة مرة أخرى عن رأس وينستون، إما أن وينستون قد سمعه أو أن ذلك كان بمحض الحظ، ولكنه قام في الوقت ذاته بدفع الكتلة اللزجة بقوة بمؤخرتي يديه كأنه يحاول أن يمزق جبهته، وبالفعل انتزعت الكتلة المعدنية بأكملها، أثقلت الملاء بذاك الشيء اللزج التخين، ودون أن يتردد، رفع توماس ذراعيه عاليًا وقذف الكتلة من فوق رأسه لتسقط على الدرج، ثم أدار نفسه وهو جاثم ليرى ما آلت إليه.

بينما يخلق في الهواء، تجمع المعدن اللدن بسرعة وتشكل إلى مادة عملاقة مجددًا، تكونت بضع موجات على سطحها لثوان قبل أن تتصلب تمامًا، توقفت على بعد درجات قليلة منهم فقط وحلقت في الهواء لثانية كأنها بتلك الحركة تنظر نظرة تحدُّ إلى ضحيتها، أو ربما تعيد التفكير بشأن ما حدث، ومن ثم انطلقت مبتعدة تطير نحو أسفل الدرج إلى أن اختفت تمامًا في القاع المظلم. لقد ذهبت حقًا، ولسبب ما لم تهاجم مجددًا.

التقط توماس أنفاسًا لاهثة كمن نجا لتوه من الغرق، كل إنش من جسده كان مشبعًا بالغرق، أسند كتفه إلى الحائط، ملأه الخوف من أن ينظر مجددًا إلى وينستون الذي ينشج من خلفه، على الأقل توقف الصراخ.

استدار توماس أخيرًا ونظر إليه، كانت حالة الفتى يُرثى لها بحق، انكمش على نفسه مثل الكرة مرتجفًا حتى أخمص قدميه، اختفى شعر رأسه تمامًا

وحل محله جلد منسلخ وبقع تفور بالدماء، وغطت أذنيه جروحٌ بالغة وتمزقات، ولكنها كانت موجودةً بأكملها، طفق ينتحب، بالتأكيد تحت وطأة الألم، وربما بسبب الصدمة النفسية الناتجة عما خاض غماره للتو كذلك، بدا مظهر البثور المنتشرة على وجهه نظيفة ونضرة إذا ما قورنت بالجروح المسلوخة عن الجلد في بقية رأسه.

سأله توماس وهو يدرك أن ذلك سيكون أغبى سؤال خرج من فمه على الإطلاق:

- هل أنت بخير يا رجل؟

هز وينستون رأسه هزة سريعة، وكان جسده لم ينفك ينتفض.

رفع توماس ناظريه إلى الأعلى ليرى مينهو ونيوت وأريس وكل فتیان الجلاید الآخرين على بعد درجات قليلة فقط منهما، يحدق جميعهم إلى الأسفل بوجوه تكسوها كل تعابير الصدمة، أخفت الظلال المنعكسة بفعل الوهج الساطع وجوههم، ولكن تمكن توماس مع ذلك من رؤية أعينهم، التي اتسعت عن آخرها مثل القطط.

دمدم مينهو:

- ماذا كان ذلك الشيء بحق الجحيم؟

لم يستطع توماس أن يستجمع نفسه بما يكفي لكي يتكلم واكتفى فقط بهزة مرهقة من رأسه، تطوع نيوت بالإجابة بدلاً عنه:

- مادة لزجة سحرية تلتهم رؤوس البشر، ذلك ما كان بحق الجحيم.

- لا بد أن ذلك نوع من تكنولوجيا حديثة ما.

أتى صوت أريس، والذي رآه توماس للمرة الأولى يشاركهم في حديث. نظر الفتى من حوله وقد لاحظ الوجوه التي تعتربها الدهشة، ثم هز كتفيه هزة خفيفة كأنه شعر بالإحراج ثم استدرک:

- لقد استعدت بعض الذكريات المشوشة، إنني أعلم أن العالم أصبح يمتلك قدرًا كبيرًا من التقدم التكنولوجي... ولكنني لا أذكر من هذا القدر شيئًا مثل معدن لِدِن طائر يحاول أن يلتهم أجزاء من الجسم.

فكر توماس في ذكرياته الهزيلة التي يمتلكها، وبالتأكيد لم يخطر على باله شيء كهذا هو أيضًا.

قال مينهو وهو يشير بإجهاد إلى أسفل الدرج خلف توماس:

- ذلك الشيء اللعين يلتصق بوجهك ويلتحم به ثم يبدأ في التهام لحم رقبتك حتى ينتزعها تمامًا، مثير للإعجاب، هذا حقًا مثير للإعجاب.

قال السيد طاسة:

- هل رأيت ذلك؟ لقد خرج ذلك الشيء من السقف مباشرة! من الأفضل لنا أن نخرج من هنا، والآن.

أضاف نيوت:

- أتفق معك كليًا.

حدق مينهو إلى وينستون الجاثم بالأسفل بنظرة يملؤها التقزز، وتبعه توماس بنظراته، لم يعد الفتى ينتفض، وقد هدأ نحيبه وأصبح نشيجًا مختنقًا، ولكن مظهره كان مروعًا، ودون شك سوف يصبح مشوهًا مدى الحياة، لم يتمكن توماس من تخيل الشعر ينمو مجددًا أبدًا على رأسه المنسلخ الأحمر.

صاح مينهو:

- طاسة وجاك، ساعدا وينستون على النهوض، وكونا بجانبه طوال الوقت. وأنت يا آريس، فلتقم بجمع الأشياء التي بعثرها وليساعدك بعض الشباب في حملها، إننا راحلون، لا يهمني إلى أي حد سيكون هذا الضوء بالخارج ملتهبًا وشديدًا... ليس لدي رغبة في أن يتحول رأسي إلى كرة بولينج اليوم.

استدار دون أن ينتظر التأكد من أن الجميع بدأ في تنفيذ أوامره، كانت تلك الحركة كافية لجعل توماس يفكر أن الفتى سوف يصبح قائدًا جيدًا بحق بعد كل شيء.

قال مينهو من فوق كتفه:

- توماس ونيوت، هيا بنا، سنخرج ثلاثتنا أولًا.

تبادل توماس النظر مع نيوت الذي بادله نظرة تحوي من الفضول قدرًا واضحًا وسط ما تحمله من خوف، رغبة عارمة في المضي قدمًا شعر بها

توماس نفسه، وكره أن يعترف في قرارة نفسه بأن أي شيء بدا أفضل من التعامل مع ما خلفته الكارثة التي نزلت بوينستون.

قال نيوت:

- هيا، فلنذهب.

ارتفع صوته في الكلمة الثانية كأنما ليس لديهما خيار غير أن يفعلوا ما قيل لهما، ولكن وجهه عكس حقيقة الأمر: إذ أراد أن يبتعد عن وينستون المسكين بالقدر ذاته الذي أراده توماس.

أوماً توماس ومر بحذر من فوق وينستون متجنباً النظر إلى جلد رأسه مرة أخرى، إذ يصيبه ذلك بالألم. تنحى جانباً لكي يسمح للسيد طاسة وجاك وأريس بالقيام بمهامهم، ثم أخذ يصعد الدرج، درجتين في كل مرة ليتبع مينهو ونيوت إلى الأعلى، إلى حيث بدا الأمر وكأن الشمس ببهاؤها كانت في انتظارهم أمام الباب مباشرة.

## الفصل السابع عشر

تحرك فتیان الجلايد الآخرون ليفسحوا لهم الطريق وبدأت عليهم سعادة غامرة، لأن ثلاثتهم سيذهبون أولاً ليكتشفوا ماذا يوجد بالخارج. وبمجرد اقترابهم من الباب أغمض توماس عينيه نصف إغماضة ثم استخدم يديه في صنع درع حماية لعينيه، لقد بات الأمر صعباً عليهم ليصدقوا أن بإمكانهم فعلاً الخروج من هذا الباب ليلقوا بأنفسهم إلى ذلك الضوء الساطع الفظيع ويتمكنوا من النجاة.

توقف مينهو على الدرجة الأخيرة على مقربة من مسار أشعة الضوء مباشرة، ثم أخرج يده ببطء حتى اخترقت مربع الضوء، على الرغم من بشرة الفتى القمحية، فقد بدت لتوماس وكأن بشرة مينهو توهجت مثل نار بيضاء اللون.

لم تمض سوى ثوانٍ قليلة قبل أن يسحب مينهو يده بسرعة ويهزها بجانبه كأنه ضُربَ بمطرقة على إبهامه للتو.

- هذا ساخن حقاً، ساخن كالجحيم.

التفت توماس ليوواجه نيوت.

- إذا كنا سنقوم بذلك فيجب أن نلف أنفسنا بشيء ما وإلا سنحصل على حروق شمس من الدرجة الثانية خلال خمس دقائق.

اقترح نيوت:

- فلنقم بإفراغ أحزمتنا.

بدأ بالفعل في خلع حزمة طعامه عن كتفيه وأكمل:

- يمكننا أن نرتدي تلك الأغطية كرداء غبي في أثناء تفقدنا ما بالخارج،  
إذا وجدنا ذلك نافعًا بما يكفي، فبإمكاننا أن نكس الطعام والماء في  
نصف أغطيتنا ونستخدم النصف الآخر في الحماية.

قد قام توماس بالفعل بتفريغ ملاءته لكي يساعد وينستون.

- سوف تبدو كالأشباح... سنجعل كل الأشرار بالخارج يفرون رعبًا.

لم يتصرف مينهو بحرص كما فعل نيوت، بل قام فقط بقلب حزمته رأسًا  
على عقب وترك كل شيء يسقط على الأرض. هرع فتیان الجلايد القريبون  
منهم بحركة غريزية نحو الأطعمة ليمنعوها من الانزلاق على الدرج.

- يا له من ولد خفيف الظل، توماس ذاك، فلنأمل فقط ألا يكون هناك  
بعض النزقين اللطفاء في استقبالنا.

قال مينهو ذلك قبل أن يشرع في فك العقد التي صنعها في الملاءة  
واستأنف:

- إنني لا أفهم كيف لأي مخلوق أن يتسكع بالخارج في هذه الحرارة، أمل  
أن يكون هنالك أشجار أو أي شيء يمكننا الاحتماء به.  
أجابه نيوت:

- لا أدري، بالإضافة إلى أنهم ربما يكونون مختبئين، في انتظار الإمساك  
بنا أو شيء من هذا القبيل.

كان توماس فقط متلهفًا لاستكشاف الأمر بنفسه، لقد توقف عن تكوين  
التكهنات وأصبح فقط يرغب في رؤية ما هم بصدد مواجهته بأعينه.  
- لن نعلم شيئًا قبل أن نقوم بالتحقق بأنفسنا، هيا بنا.

النقط ملاءته بحركة سريعة ثم لفَّها حول جسده ولفَّها بإحكام حول  
وجهه مثل امرأة عجوز ترتدي وشاحًا.

- كيف أبدو؟

أجابه مينهو:

- تبدو كأقبح فتاة بلهاء رأتها عيناى، يجب عليك أن تحمد الله على أنه  
خلقك رجلًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa



- شكرًا.

فعل مينهو ونيوت مثلما فعل توماس، بفرق أنهما كانا حريصين بقدر أكبر أن يلفًا الأغطية من فوق أذرعهما أيضًا ليغطيا نفسيهما بالكامل، وقاما أيضًا برفعها للخارج لكي يتأكدا من حماية وجهيهما، متبعين أحدث صيحات توماس. سألهما مينهو:

- هل أنتما مستعدان أيها الشقيان؟

نظر إلى نيوت ثم إلى توماس.

أجاب نيوت:

- في الحقيقة إنني متحمس بعض الشيء.

لم يدرِ توماس ما إذا كانت تلك هي الكلمة الدقيقة تمامًا، ولكنه شعر بنفس الرغبة في التظاهر بالحماسة.

- وأنا أيضًا، هيا بنا.

كانت الدرجات المتبقية أمامهم نحو الأعلى تؤدي مباشرة إلى الخارج، أشبه بمخرج قبو قديم، تألفت الدرجات الأخيرة بهالة ساطعة من أشعة الشمس، تردد مينهو قبل أن ينطلق إلى الخارج خلفهما ولم يتوقف إلى أن اختفى تمامًا، أو بتعبير أكثر دقة، إلى أن ابتلعه الضوء.

صاح نيوت وهو يضرب توماس على ظهره:

- هيا!

شعر توماس بدفعة من الأدرينالين، ملأ رئتيه بالهواء ثم انطلق في إثر مينهو، وسمع نيوت يتحرك خلفه مباشرة.

أدرك توماس بمجرد خروجه إلى الضوء أنهم كأنما تم تغليفهم بأكياس بلاستيكية شفافة، إذ لم تفلح الأغطية في حجب ولو قدر ضئيل من الضوء الذي يعمي الأبصار وحرارة الشمس الملتهبة التي تصلّاهم من الأعلى، فتح فمه ليتكلم فشعر كأن أحدًا أطلق بداخل حلقه حزمة من الريش المحترق تمكنت من امتصاص أي ذرة هواء أو رطوبة في طريقها، حاول يائسًا أن يستنشق بعض الأكسجين، ولكنه شعر بدلًا من ذلك أن أحدًا أشعل حريقًا في صدره.

على الرغم من كون ذكرياته مشوشة وهزيلة، لم يفكر توماس أن العالم الخارجي يفترض به أن يكون هكذا.

تعثر بمينهو وكاد يسقط، إذ كانت عيناه مغلقتين بإحكام في مواجهة السطوع الحليبي للضوء، قام بثني ركبتيه في وضع القرفصاء من أجل استعادة توازنه وفرش الملاءة بطول ذراعيه للأعلى من فوق جسمه كالخيمة في محاولة مؤرقة للتنفس، أصيب بنوبة فزع في أول لحظة من خروجه من ممر الدرج، وكذلك الاثنان الآخران من فتیان الجلايد كانا يتنفسان بصعوبة بالغة.

تمكن مينهو من أن يسأل أخيرًا:

- هل أنتما بخير يا رفاق؟

أصدر توماس صوتًا أشبه بكلمة نعم، وأجاب نيوت قائلاً:

- أكاد أجزم أننا هبطنا للتو إلى قاع الجحيم، لقد ظننت دومًا أن هذه ستكون نهايتك يا مينهو، وليست نهايتي أنا.

قال مينهو:

- حلو الكلام... إن مقلتيّ تؤلمانني، ولكنني أظن أنني بدأت أخيرًا في الاعتياد على الضوء نوعًا ما.

فتح توماس عينيه فتحة صغيرة ونظر نحو الأسفل إلى الأرض على بعد أقدام قليلة من وجهه، كانت مغطاة بالقاذورات والتراب وبعض الصخور التي تأكلت بفعل الشمس، كانت الملاءة ملفوفة بإحكام شديد حول جسده بالكامل، ولكنها تتوهج بلون شديد البياض، إذ بدت وكأنها جسم مشع غريب قادم من المستقبل.

سأل مينهو:

- ممن تختبئ أنت؟ انهض أيها الشقي... لا أرى أي أحد.

شعر توماس بالحرص من أنهما ظنا أنه كان يختبئ جبنًا هناك... لا بد أنه يبدو الآن كطفل صغير ينشج تحت الغطاء ويحرص ألا يراه أحد. نهض وبدأ في رفع الغطاء ببطء شديد حتى تمكن من استراق النظر إلى ما يحيط بهم. ولم يكن يحيط بهم سوى الخراب.

نظر أمامه ولم ير سوى طاسة شواء مسطحة وأرض جفت منها الحياة ممتدة ومنبسطة على امتداد بصره، لم ير ولو شجرة واحدة، ولا شجيرة واحدة، لا تلال ولا وديان، فقط مجرد بحر برتقالي من الرمال والصخور يرسل عليهم دفقات من هواء ملتهب يتلظى على امتداد بصرهم ويتصاعد بخاره كأنه يغلي، يتصاعد أمامهم كأن أي أثر من آثار الحياة في هذا المكان يذوب ويتبخر باتجاه السماء الزرقاء الباهتة الخالية من الغيوم.

أخذ توماس يدور حول نفسه ولم يجد فارقًا كبيرًا إلى أن أصبح في مواجهة الاتجاه الآخر، حيث ظهر خط متعرج من الجبال الشاهقة على مسافة بعيدة، وأمام تلك الجبال، ربما نصف المسافة من حيث يقفون الآن إلى هناك، كانت هناك مجموعة من المباني أُقيمت على مسافات متقاربة بعضها من بعض مثل كومة من الصناديق المهملة، بدت وكأنها أشبه بمدينة، ولكن كان من المستحيل أن يحدد حجمها من تلك المسافة، أحاط بها الهواء الساخن كالضباب وحجب الرؤية عن كل ما هو قريب من الأرض.

ظهرت الشمس المتأججة عاليًا عن أقصى شمال توماس بعيدًا، وبدت وكأنها تغرق في الأفق البعيد، مما يعني أن ذلك الاتجاه هو الغرب، ومما يعنى كذلك أن اتجاه المدينة التي أمامهم وسلسلة الجبال ذات اللون الأسود والأحمر من خلفها هو الشمال، حيث ينبغي لهم أن يتوجهوا.

فاجأه إدراكه اليقظ للاتجاهات، كأن قطعة من ماضيه اتضحت من قلب الظلام.

سأل نيوت:

- كم تظن أن تلك المباني تبعد عن هنا؟

أصبح الآن صوته أشبه بهمس مكتوم من بعد صوت الصدى الأجوف الذي كان يصدر عندما يتكلمون في النفق الطويل المظلم وفي ممر الدرج.

- هل من الممكن أن تكون نحو مئة ميل؟ من المؤكد أن هذا هو اتجاه الشمال، هل علينا السير في هذا الاتجاه؟

لم يكن سؤال توماس موجّهًا لأحد بعينه. هز مينهو رأسه من أسفل الغطاء ثم أجاب:

- غير ممكن يا رجل، أعني، من المفترض بنا أن نسير في هذا الاتجاه،  
أجل، ولكنه لا يقترب حتى من المئة ميل، بل ثلاثين على الأكثر، وستون  
أو سبعون ميلاً إلى الجبال.

قال نيوت:

- لم أكن أعلم أن بإمكانك قياس المسافات بهذه البراعة دون الاستعانة  
بأي شيء سوى مقلتيك اللعينتين.

- أنا عداء أيها الأخرق، إنك تمتلك حاسة قياسية لتلك الأشياء في المتاهة،  
حتى لو كانت مقياساً أصغر بكثير.

قال توماس:

- لم يكن السيد جرد يمزح بشأن الانفجارات الشمسية تلك، وكأننا في  
قلب مفاعل نووي هنا، إنني أتساءل عما إذا كان العالم كله في نفس  
هذا الوضع.

- فلنأمل ألا يكون هكذا، سأكون سعيداً بحق إذا رأيت شجرة على الفور،  
أو حتى جدولاً صغيراً.

زفر نيوت ثم علق:

- سأكون ممتناً لبقعة من الحشائش.

كلما نظر توماس أكثر، بدت تلك البلدة أقرب إليه، ربما تكون حتى الثلاثين  
ميلاً مسافة كبيرة أيضاً، أشاح بناظره والتفت إلى الآخرين.

- هل يختلف هذا الشيء كثيراً عما جعلونا نقوم به في المتاهة؟ لقد كنا  
عالقين بين الأسوار هناك مع كل شيء نحتاج إليه لكي نبقى على قيد  
الحياة، والآن فالمجال فسيح أمامنا، ولكن لن نتمكن من البقاء على قيد  
الحياة ما لم نتبع المسار الذي حدده لنا، ألا تسمون هذا سخرية أو  
شيئاً مثل ذلك؟

- شيء مثل ذلك، إنك فيلسوف عجيب.

قال مينهو ذلك وأوماً ناحية مخرج ممر الدرج مجدداً واستأنف:

- هيا بنا، فلنخرج أولئك الأشقياء إلى هنا ونبدأ المسير، لا نملك وقتاً  
نضيعه تحت الشمس التي ستجفف الماء في عروقنا.

اقترح نيوت:

- ربما من الأفضل لنا أن ننتظر حتى غروب الشمس.

- ونقضي وقتنا برفقة تلك الكرات المعدنية اللعينة؟ مستحيل.

رأى توماس أن عليهم أن يبدؤوا في التحرك.

- أعتقد أننا سنكون على ما يرام، يبدو أن الشمس ستغرب في غضون

ساعات قليلة، يمكننا أن نتحمل لبعض الوقت ثم نتوقف لنستريح قليلاً

لنتمكن من التحرك لأقصى مسافة ممكنة خلال الليل، لن أتمكن من

البقاء لدقيقة أخرى بالأسفل.

أوما مينهو بصرامة، فقال نيوت:

- يبدو أن لدينا خطة، فلنركز الآن على أن نتمكن من الوصول إلى تلك

البلدة القديمة المتهالكة ولنأمل ألا تكون ممتلئة بأصدقائنا النازقين.

توقف توماس عن التنفس بعد هذا التعليق، وذهب مينهو عائداً إلى الفتحة

وانحنى بجانبها.

- مرحباً أيها الجبناء، أيها العراقيب الكسالى، فلتحضروا كل الطعام

واخرجوا إلى هنا!

لم يعترض فتى واحد على الخطة.

أخذ توماس يراقب كل واحد منهم وهو يفعل الأشياء ذاتها التي فعلها هو

لدى خروجه من ممر الدرج لأول مرة، المحاولات المضنية للتنفس، والأعين

نصف المفتوحة، ونظرات انعدام الأمل، راهن على أن كل واحد منهم كان يأمل

أن يكون السيد جرد يكذب، وأن كل الأشياء السيئة أصبحت في الماضي مع

المتاهة، ولكنه كان أكيداً أن بعد تلك المخلوقات المعدنية الجنونية التي تلتهم

الرؤوس ومن ثم رؤيتهم لتلك الأرض التي يملؤها الخراب، فلن يفكر أي أحد

في مثل تلك الأفكار الواعدة بعد الآن.

اضطروا أن يقوموا ببعض التعديلات في أثناء استعدادهم من أجل الرحلة،

إذ قاموا بتكديس حزم الطعام وأكياس الماء إلى نصف عدد الحزم الأصلي،

واستُخدمت الأغذية المتبقية في تغطية شخصين في أثناء السير. جملةً، لقد

نجح ذلك على نحو مفاجئ للتوقعات - حتى مع جاك ووينستون المسكين-

وفي نهاية الأمر بدؤوا رحلتهم سيرًا على الأرض الصخرية القاسية، تشارك توماس وأريس ملاءته، على الرغم من أنه لم يكن يدري كيف حدث ذلك، ربما أن الأمر كان فقط أنه يرفض الاعتراف بأنه أراد أن يكون بصحبة الفتى، إذ لربما كان هو نقطة الوصل الممكنة والوحيدة التي يمكنه من خلالها معرفة ما قد حدث لتيريسا.

أمسك توماس بإحدى أطراف الملاءة بيده اليسرى من الأعلى، وحمل حزمة معلقة حول كتفه اليمنى، كان أريس إلى يمينه، وقد اتفقا على التناوب في حمل الحزمة التي أصبحت بضعفي حجمها كل ثلاثين دقيقة. مع كل خطوة وأخرى كانوا يقتربون من البلدة، جعلتهم شدة الحر يظنون أنهم يقطعون كل مئة ياردة في يوم كامل من حياتهم.

لم يتكلم أي منهما مع الآخر لوقت طويل، ولكن أخيرًا قام توماس بكسر حاجز الصمت، وقال:

- إذن لم تسمع باسم تيريسا من قبل قط؟

نظر أريس بحدة إليه، فأدرك توماس أن نبرة صوته ربما كانت تحمل قدرًا واضحًا من الاتهام، ولكنه لم يتراجع على الرغم من ذلك.

- حسنًا؟ هل سمعت به؟

أشاح أريس بنظره إلى الأمام مجددًا، ولكن نظرته لم تزل تحمل شيئًا مريبًا، وقال:

- كلا، لم أسمع بها قط، لست أدري من تكون هي أو أين ذهبت، ولكن على الأقل أنت لم ترها وهي تموت أمام عينيك.

كان ذلك يشبه لكمة في بطنه، ولكنها على الرغم من ذلك جعلت توماس يزداد إعجابًا بأريس.

- أفهم ذلك، آسف.

فكر توماس لثانية قبل أن يسأل السؤال التالي:

- إلى أي حد كنتما صديقين مقربين؟ ماذا كان اسمها ثانية؟

- ريتشل.

توقف آريس حتى فكر توماس لثانية أن حديثهما ربما قد انتهى بالفعل، ولكنه عاد ليكمل:

- لقد كنا أكثر من مقربين بكثير، حدث ما حدث، وتذكرنا بعض الأشياء، وصنعنا ذكريات جديدة.

علم توماس أن مينهو كان ليضحك ملء شذقيه على آخر جملة قالها آريس، ولكنها كانت تُعد أكثر ثلاث كلمات حزناً سمعها في حياته، شعر أن عليه أن يقول شيئاً ما ... أو يعرض شيئاً ما.

- أجل، ولكنني بالفعل رأيت واحداً من أفضل أصدقائي وهو يموت أيضاً، كل مرة أفكر فيها في تشاك أشعر بالحزن يصيبني من جديد، إذا كانوا قد فعلوا نفس الشيء بتيريسا، فلن يكونوا قادرين على إيقافني، لن يتمكن أي شيء من إيقافني، سوف أقتلهم جميعاً.

توقف توماس عن السير -اضطر آريس إلى أن يفعل أيضاً- وكان مصدوماً من أن تلك الكلمات التي خرجت للتو من فمه هو، كأن قوة ما قد استحوزت عليه وتفوهت بتلك الأشياء، ولكنه شعر بها بالفعل، وكانت شديدة الوطأة.

- ماذا تعتقد برأيك...

ولكن قبل أن يتمكن من إنهاء جملته علا صياح السيد طاسة، وكان يشير إلى شيء ما. استغرق الأمر ثانية لكي يدرك توماس ما الشيء الذي جعل الطباخ منفعلًا إلى هذه الدرجة. فأمامهم مباشرة، على مسافة في اتجاه البلدة، ظهر شخصان يعدوان باتجاههم، بدت أجسادهما مثل هالات شبحية مظلمة وسط سراب حر القيقظ، وارتفعت سحب صغيرة من الغبار تحت أقدامهما.





## الفصل الثامن عشر

أخذ توماس يحدق إلى العدائين، شعر ببقية فتیان الجلايد الذين حوله يتوقفون أيضًا، كأنهم جميعًا تلقوا أمرًا غير شفهي ليفعلوا كذلك، ارتعشت أوصال توماس، وهو أمر من سابع المستحيلات في خضم هذا الحر القائل، لم يكن يدري ما السبب وراء شعوره بدفقة خوف بارد تدغدغ ظهره - لقد أعلن فتیان الجلايد عدد الغرباء القادمين باتجاههم عشر مرات تقريبًا إلى الآن - ولكنه لم يتمكن من التغلب على هذا الشعور.

قال مینهو:

- تجمعوا جميعًا بالقرب من بعضكم، كونوا مستعدين لقتال هذين الشقيين مع أول إشارة للمتاعب.

تسبب السراب الضبابي المتكون بفعل الحرارة الملتهبة في إخفاء أثر الشخصين حتى أصبحا يبعدان مسافة مئة ياردة أو ما شابه فقط، تشنجت أوصال توماس عندما أصبحا أقرب إليهم، لقد تذكر جيدًا ما رآه خلال قضبان النافذة منذ أيام قليلة مضت، النزقون، ولكن هذين الاثنين أخافاه على نحو مختلف.

توقفوا على بعد عدة أقدام أمام فتیان الجلايد، أحدهما كان رجلًا والأخرى امرأة، على الرغم من أن توماس تمكن فقط من تحديد ذلك بناء على هيئة المرأة خفيفة الانحناء، فغير ذلك قد كانت لديهما الهيئة ذاتها... طويلان وهزيلان، وجهاهما ورأساهما ملفوفان بالكامل تقريبًا بقطعة قماش باهت وممزق به فتحات صغيرة ممزقة ليتمكننا من خلالها من التنفس والرؤية، يرتدي كل منهما قميصًا وبنطالًا من قطع قماش عشوائية ومتسخة مخيطة

ببعضها، ومربوطة بأحزمة قطنية رديئة في بعض الأماكن، لم يتعرض أي جزء منهما للشمس الحارقة سوى أيديهما التي كانت ملتهبة ومتشققة تغطيها القشور الجافة.

توقف كلاهما وأخذا يلهثان لكي يلتقطا أنفاسهما بصوت أشبه بكلمة مريض.

صاح بهما مينهو:

- من تكونان؟

لم يجب الغريبان، ولم يتحرك أي منهما، فقط استمرت صدورهما تعلو وتهبط بعنف، أخذ توماس يراقبهما من أسفل غطاء رأسه، لم يستطع أن يتخيل كيف يمكن لأي أحد أن يعدو كل تلك المسافة دون أن يموت بسبب ضربة الشمس.

كرر مينهو:

- من تكونان أنتما؟

بدلاً من أن يجيبا، ابتعد الغريبان عن بعضهما وطفقا يدوران في دائرة واسعة من حول فتیان الجلايد المتجمعين، ظلت أعينهما المخفية خلف تلك الفتحات الغريبة التي تشبه المومياء مثبتة على الفتیان بينما يدوران حولهم في مسار منحني، كأنهما يتفحصان فريستهما بعناية قبل الانقضاء عليها.

شعر توماس بتوتر شديد، ولم يكن مرتاحاً لعدم تمكنه من رؤية كليهما في نفس الوقت، استدار وأخذ يراقبهما إلى أن التقى كل منهما خلف المجموعة ومن ثم واجههما مرة أخرى دون أن يتحركا قيد أنملة.

قال مينهو بصوت حاول ألا يُبدي توتره:

- إن عددنا أكثر منكما، فلتتكلما الآن وتخبرانا من تكونان.

- نحن نزقون.

أجابت المرأة بتلك الكلمات بصوت محتقن وخشن ومزعج، ودون سبب واضح أشارت من فوق جمع أفراد الجلايد ناحية البلدة التي جاؤوا منها عدواً.

قال مينهو:

- نزقون؟!

شق طريقه بين حشد الفتيان ليصبح قريبًا من الغريبيين مجددًا.

- مثل أولئك الذين حاولوا اقتحام المبنى الخاص بنا منذ عدة أيام؟

انكمش توماس، ليس لهذين الاثنين أي فكرة عما يتحدث مينهو عنه، إذ سافر أفراد الجلاید لمسافة طويلة من حيث كان ذلك المكان، عبر الناقل المسطح.

- نحن نزقين.

هذه المرة كان الرجل هو من قال ذلك، بدا صوته على نحو مفاجئ أنعم وأقل خشونة من صوت المرأة، ولكنه يخلو من أي عطف، أشار الرجل من فوق فتیان الجلاید تمامًا كما فعلت رفيقته، وقال:

- لقد أتينا لنرى ما إذا كنتم نزقون، أتينا لنرى ما إذا كنتم مصابين بفيروس الوهج.

التفت مينهو وبدل نظره بين توماس وبعض فتیان الجلاید بحاجبين مرتفعين، وعندما لم ينبس أحدٌ ببنت شفة، أدار وجهه مجددًا.

- أخبرنا صديق ما أننا نحمل فيروس الوهج، أجل، ما الذي يمكنك إخبارنا به عن هذا؟

أجاب الرجل، بينما اهتزت خرقة القماش التي يلفها حول وجهه مع كل كلمة تخرج من فمه:

- لا يهم، إنكم تحملونه بالفعل، هذا يعني أنكم ستكتشفون ذلك بأنفسكم قريبًا.

قال نيوت وهو يخطو للأمام ليقف بجانب مينهو:

- إذن ما الذي تريدانه بحق الجحيم؟ ما أهمية أن نكون نزقين أم لا بالنسبة إليكما؟

أجابت المرأة هذه المرة متظاهرة بعدم سماعها للأسئلة:

- كيف تمكنتم من الوصول إلى الأرض المحترقة؟ من أين أتيتم؟ كيف تمكنتم من الوصول إلى هنا؟

تفاجأ توماس من... نبرة التعقل البادية في صوتها، فبقية النزقين الذين رأوهم في المهجع من قبل بدا عليهم أنهم فقدوا عقولهم بالكامل وأصبحوا كالحيوانات، بينما يملك أولئك الناس ما يكفي من الوعي لكي يدركوا أن مجموعتهم جاءت من مكان غير معلوم.

ظل مينهو يميل إلى نيوت ليستشيرها بعضهما مرارًا، ثم خطأ مقتربًا من توماس، وقال:

- ما الذي علينا إخبار أولئك الناس به؟

لم يكن لدى توماس أي فكرة.

- لست أدري، أنخبرهم بالحقيقة؟ الحقيقة تنجي صاحبها.

أجابه مينهو ساخرًا:

- الحقيقة؟ يا لها من فكرة عبقرية يا توماس، يا لك من حاذق نادر الوجود، مثل عادتك.

واجه مينهو النزقين مجددًا:

- لقد أرسلتنا وكِد إلى هنا، وخرجنا لتونا من فتحة في نهاية نفق من

هذا الاتجاه، ويفترض بنا أن نسير مسافة مئة ميل باتجاه الشمال عبر

الأرض المحترقة، هل يمثل ذلك أي معنى بالنسبة إليك؟

مجددًا، وكأن شيئًا مما قاله مينهو لهما لم يعبر من أذنيهما، تكلم الرجل:

- لم يبلغ كل النزقين الطور، ولكنهم ليسوا ببعيدين عن الطور.

بدت الطريقة التي نطق بها كلمة الطور وكأنه يتحدث عن مكان.

- إنهم كائنات مختلفة بمستويات مختلفة، وأفضل شيء تفعلونه هو أن

تتعلموا التفريق بين من عليكم مصادقته ومن عليكم تجنبه، أو قتله،

وإنني أنصحكم أن تتعلموا ذلك في أسرع وقت ممكن إذا كنتم آتين

باتجاهنا.

سأله مينهو:

- ماذا تعني باتجاهكم؟ لقد أتيتما من تلك البلدة، أليس كذلك؟ هل يعيش

كل أولئك النزقين هناك؟ هل لديكم هناك طعام وماء؟

شعر توماس بنفس حاجة مينهو إلى أن يطرح ملايين الأسئلة، أغرته فكرة أن يقترح أن يقوموا بتقييد هذين النّزقين ويجبروهما على إجابة أسألتهم، ولكن في نفس اللحظة بدا على الاثنين أنهما لا ينويان المساعدة مطلقاً، وراحا مجدداً ينقسمان لكي يشكلا دائرة حول مجموعة فتیان الجلاید الأقرب إلى البلدة.

بمجرد أن تقابل كل منهما مرة أخرى عند النقطة التي تكلمتا عندها أول مرة، بدت البلدة البعيدة وكأنها تقف بينهما تطفو في الجو بفعل تأثير السراب، ثم قالت المرأة شيئاً أخيراً:

- إذا كنتم لا تملكون تلك القدرة الآن، فسوف تكتسبونها عاجلاً، وسيحدث الشيء نفسه مع المجموعة الأخرى أيضاً، المجموعة المكلف أفرادها بقتلكم.

بعد ذلك أدار الغريبان ظهريهما لهم وانطلقا يعدوان باتجاه المباني المترصّة في الأفق البعيد، تاركين توماس وبقية فتیان الجلاید غارقين في صمت زهولهم. لم يمض وقت طويل حتى اختفى أي أثر للعدائين الغريبيين، إذ ابتلعتهما هالة من الحرارة والغبار.

خرج أحدهم عن صمته، ربما كان السيد طاسة، إذ كان توماس ذاهلاً بينما يحدق إلى النّزقين وهما يختفيان في الأفق، وغارقاً في التفكير في فيروس الوهج ليلاحظ من الذي يتكلم، قال الفتى:

- مجموعة أخرى؟!

- أتساءل ما إذا كانا يقصدان مجموعتي أنا؟

بالتأكيد كان ذلك هو آريس، تمكن توماس أخيراً من أن يجبر نفسه على أن يستفيق من زهوله، وسأله:

- المجموعة (ب)؟ أتظن أنهم قد تمكنوا بالفعل من الوصول إلى البلدة؟  
قاطععه مينهو:

- مرحباً! من يهتم؟ هل تظن أن كل الاهتمام سينصب على ذلك الجزء الضئيل بشأن كونهم مكلفين بقتلنا؟ أليس محتملاً أن يكون الأمر برمته يتركز على فيروس الوهج؟

فكر توماس في الوشم الموجود في مؤخرة رقبتة، تلك الكلمات البسيطة التي نشرت الفزع في أوصاله، وقال:

- ربما عندما قالت المرأة «بقتلكم» لم تكن تعيننا جميعًا.

رفع إبهامه من فوق كتفه ليشير إلى وشمه الذي يتوعد بنهايته، استدرك:

- ربما كانت تعينني أنا بالذات، لا يمكنني تذكر اتجاه عينيها عندما قالت ذلك.

تساءل مينهو مستنكرًا:

- من أين لها أن تعرف مَنْ تكون؟ كما أن ذلك لا يهم، لو كان هناك

أحد يسعى ليقتلك، أو يقتلني، أو يقتل أيًا منّا، فربما سيتوجب عليه أن

يحاول أن يتخطانا جميعنا أيضًا، أليس كذلك؟

قال السيد طاسة:

- يا إلهي كم أنك رقيق القلب، تفضل وازهدب لكي تموت مع توماس، أظن

أنني سأفضل التسلل هاربًا وأمتع بالعيش برفقة شعور الذنب طوال

حياتي.

رسم على وجهه ملامح نظرتة الخاصة التي تعني أنه يمزح، ولكن مع

ذلك تساءل توماس لو أن هناك قدرًا ضئيلًا من الحقيقة يكمن وراء المزاح

في مكان ما.

سأل جاك:

- حسنٌ إذن، ما الذي سنفعله الآن؟

كانت ذراع وينستون معلقة حول إحدى كتفي جاك، ولكن بدا أن أمين

بيت الدم السابق قد استعاد قدرًا من قواه، ولحسن الحظ كانت الملاءة تغطي

الأجزاء البشعة من رأسه.

سأله نيوت:

- ماذا في رأيك؟

ولكنه بعد ذلك أوما برأسه إلى مينهو، فأدار مينهو عينيه جيئة وذهابًا

قبل أن يجيب:

- سنمضي في طريقنا، هذا هو ما سنفعله. انظروا، ليس لدينا خيار، إذا لم نذهب إلى تلك البلدة، فسوف ينتهي بنا الحال هنا أمواتًا بفعل ضربة الشمس أو الجوع. ولكن إذا ذهبنا، فسنحصل على مأوى لبعض الوقت، وربما نجد طعامًا، نزقون أم ليسوا نزقين، نحن ذاهبون إلى هناك.

سأل توماس وهو ينظر مباشرة إلى آريس:

- وماذا عن المجموعة (ب)؟ أو أيًا كان أولئك الذين تحدثنا عنهم، ماذا لو كانوا يريدون قتلنا حقًا؟ وكل ما لدينا لنقاتل به هو أيدينا.

ثنى مينهو ذراعه اليمنى مستعرضًا عضلاته:

- لو أن تلك المجموعة هن حقًا الفتيات اللواتي كان آريس يتسكع معهن، فلسوف أريهن هذه المسدسات خاصتي وسيولين هاربات.

استمر توماس بإصرار:

- ماذا لو كان لديهن أسلحة؟ أو لو كان بإمكانهن القتال؟ أو لو لم يكن هنَّ على الإطلاق لنجد بدلًا منهن مجموعة فحول يبلغ طول الواحد منهم السبعة أقدام ويحبون التهام لحوم البشر؟ أو ربما كانوا جمعًا يصل لآلاف النزقين؟

أطلق مينهو زفرة غاضبة، وقال:

- توماس... كلا، بل جميعكم، أيمكنكم جميعًا أن تغلقوا أفواهكم فقط ولا تطيلوا الأمر؟ غير مسموح بمزيد من الأسئلة، إلا إذا كان لدى أحدكم أي فكرة لا تتضمن الموت المحتم، كفاكم انهزامًا ولنستغل الفرصة الوحيدة التي نملكها، مفهوم؟

ابتسم توماس، على الرغم من كونه لا يعلم من أين أتته الرغبة لفعل ذلك، تمكن مينهو بطريقة ما أن يخفف عنه، أو على الأقل أعطاه قدرًا ضئيلاً من الأمل، كان عليهم فقط أن يذهبوا، أن يتحركوا، وأن يفعلوا شيئًا، هذا هو الأمر وما فيه.

قال مينهو بإيماءة تتم عن رضا:

- حسنٌ إذن، هل هناك أي أحد لا يزال يود التبول في سرواله والبكاء بحثًا عن أمه؟

لم يستطع البعض كتم ضحكته، ولكن أحدًا لم يتفوه بأي شيء.

- جيد. نيوت، سوف تتولى أنت قيادة المقدمة هذه المرة، يمكنك أن تعرج كما شئت. توماس، أنت ستكون في الخلف، فلتأتِ بأحد آخر ليعتني بوينستون واسترح لبعض الوقت، هيا بنا.

وقد كان، قام أريس بحمل المتاع هذه المرة، وشعر توماس كأنه يطفو تقريبًا فوق سطح الأرض، كان ذلك جيدًا، إن حمل تلك الملاءة هو أكثر الأشياء صعوبة في الأمر برمته، إذ استحالت ذراعه لشيء أشبه بالمطاط من شدة الضعف، ومع تقدم سيرهم، كانوا يتحدثون أحيانًا، وأحيانًا يركضون.

لحسن الحظ، أخذت الشمس في التناقل وبدأ أنها تهبط بسرعة كلما اقتربت من الأفق، بالرجوع إلى ساعة يد توماس، فقد مضت ساعة على زهاب النَّزْقَيْنِ ما إن اكتست السماء باللون الأرجواني والبرتقالي وبدأ سطوع الشمس الشديد في التحول تدريجيًا إلى أشعة خفيفة محببة. لم تستغرق وقتًا طويلًا حتى التحمت تمامًا بالأفق واختفت، ومن ثم أرخى الليل سدوله وامتلات السماء بالنجوم.

استمر فتیان الجلايد في المضي قدمًا، متجهين ناحية شعاع الضوء الخافت المنبعث من البلدة، تمكن توماس من الاستمتاع به في هذه اللحظة لأنه لم يكن يحمل الحزمة وتوقفوا عن حمل الغطاء كذلك.

عندما اختفت أخيرًا كل خيوط الغسق الأخيرة، استحالت الأرض أمامهم إلى ظلام تام كأن سحابة من الضباب الأسود لفت المكان من حولهم.



## الفصل التاسع عشر

بعد قليل من حلول الظلام، سمع توماس صوت صراخ فتاة. لم يعرف في البداية ما الذي سمعه، أو ربما كان ذلك من نسج خياله ليس إلا، كان من الصعب التأكد من ذلك مع أصوات وقع الأقدام على الأرض الجافة، وخشخشة المؤن التي يحملونها، وهمهمات المحادثات التي تنبعث من بين أنفاسهم المتناقلة، ولكن لاحقًا تحول الصوت الذي تردد في رأسه كطنين عشوائي ليصبح جليًا لا لبس فيه. في مكان ما على بعد مسافة أمامهم، ربما كان مسافة الطريق حتى البلدة لكنه بدا لهم أكثر قريبًا، مزقت صرخات فتاة سكون الليل.

تمكن الآخرون من سماع الصوت بوضوح أيضًا، توقف فتیان الجلايد عن العدو فور ذلك، وما إن التقط كل منهم أنفاسه، حتى أصبح من السهل عليهم تمييز الصوت المزعج.

كان أشبه بقطعة تقريبًا، قطة جريحة لا ينقطع نحيبها، ذاك النوع من الأصوات المزعجة التي تجعلك تقشعر وتضغط بيديك على أذنيك وتدعو الله أن تتوقف سريعًا. كان هناك شيء غير طبيعي، شيء جعل القشعريرة تسري بداخله وحتى كل بوصة من جلده، زاد الظلام من حدة الخوف وعدم الارتياح، أيًا كانت صاحبة الصوت، فإنها لم تكن قريبة جدًا، ولكن مع ذلك استمرت صرخاتها الحادة تملأ الهواء ويتردد صداها في الفضاء الفسيح كضربات مطرقة تحاول أن تدفن الأصوات التي تخرج من أفواههم في التراب إلى أن اختفت تمامًا كأنها لم تكن.

سأل مينهو هامسًا بصوت يشوبه الخوف:

- أتعلم بمَ يذكرني ذلك؟  
كان توماس يعلم.
- يمكنني أن أضمن، أذكرك بين، ألبى، أو ربما أنا؟ في أثناء صراخنا بعد لدغة الهوام؟  
- بالضبط.
- قال السيد طاسة متأوِّهاً:
- كلا، كلا، كلا، أتوسل إليك لا تقل لي إننا سنجد أولئك الملعين هنا أيضاً، إنني لا أصدق ذلك!
- أجابه نيوت، الذي يقف على بعد قدمين إلى يسار توماس وأريس:
- إنني أشك في ذلك. هل تذكرون كيف كان جلدهم رطباً ولزجاً؟ سيتحولون إلى كرة طينية ضخمة لو خرجوا إلى هذا المكان.  
قال توماس:
- حسناً، إذا كانت وِكد قادرة على صنع الهوام، فستكون قادرة أيضاً على صنع مسوخ أخرى تتماشى مع طبيعة المكان وربما تكون أكثر وحشية منها، أكره أن أقول ذلك، ولكن ذاك الرجل الذي يشبه الجرد قال إن الأمور سوف تزداد صعوبة علينا بمرور الوقت.
- صاح السيد طاسة، يغلب على صوته السخرية المشوبة بالمكر:
- ها هو توماس مجدداً يعطينا خطبة مليئة بالتفاؤل والحماس.  
- إنني فقط أقول الأمر كما هو.  
زفر السيد طاسة:
- أعلم ذلك، وإن «الأمر كما هو» يبدو عظيمًا للغاية لكي نتحدث بشأنه.  
سأل توماس:
- والآن ماذا؟  
قال مينهو:
- أظن أننا يجب أن نستريح قليلاً ونملاً بطوننا الصغيرة ببعض الطعام والشراب، ومن ثم علينا أن نمضي قدماً لأطول مسافة يمكننا قطعها

قبل طلوع الشمس مجددًا، وربما نتمكن من النوم لساعات قليلة قبل الفجر.

سأل السيد طاسة:

- وماذا عن تلك الفتاة التي تصرخ كمن أصابه مسٌ من الجنون بالخارج؟
- يبدو أن لديها بعض المشكلات الخاصة التي تشغل بها لبعض الوقت. أرعبت هذه الجملة توماس لسبب ما، وربما الآخرين أيضًا، إذ لم ينبس أحدهم ببنت شفة بينما قاموا بإنزال حملاتهم عن أكتافهم ثم جلسوا وبدؤوا في الأكل.
- يا رباها! أتمنى فقط لو تخرس.

كانت تلك المرة الخامسة تقريبًا التي يقول آريس فيها ذلك في أثناء عدوهم في غياهب الليل الحالك السواد، كانت الفتاة المعذبة، في مكان ما في ذلك الخلاء، لا تزال تصرخ كمن يُعذَّب في الجحيم وصوت نحيبها يشق عنان السماء.

تناولوا وجبتهم في جو يلفه السكون والكآبة، إذ اندفع حديثهم إلى ما قاله السيد جرد بشأن العقبات التي ستوضع لهم وأن أهم شيء يتمثل في ردود أفعالهم تجاهها. تناقشوا أيضًا بشأن وضع مخطط لأنفسهم، وبشأن العثور على عينات «منطقة القتل»، وبالطبع، لم يملك أحدهم أي إجابة، مجرد وجهات نظر ليس لها معنى. فكر توماس أن الأمر يبدو غريبًا، لقد أصبحوا يعلمون الآن أنهم قيد الاختبار بطريقة ما، وأنهم يخضعون لتجارب مؤسسة تُدعى وِكد، لا يدري لماذا بدا الأمر وكأن عليهم أن يتصرفوا بطريقة مختلفة بعد معرفة ذلك، وحتى هذه اللحظة فهم فقط مستمرين في المضي قدمًا، يقاتلون من أجل البقاء على قيد الحياة حتى يتمكنوا من الحصول على العقار المضاد للفيروس كما يُوعَدون، ولذلك سوف يستمرون في التحرك، كان توماس واثقًا من هذا.

استغرق الأمر وقتًا حتى تمكنت مفاصله من أن تعينه على التحرك عندما أعطى مينهو أمرًا للجميع ليكملوا مسيرهم، بدا القمر فوق رؤوسهم كقرص من الفضة اللامعة، لكنه لم يمنحهم أي ضوء أكثر مما تمنحهم إياه النجوم، على كل حال لست بحاجة إلى مجال رؤية شاسع لكي تعدو في

أرض منبسطة ومجدبة كتلك. بالإضافة إلى أنهم اقتربوا كثيرًا من الوصول إلى أضواء المدينة، ما لم تكن تلك خيالات توماس، لقد تمكن من أن يلاحظ أنها تتراقص الآن، مما يعني أنها على الأرجح كانت نيرانًا، وذلك أقرب إلى المنطق... إن احتمالات وجود كهرباء في خضم هذا الخراب تقترب جميعها من الصفر.

لم يلحظ متى حدث ذلك بالتحديد، ولكن المباني المتراصّة التي يعدون باتجاهها قد أصبحت فجأة قريبة للغاية لناظرهم، واكتشفوا أن هناك مباني عديدة أكثر مما ظن أي منهم، وأكثر ارتفاعًا وعرضًا أيضًا. انتصبت المباني في صفوف منظمة ومرتبطة بشكل منهجي دقيق. أشار كل شيء إلى أن هذا المكان ربما كان جزءًا من مدينة كبيرة دُمّرت بفعل أيّا كان ما وقع في هذه المنطقة... هل حقًا بإمكان الوَهَج الشمسي أن يأتي بمثل هذا الخراب والدمار؟ أم أن هناك أشياء أخرى تسببت في ذلك عقب حدوث الأمر؟

بدأ توماس بالفعل في التفكير في أنهم سوف يصلون إلى أول مبنى في وقت ما من اليوم التالي.

استمر آريس في الركض جنبًا إلى جنب مع توماس على الرغم من أنهما لم يكونا بحاجة إلى استخدام الملاءة في التغطية في الوقت الحالي، وشعر توماس برغبة في تبادل الحديث معه:

- فلتخبرني المزيد عن تجربتك في المتاهة.

كانت أنفاس آريس منتظمة، بدا وأنه مثل توماس في اللياقة البدنية إلى حد كبير. أجابه متسائلًا:

- تجربتي في المتاهة؟ ما الذي يعنيه ذلك؟

- إنك لم تخبرنا أي شيء مفصلًا، كيف كان الأمر معك؟ كم المدة التي قضيتها هناك؟ كيف تمكنت من الخروج؟

أجابه آريس بصوت مختلط بصوت احتكاك أقدامهم الخشن بالأرض القاحلة:

- لقد تحدثت مع بعض أصدقائك، ويبدو أن كل شيء هو نفسه تقريبًا، فقط... كان هناك فتيات بدلًا من الفتيان، بعض منهن ظل هناك لسنتين، والبقية كن يأتين واحدة تلو الأخرى، مرة في كل شهر. بعد ذلك أتت ريتشل، وأنا في إثرها في اليوم التالي، كنت في غيبوبة، إنني

بالكاد أذكر أي شيء، فقط بضعة أيام قليلة مليئة بالجنون بعد أن استعدت وعيي.

استمر أريس يشرح ما حدث، ووجد توماس أن هناك أمورًا كثيرة تشبه ما خاضه هو وفتيان الجلايد، وبدا له ذلك أمرًا في غاية الغرابة، بل يستحيل تصديقه تقريبًا، ما حدث هو أن أريس استفاق من غيبوبته وقال شيئًا عن النهاية، كانت الأسوار تظل مفتوحة في أثناء الليل، وتوقف صندوق المتاهة عن إحضار آخرين، تمكنوا من اكتشاف أن المتاهة تحمل شيفرة معينة، واستمروا في المحاولة مرارًا وتكرارًا إلى أن تمكنوا من الهرب. أي أن تلك هي نفس التجربة التي خاضها فتیان الجلايد بحذافيرها تقريبًا، ما عدا أن عددًا قليلًا من مجموعة الفتيات قد مات... لو كُنَّ قويات مثل تيريسا، فإن ذلك لم يدهش توماس على الأقل.

في نهاية الأمر، بعد أن أصبح أريس ومجموعته في الغرفة الأخيرة، قامت فتاة تُدعى بيت -والتي كانت قد اختفت قبيل أيام قليلة، تمامًا مثل جالي- بقتل ريتشل، وذلك كان مباشرة قبل وصول المنقذين الذين أخرجوهم وأخذوهم إلى الصالة الرياضية التي أتى أريس على ذكرها من قبل، بعد ذلك قام المنقذون بنقله إلى المكان حيث وجده فتیان الجلايد في النهاية، والذي كان في السابق غرفة تيريسا.

لو أن ذلك هو ما حدث حقًا، فلا أحد أصبح بإمكانه أن يفهم ما الذي يحدث بعدما رأوا ما حدث عند المنحدر وفي الناقل المسطح الذي نقلهم إلى النفق، ناهيك بالجدران الحجرية التي بُنيت بين عشية وضحاها والاسم الذي تبديل على باب غرفة أريس.

أطلقت كل تلك الأفكار وحشًا ضارياً بداخل رأس توماس على هيئة صداع. عندما حاول أن يفكر في المجموعة (ب) ويتخيل أدوارهم، وكيف أن أريس كان فعلياً يُعد نسخة مطابقة لتيريسا، كادت تلك الأفكار تفقده عقله، بالإضافة إلى حقيقة أن تشاك قد قُتل بدلاً عنه... كان ذلك هو الفرق الوحيد الذي أمكنه العثور عليه خارج المقارنات. هل وُضعت تلك الترتيبات عن قصد بغرض أن تثير أحداثاً بعينها أو أن تستحث ردود أفعال محددة ضمن دراسات منظمة وكِد؟

انتظر أريس لكي يمهل توماس بعض الوقت كي يهضم ما أخبره به، ثم سأله:

- الأمر كله يبدو مريبًا، أليس كذلك؟

- لست أدري ما هي الكلمة المناسبة لوصف ذلك، ولكن السؤال الذي يعصف بذهني هو كيف أن المجموعتين قد تعرضتا إلى التجارب المتطابقة نفسها، أو الاختبارات، أو المحاولات، أيًا كان ما يطلقون عليها، إن الأمر أشبه بالهلوسة. ما أعنيه هو أنهم لو كانوا يختبرون طرق استجابتنا، فإنني أخمن أنه من المنطقي أن نوضع جميعًا تحت نفس الظروف، ولكنه أمرٌ غريب مع ذلك.

ما إن انتهى توماس من كلامه، أطلقت الفتاة من مكان ما في البعيد صيحة زعر كانت أعلى من صرخاتها ونحيبها السابق، فبعثت في شرايينه دفقة من الرعب لم يسبق له أن شعر بمثلها.

قال أريس بهدوء شديد، حتى إن توماس لم يكن متأكدًا أن ما سمعه صحيح:  
- أظن أنني أعرف...

- ماذا؟

- أظن أنني أعرف لماذا كان هناك مجموعتان، أو لماذا هناك مجموعتان. نظر توماس إليه، بالكاد تمكن من رؤية نظرة الهدوء المفاجئة البادية على ملامحه:

- حقًا؟ وماذا في الأمر إذن؟

قال أريس، الذي لم تبدُ أي علامات تأثر عليه إلى الآن:

- حسنًا، في الحقيقة لدي فكرتان، الأولى هي أنني أعتقد أن أولئك الأشخاص -وكِد، أو أيًا كان- يحاولون استخراج الأفضل من كل مجموعة لكي تستغلنا بطريقة ما، ربما حتى يقوموا باستنساخنا أو شيء من هذا القبيل.

- ماذا؟!

تفاجأ توماس لدرجة أنه كاد ينسى صرخات الفتاة، لم يكن بإمكانه أن يصدق أن هناك أناسًا مرضى إلى هذا الحد.

- يقومون باستنساخنا؟ بحقك.

- هل تظن أن بعد كل ما عشناه في المتاهة وما حدث لنا في ذلك النفق أن فكرة الاستنساخ ستكون شيئًا مستحيلًا؟ فلنسترح قليلًا.

شعر توماس أن عليه الاعتراف بأن الفتى كان على حق.

- حلو الكلام... إذن، ماذا كانت فكرتك الأخرى؟

ما إن خرج هذا السؤال من فمه، شعر توماس أن الإرهاق الذي اجتاحه بسبب الركض بدأ يهدأ شيئاً فشيئاً، إذ كان يشعر وكأن أحدهم قام بصب كوبٍ مليء بالرمال بداخل حنجرتة.

أجابه آريس:

- على عكس الأولى نوعاً ما، أنهم بدلاً من أخذ الناجين من كلتا المجموعتين، فسيرغبون فقط في أن تتمكن إحدى المجموعتين من البقاء حتى النهاية، وبذلك ينتقون الأشخاص من بين فريق الفتيات وفريق الفتیان، أو أن يأخذوا مجموعة بأكملها. إما هذا أو ذلك، هذا هو التفسير الوحيد الذي تمكنت من التفكير فيه.

فكر توماس لبعض الوقت قبل أن يجيبه قائلاً:

- ولكن ماذا عن الأشياء التي أخبرنا به السيد جرذ؟ أنهم يختبرون طرق استجاباتنا وردود أفعالنا من أجل بناء مخطط من نوع ما؟ ربما كان ذلك ضمن تجربة علمية، ربما لا ينوون أن يتركوا أيّاً منّا ليظل على قيد الحياة، وربما يقومون بدراسة أدمغتنا وتفاعلاتنا وجيناتنا وكل شيء، وعندما ينتهي عملهم معنا سنصبح جميعاً في عداد الأموات وسيبقى لديهم أكوام من التقارير لكي يدرسوها.

- هممم...

فكر آريس فيما سمعه، وقال:

- هذا وارد. إنني أحاول منذ وقت طويل أن أكتشف الغرض من وجود فرد واحد من الجنس الآخر في كل مجموعة.

- ربما لكي يختبروا نوع الممارك أو المشكلات التي ستنتج عن ذلك، إنهم يدرسون ردود الفعل للبشر، إنه نوع من المواقف غير المألوفة.

شعر توماس برغبة في الضحك، وقال:

- يعجبني كيف أننا نتحدث عن ذلك، كأننا نقرر متى يجب علينا التوقف لكي نتغوط.

ضحك آريس بالفعل، ضحكة جافة ومكتومة لكنها جعلت توماس يشعر أنه بحال أفضل، في الحقيقة زادت من إعجابه بالفتى الجديد أيضاً.

- يا إلهي! لا تقل ذلك يا رجل، إنني أود أن أذهب لأتغوط منذ ساعة على الأقل.

هنا سمح توماس لنفسه أن يضحك هو الآخر، وفي اللحظة ذاتها، وكأنه سمع نداء الطبيعة لآريس، صاح مينهو بالجميع لكي يتوقف، وقال وهو يلتقط أنفاسه مستنذاً بيديه على فخذه:

- استراحة قضاء الحاجة، ادفنوا فضلاتكم ولا تفعلوها في مكان قريب جداً، معنا خمس عشرة دقيقة، ومن ثم سنسير فقط لبعض الوقت، إنني أعرف أنه من الصعب عليكم اللحاق بعداء مثلي أنا وتوماس أيها العراقيب.

أشاح توماس بنظره - لم يكن بحاجة إلى تعليمات عن كيفية قضاء حاجته - والتفت ليلقي نظرة إلى المكان الذي توقفوا فيه. أخذ نفساً عميقاً ملأ رتثيه بالهواء، وعندما هدأ قليلاً التقطت عيناه شيئاً ما، لمح ظلًا داكناً لشيء ما على بعد بضع مئات من الياردات أمامهم، ولكن ليس في مسارهم مباشرة، ظلُّ مربع ضخم قادم من اتجاه ضوء البلدة الخافت وانعكس أمامهم. كان انعكاس المبنى واضحاً لدرجة أنه لم يصدق أنه لم يلاحظه إلا الآن.

صاح توماس مشيراً إليه:

- مهلاً! يبدو أن هناك مبنى صغيراً يلوح بالقرب من هنا، على بعد دقائق فقط، ناحية اليمين قليلاً، هل يمكنكم رؤيته يا رفاق؟

اقترب مينهو ليقف بجانبه، وأجاب:

- أجل، يمكنني أن أراه. أتساءل عمًا يكون ذلك.

قبل أن يتمكن توماس من الرد، حدث شيئان معاً في نفس اللحظة تقريباً. أولاً، توقفت صرخات الفتاة المعذبة على نحو مفاجئ، انقطعت الصرخات فجأة كأن أحداً أوصد باباً عليها، وفي نفس اللحظة خرجت فتاة من خلف المبنى المظلم من بعيد، ظهرت هيئة الفتاة، شعرها الطويل ينسدل كالحرير الأسود من فوق رأسها المختفية معالمه بين الظلال.



## الفصل العشرون

لم يستطع توماس تحمل ذلك، كان أول ما خطر في ذهنه هو أمله في أن تكون هي، وود أن يناديها، كان يأمل أن تكون هناك على الرغم من كل ما يجعل ذلك احتمالاً مستحيلًا، تقف بانتظاره على بعد مئات ياردات قليلة.

- تيريسا؟

لا شيء.

- تيريسا؟ تيريسا!

لا يزال لا شيء، لا يزال يشعر بالفراغ الذي تركه اختفاؤها في رأسه، كان كحوض السباحة الفارغ، ولكن... من الممكن أن تكون هي، ربما تكون هي، ربما فقط حدث شيء ما أصاب قدرتهما على التواصل الذهني.

بمجرد أن خطت الفتاة خارجة من خلف المبنى، أو على الأرجح من داخل المبنى، ظلت واقفة هناك دون حراك. على الرغم من أن الظلال تبتلعها كليًا، فقد بدا لهم من خلال طريقة وقوفها ما جعلهم يجزمون أنها تحديق إليهم مباشرة وذراعاها مطويتان أمامها.

سأل نيوت كأنما تمكن من قراءة أفكار توماس:

- هل تظن أنها تيريسا؟

أوماً توماس مؤكدًا من قبل حتى أن يعلم ما هو مقبل على فعله، نظر بسرعة من حوله ليرى ما إذا كان هناك أي أحد لاحظ، لم يبدُ أن أحدهم فعل، قال أخيرًا:

- ليس لدي فكرة.

سأل السيد طاسة:

- هل تعتقد أنها هي من كانت تصرخ؟ لقد توقف الصراخ فور ظهورها مباشرة.

زفر مينهو:

- أخشى أنها كانت تقوم بتعذيب أحد ما، وعلى الأرجح قامت بقتلها وتخليصها من عذابها عندما رأتنا قادمين باتجاهها.

لسبب ما صفق مينهو بيديه مرة واحدة ثم أكمل:

- حسنًا إذن، من يرغب في أن يذهب ليقابل هذه الشابة اللطيفة؟

كانت قدرة مينهو على أن يبدو بهذا المرح في أوقات مثل هذه تحير توماس دومًا، أجاب بصوت عالٍ حقًا، إذ لم يُرد أن يظهر عليه أنه يأمل في أن تكون تيريسا:

- أنا سأذهب.

قال مينهو:

- لقد كنت أمزح فقط أيها الأحمق، هيا بنا، سنذهب جميعًا إلى هناك، ربما يكون لديها جيش من فتيات النينجا المعتوهات مختبئات في أحد تلك المباني.

- فتيات النينجا المعتوهات؟

كرر نيوت وبدا في صوته أنه تفاجأ، إن لم يكن انزعج من أسلوب مينهو.

- أجل، هيا فلنذهب.

بدأ مينهو في السير.

صاح توماس فجأة بشكل غير متوقع:

- كلا! (أخفض صوته واستدرك) كلا، سوف تبقون أنتم هنا يا رفاق،

سأذهب أنا لأتحدث إليها، ربما كان فخًا أو شيئًا ما، سنكون حمقى لو

ذهبنا جميعًا إلى هناك ووقعنا فيه بمنتهى السهولة.

سأله مينهو:

- لكن ألن تكون أنت أحمق إذا ذهبت بقدميك؟

- حسنًا، ولكن لا يمكننا أن نمضي قدمًا دون أن نستكشف الوضع، أنا سأذهب، وإذا حدث خطب ما أو بدا الأمر مثيرًا للشك سوف أناديكم للمساعدة.

فكر مينهو مليًا:

- حسنًا إذن، اذهب، أيها العرقوب الصغير الشجاع خاصتنا.

ثم ضربَ توماس على ظهره براحته المفتوحة، ف شعر أنها ألمته. قاطعهم نيوت وهو يخطو نحوهما:

- هذه حماقة بحق الجحيم، سوف أذهب معه.

قال توماس فورًا:

- كلا! فقط... دعني أفعل ذلك بمفردتي، هناك شيء يخبرني أننا يجب أن نتوخى مزيدًا من الحذر، يمكنكم أن تأتوا لكي تنقذوني عندما أصرخ مثل الأطفال.

وقبل أن يفتح أي أحد فمه لكي يعترض، خطا مسرعًا ناحية الفتاة والمبنى.

قطع المسافة بسرعة فائقة، أخذ حذاؤه يحتك بالأرض القذرة المليئة بالصخور، يستنشق هواء الصحراء الجاف المختلط برائحة شيء يحترق، وبينما أخذ يحدق إلى خيال الفتاة بجوار المبنى، تأكد فجأة بما لا يخالطه الشك، شكل رأسها وجسمها، كانت تلك وقفقتها، والطريقة التي تطوي بها ذراعيها وتحنيهما إلى جانب واحد وفخذها يبرز في الاتجاه الآخر. لقد كانت هي.

كانت هي تيريسا.

عندما أصبح بينه وبينها مسافة بضعة أقدام قليلة فقط، مباشرة قبل أن يوضح الضوء الخافت ملامح وجهها أخيرًا، دارت على عقبيها ودلفت إلى باب مفتوح واختفت بداخل المبنى الصغير، كان مبنى مستطيل الشكل، ذا سقف مائل بعض الشيء من المنتصف كالخيمة، لم يكن يحتوي على نوافذ على حد ما أمكنه أن يرى، وهناك صناديق سوداء كبيرة تتدلى من الزوايا. ربما كانت

مكبرات للصوت، وربما كان الصوت مجرد تسجيل، صوت مزيف، وهذا يفسر كيف أنهم تمكنوا من سماعه من تلك المسافة البعيدة.

فُتح الباب الخشبي الضخم على مصراعيه والتصق بالحائط، كان الظلام يخيم بالداخل أكثر مما كان عليه بالخارج.

تحرك توماس وولج عبر الباب، كان يدرك وهو يفعل ذلك أنه ربما يكون تصرفاً أرعن وغيبياً، ولكن تلك هي، ليس مهماً ما قد حدث، ولا يهم السبب وراء اختفائها ورفضها التحدث إليه عبر تخاطرها معاً آخر مرة، كان يعلم أنها ما كانت لتؤذيه، هذا مستحيل.

على نحو ملحوظ، كان الجو أكثر برودة بالداخل، ورطباً كذلك، كان شعوراً رائعاً، توقف بعدما خطا ثلاث خطوات إلى الداخل وأصاخ سمعه جيداً وسط الظلام الحالك، كان بإمكانه سماع صوت أنفاسها.

سأل بصوت عالٍ، مقاوماً رغبته في مناداتها في عقله مرة أخرى:

- تيريسا، هل هذه أنت؟ ما الذي يجري يا تيريسا؟

لم يحصل على إجابة منها، ولكنه كان يسمع صوت أنفاس قصيرة تبعها صوت شهيق متقطع، كأنها كانت تبكي، ولكنها تحاول ألا تشعره بذلك.

- تيريسا، أتوسل إليك، إنني لا أعلم ما الذي حدث أو ما الذي فعلوه بك، ولكنني ها هنا الآن، هذا جنون، فقط تحدثي إليّ...

توقف عن الكلام عندما اشتعل خيط ضوء رفيع بعد صوت احتكاك سريع بدا أنه شعلة نار ضئيلة، نظرت عيناه باتجاهها مباشرة فور اشتعاله، وإلى اليد التي تحمل عود الثقاب، ظل يراقبها وهي تنزل ببطء وبحرص شديد لكي تشعل شمعة موضوعة فوق طاولة صغيرة. عندما أضاءت الشمعة، وقامت اليد بهز عود الثقاب في الهواء حتى انطفأ، نظر توماس أخيراً إلى الأعلى ورأها، ورأى أنه كان محقاً على الرغم من كل شيء، ولكن ما لبث حماسه أن انقطع فجأة واستحال إلى شعور من الارتباك والألم.

لقد كانت نظيفة من رأسها حتى أخمص قدميها، توقع أن يراها في مظهر قذر يغطيها الغبار كما كان هو بكل تأكيد بعد كل تلك المدة التي قضاهما في قلب الصحراء الجرداء، توقع أن تكون ملابسها ممزقة ومنتسخة، توقع أن يرى شعرها المتسخ ووجهها الملطخ بالبقع وحروق الشمس، ولكنها بدلاً من ذلك كانت ترتدي ملابس نظيفة ومهدمة، وشعرها النظيف اللامع ينسدل على

كتفيتها بنعومة، وبشرة وجهها وذراعيها لا تشوبها شائبة، بدت جميلة أكثر من أي وقت رآها فيه عندما كانا في المتاهة، أكثر من أي ذكرى تجمعهما استطاع أن يتخيلها من بين الذكريات القاتمة اللزجة التي حصل عليها بعد تعافيه من مرحلة التحول.

ولكن الدمع كان يلتمع في مقلتيها، وشفتها السفلى ترتعد في خوف، ويدها ترتعدان بجانبها. تمكن من رؤية نظرة في عينيها، نظرة تعني أنها لم تنسه مجددًا، ولكن خلف تلك النظرة كان هناك زعر جلي وواضح.

همس من بين كل ما يضطرم بداخله:

- تيريسا... ما خطبك؟

لم تجبه، أشاحت بناظريها إلى أحد الجوانب ثم نظرت إليه مجددًا، تمكنت بعض العبرات من الهرب من عينيها وانزلقت على خديها وشقت طريقها حتى سقطت على الأرض، أخذت شفتها ترتعدان أكثر، وصدورها يعلو ويهبط بسرعة وهي تحاول كتم نحيبها.

خطا توماس نحوها ومد يديه إليها.

صرخت مبتعدة:

- كلا! ابتعد، لا تقترب مني!

تصلب توماس في مكانه، شعر كأنه تلقى ضربة مطرقة هائلة في معدته، رفع يديه بسرعة إلى الأعلى:

- حسنًا، حسنًا، تيريسا... ما الذي...

لم يدر ما يقول أو يسأل، لم يكن يدري ماذا يجب أن يفعل، ولكن الشعور الفظيع بشيء يتحطم بداخله أخذ يشتد ويتزايد وصولاً إلى حلقة حتى كاد يخنقه حتى الموت.

ظل ساكنًا خشيّة أن يفزعها مجددًا، كل ما كان قادرًا على فعله هو أن يثبت عينيه بداخل عينيها في محاولة أن يوصل لها كيف يشعر، ويرجوها أن تقول له شيئًا ما، أي شيء.

امتد صمت مؤرق لبعض الوقت، الطريقة التي كانت ترتجف بها، وكيف أنها بدت وكأنها تجابه شيئًا لا يمكن رؤيته... كل ذلك كان يذكره بـ...

ذكَرَهُ ذَلِكَ بالطريقة التي كان جالي يتصرف بها بعد هروبهم من المتاهة مباشرة ودخوله إلى الغرفة بصحبة المرأة ذات القميص الأبيض، قبل أن يخرج كل شيء عن السيطرة مباشرة، ومباشرة قبل أن يقوم بقتل تشاك.

شعر توماس أنه يرغب في أن يتكلم وإلا سينفجر:

- تيريسا، لقد كنت أفكر بك في كل ثانية منذ أخذوك بعيدًا. إنك...

لم تسمح له أن ينهي حديثه، هرعت نحوه في خطوتين واسعتين بأقصى سرعة وأصبحت أمامه مباشرة ومدت ذراعيها لتجذب كتفيه بقوة وتضمه إليها بشدة، لفها توماس بذراعيه في أوج صدمته وضمها بقوة، اعترضها في صدره وطوّقها بذراعيه بشدة حتى خشي أنها لن تقدر على التنفس، بحثت يداها عن مؤخرة رأسه ثم احتضنت وجهه براحتي يديها لتجعله ينظر في عينيها.

وراحا يقبلان بعضهما، أحس بشيء ينفجر بداخل صدره، يمحو التوتر والتهيه والخوف محوًا، مزيلاً الألم الذي اعتل بداخله منذ ثوان قليلة. شعر لثوانٍ أن شيئًا لا يهم بعد الآن، كأن شيئًا لن يكون مهمًا بعد ذلك أبدًا.

ولكنها ابتعدت عنه فجأة، تراجعت إلى الوراء حتى اصطدم ظهرها بالحائط، واكتست ملامح وجهها بالرعب مرة أخرى كأن شيطانًا استحوذ عليه، ومن ثم تكلمت بصوت هامس لكنه يعكس مدى ضرورة ما يُقال:

- ابتعد عني يا توم، عليكم جميعًا أن... تبتعدوا... عني، لا تجادلني، فقط ارحلوا، اهربوا.

برزت رقبتها تحت وطأة الجهد الذي عانته لكي تنطق بتلك الكلمات الأخيرة. لم يسبق لتوماس أن شعر بهذا الكم من الألم، ولكنه كان مصدومًا من نفسه لما فعله بعد ذلك.

شعر بأنه يعرفها الآن، تذكر من تكون، وكان مدركًا أنها تقول الحقيقة؛ هناك خطبٌ ما هنا، هناك خطب فادح الفضاة، أسوأ كثيرًا مما كان يتخيل، ولو أنه بقي هنا ليتجادل معها ويحاول إجبارها على أن تأتي معه ستكون استهانة كبيرة بالقدر الهائل الذي بذلته من قوة وتصميم لكي تهرب من أجل تحذيره، كان مضطرًا لفعل ما أخبرته به.

- سوف أجدك يا تيريسا.

امتلات عيناه بالدموع قبل أن يوليها ظهره ويعدو خارج المبنى.

## الفصل الحادي والعشرون

غرق المبنى في الظلام مجددًا بينما يهرول توماس بعيدًا، تأبى عيناه أن تبصرا لكثرة ما تجمع من دموع في مقلتيه، رجع إلى فتیان الجلايد وامتنع عن إجابة أيّ من أسئلتهم، واكتفى بإخبارهم أن عليهم أن يرحلوا، أن يهربوا ويبتعدوا بأقصى سرعة ممكنة، وأنه سيشرح لهم في وقت لاحق، وأن حياتهم الآن في خطر محدد.

لم ينتظر حتى يتحركوا، ولم يعرض على آريس أن يحمل عنه الحزمة، فقط بدأ في التحرك باتجاه المدينة، كان يعدو بسرعة جنونية حتى اضطر في النهاية إلى أن يهدئ سرعته إلى سرعة معقولة، يحاول أن يخرج أمر الباقيين من رأسه، أن يخرج العالم أجمع من رأسه. هروبه بعيدًا عنها هو أصعب شيء فعله في حياته، لم يخالطه شك في أنه كان كذلك، من بين إرساله إلى المتاهة بذكريات ليس لها وجود، ومحاولته التأقلم على الحياة هناك، وسجنه بين جدران المتاهة، ومحاربته للهوام، وموت تشاك أمام عينيه... كل ذلك لم يقترب مما كان يشعر به في تلك اللحظة.

لقد كانت موجودة هناك، كان يضمها بين ذراعيه، كانا معًا مرة أخرى، قبلها وقبلته وشعر بشيء كان يظن أنه مستحيل.

وبعد كل ذلك كان الآن يهرب مبتعدًا، تاركًا إياها وراء ظهره.

أفلت نشيج مختنق بداخل صدره، أخذ يئنُّ وتسمع أذناه صوته الذي يختنق باليأس والحزن، توقف عن الجري تحت وطأة ألم أحس به في قلبه، جعله ينهار على الأرض جاثيًا على ركبتيه في استسلام، أنهكه الحزن وتمكن منه، وداهمته فكرة أن يعود أدراجه أكثر من مرة، ولكنه تمكن بطريقة ما من

أن يستمر في فعل ما أمرته بفعله، وقرر أن يتمسك بوعده لها أنه سيجدها مجدداً.

على الأقل هي على قيد الحياة، على الأقل على قيد الحياة.

كان ذلك ما يقوله لنفسه باستمرار، وما جعله يستمر في العدو... أنها كانت على قيد الحياة.

لم يكن في استطاعة جسده أن يتحمل أكثر من ذلك، وبمجرد أن بلغ نقطة محددة، بعد ساعتين من تركه لها، ربما ثلاث ساعات، توقف عن العدو وهو متأكد من أنه لو تحرك خطوة واحدة أخرى سينفجر قلبه بداخل صدره، التفت لينظر وراه فرأى ظلالاً تتحرك على مسافة كبيرة، لا بد أنهم بقية فتیان الجلايد، كان يسبقهم بمسافة هائلة. افترش الأرض وأخذ يملأ رئتيه بالهواء بأنفاس محملة بالهواء الجاف، أسند ساعديه على إحدى ركبتيه ثم أغمض عينيه يستحضر قدرًا من الراحة إلى أن يلحق به الآخرون.

لحق به مینهو أولاً، ولم يكن مزاج قائدهم حسناً، وحتى مع هذا الضوء الخافت - إذ كان ضوء الفجر آخذاً في البروز من الشرق - بدا عليه أنه يستشيط غضباً وهو يسير جيئةً وذهاباً أمام توماس لثلاث مرات قبل أن يقول أي شيء.

- ماذا... لماذا... أي نوع من الأغبياء أنت يا توماس بحق الجحيم؟

لم يرغب توماس في الحديث عن الأمر، أو عن أي شيء. عندما لم يجبه، جثا مینهو على الأرض بجانبه.

- كيف فعلت شيئاً كهذا؟ دون تفسير أي شيء؟ منذ متى ونحن نتصرف بهذه الطريقة؟ أيها الأخرق.

أطلق مینهو زفرة عالية وألقى بنفسه إلى الورا لیسقط جالساً على مؤخرته وهو يهز رأسه.

نطق توماس أخيراً:

- آسف، لم يكن الأمر يسيراً عليّ، كنت مصدوماً.

كان بقية فتیان الجلايد قد لحقوا بهما الآن، انحنى نصفهم مستنداً إلى ركبتيه كي يلتقطوا أنفاسهم، والنصف الآخر يحاول استراق السمع لمعرفة ما



يتحدث مينهو وتوماس بشأنه. كان نيوت واقفًا هناك، ولكنه كان مسرورًا لأن يترك مينهو يحاول اكتشاف ما حدث بدلًا عنه.

سأله مينهو:

- مم كنت مصدومًا؟ من رأيت هناك؟ وماذا قال لك؟

شعر توماس أنه كان محاصرًا، ولم يكن الأمر بالشيء الذي لا يرغب في مشاركته مع الآخرين.

- لقد... لقد كانت تيريسا.

توقع أن يسمع شهقات متفاجئة، تعبيرات تنم عن تساؤل، أو اتهامات له بأنه كاذب لعين، ولكن مع الصمت المبالغ الذي خيم عليهما، كان بإمكان المرء أن يسمع صوت الرياح الحثيثة التي هبت على رمال الصحراء مع بزوغ الفجر.

تكلم مينهو أخيرًا:

- هل أنت جاد؟

اكتفى توماس بإيماءة من رأسه علامة الموافقة وهو مركّز عينيه على صخرة مستطيلة الشكل تجثو في سكون على الأرض. في غضون الدقائق التالية كان الضوء قد عمّ المكان من حولهم.

بالطبع كان مينهو مصدومًا مما سمعه:

- وأنت قمت بتركها هناك؟ انظر يا رجل، أنت بحاجة إلى أن تتكلم الآن وتخبّرنا بما حدث هناك.

بقدر ما ألمه ذلك، وبقدر ما مزقت هذه الذكرى نياط قلبه، طفق توماس يحكي لهم القصة، أنه رآها، وكيف كانت ترتجف وتنتحب، وكيف كانت تتصرف مثل جالي - كمن تسيطر عليه قوة ما خفية - قبل أن يقتل تشاك، أخبرهم بما حذرته، أخبرهم بكل شيء، الشيء الوحيد الذي أبقاه لنفسه كان قبلتهما.

قال مينهو بصوت غريب، تقريبًا كأنه يلخص الأمر برمته في هذه الكلمة:

- يا إلهي.

مرت دقائق عديدة، أخذت الرياح الجافة تحتك بالأرض القاحلة وتثير التراب من حولهم بينما اعتلت الشمس البرتقالية عرشها في منتصف السماء معلنة بداية اليوم رسميًا، لم ينبس أحدهم ببنت شفة، إذ تمكن توماس من سماع

أصوات أنفاسهم وشهيقهم وبعض السعال، وأصوات البعض وهم يشربون من أكياس الماء خاصتهم. بدت البلدة وكأنها كبرت في أثناء الليل، إذ امتدت المباني وكادت ترتفع لتلمس السماء التي تخلو من أي سحب، وتكسوها زرقة شديدة، ربما سيستغرق منهم يوماً آخر أو يومين حتى يصلوا إليها.

قال أخيراً:

- لقد كان الأمر أشبه بفتح نوعاً ما، لا أدري ما الذي حدث، أو كم واحد منّا كان سينتهي به الأمر مقتولاً، ربما جميعنا، ولكنني أكيدٌ من أنه لم يبُدْ أي شك أو تردد في عينيها عندما تمكنت بشكل ما من التحرر مما يسيطر عليها، لقد أنقذت حياتنا، وإنني أكاد أجزم أنهم جعلوها... (ابتلع ريقه)... تدفع ثمن ذلك.

مد مينهو يده وربت على كتف توماس، وقال له:

- يا صديقي، إذا كان أولئك الأوغاد من وِكد يريدون قتلها، فلسوف يتركونها لتتعفن تحت كومة من الأحجار، إنها قوية مثلها مثل أي واحد منّا، ربما مثلنا جميعاً، سوف تنجو.

ملاً توماس رثتيه بالهواء عن آخرهما ثم أطلقه مجدداً خارجاً، كان يعلم أن مينهو محق.

- أعلم ذلك، أعلم ذلك بطريقة ما.

نهض مينهو على قدميه، وأعلن:

- كان بإمكاننا التوقف بضع ساعات لكي نأخذ قسطاً من النوم، ولكن بفضل السيد عدّاء الصحراء الراقد بالأسفل ذاك (ضرب توماس على رأسه ضربة خفيفة) أخذنا نعدو حتى انقطعت أنفاسنا وحتى أشرقت الشمس للعينة مجدداً، ما زلت أعتقد أننا بحاجة إلى بعض الراحة، لنفعل ذلك ونستظل بالأغطية، أيّاً كان، لنجرب حظنا.

لم يعد الأمر يشكّل مشكلة على الإطلاق بالنسبة إلى توماس، فقد أصبح جفناه من شدة وهج الشمس بلون الدم المشبع بالسواد القاتم، فلم يستطع مقاومة إغلاقهما وراح في النوم على الفور. وضع أحدهم ملاءة تغطي وجهه لتحميه من حروق الشمس، ومن نفسه أيضاً.

## الفصل الثاني والعشرون

تركهم مینهو ینامون لأربع ساعات تقریباً، لم یضطر إلى أن یوقظهم من نومهم، إذ أخذت الشمس تتأجج من فوقهم، ترتفع فی السماء مرسله أشعتها إلى الأرض فی هجوم عنیف، حتی أصبحت لا تُحتَمَل، ویستحيل تجاهل حدثها. استیقف توماس وقام بحزم الطعام فی الملاءة مجدداً بعد تناول الإفطار وقد أصبح غارقاً فی عرقه بالفعل، كانت أجسامهم تبعث روائح تحلق من حولهم كسحابة ضبابیة تخز أنوفهم، حتی بدت الآن مشنات الاستحمام التي كانت لديهم فی مهجع النوم قمة الرفاهیة.

ظل فتیان الجلاید غارقین فی جو من الكآبة والهدوء فی أثناء قیامهم بالاستعداد للرحیل. كلما استمر توماس فی التفكير، أدرك أنه لیس هناك ما یجعله سعیداً أو فی مزاج رائق، ولكن لم یزل هناك شیئان اثنان جعلاه یستمر فی التقدم، وتمنی أن یكونا هما نفس الدافع بالنسبة إلى البقیة، الشیء الأول؛ هو فضول یجتاحه لمعرفة ماذا یوجد فی تلك البلدة التي أخذت تتبدی لهم أكثر كمدينة كبیرة كلما ازدادوا قرباً منها. أما الشیء الثاني؛ كان الأمل الذی بعثته فی نفسه معرفة أن تیریساً علی قید الحیاة وبخیر. ربما هی أيضاً جاءت عبر ناقل مسطح، ربما سبقتهم الآن، ربما حتی تكون فی المدينة، بعث ذلك موجة من التشجیع بداخل توماس.

قال مینهو عندما أصبح الجمیع مستعداً:

- هیا بنا.

ومن ثم انطلقوا.

تابعوا المسير عبر الصحراء القاحلة، لم يكن أي منهم بحاجة إلى أن يقول ذلك، ولكن توماس أدرك أنهم جميعًا يفكرون بالشيء ذاته؛ لم يعد لدى أي منهم القدرة على العدو بينما الشمس تتربص بهم من علٍ، لأنهم حتى لو ركضوا، فليس لديهم ما يكفي من الماء ليعينهم على البقاء على قيد الحياة لمدة أطول.

لذلك اكتفوا بالسير وأغطية السرير مرفوعة فوق رؤوسهم ليستظلوا بها، إذ توفرت لديهم أغطية أكثر تحميهم من الشمس بعد أن تناقصت كمية الطعام التي يحملونها، وتضاءل عدد فتیان الجلايد الذين ساروا في ثنائيات، وكان توماس من أوائل الذين انفصلوا للسير وحدهم، على الأرجح لأن أحدًا لم يرغب في الحديث معه بعدما سمعوا قصة ما حدث مع تيريسا، وبكل تأكيد لم يكن هو ليشتكي من ذلك، كان البقاء وحيدًا هو كل ما يحتاج إليه الآن.

السير، ثم الوقوف لتناول الطعام، ثم السير مجددًا، وهكذا دواليك، بدت الحرارة وكأنها كالمحيط الذي عليهم أن يعبروه سباحة، واستمرت الرياح -والتي أصبحت حامية الوطيس أكثر الآن- في حمل كميات أكبر من الأتربة والحصى جنبًا إلى جنب مع هجوم الحرارة، أخذت تعصف بالأغطية من فوق رؤوسهم فجعلت من العسير عليهم أن يبقوها في مكانها، ظل توماس يسعل ويفرك عينيه التي تراكم التراب في زواياها، وشعر كأنه كلما تجرع شربة ماء تجعل ظمأه يشتد أكثر، ولكن رصيدهم من الماء بلغ مستويات خطيرة فلا يمكنه الإفراط فيه، ولو لم يكن في البلدة ماء وفير عندما يصلون إليها... لم يكن إنهاء هذه الفكرة في صالحه قط.

تابعوا المسير، وكل خطوة تزيدهم قدرًا من العذاب والألم عما قبلها، تخيم فوقهم سحابة من الهدوء في كل مرة يتوقفون، لا ينبس أحدهم ببنت شفة، كان توماس يشعر أن التفوه ولو بكلمتين فقط سوف يستهلك كمية هائلة مما تبقى له من طاقة، كل ما تمكن من فعله هو أن يمدد قدمًا أمام الأخرى، ويستمر في التحديق مرارًا ومرارًا إلى هدفهم؛ إلى البلدة التي تبتعد كلما اقتربت.

بدا الأمر وكأن المباني على قيد الحياة، تزداد ارتفاعًا أمام أعينهم في كل مرة يقتربون منها، تمكن توماس بعد مدة من رؤية ما يُفترض أن يكون

أحجارًا، ونوافذ تلمع تحت ضوء الشمس، بدا أن بعضًا منها كان مكسورًا، ولكن أقل بكثير من نصفها، وسمح موقع توماس الذي يقف فيه بأن يرى أن الشوارع بدت فارغة، لم تكن هناك نيران مشتعلة في أثناء النهار بالطبع، وأمكنه أن يلاحظ أنه لم تكن هناك ولو شجرة أو أي نوع من النبات في ذلك المكان، وكيف لها أن توجد في خضم هذا المناخ؟ كيف للبشر حتى أن يمكنهم العيش هناك؟ كيف يزرعون طعامهم؟ وما الخيارات التي ستتاح أمامهم؟

غداً. استغرق الأمر وقتًا أطول مما ظنه توماس، ولكنه الآن لا يملك شكًا في أنهم سيبلغون المدينة بحلول الغد. ربما كان من الأفضل لهم أن يستمروا بالدوران حولها، إلا أنه لم يكن لديهم خيار آخر، كانوا بحاجة إلى تزويد مؤونتهم في أسرع وقت. سير، استراحة، قيظ.

عندما أرخى الليل سدوله أخيرًا، كانت الشمس لا تزال تهبط في الأفق في تبختر بطيء يصيب بالجنون، واشتدت الرياح محملة بتراب أكثر، ولكنها هذه المرة حملت شيئًا من البرودة استمتع بها توماس، ممتنًا لأي شيء قد يخفف من حدة الحرارة.

وبحلول منتصف الليل، عندما ناداهم مينهو لكي يتوقفوا ليأخذوا قسطًا من النوم، بدت نيران البلدة، حتى بعد كل هذه المدة، لا تزال بعيدة، واشتدت الرياح أكثر فأكثر، أخذت تعصف وترسل عليهم وابلاً من الحصى ولم تتوقف قوتها عن الازدياد.

بعد ذلك عندما توقفوا، وبينما استلقى توماس على ظهره وتدثر جيدًا بالملاءة حول نفسه وشدها جيدًا لتصل حتى ذقنه، أخذ يحدق إلى السماء. بعثت فيه الرياح قدرًا من الراحة، وأغرقت حواسه لكي يغرق في النوم، بدت له النجوم وكأنها تنطفئ وتخمد شيئًا فشيئًا كلما ازداد عقله تشوشًا من شدة الإرهاق، غط في نوم عميق حمل له حلمًا جديدًا.

\*\*\*

كان في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره، جالسًا على كرسي، وتيريسا بدت مختلفة للغاية، بدت أصغر منه كثيرًا، ولكنه ما زال يمكنه معرفة أنها هي. تجلس أمامه وطاولة تنتصب بينهما، كانت في مثل عمره تقريبًا، ليس هناك غيرهما بالغرفة، غرفة مظلمة تخلو سوى من مصدر واحد للضوء، مصباح مربع يتدلى من السقف فوقهما مباشرة ويبعث ضوءًا أصفر خافتًا.

قالت له:

- عليك أن تحاول أكثر يا توم.

كانت تطوي ذراعها أمامها، وحتى في ذلك العمر الصغير، لم يجد مظهرها مفاجئًا له، بل كان مألوفًا غاية الألفة، كأنه بالفعل كان يعرفها منذ زمن طويل.

سمع نفسه يتحدث مرة أخرى، ولكنه لم يكن هو أيضًا، لم يتمكن من فهم

الأمر:

- إنني أحاول بالفعل.

- ربما يقومون بقتلنا لو لم نفعل ما يأمرونا به.

- أعلم ذلك.

- إذن حاول!

- إنني أحاول!

- حسنًا، أخبرك أمرًا؟ لن أتحدث معك ولن أخبرك بأي شيء مرة أخرى،

لن أفعل أبدًا حتى تتمكن من فعلها.

- ولكن...

**ولا بداخل عقلك كذلك.** كانت تتحدث بداخل رأسه، تلك الخدعة التي لا

تزال تفزع ولا يزال غير قادر على أن يرد بالمثل. بدءًا من الآن.

- تيريسا... فلتمهليني بضعة أيام أخرى، سوف أقوم بالأمر.

لم تجبه.

- حسنًا، فقط يوم واحد آخر.

أخذت فقط تحديق إليه، وبعد ذلك حتى هذا لم تفعله وأشاحت بنظرها إلى الطاولة بالأسفل، ومدت يدها وبدأت تحك بقعة ما على الخشب بظفرها.

- لا يمكنك أن تتوقفي عن الحديث إليّ.

لم يظفر بإجابة. هو يعرفها على الرغم مما قاله للتو. رياه، هو يعرفها جيداً.

- كما تشائين.

قال ذلك وأغمض عينيه، تنفيذاً للأوامر التي يعطيها له من يتحكم به، ورأى أمامه بحرًا من اللاشيء، لا يرى أمام عينيه سوى الظلام ووجه تيريسا. ومن ثم استجمع كل ذرة أخيرة من قوة إرادته، واستجمع بضع كلمات وألقاهم في وجهها.

- إن رائحتك كحقيقية من القذارة.

ضحكت تيريسا وأجابت في رأسه:

- وأنت كذلك.





## الفصل الثالث والعشرون

استيقظ توماس بسبب الرياح التي تعصف بوجهه وشعره وملابسه، بدا الأمر وكأن هناك أيدي خفية تحاول أن تقتلعهم اقتلاعًا، كان الليل لا يزال موجودًا، والبرد أيضًا، أخذ جسده يرتجف من البرد، استند على ساعديه وأخذ ينظر من حوله، تمكن بالكاد أن يرى الأجساد المتجمعة نائمة بالقرب منه، تغطي الملاءات أجسادهم بالكامل وهي مشدودة بإحكام.

الملاءات!

زفر في ارتباك ثم انتصب واقفًا على قدميه. لقد انزلقت ملاءته عنه في وقت ما في أثناء الليل وطارَت في الهواء، ومؤكد أنها الآن أصبحت تبعد عشرات الأميال مع قوة الريح.

- قشراً لذلك!

قال هامساً، إذ سرق صوت هبوب الرياح الكلمات من فمه قبل أن يتمكن من سماع صوته، تذكر أحداث اللحم؛ أكان حلمًا أم ذكرى؟ لا بد أنه كذلك، شيء أشبه بلمحة قصيرة من الوقت الذي كان هو وتيريسا أصغر في السن ويتعلمان كيفية عمل خدعة التخاطر الخاصة بهما، شعر بقلبه يغوص قليلاً، شوقاً إليها وشعوراً بالذنب بسبب ظهور دليل آخر أنه كان جزءاً من وكِد قبل إرساله إلى المتاهة، أبعد تلك الأفكار عن رأسه، لم يرغب في التفكير فيها، بإمكانه أن يخفيها في غياهب عقله أيضًا لو بذل جهدًا كافيًا لذلك.

وجَّهَ ناظره إلى السماء القاتمة بالأعلى، زفر مطلقًا نفسًا سريعًا إذ مرت في خاطره ذكرى اختفاء الشمس من الجلايد، وكان ذلك الحدث هو بداية النهاية، بداية الرب.

ولكن صوت العقل تمكن من أن يهدئ نفسه أخيرًا. الرياح، والهواء البارد، عاصفة، لا بد أن هناك عاصفة في طريقها.

### سُحْب.

جلس مجددًا على الأرض وهو متحير، ثم رقد على جانبه وتكور على نفسه ولف ذراعيه من حوله كالجنين، لم يكن البرد لا يُحتمل، ولكنه تأثر التحول فائق السرعة من الحرارة الملتهبة طوال الأيام القليلة الماضية. قام بتنظيم فوضى عقله وأخذ يفكر في الأشياء التي حدثت معه في الآونة الأخيرة. هل يعقل أنها ذكريات ناتجة عن عملية التحول؟ هل هو بصدد استعادة ذاكرته؟

جعلت الأفكار مشاعره تختلط بعضها ببعض، أراد أن يستعيد ذاكرته المشوشة الآن قبل أن يفوت الأوان، أراد أن يعلم مَنْ كان، وَمِنْ أين أتى، ولكن هذه الرغبة تبددت من خوفه مما يمكن أن يكتشفه عن نفسه، وعن دوره في كل شيء من البداية إلى أن انتهى به الحال عند هذه النقطة، دوره الذي أدى بأصدقائه إلى هذا المصير.

أحس بحاجة مُلحة إلى النوم، ولكن ظلَّ صوت الرياح يتردد في أذنيه كالزئير، حتى غلبه النوم في النهاية، وهذه المرة لم ير أي حلم.

أيقظه ضوء الفجر الرمادي الباهت الذي طلع أخيرًا ليكشف السحب الكثيفة التي تغطي السماء، التي جعلت الصحراء الممتدة إلى الأفق البعيد تبدو أكثر كآبة بدورها، أصبحت المدينة قريبة للغاية الآن، تبعد فقط مسافة ساعات قليلة. كانت المباني شاهقة الارتفاع حقًا، حتى إن أحدها امتد واختفى في إحدى السحب المنخفضة، وبدا زجاج النوافذ المهشمة كالأنياب الحادة في أفواه مشرعة على مصراعيها لكي تلتقط الطعام الذي ربما تحمله إليها الرياح العاصفة.

ظلت الريح العاتية تضرب به، وثمة بقعة وسّخ على وجهه بدا أن الحرارة جعلتها محفورة عليه إلى الأبد، أخذ يفرك رأسه، ملمس شعره متيبس بفعل الحصى الذي جف على فروة رأسه.

استيقظ معظم فتیان الجلايد وهم على أهبة الاستعداد، تفاجؤوا بالتحول المفاجئ للطقس، لم يتمكن من سماع ما كانوا يقولونه، لم تتمكن أذناه من التقاط شيء سوى العصف الذي يملأ أذنيه.

لاحظ مينهو أنه مستيقظ فاقترب منه، كان ينحني ليتفادى الرياح بينما يمشي وملابسه تتطاير من عليه. قال وهو يصيح بأعلى صوته:  
- لقد استيقظت أخيرًا.

فرك توماس عينيه ليخرج الشوائب منها ونهض على قدميه، وصاح بدوره ليجيبه:

- من أين أتى كل ذلك؟! لقد ظننت أننا كنا في قلب الصحراء!

نظر مينهو نحو الأعلى إلى تجمع السحب الرمادية المحترقة الكثيفة، ثم نظر مجددًا إلى توماس، اقترب منه أكثر ومال نحوه ليتحدث في أذنه:

- حسنًا، أظن أنها تمطر في الصحراء أحيانًا. أسرع وتناول طعامك، علينا أن نواصل التحرك، ربما نجد مكانًا هناك يمكننا الاختباء فيه قبل أن تهاجمنا العاصفة ونغرق بالمطر.

- وماذا لو وصلنا إلى هناك وحاول مجموعة من النزقين قتلنا؟

- إذن سوف نقاتلهم!

تجهم وجه مينهو كأنه خاب أمله أن توماس سأل سؤالًا غبيًا كهذا.

- هل هناك شيء آخر تود أن تفعله غير ذلك؟ لقد انتهى طعامنا وشرابنا تقريبًا.

كان توماس يدرك أن مينهو على حق، كما أنهم لو كانوا قادرين على قتال عشرات من الهوام، فلا ينبغي أن يشكّل شردمة من المعتوهين الذين يتضورون جوعًا وضعفًا مشكلة كبيرة لهم.

- حسنًا إذن، هيا بنا، سوف أكل قطعة من قوالب الجرانولا تلك في الطريق.

لم تمض سوى دقائق قليلة ومن ثم انطلقوا في طريقهم مجددًا في اتجاه المدينة، والسحب السوداء فوق رؤوسهم على أهبة استعدادها لكي تنفجر وتنزف مياهًا غزيرة في أي لحظة.

أصبح بينهم الآن وبين أقرب مباني المدينة مسافة أميال قليلة، مروا برجل عجوز مستلقٍ على ظهره وسط الرمال، ويلف حوله عدة بطانيات، كان جاك هو أول من لاحظ وجوده، وفي غضون ثوانٍ تجمهر توماس والبقية من حول الرجل في دائرة وأخذوا يحدقون إليه نحو الأسفل.

شعر توماس بالغثيان بينما يتفحص الرجل عن قرب، ولكنه لم يستطع أن يشيخ بنظره بعيدًا، لا بد وأن الرجل الغريب يبلغ المئة عام، ولكن كان من الصعب التأكد، ربما قامت حرارة الشمس المستعرة بجعله يبدو بهذا الشكل فقط، وجهه مجعد كجلد حيوان مسن، وثمة قشور وجروح متورمة حيث ينبغي لشعره أن يكون، وجلد شديد السواد.

كان على قيد الحياة، يتنفس بعمق، يحدق إلى السماء بنظرة فارغة، كأنه ينتظر أحد الآلهة أن يتنزل من الأعلى ويأخذه بعيدًا عن هنا، أو ينهي حياته البائسة. لم تبدر من الرجل أي علامة تدل على أنه لاحظ اقتراب فتیان الجلايد منه.

صاح به مينهو بلباقته المعتادة:

- مرحبًا أيها الرجل العجوز، ما الذي تفعله هنا بالخارج؟

قضى توماس ما يكفي من الوقت العصيب وهو يبذل جهدًا لسمع ما يُقال وسط هبوب الرياح العاتية، لم يكن لديه أمل في أن بإمكان ذلك الرجل الهالك أن يقول أي شيء، ولكن هل هو أعمى أيضًا؟ ربما.

جعل توماس مينهو يفسح له المجال ومن ثم جثا على الأرض أمام وجه الرجل مباشرة، كان المشهد كثيبًا لدرجة تفتقر القلب، رفع توماس يده أمام وجه العجوز وأخذ يلوح بها فوق عينيه مباشرة.

لا شيء، لم يتحرك جفناه ولو حركة واحدة حتى، اللهم إلا عندما سحب توماس يده في يأس فقام الرجل بإغماض جفنيه ببطء شديد ثم فتحهما مجددًا، فقط لمرة واحدة.

ناداه توماس:

- سيدي؟ أيها السيد؟

بدأت الكلمات غريبة على مسامعه، كأنه قد تم استدعاؤها من غياهب ذاكرته القاتمة في الماضي، مؤكداً أنه لم يستخدم تلك الكلمات منذ أُرسِل إلى الجلايد والمتاهة. استأنف:

- هل يمكنك سماعي؟ هل يمكنك أن تتكلم؟

قام الرجل بإغلاق جفنيه وفتحهما مرة أخرى، ولكنه لم ينبس ببنت شفة. جثا نيوت بجانب توماس وتحدث بصوت عالٍ وسط الرياح:

- بحق الجحيم، هذا الرجل سيكون بمنزلة منجم ذهب لنا لو تمكنا من جعله يخبرنا بمعلومات عن المدينة. لا يبدو خطيراً، ربما يعلم ما يجب علينا أن نتوقع وجوده هناك قبل ذهابنا.

زفر توماس، وقال:

- أجل، لكنه لا يبدو قادراً على سماعنا حتى، فما بالك بحديث طويل عن المدينة؟

أضاف مينهو من خلفهما:

- استمر في المحاولة، أنت سفيرنا للشؤون الأجنبية رسمياً يا توماس، اجعل هذا الصديق يثق بنا ويثرثر معنا عن الأيام الخوالي الجيدة.

لسبب ما غريب، شعر توماس برغبة في قول شيء مضحك بدوره، ولكنه لم يتمكن من استدعاء أي شيء. لو أنه كان شخصاً مرحاً في حياته القديمة، فمؤكد أن كل أثر لروحه المرححة قد ذهب مع الريح عندما مسحوا ذاكرته.

في النهاية قال:

- حسناً.

اقترب من رأس الرجل بقدر ما أمكنه، ومن ثم عدل من وضعيته بحيث ينظر كل منهما إلى عيني الآخر مباشرة، بينهما مسافة قدمين فقط، وقال له:

- سيدي، نحن في حاجة إلى مساعدتك حقاً!

لم يعجبه أنه مضطر إلى الصياح بصوت عالٍ مخافة أن يأخذها العجوز على نحو خاطئ، ولكن لم يكن لديه خيار، أخذت الرياح تشتد وتشتد، استدرك توماس:

- نحتاج أن نخبرنا لو كان دخولنا إلى المدينة آمناً! سيكون بوسعنا أن نحملك إلى هناك إذا كنت بحاجة إلى المساعدة، يا سيدي؟ سيدي!  
استمر الرجل في التحديق من خلف توماس إلى السماء، ولكنه بدّل نظرته ببطء حتى تركزت إلى عيني توماس مباشرة الآن. امتلأت عينا الرجل باليقظة كسائل داكن اللون يُصَب ببطء في كوب، تباعدت شفتاه عن بعضهما، لكن شيئاً لم يغادرهما سوى سعلة خفيفة.

ارتفعت آمال توماس فأكمل:

- اسمي توماس، وهؤلاء أصدقائي، إننا نمشي في الصحراء منذ بضعة أيام، ونحتاج إلى المزيد من الطعام والماء، ما الذي...  
ارتبك عندما تحركت نظرة الرجل جيئةً وذهاباً يملؤهما خوف مفاجئ، فأسرع توماس يهدئه:

- لا بأس، لن نقوم بإيذائك، إننا... إننا من الأخيار، ولكننا سنقدر حقاً لو أنك...

قام العجوز بإخراج يده اليسرى في حركة مفاجئة من تحت الغطاء الذي يلفه حول نفسه وأمسك رسغ توماس بقبضته، قام بجذبه بقوة تفوق ما يبدو أنه قادر على الإتيان بها. صرخ توماس تحت وطأة المفاجأة وحاول بشكل لا إرادي أن يفلت معصمه من قبضة الرجل، ولكنه لم يتمكن من ذلك، كان مذهولاً من قوة الرجل، بالكاد أمكنه أن يحرك يده بداخل قبضة الرجل التي تشبه الأصفاد الحديدية.

صاح به:

- أنت، اترك يدي!

هز الرجل رأسه، وعيناه الداكنتان يملؤهما الخوف أكثر من العنف، تباعدت شفتاه مجدداً، وخرج منه هذه المرة همسٌ جاف وغير مفهوم، دون أن يخفف من قبضته.

استسلم توماس وتوقف عن محاولة تحرير يده، وقام بدلاً من ذلك بتهدئة روعه ومال ناحية الرجل الغريب وقرَّب أذنه إلى فمه ثم صاح قائلاً:

- ما الذي قلته؟

تكلم الرجل مجدداً بصوت كالصرير الجاف المرتعش، وبنبرة عصبية، التقط توماس كلمات مثل: عاصفة ورعب وأناس أشرار، لم تكوّن أي من الكلمات جملة مفيدة في رأسه.

صرخ به توماس:

- كرر ذلك مرة أخرى!

كانت أذنه لا تزال قريبة من فم الرجل تبعد إنشآت قليلة عن وجهه، تمكن توماس هذه المرة من فهم معظم ما قاله، وأفلتت منه بضع كلمات فقط:

- عاصفة آتية... يملؤها الرعب... سوف تخرج... ابقوا بعيدين... أناس أشرار.

انتفض الرجل فأصبح في وضعية الجلوس وقد جحظت عيناه وظهر البياض حول حدقتيه المتضخمتين وأخذ يصيح دون توقف:

- عاصفة! عاصفة! عاصفة!

أخذ يكرر هذه الكلمة مراراً إلى أن تكوّن خيط سميك ولزج من اللعاب متديلاً من شفته السفلية، وأخذ يتأرجح جيئةً وذهاباً كبندول التنويم المغناطيسي.

حرر الرجل ذراع توماس، فزحف توماس على مؤخرته إلى الخلف ليبتعد عنه، وفي أثناء ذلك أخذت الرياح تشتد أكثر، بدا وكأن شدتها تتحول من ضربات عنيفة إلى إعصار هائج بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كأنه مصاب بنوبة هلع، تماماً كما قال الرجل، كان صوت الهواء الصارخ كزئير أسطوري ابتلع العالم من حولهم، أحس توماس أن شعره وملابسه قد ينفصلان عن جسده في أي ثانية، وقد طارت كل أغطية فتیان الجلايد تقريباً وحملها الهواء فأخذت تتقلب على الأرض، وترتفع في الهواء كجيش من الأشباح الطائرة، وتبعثر طعامهم من حولهم في كل اتجاه.

نهض توماس على قدميه، وتلك كانت مهمة مستحيلة الحدوث في خضم الريح التي تحاول دكهم بالأرض دكاً، ظل يتعثّر ويقع عدة أقدام إلى الأمام

حتى تمكن من الانحناء إلى الخلف والنهوض، كأن يدًا خفية أعانته لكي ينهض.

وقف مينهو بالقرب منهم وأخذ يلوح بذراعيه في الهواء في محاولة لجذب انتباه الجميع إليه، رآه معظمهم وتجمعوا من حوله، ومن ضمنهم توماس الذي كان يقاتل الرعب الذي يسري في كل بوصة بداخله. إنها فقط مجرد عاصفة، بالطبع أفضل كثيرًا من الهوام أو النّزقين الذين يحملون أسلحة أو حبالًا.

فقدَ العجوز أغطيته التي طارت مع الريح، وأصبح الآن منكشًا على نفسه في وضع الجنين، اعتصر ساقيه الهزيلتين إلى صدره وأحكم إغماض عينيه. خطرت على ذهن توماس فكرة أنهم يجب عليهم حمله إلى مكان آمن، وإنقاذه لمجرد أنه حاول تحذيرهم من العاصفة، ولكن شيئًا بداخله أخبره أن الرجل سيقاوم بكل ما أوتي من قوة وحتى آخر نفس إذا حاولوا حمله أو مجرد لمسّه.

تجمع فتیان الجلايد الآن إلى جانب بعضهم، وأشار مينهو باتجاه المدينة، كان أقرب مبنى إليهم يبعد مسافة نصف ساعة إذا تمكنوا من العدو بسرعة جيدة. الطريقة التي أخذت الرياح تضربهم بها، والسحب التي تضخمت من فوق رؤوسهم واحتقنت حتى استحال لونها إلى الأزرق القاتم، أو الأسود تقريبًا، والغبار والحصى والحطام الذي يحلق في الهواء، كل ذلك جعل فكرة محاولة الوصول إلى المبنى أكثر اختيار منطقي أمامهم.

انطلق مينهو في العدو، وتبعه الآخرون في إثره، وانتظر توماس في مؤخرة الفريق يجمع بقيتهم، يدرك أن ذلك ما كان مينهو سيرغب منه أن يفعله، وفي النهاية انطلق يركض في حماس، يحمد الله أنهم لم يكونوا في مواجهة اتجاه الرياح، في تلك اللحظة فقط قفزت بعض من كلمات الرجل في ذهنه كانت كفيلة بجعل العرق الذي يتصبب منه يتبخر عن جسده بسرعة، تاركًا جلده جافًا ومالحًا.

”ابقوا بعيدين، أناس أشرار.“



## الفصل الرابع والعشرون

عندما اقتربوا من المدينة، أصبحت رؤيتها أمراً شبه مستحيل بالنسبة إلى توماس، إذ تكاثف الغبار في الهواء حتى شكّل شيئاً أشبه بضباب بني اللون، يشعر بالتراب يختلط بكل نفس، ويحتك بعينيّه فيجعلهما تدمعان، وأصبح المبنى الكبير الذي ينشدونه يبدو كظل يلوح في الأفق البعيد خلف سحابات الغبار، أخذ يرتفع أعلى فأعلى، كمخلوق عملاق يزداد ضخامة.

أخذت الرياح تزداد عنفاً، ولم تنفك تضربه بأسواط من الرمال والحصى حتى ألمه جسده، كان هناك شيء أكبر حجماً يطير بالقرب منه من حين لآخر فتكاد روحه تغادر جسده من الخوف، فرع شجرة تارة، وشيء يشبه فأراً صغيراً تارة أخرى، أو قطعة من قرميد أحد الأسقف، وعدد لا نهائي من قصاصات الورق، كل ذلك يسبح في الهواء كقطع الثلج.

ثم حان دور البرق.

كانوا قد قطعوا نصف المسافة إلى المبنى -ربما أكثر من ذلك- بحلول العاصفة التي أتت من العدم، واستحال العالم من حولهم إلى بركان يثور بالبرق والرعد.

أخذ البرق يضرب الأرض ضربات متلاحقة ومتسلسلة، كأنما قضبان من الضوء الأبيض تصعق الأرض وتخلّف مكانها مساحات هائلة من الأرض المحترقة، صوت اصطدامه بالأرض لا يُحتمل، أخذت أذنا توماس تطنان إلى أن بدأ الصوت الفظيع يخفت ويتلاشى شيئاً فشيئاً.

استمر في العدو، وقد أصبح شبه أعمى الآن، وليس بقادر على السمع، بالكاد يمكنه أن يرى المبنى، أخذ الفتيان يسقطون أرضاً ثم ينهضون مجدداً، وتعثرت توماس أكثر من مرة لكنه تمكن من الحفاظ على توازنه، ساعد نيوت في النهوض على قدميه، ومن ثم السيد طاسة، دفعهم إلى الأمام وواصلوا العدو. كان الأمر مسألة وقت ليس إلا قبل أن يقوم البرق بصعق أحدهم وتحويله إلى كتلة فحم محترقة، انتصب شعر رأسه على الرغم من الرياح العاتية، كان الهواء مليئاً بالشحنات الكهربائية الثابتة التي تتور وسط الرياح وتنخسهم كأنها إبر طائفة.

ود توماس أن يصرخ، أن يسمع صوته، ولكنه كان يعرف أنه لو فعل فسيمتلئ حلقه بحبيبات التراب حتى يختنق، بالكاد استطاع أن يأخذ أنفاساً قصيرة وسريعة بأنفه، وبخاصة مع وجود عاصفة البرق التي تضرب الأرض من حولهم مخلفة عاصفة أخرى من الرمال تجعل كل نفس يأخذونه مختلطاً برائحة الغبار والحريق.

اشتدت السماء احتقاناً وقتامة، وازدادت سحب الغبار كثافة، ولاحظ توماس أنه لم يعد بإمكانه رؤية الجميع، وتمكن فقط من رؤية عدد قليل ممن يقفون أمامه مباشرة. أشرق ضوء الصواعق أمام أعينهم بوهج أبيض شديد السطوع للحظات، لكنه كان كفيلاً بأن يجعل توماس غير قادر على الرؤية أكثر. عليهم أن يصلوا إلى ذلك المبنى، عليهم أن يصلوا إلى هناك وإلا لن يصمدوا لوقت طويل.

أخذ يتساءل في قرارة نفسه عن المطر، أين هو المطر؟ أين المطر؟ أي نوع من العواصف تلك؟

نزلت صاعقة أخرى وضربت الأرض أمامه مباشرة، صرخ، ولكنه لم يستطع أن يسمع نفسه، أخذ يعتصر عينيه إذ قام شيء ما -كدفعة من الطاقة أو موجة هواء قوية- بإلقائه بعيداً جانباً ليسقط مستلقياً على ظهره، وأخذ نفسه على هيئة سعال محمل بالتراب إذ هطلت الأتربة والصخور من فوقه كالمطر، أخذ يبصق ويمسح وجهه، جثا على يديه وركبتيه وحاول إدخال بعض الهواء إلى رئتيه ومن ثم نهض على قدميه مجدداً، عثر على نسمة هواء أخيراً فأخذ يسحبه عميقاً إلى رئتيه.

أصبح بإمكانه الآن سماع بعض الرنين، طنين مستمر عالي الصوت بدا مثل المسامير التي تَدُق في طبلة أذنيه، حاولت الرياح أن تنزع عنه ملابسه لتبتلعها، وأخذت الأتربة تضرب جلده كالسوط، وأخذ الظلام يلفه من كل جانب ويبتلعه كالرمال المتحركة، لم يقطعه سوى ضوء ضربات البرق، ومن ثم رآه، كان مشهدًا فظيغًا، أشد رعبًا من صعقات البرق المتتالية.

كان ذلك جاك، راقدًا على الأرض، بداخل حفرة صغيرة، يتلوى وهو يقبض على ركبته بقوة، ولم يكن هناك أي شيء أسفله؛ قسبة ساقه، كاحله، وقدمه كلها اختفت وأزيلت في طريق الصعقة الكهربائية الهائلة القادمة من السماء، بدا منظر الدماء كالقطران الذي يتدفق تدفقًا من الجرح الفظيع، ليكون معجونًا مروعًا مع اختلاطه بالرمال، وقد أصبح عاريًا إذ احترقت ملابسه تمامًا وانتشرت الجروح في كل جسده، لم يعد هناك شعر على رأسه، وبدت مقلتاه وكأنها...

أدار توماس ظهره وهوى إلى الأرض وراح يسعل بشدة وهو يبصق، إذ أفرغت معدته كل ما بداخلها، لم يكن هناك شيء في أيديهم ليفعلوه من أجل جاك، كان ذلك مستحيلًا، لا شيء على الإطلاق، لكنه كان لا يزال على قيد الحياة، نظرًا. على الرغم من أن توماس شعر بالخزي من نفسه لأنه فكر بهذه الطريقة، لكنه كان ممتنًا أنه لم يتمكن من سماع صرخات جاك، لم يكن متأكدًا إذا كان بإمكانه أن ينظر إليه مرة أخرى حتى.

أتى أحدهم بعد ذلك ليحمله لكي يقف على قدميه، كان مينهو. تركيز توماس كان كافيًا لكي يقرأ ما قالته شفاه مينهو: علينا أن نذهب، ليس هناك ما يمكننا فعله.

أجاب توماس في عقله: جاك، يا إلهي، يا إلهي، جاك.

أخذ يترنح في أثناء مشيه، كان تحت وطأة صدمة رهيبة، إذ رأى بأم عينيه صاعقة البرق وهي تمزق جاك إلى أشلاء، استمر في الركض خلف مينهو، بدا بقية فتیان الجلايد لناظريه ككتلة من الظلال، لكنهم كانوا شرذمة قليلين من حوله، الظلام شديد السواد فلم يتمكن من الرؤية إلى مدى بعيد، حتى ومضة البرق جاءت سريعة للغاية فلم تكشف الكثير أمامهم، اللهم إلا السحب الرملية وكتل الحجارة وذاك المبنى الذي يلوح أمام أعينهم، كادوا أن يصلوا إليه الآن.

لم يعد لديهم ولو قدر ضئيل من الأمل في أن يتمكنوا من تنظيم أنفسهم أو أن يبقوا بالقرب بعضهم من بعض، أصبح الآن كل فتى من فتیان الجلايد معتمداً على نفسه من أجل البقاء، ولم يكن في أيديهم سوى أن يأملوا أن ينجح كل منهم في الحفاظ على حياته.

مضى الوقت ما بين الريح العاتية وصواعق البرق الغاضبة والتراب الخانق وصوت الطنين الذي يغطي أذنيه وألم يجتاح جسده بأكمله. استمر في التقدم مثبتاً عينيه على مينهو على بعد خطوات قليلة عنه، لم يشعر بأي شيء تجاه جاك، ولم يكثرث إذا كان قد فقد حاسة السمع تماماً، لم يعد يكثرث لأمر الآخرين بعد الآن، على الأرجح أن الفوضى العارمة من حوله جرّده من إنسانيته وحولته إلى حيوان تتلخص غريزته كلها في البقاء على قيد الحياة والوصول إلى ذلك المبنى، وأن يعيش، وأن يضيف يوماً آخر إلى حياته.

انفجر الضوء الأبيض الحارق انفجاراً عنيفاً أمامه مباشرة مما جعله يطير في الهواء مجدداً، أطاح الهواء به إلى الورا، فصرخ وهو يحاول أن يحافظ على توازنه. قد وقع الانفجار في نفس البقعة التي كان مينهو يجري فيها... مينهو! ارتطم توماس بالأرض في سقوط مؤلم أحس معه بكل جسده يتفكك، تجاهل الألم ونهض قائماً ثم انطلق يعدو إلى الأمام برؤية يغشاها السواد الذي تتخلله بعض اللقطات المشوشة بضوء بنفسجي على هيئة ديدان أميبا، ثم اتضحت لناظريه رؤية النيران.

استغرق عقله بضع ثوانٍ لكي يستوعب ما رآته عيناه، كانت النيران تتراقص أمامه في منظر ساحر مثل شجيرة محترقة تشق طريقها وسط الريح العاتية، ثم هوت وسقطت على الأرض فجأة، اقترب توماس منها ومن ثم أدرك الأمر.

كان ذلك هو مينهو، وقد اشتعلت ملابسه بالنيران.

أفلت صرخة ألمت رأسه ألماً حاداً ثم ارتدى على الأرض بجانب صديقه، أخذ يحفر في الأرض يجرف منها بيديه العاريتين ويهيل التراب فوق مينهو، لحسن الحظ لم تحمل الأرض شحنات كهربية، أخذ يجرف ويردم عليه بشكل محموم، حاول أن يخمد أكثر المناطق اشتعالاً ونجح في ذلك بمساعدة مينهو

نفسه الذي أخذ يتدحرج حول نفسه ويضرب الجزء العلوي من بدنه بكلتا يديه.

تمكنا من إخماد النار في غضون ثوانٍ، تاركة خلفها كومة من الملابس المتفحمة وعدداً لا يحصى من الجروح المتأججة، امتن توماس لحاسة سمعه المتضررة، إذ لم تصل إلى مسامعه الصرخات المعدبة التي بدت وأنها تخرج من مينهو. كان يدرك أنه لا وقت لديهم ليتوقفوا، لذا قام توماس بحمل قائدهم من تحت إبطيه ليساعده على النهوض، صاح توماس:

- هيا بنا!

سعل مينهو وأخذ يرتجف مجدداً، ولكنه بعد ذلك أوماً برأسه ولف إحدى ذراعيه حول رقبة توماس. استكملا طريقهما معاً إلى المبنى بأسرع ما يمكنهما، وتحمل توماس عناء الرحلة كلها.

لم تنفك ضربات البرق تدك الأرض من كل اتجاه يحيط بهم مثل أسهم من النيران البيضاء، شعر توماس بتأثير الضربات المتفجرة على الرغم من عدم سماعه لها، كل ضربة كانت ترتج في جمجمته وتزلزل عظامه، أحاطت بهم الصواعق المضيئة من كل جانب، حتى من خلف البناء الذي يعانون لأجل الوصول إليه كانت هناك المزيد من الحرائق المشتعلة، رأى البرق يضرب في أسطح الأبنية مباشرة عدة مرات فيمطر الشوارع من تحتها بوابل من الحجارة والزجاج.

بدأ لون الظلام يتغير شيئاً فشيئاً إلى أن استحال إلى لون أشبه بالرمادي أكثر من البني، فأدرك توماس أن سحب العاصفة تكاثفت أكثر حتى اقتربت من الأرض تشق طريقها بين الغبار والضباب، هدأت سَورة الرياح شيئاً قليلاً، ولكن البرق ازداد عنفاً عن أي وقت مضى.

انتشر فتیان الجلايد يمناً ويسرة يتجهون جميعاً إلى ذات الوجهة، بدوا أقل عدداً، ولكن توماس لم تكن رؤيته قد اتضحت بما يكفي لكي يكون متأكداً، تمكن بالفعل من رؤية نيوت والسيد طاسة ومن ثم أريس في إثرهما، تعطي أمارات الرعب والفرع وجه كل منهم، حالهم كحال توماس نفسه، يعدون بأعين موجهة كالأسهم باتجاه هدفهم المنشود الذي أصبح الآن يبعد مسافة قصيرة للغاية.

فقد مينهو اتزانهُ وهوى إلى الأرض، توقف توماس واستدار وساعد الفتى المحروق على النهوض على قدميه مرة أخرى، ثم أعاد وضع ذراعي مينهو مجدداً، إذ أصبحت كليهما الآن ملتفتين حول بدن توماس، يحمله تقريباً، ويجره جراً. مرَّ قوس من البرق يعمي الأبصار من فوق رؤوسهم مباشرة مخلفاً حفرة في الأرض من خلفهم، لم ينظر توماس خلفه واستمر في التقدم، سقط أحد فتیان الجلايد عن شماله لم يستطع أن يحدد مَنْ هو، ولم تصل إلى مسامعه الصرخات التي كان واثقاً من أنها خرجت من الفتى، سقط فتى آخر عن يمينه ثم نهض قائماً مجدداً، ثم ضرب البرق مجدداً أمامهم مباشرة، ثم ضربة ثانية عن يمينهم، وأخرى عن شمالهم، وواحدة من فوق رؤوسهم مجدداً، اضطر توماس إلى أن يتوقف وأخذ يغمض عينيه ويفتحهما عدة مرات ويعتصرهما بقوة حتى اتضحت رؤيته مرة أخرى، ومن ثم انطلق مجدداً وهو يجر مينهو جراً من خلفه.

ثم وصلوا إلى هناك، إلى أول بناء في المدينة.

بدا المبنى كتلة من اللون الرمادي وسط الظلام الحالك الذي يلفه من كل جانب، كان البناء مكوناً من أحجار عملاقة، ومدخل قوسي من أحجار أصغر حجماً، ونوافذ نصف محطمة. أريس هو أول من بلغ الباب، ولم يتكبد عناء فتحه إذ كان الباب مصنوعاً من الزجاج الذي لم يعد له وجود، ومن ثم قام بإزالة بقايا الزجاج المهشم بحرص باستخدام كوعه، انتظر حتى دخل اثنان من فتیان الجلايد ثم تبعهما إلى المدخل حيث ابتلعهما الظلام.

وصل توماس ونيوت في نفس الوقت وأخذ الأول يشير طلباً للمساعدة، أتى نيوت وفتى آخر وأخذا مينهو منه ووضعاه بحرص أمام الباب. ومن ثم تبع توماس زملاءه، وهو لا يزال تحت تأثير صدمة ضربات البرق العنيفة، وخطا بداخل الظلام الكثيب.

عاد بعد مرور بعض الوقت لينظر إلى الخارج ليجد المطر قد أخذ يهطل بغزارة كأن العاصفة قد قررت أخيراً أن تذرف دموع الندم، وشعور بالخزي مما قد فعلته بهم.

## الفصل الخامس والعشرون

أخذ المطر يهطل كالطوفان، كأن السماء قد ابتلعت المحيط ابتلاعًا لتنهمر به فوق رؤوسهم.

ظل توماس جالسًا في مكانه لما يزيد على الساعتين، يراقب السماء البكّاءة، تكوّر حول نفسه واستند إلى الحائط يلفه الإرهاق والألم، داعيًا أن يعود إليه سمعه، بدت أن محاولاته آتت أكلها، إذ اختفى الطنين كليًا وخفت وطأة الصمت الثقيل الذي غشى أذنيه.

لم يستطع بصيص الضوء الآتي من النافذة مجابهة العتمة الباردة التي تلف البناء من الداخل، انتشر بقية فتیان الجلايد بعضهم يجلس القرفصاء والبعض الآخر مستلقٍ على جنبه، وتكوّر مينهو حول نفسه بجانب قدمي توماس لا يقوى على الحراك قيد أنملة، بدا الأمر وكأن أبسط حركة ترسل أمواجًا متدفقة من الألم المحموم عبر جسده، كان نيوت بالقرب منهما أيضًا، والسيد طاسة كذلك، ولكن أحدًا منهم لم ينبس ببنت شفة أو تكبد عناء محاولة ترتيب الأمور، ولم يحاول أحد أن يحصي عدد الفتیان ليعرف الموجود من المفقود، افترش كل منهم الأرض كمن غادرته الروح مثلما كان حال توماس، يفكرون جميعًا على الأرجح في نفس الفكرة التي تشغله: أي عالم هذا بحق الجحيم الذي يمكنه خلق عاصفة وحشية كتلك؟

ارتفع صوت انهمار المطر حتى تأكد توماس بما لا يخالطه الشك أنه بإمكانه سماعه حقًا، على الرغم من كل شيء، ساعد الصوت في تهدئته وغط في النوم أخيرًا.

\*\*\*

مر الوقت إلى أن استيقظ، كان جسده متصلبًا كأن هناك صمغًا جفَّ في عروقه وعضلاته، وقد استعادت أذناه ورأسه كل آلياتهم الحيوية في مكانها، بإمكانه سماع صوت الأنفاس المتناقلة لفتيان الجلاید الذين يغطون في النوم، وتأوهات مينهو المعدَّبة، وسمع بوضوح صوت السيل الذي أخذ الآن يصفع الشارع بالخارج في ضربات عنيفة.

ولكن الظلام الآن أصبح يغطي المكان كله، على الأرجح قد أرحى الليل سدوله على الدنيا.

حاول أن يتجاهل أرقه وقلقه ليحل محلها الإرهاق، أخذ يتقلب إلى أن استقر مستلقيًا على ظهره واستقرت رأسه على ساق أحدهم، ومن ثم راح في النوم مجددًا.

أقلق شيطان منامه حتى غادر النوم من عينه تمامًا: أشعة الشمس الساطعة، والصمت المبالغ الممتد. لقد انتهت العاصفة، أي أنه ظل نائمًا طوال الليل. ولكن حتى من قبل أن يهاجمه الألم ويشعر بتصلب جسده كما توقع، داهمه شعور أكثر ضراوة ووحشية:

### الجوع.

تسلل الضوء إلى الغرفة عبر النوافذ المهشمة وغمر المكان من حولهم، نظر توماس من حوله ليجد بقايا بناء خرب، إذ شقت فجوات هائلة طريقها ممزقة كل طوابق البناء وصولًا إلى سطحه عبر عشرات الطوابق التي ترتفع في السماء، بدا الأمر جليًا أن الشيء الوحيد الذي منع البناء من أن يهوي إلى الأرض هو بنيته المتينة. لم تستطع مخيلته أن تجد سببًا قد يجعل كل هذا يحدث، ولكن على نحو منافٍ للعقل، كان بإمكانه رؤية اللون الأزرق الساطع يملأ السماء من فوقهم، وكان ذلك منظرًا بدا مستحيلًا لدى آخر مرة كان فيها بالخارج. لا يهم كم كانت تلك العاصفة مروعة، ولا يهم أي نوع من النزوات المناخية المتطرفة قد تؤدي بالأرض إلى شيء كهذا، فقد بدا كل ذلك الآن وكأنه انتهى حقًا.

طعن الألم معدته طعنات حادة، معدته التي طفقت تصرخ وتموء جوعًا. نظر حوله فوجد معظم فتیان الجلاید لا يزالون نائمين ما عدا نيوت الذي كان



مستندًا بظهره إلى الحائط، يحدق بنظرة فارغة إلا من الكأبة إلى بقعة فارغة في منتصف الغرفة.

سأله توماس، بفكُّ متصلب:

- هل أنت بخير؟

التفت إليه نيوت ببطء، بدت عيناه مسافرتين إلى أن استفاق فجأة من شروده وانتبه إلى توماس، وأجابه:

- بخير؟ نعم، أظن أنني بخير، إننا على قيد الحياة، يبدو أن ذلك هو كل ما ينبغي أن نقلق بشأنه بعد الآن بحق الجحيم.  
كان صوته مشبَّعًا بمرارة لا تُحتمل.

دمدم توماس:

- إنني أتساءل أحيانًا.

- عم تتساءل؟

- عما إذا كان البقاء على قيد الحياة هو كل ما يهم حقًا، إذا لم يكن الموت هو أسهل سبيل للخلاص من كل هذا.

- بحقك، لا يمكنني أن أصدق ولو لثانية واحدة أنك تفكر بهذه الطريقة. كانت نظرة توماس قد اتجهت إلى الأسفل عندما تفوه بفكرته اليائسة، ثم رفع نظره بحدة إلى نيوت بعدما رد عليه، وابتسم وقد شعر ببعض التحسن، وقال له:

- إنك محق، إنني فقط أحاول أن أبدو بأئسا مثلك.

بالكاد تمكن من إقناع نفسه أن تلك هي الحقيقة، وأنه لم يكن يشعر حقًا أن الموت هو أسهل طريق للخلاص.

أشار نيوت باتجاه مينهو في إعياء، وسأل:

- ما الذي حدث له بحق الجحيم؟

- لقد صعقه البرق فأشعل النار في ملابسه بطريقة ما.

- كيف فعل ذلك دون أن يطهو رأسه كالدجاجة؟

- ليست لدي أدنى فكرة، ولكننا تمكنا من إخماد النار قبل أن تسبب ضررًا متفاقمًا، أو هكذا أظن.

- قبل أن تسبب ضررًا متفاقمًا؟ إنني لا أربغ أبدًا في أن أرى كيف يبدو الضرر الحقيقي بالنسبة إليك.

أغمض توماس عينيه لثانية وأسند رأسه إلى الحائط واستدرك:

- مهلاً، كما قلت أنت، إنه لا يزال على قيد الحياة، أليس كذلك؟ كما أنه لا يزال هناك ملابس تغطي جسده، وهذا يعني أن النار لم تحرق مناطق عديدة من جسده، سوف يكون بخير.

أجابه نيوت بلهجة ساخرة:

- أجل، كم هذا جميل، نكّرني من فضلك ألا أقوم بتعيينك كطبيب لي من الآن وحتى أي وقت آخر.

- آآآآآآآآ.

أتت هذه الصرخة الطويلة المعذبة من مينهو، رفرقت عيناه لتنتفحا لثوانٍ، ثم أغمضهما مجددًا عندما لمح توماس ينظر نحوه، وأكمل:

- يا إلهي، رباه، لقد احترقت يا رجل، لقد احترقت إلى الأبد.  
سأله نيوت:

- إلى أي حد تشعر بالألم؟

بدلاً من أن يجيبه، دفع مينهو نفسه ببطء شديد إلى أن نهض في وضعية الجلوس، أخذ يئن ويجفل مع أبسط حركة يأتي بها، ولكنه تمكن من فعلها في النهاية، وتقاطعت ساقاه من تحته. أصبحت ملابسه متفحمة وممزقة، وظهرت مواضع الجلد المتقرح الأحمر المنسلخ عن اللحم من المناطق التي طالها الحريق، وبدت كأعين كائن فضائي متوعدة بالشر. وعلى الرغم من أن توماس لم يكن طبيبًا، وليست لديه أدنى فكرة عن تلك الأمور، فإن صوتًا ما بداخله يخبره أن الحروق لم تكن خطيرة وسوف يتمثل للشفاء في وقت قياسي. قد نجا معظم وجه مينهو لم تمسه النار، ولا يزال الشعر يغطي رأسه، متسخًا وقذرًا كما هو.

قال توماس بضحكة ماكرة:

- ليس سيئًا للغاية ما دام بإمكانك فعل ذلك.

أجابه مينهو:

- أيها الأخرق، إنني أقوى من الصلب، ولا يزال بإمكانني أن أركل مؤخرتك ذات الذيل تلك.

هز توماس كتفيه في غير اهتمام:

- إنني أحب الأذيال بالفعل، أتمنى لو بإمكانني أن أكل واحدًا في هذه اللحظة.

تقلصت معدته وتذمرت لدى سماع ذلك.

قال مينهو:

- هل كانت هذه مزحة؟ هل قام توماس الممل الأخرق ذاك بالمزاح للتو حقًا؟

أجاب نيوت:

- أظن أنه فعل.

قال توماس بهزة من كتفيه توحى بالتباهي:

- إنني فتى خفيف الظل.

- أجل أنت كذلك.

بالطبع كان مينهو قد فقد انتباهه في حديثهم العابر بالفعل، التفَّ برقبته لكي يلقي نظرة على بقية فتیان الجلايد، كان معظمهم إما نائمًا أو مستلقيًا تعلقو وجهه نظرة فارغة، ثم سأل:

- كم عددهم؟

قام توماس بعدهم، كانوا أحد عشر، بعد كل ما خاضوا غماره لم يتبق منهم سوى أحد عشر، وكان الفتى الجديد، آريس، من ضمنهم، من بين أربعين أو خمسين شخصًا كانوا يعيشون في الجلايد مذ وصل توماس قبل أسابيع قليلة مضت، فقط أحد عشر شخصًا تبقى.

أحد عشر!

لم يستطع أن يتفوه بكلمة واحدة بعدما أدرك هذا الأمر، واستحالت اللحظة التي تبسمت لها ثغورهم منذ ثوانٍ إلى كآبة خالصة، كأنهم ارتكبوا عملاً بغيضاً يعاقبون عليه.

غرق توماس في أفكاره: كيف لي أن أكون جزءاً من وكيد؟ كيف كنت جزءاً من كل هذا؟ أدرك أن عليه أن يقصّ عليهم رؤياه عن ذكرياته في الماضي، ولكنه لم يستطع أن يفعل.

تكلم نيوت أخيراً، وكان ذلك هو ما أخرجه من شروده:

- لم يتبق منّا سوى أحد عشر.

قال مينهو، وقد بدا كأنه مغيب، كأنما كان يقوم بإحصاء عدد التفاح الذي فقدوه مع الأمتعة التي طارت مع الريح:

- إذن، ماذا لدينا؟ هل مات ستة أشخاص في العاصفة؟ أم سبعة؟

أجابه نيوت، ولم تخف لهجته المستنكرة لأسلوب مينهو المتعجرف:

- سبعة...

ثم استدرك بلهجة أكثر ليناً:

- سبعة، إلا لو تمكن آخرون من الهرب إلى بناء آخر.

قال مينهو:

- يا رجل، كيف سنتمكن من دخول هذه المدينة ونحن أحد عشر رجلاً

فقط؟ من الوارد أن نجد مئات النزّقين في هذا المكان على أقل تقدير،

أو ربما آلاف، وليس لدينا أدنى فكرة عما هم قادرون على فعله!

زفر نيوت زفرة كبيرة، وقال:

- هل هذا كل ما تفكر فيه بحق الجحيم؟ ماذا عن الذين ماتوا يا مينهو؟

إن جاك مفقود، ووينستون كذلك، لم تكن لديه أي فرصة على أي حال،

وأيضاً (نظر من حوله) ليس بإمكانني أن أجد ستان أو تيم، ماذا عنهم

جميعاً؟

رفع مينهو يديه عالياً ووجّه راحتيه باتجاه نيوت:

- مهلاً! مهلاً! مهلاً! فلتهداً ولا تتحمس كثيراً يا أخي العزيز، إنني لم

أتقدم بطلب لكي أصبح القائد، إذا أردت أن تجلس وتبكي على أطلال

ما حدث اليوم بطوله، فلك هذا، لكن ذلك ليس بالشيء الذي يفعله

القائد، إن القائد يسعى لإيجاد الطريق الذي سنسلكه وما سنفعله بعد أن تقع الواقعة.

- حسنٌ إذن، أظن أنك لهذا السبب حصلت على هذه الوظيفة.

قال نيوت ذلك، ولكن ارتسمت بعدها ملامح الأسف على وجهه، فاستدرك قائلاً:

- على أي حال، أنا آسف، حقًا، إنني فقط...

- أجل، إنني آسف أيضًا.

لكن مينهو أشاح بنظره على الرغم من ذلك، وتمنى توماس ألا يكون نيوت قد لاحظ ذلك، إذ وجد أنه عاد يحدق إلى الأرض مجددًا.

لحسن الحظ جاء أريس وانضم إليهم، ود توماس لو تتخذ محادثتهم منحنى مختلفًا تمامًا.

سأل الفتى الجديد:

- هل سبق لكم وأن رأيتم شيئًا كتلك العاصفة؟

هز توماس رأسه إذ كان أريس ينظر إليه، وأجاب:

- لا يبدو ذلك شيئًا طبيعيًا، حتى بالنسبة إلى ذاكرتي الخبرة، أكاد أجزم أن أمورًا كتلك لا تحدث بصورة عادية.

أضاف مينهو:

- ولكن هل تذكر ما قاله السيد جرد وما أخبرتك به تلك السيدة في الحافلة، عن الوهج الشمسي، وأن العالم أجمع كان يحترق كأنه الجحيم بذاتها، بإمكان ذلك أن يسبب خللاً هائلًا في حالات المناخ، بما يكفي لكي يأتي بعواصف هائجة كردود أفعال على ذلك، إن لدي شعورًا بأننا محظوظون أنها لم تكن أسوأ من ذلك.

قال أريس:

- لست واثقًا من أن "محظوظين" هي الكلمة الأنسب لنصف بها أنفسنا.

- أجل، لا بأس.

أشار نيوت إلى زجاج الباب المهشّم، حيث كانت أشعة الشمس ساطعة بذات الضوء الوهاج الذي عهدوه واعتادوه في أيامهم الأولى في الأرض المحترقة.

- على الأقل انتهت العاصفة، من الأفضل لنا أن نبدأ في التفكير في خطواتنا التالية.

قال مينهو:

- أترى؟ ها أنت ذا منعدم القلب مثلي تمامًا، وإنك محق في ذلك.

تذكر توماس كيف بدا شكل النزقين عبر نوافذ مهجع النوم، كالكوابيس الحية، لا ينقصهم سوى شهادة الوفاة لكي يصبحوا زومبي رسميًا، فأضاف:

- أجل، يجب علينا أن نضع خطة لما سنفعله تاليًا قبل أن نفاجأ بمجموعة من أولئك المعتوهين أمامنا، ولكني أقول لك، يجب أن نأكل قبل أي شيء، لا بد أن نجد طعامًا.

آلمته الكلمة الأخيرة ألمًا رهيبًا، كان يريد بعضًا منه بشدة.

- هل قال أحدكم طعامًا؟

كتم توماس شهقة مفاجئة، إذ إن الصوت أتى من الأعلى، نظر إلى الأعلى مثلما فعل البقية ليجدوا وجهًا ينظر إليهم عبر بقايا سقف الطابق الثالث، كان وجهًا لرجل من أصل إسباني ذي أعين حادة، شعر توماس بتوتر يجتاح صدره.

صاح به مينهو:

- مَنْ أنت؟

ثم بحركة مفاجئة، ومنافية للعقل بالنسبة إلى توماس، قفز الرجل عبر فتحة السقف وأخذ يسقط إلى أن أصبح أمامهم بالأسفل، كان ملتفًا حول نفسه كالكرة في أثناء سقوطه، دار في الهواء ثلاث دورات كاملة ثم فرد جسده وهبط واقفاً على قدميه.

- اسمي خورخي...

قال ذلك وهو باسط ذراعيه بجانبه كأنما كان يتوقع أن يحيوه على حركاته

البهلوانية، وأكمل تعريف نفسه:

- وأنا النُّزق الذي يحكم هذا المكان.

## الفصل السادس والعشرون

عانى توماس لبعض الوقت في محاولة تصديق أن الرجل الذي هبط عليهم من السماء -حرفياً- كان حقيقياً، لم يكن شيئاً كهذا في الحساب، كما أن هنالك سخافة غريبة فيما قاله وفي الطريقة التي قاله بها، ولكنه موجود حقاً، إنه حقيقي. وحتى على الرغم من أنه بدا أكثر وعياً من الآخرين الذين رأوهم، فلقد اعترف بنفسه أنه نَزَق بالفعل.

سألهم خورخي وابتسامة عريضة تعطي وجهه لا تليق مطلقاً بأنقاض البناء الذي يحيط بهم:

- أنسيتم كيف تتحدثون أيها السادة؟ أم أنكم فقط تخافون النَّزَقين؟ أتخشون أن نجعلكم تجثون أرضاً على ركبتيكم ومن ثم نخرج أعينكم من محاجرها لنأكلها؟ مم، كم هذا لذيذ، دائماً ما تكون المقل اختياري المفضل عندما ينقد منا الطعام، يشبه مذاقها البيض نصف المطبوخ. قرر مينهو أن يجيبه بنفسه، وقد بذل جهداً هائلاً في إخفاء مدى الألم الذي يشعر به:

- إنك معترف بأنك نَزَق؟ أنك مسخ مجنون لعين؟  
أضاف السيد طاسة:

- لقد قال للتو إنه يحب مذاق مقل الأعين، أظن أن ذلك هو الجنون بعينه. قهقهه خورخي، وقال بلهجة تحمل تهديداً واضحاً:

- مهلاً، مهلاً أيها الأصدقاء الجدد، إنني سأكل أعينكم فقط عندما تموتون تماماً. بالطبع يمكنني مساعدتكم في حدوث ذلك متى أردت، أتفهمون ما أقوله؟

اختفى المرح تماماً عن وجهه وحلت محله نظرة حادة محدّرة، كأنه يتعمد تحديهم للوقوف أمامه. لم ينبس أحد ببنت شفة لهنيهة، ثم خرج نيوت عن صمته وسأل:

- كم يوجد منكم هنا؟

تركزت نظرة خورخي على نيوت، وأجاب:

- أتسأل عن عددنا؟ كم عدد النّزّقين؟ إننا جميعاً نزقون هنا يا أخي<sup>(1)</sup>.

أجاب نيوت بلهجة حازمة:

- ليس ذلك ما أعنيه وأنت تعلم ذلك.

طفق خورخي يتجول بالغرفة بخطوات واسعة وبطيئة ويدور حول أفراد الجلايد لينظر إليهم جميعاً بينما يتحدث:

- هناك أشياء كثيرة أنتم بحاجة إلى فهمها أيها القوم عن كيفية سير الأمور في هذه المدينة، عن النّزّقين وعن وكّد، عن الحكومة، وعن السبب وراء تركهم لنا لكي نتعفن هنا بالمرض الذي نحمله، ونقتل بعضنا بعضاً بعد أن يصيبنا الجنون ويتمكن منّا كلياً. تحتاجون إلى أن تفهموا أن هناك مستويات مختلفة من فيروس الوهج... وأن الأوان قد فات بالنسبة إليكم؛ سوف يصيبكم هذا البلاء حتماً، هذا إذا لم تكونوا مصابين به بالفعل.

ظل توماس يتابعه بعينه بينما كان يجوب الغرفة وهو يخبرهم بتلك الأشياء الفظيعة، فيروس الوهج، كان يظن أنه قد اعتاد خوفه من كونه يحمل المرض، ولكنه شعر بخوف لم يجتّحه من قبل بوجود هذا النّزق الواقف أمامه، خوف لم يستطع أن يكبح جماحه بأي شكل.

توقف خورخي بالقرب منه ومن أصدقائه، تكاد قدمه تلمس مينهوه، واستأنف حديثه:

(1) قيلت باللغة الإسبانية في النص الأصلي.



- ولكن الأمور لن تسير بهذه الطريقة، أفهمون<sup>(1)</sup>؟ أولئك الذين في موقف غير مؤاتٍ هم من يتكلمون أولاً، لذا أريد أن أعرف كل شيء عنكم، من أين أنتم، لماذا أنتم هنا، وما الذي تسعون إليه بحق السماء، والآن.

أصدر مينهو صوتاً خافتاً أشبه بضحكة ساخرة، وقال:

- أنحن الذين في موقف غير مؤاتٍ؟ (أدار مينهو رأسه باستهزاء) ما لم تقم عاصفة البرق تلك بتدمير شبكية عيني، فإنني أعتقد أن هناك أحد عشر منّا مقابلك أنت وحدك. ربما عليك أنت البدء بالتكلم.

تمنى توماس حقاً لو أن مينهو لم يقل ذلك، كان ذلك قولاً غيبياً ومتغطرساً، وبإمكانه أن يتسبب في قتلهم بمنتهى السهولة، بالتأكيد لم يكن هذا الرجل بمفرده، وارد جداً أن يكون هناك مئات النزقين مختبئين في بقايا الطوابق العلوية ويتجسسون عليهم بينما يحملون أسلحة لا يعلم إلا الله ما نوعها، أو أسوأ من الأسلحة، ستفي أيديهم وأسنانهم الوحشية وجنونهم بالغرض.

حدق خورخي إلى مينهو لوقت طويل بوجه يخلو من أي تعبير، ثم قال:

- إنك لم تقل هذا لي للتو حقاً، أليس كذلك؟ من فضلك قل لي إنك لم تتحدث إليّ كالكلب قبل قليل، لديك عشر ثوانٍ كي تعتذر.

نظر مينهو إلى توماس بابتسامة مفتعلة، بينما تابع خورخي:

- واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة...

حاول توماس أن ينظر إلى مينهو نظرة تحذيرية وأوماً إليه: افعل ذلك.

- خمسة، ستة...

قالها توماس أخيراً بصوت عالٍ:

- افعل ذلك.

- سبعة، ثمانية...

(1) قيلت باللغة الإسبانية في النص الأصلي.

أخذ صوت خورخي يرتفع مع كل رقم، وشعر توماس أنه لمح حركة خفيفة من مكان ما في الأعلى، مجرد ظل متحرك ربما لاحظته مِينهو أيضًا، إذ فرّت كل ملامح التكبر من وجهه هاربة.

- تسعة...

- أنا آسف.

صاح مِينهو فجأة بصوت يملؤه الخزي. قال خورخي وهو يركل ساق مِينهو:

- لا أظن أنك تعني ذلك.

أحكم توماس قبضتيه عندما صرخ صديقه من الألم، لا بد أن النَّزق ضرب جرحًا محترقًا مباشرة.

- قُل ذلك وأنت تعنيها يا أخي.

نظر توماس إلى النَّزق مباشرة نظرة يملؤها الكره، وقد اجتاحت أفكار طائشة عقله؛ أراد أن ينقض عليه ويهاجمه، أن يضربه ويسحقه كما ضرب جالي بعد هروبهم من المتاهة.

أرجع خورخي ساقه إلى الخلف ثم هوى بها على مِينهو مجددًا بقوة، ولمرتين في نفس المكان.

- اعتذر وأنت تعنيها!

صرخ وهو ينطق بالكلمة الأخيرة صرخة وحشية تعكس جنونًا هائلًا.

صرخ مِينهو وسط أنفاسه الثقيلة، كان صوته متقطعًا مشبّعًا بالألم:

- أنا... آسف.

ولكن ما إن ابتسم خورخي وهدأ غضبه وبدت عليه نشوة الإذلال الذي سببه لمِينهو، حتى امتدت ذراع مِينهو وضرب ذقن النَّزق بقبضته، اختل توازن الرجل ثم سقط مرتطمًا بالأرض وهو يعوي، صرخة كانت تحمل من الصدمة ما تحمله من الألم.

ثم ما لبث مينو أن أصبح فوقه وأخذ يصيح بسلسلة من البذاءات لم يسبق لتوماس وأن سمعها تخرج من فم صديقه قط. اعتصر قائدهم جسد خورخي بين فخذه بشدة، ثم أخذ يلكمه دون توقف.

صاح به توماس:

- مينو، توقف!

نهض قائمًا وقد تجاهل مفاصله المتصلبة والألم الذي يحرق عضلاته، استرق نظرة سريعة نحو الأعلى بينما يتجه نحو مينو ليفصله عن جسد خورخي.

كانت هناك حركة في الأعلى فعلاً، في عدة أماكن، ثم رأى بعض الأشخاص ينظرون إلى الأسفل، أشخاص على أهبة الاستعداد للقفز، ظهرت الحبال وتدلّت من علٍ عبر حواف الفتحات المحطمة.

انقض توماس على مينو وأسقطه أرضاً من فوق جسد خورخي، ارتطم كل منهما بالأرض، واستدار توماس بسرعة ليمسك بصديقه ولف ذراعيه حول صدره واعتصره بقوة ليمنعه من الهرب.

صرخ توماس في أذنيه من الخلف:

- يوجد الكثير منهم بالأعلى! عليك أن تتوقف، سوف يقتلونك! سوف يقتلوننا جميعاً!

نهض خورخي مترنحاً، ومسح ببطء الدم الذي يسيل من زاوية فمه. كانت النظرة التي اكتسى بها وجهه كافية لتثبت في قلب توماس الرعب.

نظر خورخي إليه مباشرة بينما هبط بعض النّزّقين الآخرين إلى الأرض من علٍ، قام بعضهم بعرض الحركات البهلوانية كما فعل خورخي، والبعض الآخر هبطوا واقفين على أقدامهم عبر الأحبال المتدلية، ثم تجمع كل منهم بسرعة خلف قائدهم، نحو خمسة عشر منهم الرجال ومنهم النساء، وبعضهم كانوا مراهقين، تبدو على كل منهم الصرامة ويرتدون جميعاً ملابس ممزقة، معظمهم كان نحيفاً يبدو عليه الوهن.

توقف مينو عن القتال فأرخی توماس قبضته أخيراً، بدا الأمر جلياً للرائي أنها مسألة ثوانٍ وسيتحول الموقف من عراك إلى مجزرة. ضغط

توماس بإحدى يديه على ظهر مينهو، ومد الأخرى أمام خورخي في إشارة استرضائية، وقال وهو يقاتل قلبه وصوته لكي يهدأ قليلاً:

- امنحني دقيقة أرجوك، لن يكون في مصلحتكم أيها الرفاق أن... تؤذونا.  
قال النَّزق:

- لن يكون في مصلحتنا؟ (بصق بعض اللعاب المدمى من فمه) بل سوف يكون ذلك في مصلحتي كثيرًا، يمكنني أن أضمن لك ذلك يا أخي.

كؤر الرجل قبضتيه بجانبه، وحرك رأسه حركة بالكاد تُذكر، ولكن بمجرد أن فعل ذلك، قام النَّزقون الذين خلفه بإخراج كل الآلات الحادة من الفتحات العميقة في ملابسهم الممزقة: سكاكين، خناجر صدئة، أسياخ معدنية سوداء ربما كانت ذات يوم في أحد السكك الحديدية في مكان ما، وقطع زجاج مهشم تحمل حوافها التي تشبه نصل السكين الحاد بقعًا من الدماء. كانت إحدى الفتيات -لا يمكن أن يتعدى عمرها الثالثة عشرة- تحمل في يدها مجرفة مشقوقة ومصقولة، بدت نهايتها المعدنية ذات سن مدببة وحادة كالمنشار.

أدرك توماس في تلك اللحظة إدراكًا لا يشوبه شك أنه يتضرع من أجل حياتهم، لن يتمكن أفراد الجلاید من قتال أولئك الناس، هذا مستحيل، صحيح أنهم لم يكونوا هوامًا، ولكنهم أيضًا ليس لديهم شيفرة سحرية يمكنها أن توقف تشغيلهم.

قال له توماس وهو ينزل على الأرض ببطء، ويدعو الله ألا يأتي مينهو بأي حركة غبية:

- استمع إليّ، هناك شيء لا تعرفه عنّا، إننا لسنا مجرد عراقيب عاديين مروا بمكانك خبط عشواء، إننا ذو قيمة ونحن على قيد الحياة، ليس ونحن أموات.

قلَّ الغضب الذي يكسو وجه خورخي شيئًا قليلاً وحلت محله لمحة تحمل شيئًا من الفضول، ولكن ما قاله كان فقط:

- ماذا تعني بعرقوب؟

كاد توماس أن يضحك، فقط أوشك أن يفعل، سيكون ذلك رد فعل متهورًا وقد يبدو غير لائق بطريقة ما، أجاهه قائلاً:

- أنا وأنت بمفردنا، لمدة عشر دقائق فقط، هذا كل ما أطلبه منك، أحضر كل الأسلحة التي تحتاج إليها.

ضحك خورخي بالفعل لدى سماع ذلك، ضحكة أشبه بنخرة ساخرة أكثر، ثم قال:

- آسف لتخيب آمالك أيها الطفل، ولكنني لا أظن أنني سأكون في حاجة إلى أي منها.

توقف النَّزق لبضع ثوانٍ بدت وكأنها ساعة كاملة ثقيلة ثم قال أخيرًا:

- عشر دقائق، فليبقَ بقيتكم هنا، راقبوا أولئك الفاسقين، إذا أعطيتكم الإشارة، فلتبدأ لعبة الموت.

رفع يداً وأشار بها إلى ممر مظلم يؤدي إلى الغرفة التي على الجانب المقابل للأبواب المحطمة.

كرر الرجل:

- عشر دقائق.

أوماً توماس مؤكداً، ثم تحرك هو أولاً عندما لم يفعل خورخي، واتجه إلى المكان الذي سيعقد فيه اجتماعهما لأهم مناقشة في حياته. والذي ربما يكون الأخير.



## الفصل السابع والعشرون

شعر توماس بخورخي يتبعه مباشرة إلى الممر المظلم، كانت رائحته مشبعة بالعفن والنتانة، أخذ الماء يقطر من السقف ويرسل أصداءً مريية جعلته لسببٍ ما يفكر في الدماء.

قال خورخي من خلفه:

- استمر في التقدم، توجد غرفة في نهاية الممر بها كراسي، عليك فقط أن تخطو خطوة واحدة نحوي حتى يموت الجميع.

ود توماس أن يستدير وينظر إلى الرجل ويصرخ في وجهه لكنه استمر فقط في المشي، وقال:

- أنا لست أحمق، بإمكانك أن تتخلى عن أسلوب الفتى الشرس هذا. اكنفى النَّزق بضحكة ردًا عليه.

بعد عدة دقائق من الصمت التام، بلغ توماس أخيرًا بابًا خشبيًا ذا مقبض فضي مستدير، مد يده وفتح الباب دون تردد محاولًا أن يري خورخي أنه ما زال لديه بعض الكبرياء، دلف إلى الداخل، ولكنه لم يكن يدري ما يفعله، الغرفة غارقة في بحر من الظلام الدامس.

شعر توماس بخطوات خورخي بالقرب منه، ثم سمع صوتًا عاليًا يشبه صوت رفرقة قماش ثقيل ألقي في الهواء، ومن ثم اشتعل ضوء ساخن وساطع لدرجة أن توماس اضطر إلى أن يغطي عينيه بذراعه، تمكن في البداية من أن يفتح عينيه شيئًا بسيطًا ثم أنزل ذراعه في النهاية واعتادت عيناه الضوء شيئًا فشيئًا، أدرك حينها أن النَّزق قام فقط بفتح ستارة ثقيلة كانت تغطي النافذة،

نافذة لم تكن مكسورة، لم يكن هناك شيء بالخارج سوى ضوء الشمس وجدران المباني.

قال له خورخي بصوت أقل فظاظة مما توقع توماس:

- اجلس.

كان يأمل ذلك لأن النَّزَقِ اقتنَع أن زائره الجديد ينوي التعامل مع الموقف بحكمة وهدوء، وأنه ربما حقًا هناك منفعة وراء هذا النقاش يمكنها أن تعود على جميع مقيمي هذا البناء المتداعي، وبما أن الرجل كان نَزَقًا، فلم يكن لدى توماس أي فكرة عن كيف سيكون رد فعله بالطبع.

كانت الغرفة تملو من الأثاث سوى من كرسيين خشبيين صغيرين تتوسطهما طاولة. سحب توماس الكرسي القريب إليه واتخذ مجلسًا، وجلس خورخي في الجانب المقابل له ثم مال إلى الأمام ووضع ساعديه على الطاولة وعقد يديه في بعضهما، خلا وجهه من أي تعبير وتركزت عيناه على توماس مباشرة.

- تكلم.

تمنى توماس لو يمنحه بضع ثوانٍ لكي يدرس الأفكار التي كانت تدور في ذهنه عندما كانا في الغرفة الكبيرة، ولكنه أدرك أنه ليس لديه متسع من الوقت لذلك.

أجاب بتردد:

- حسنًا.

فقط كلمة واحدة، ليست بداية جيدة حتى هذه اللحظة. سحب نفسًا إلى رئتيه وبدأ:

- انظر، لقد سمعتك تذكر وكِد ونحن هناك، إننا نعرف أولئك الأشخاص جيدًا، وإنني مهتم للغاية لسماع ما يمكنك قوله عنهم.

لم يكثر خورخي لأي من هذا، ولم يتغير تعبير وجهه:

- لست أنا الشخص الذي يتكلم الآن، بل أنت.

- أجل أعلم ذلك...

قرَّب توماس كرسيه إلى الطاولة أكثر، ثم دفعه إلى الخلف ووضع إحدى ساقيه على الأخرى، كان بحاجة إلى تهدئة نفسه لكي يسمح للكلمات بالخروج والتدفق، تكلم أخيرًا:



- حسنًا، هذا صعب بعض الشيء، لأنني لا أعلم ما الذي تعرفه أنت، لذا أظن أنني سأتظاهر وكأنك غافل عن الأمر برمته.

- إنني أنصحك نصيحة حقة بالأ تستخدم كلمة «غافل» وأنت تخاطبني مرة أخرى.

ابتلع توماس ريقه بصعوبة بالغة، إذ كان الخوف يقف كالشوكة في حلقه، وقال:

- ذلك في سياق الكلام ليس إلا.

- فلتكلم حديثك.

سحب توماس نفسًا عميقًا آخر وأكمل:

- لقد كنا مجموعة كبيرة تتألف من خمسين فتى و... فتاة واحدة (داهمه ألم شديد لدى ذكر ذلك) والآن فقد قلَّ عددنا إلى أحد عشر، لست على علم بكل التفاصيل، ولكن وكِد هذه منظمة تفعل بنا أشياء فظيعة لغرض ما، بدأ الأمر بأننا جميعًا وجدنا أنفسنا في مكان يدعى الجلايد، بداخل متاهة حجرية تحيط بمخلوقات تُدعى الهوام.

توقف ونظر إلى خورخي بحثًا عن أي تعبير على وجهه كرد فعل على المعلومات الغريبة التي قالها للتو، ولكن النُزق لم يظهر أي تعبير يدل لا على عدم الفهم ولا على الإدراك، لا شيء على الإطلاق.

استمر توماس وأخبره بكل شيء بالتفصيل، كيف كانت حياتهم في المتاهة، وما حدث في أثناء هروبهم، وكيف أنهم ظنوا أنهم نجوا، وكيف أن الأمر برمته قد اتضح ليجدوا أنها لم تكن سوى مرحلة أخرى من تخطيط وكِد، أخبره عن السيد جرد والمهمة التي كلفهم بها، وهي النجاة بحياتهم بقدر المستطاع وبما يكفي لكي يقطعوا مسافة مئة ميل شمالًا، حتى يصلوا إلى مكان أشار إليه باسم الملاذ الآمن، استرسل في شرح ما حدث لهم عبر النفق الطويل، وعن كرة المعدن المنصهر الطائرة التي هاجمتهم، وما خاضوا غماره خلال الأميال الأولى من رحلتهم الشاقة بالخارج.

قص توماس على خورخي القصة بأكملها، وكلما استرسل في الحديث أكثر، بدا الأمر ضربًا من الجنون أنه يتشارك القصة مع أحدهم، ولكنه استمر

في الحديث فقط لأنه لم يستطع التفكير في أي شيء آخر ليفعله، وتضرع أن تكون وكِد عدوة للنزقين كما هي بالنسبة إليهم.

مع ذلك لم يأتِ على ذكر تيريسا، إذ كانت هي الشيء الوحيد الذي تخطاه. ثم قال محاولاً تلخيص كل شيء:

- لذلك لا بد وأن هناك شيئاً ما خاصاً بأمرنا، مؤكداً أنهم لا يفعلون كل ذلك لمجرد أنهم أشرار، وإلا ما الغرض وراء ذلك.

أجابهُ خورخي، للمرة الأولى خلال عشر دقائق على الأقل، إذ كان الوقت المتفق عليه قد انتهى بالفعل:

- بالحديث عن الأغراض، ما هو غرضكم؟  
انتظر توماس، لقد كانت هذه فرصته الوحيدة. حثه خورخي على الكلام:

- والآن ماذا؟

تشجع توماس:

- لو أنك... تساعدنا... أعني، لو أنك، أو ربما بعض منكم فقط، يذهب معنا ويساعدنا على الوصول إلى الملاذ الآمن...

- حقاً؟

- هذا يعني أنه من الممكن أن تكونوا أنتم أيضاً في أمان...  
وذلك ما كان توماس يخطط من أجله منذ البداية، وما كان يمهد لكي يقوله، الأمل الذي حدثهم عنه السيد جرد. استدرك:

- لقد أخبرونا أننا نحمل فيروس الوهج، وأننا لو تمكنا من الوصول إلى الملاذ الآمن، فسنحصل على العقار، قالوا لنا إن لديهم مصلاً للفيروس، لو قمت بمساعدتنا للوصول إلى هناك، ربما يمكنك أنت أيضاً الحصول عليه.

توقف توماس عن الكلام ونظر إلى خورخي بجدية بالغة.

تبدل شيء ما - طفيف للغاية - في وجه الرجل النَّزق عندما أنهى توماس جملته الأخيرة، أدرك توماس أن جهوده آتت أكلها، كانت النظرة مقتضبة، ولكنها بكل تأكيد تحمل بعض الأمل، ما لبثت أن استحالت إلى نظرة لا مبالاة فارغة، على الرغم من ذلك كان توماس يدرك معنى ما قد رآه.

كرر النَّزق:

- عقار؟

- عقار.

قرر توماس أنه لن يزيد حرفاً عند هذه النقطة: لقد بذل كل ما في وسعه. أسند خورخي ظهره إلى كرسيه، فأصدر الخشب أنيباً مع حركته كأنه على وشك أن يُكسّر، ثم أشبك ذراعيه ببعضهما، أرخى جفنيه وجعد حاجبيه ونظر إلى الأسفل كأنه يعيد التفكير، ثم قال:

- ما اسمك؟

فاجأ السؤال توماس، بل شعر أنه واثق حقاً أنه أخبره باسمه بالفعل، أو على الأقل بدا وكأنه كان يجب أن يخبره به من قبل، ولكن بغض النظر عن هذا، لم يتكبد عناء شرح كل هذا السيناريو من أجل التعارف.

كرر خورخي سؤاله:

- ما اسمك؟ أفترض أن لديك اسمًا يا أخي.

- أجل، بالطبع، آسف، اسمي توماس.

لاحت نظرة أخرى على وجه خورخي، بدت هذه المرة وكأنه... الإدراك الممتزج بالمفاجأة. سأله:

- توماس، ها، نعم، هل ينادونك تومي؟ أو ربما توم؟

ألتمته تلك الأخيرة بشدة، إذ نكّرته بالحلم الذي رأى فيه تيريسا. أجابه:

- لا، فقط... توماس.

قال ذلك بسرعة زائدة بعض الشيء.

- حسنًا يا توماس، دعني أسألك سؤالاً، هل لديك أدنى فكرة في عقلك الإسفنجي ذاك عما يفعله فيروس الوبج بالناس؟ هل أبدو لك كشخص يحمل مرضًا لعينًا؟

بدا أن الإجابة عن هذا السؤال ستكون مستحيلة دون أن يتجعد وجهك، ولكن توماس اختار الرهان الأكثر أماناً، وأجاب:

- كلا.

- كلا؟ كلا، لكلا السؤالين؟

- نعم، أعني، لا، أعني... نعم، إجابتي على كلا السؤالين هي كلا.

ابتسم خورخي (لم تكن ابتسامته أكثر من ارتفاع طفيف لزواية فمه اليمنى) وفكر توماس أنه يستمتع بكل ثانية من هذا بكل تأكيد.

- يعمل فيروس الوهج خلال مراحل عدة أيها الشاب<sup>(1)</sup>، كل شخص

في هذه المدينة يحمل الفيروس، وإنني لم أفاجأ قط أنك وأصدقاءك

مصابون به أيضًا. فشخص مثلي لا يزال في المراحل الأولى، يعد

نَزَقًا بالاسم فقط، لقد أُصبت به قبل أسابيع قليلة فقط، ظهرت نتيجة

اختباري إيجابية عند نقطة تفتيش الحجر الصحي، إذ تبذل الحكومة

قصارى جهدها لكي تفصل النَّزَّقين عن الأصحاء، ولكن لا يبدو وأنها

تفلح، لقد رأيت حياتي بأسرها وهي تتحول إلى خراب، أرسلوني إلى

هنا، حاربت من أجل الاستيلاء على هذا البناء مع بعض النَّزَّقين الجدد.

لدى سماع هذه الكلمة الأخيرة، أحس توماس بأنه يختنق، كأن كل نفس

يأخذه يقف في حلقه كحبة حصى، لقد جعلت ذكريات الجلaid تتدفق في

عقله من جديد.

- أنا وأصدقائي الذين يحملون الأسلحة في الخارج جميعًا في نفس

القارب، ولكن فلتقم أنت بجولة صغيرة في شوارع المدينة وسوف ترى

ما الذي سيحدث بمرور الوقت، سوف ترى مراحل الإصابة بالفيروس،

سترى كيف هو الأمر عندما تتجاوز الطور، مع أنك لن تتمكن وقتها من

أن تعيش طويلًا بما يكفي لتتذكر ما ستراه، وليس لدينا حتى أي من

المادة المخدرة هنا، مخدر النعيم، ليس لدينا أي منه.

سأله توماس، وقد قرر أن يترك فضوله بشأن ذلك المخدر لوقت لاحق:

- مَنْ الذي أرسلك إلى هنا؟

- مَنْ أرسلوك... وكِد، مع فارق وحيد هو أننا لسنا مميزين مثلكم كما

تقول. لقد أسست وكِد عن طريق الحكومات التي نجت من الوهج

(1) كتبت بالإسبانية في النص الأصلي.

الشمسي بهدف محاربة الوباء، وهم يدعون أن هذه البلدة تساعد بشكل ما في تحقيق هذا الغرض، هذا كل ما أعرفه.

شعر توماس بشعور مختلط من المفاجأة والحيرة، ثم داهمه شعور بالأمل في إيجاد الإجابات، فسأل:

- من تكون وكِد؟ وماذا تكون وكِد؟

بدا على خورخي أنه متحير بنفس قدر توماس، أجابه:

- لقد أخبرتك كل ما أعرفه، لماذا تسألني هذه الأسئلة على أي حال؟ لقد ظننت أن السبب الرئيسي لحديثك عنهم هو أنكم مهمومون بالنسبة إليهم، لقد أخبرتني أنهم خلف كل تلك الأحداث.

- انظر، كل حرف أخبرتك به هو الحقيقة بعينها، لقد وعدونا بأشياء، ولكننا ما زلنا لا نعلم الكثير عنهم، لم يزودونا بأي تفاصيل، كأنهم يختبروننا لكي يروا إذا ما كنا سنتمكن من خوض غمار كل ذلك العبث، حتى لو لم تكن لدينا أي فكرة عما يحدث.

- وما الذي يجعلك أكيدًا من أنهم يملكون عقارًا.

أصبح صوت توماس الآن أكثر هدوءًا وبُطأً بشكل تلقائي، إذ اضطر أن يسترجع ما أخبرهم به السيد جرد:

- من الرجل ذي البذلة البيضاء الذي أخبرتك عنه، لقد أخبرنا أننا لهذا السبب يجب أن نصل إلى الملاذ الآمن.

- ممم، هممم.

أصدر خورخي نوعًا من الأصوات التي تشبه الـ «نعم»، ولكنها في الحقيقة كانت تعني العكس تمامًا، تابع:

- وماذا بحق السماء الذي يجعلك تظن أنهم سيوافقون على أن نخوض معكم تلك الرحلة ونحصل على العقار نحن أيضًا؟

اضطر توماس أن يستمر على نفس النهج الهادي:

- في الحقيقة ليست لدي فكرة عن هذا مطلقًا، ولكن ما الضير في المحاولة؟ إذا ساعدتنا في الوصول إلى هناك، فسيكون لديكم فرصة على الأقل، أما إذا قتلتمونا، فلن تكون لديكم أي فرصة، فقط نرُق تجاوز الطور بمراحل سوف يختار الاحتمال الثاني.

ارتسمت على وجه خورخي تلك الابتسامة البائسة مجددًا، ثم تبعتها ضحكة أشبه بسعلة قصيرة، وقال:

- هناك شيء ما بأمرك يا توماس، لقد أردت منذ بضع دقائق فقط أن أفقأ عيني صديقك ثم أفعل ذلك لكل واحد منكم أيضًا، ولكنني سأكون معتوفاً إذا قلت إنك لم تستطع إقناعي.

هز توماس كتفيه في استهجان محاولاً أن يحافظ على هدوء مُلاحظه، وأجاب:  
- كل ما يهمني أن أضيف يوماً آخر وأنا على قيد الحياة، وكل ما أريده هو عبور المدينة، بعد ذلك يمكنني أن ألقُ بشأن ما سنفعله لاحقاً، هل أخبرك بشيء آخر؟

أجبر نفسه لكي يبدو أكثر جدية مما كان يشعر. رفع خورخي حاجبيه وسأل:  
- ماذا؟

- لو كان طعنُ عينيك سيساعدني كي أعيش يوماً آخر، لكنك فعلتها والآن، ولكنني أحتاج إليك، جميعنا نحتاج إليك.

تساءل توماس إذا كان يمكنه أن يفعل شيئاً كذلك حقاً كما قال للتو. ولكن يبدو أن ذلك أفلح. أخذ النَّزق يحدق إلى توماس لثانية بدت كالدهر، ثم مد يداً إليه عبر الطاولة:

- أعتقد أننا قد عقدنا اتفاقاً يا أخي، ولدينا أسباب عدة.

مد توماس يده بدوره وصافح يده، وعلى الرغم من شعوره بالاطمئنان، فقد حاول قصارى جهده ألا يبيِّن ذلك.

ولكن بعد ذلك قام خورخي وحطم طمأنينته في ضربة واحدة:

- فقط لدي شرط واحد، ذلك الفتى القذر الذي دفعني أرضاً، أظن أنني سمعتك تناديه مينهو؟

أجابه توماس بصوت خفيض إذ ملأه الرعب من جديد:

- أجل؟

- سيموت.

## الفصل الثامن والعشرون

- كلا.

قالها توماس بكل القطع والحزم الذي يمكنه أن يأتي بهما.  
كرر خورخي وعلى وجهه نظرة متفاجئة:

- كلا؟! إنني أعرض عليك فرصة تمكّنك من عبور مدينة تكتظ بالنزّقين المتوحشين على أهبة الاستعداد لأكلكم أحياء، وأنت تجيبني بكلا؟  
لطلبى الوحيد الصغير؟ هذا لا يجعلني سعيدًا.

قال توماس:

- لن يكون ذلك قرارًا حكيمًا.

لم يكن لديه أدنى فكرة كيف تمكّن من الحفاظ على هدوئه، من أين له بهذا القدر من الشجاعة؟ ولكن شيئًا في قرارة نفسه كان يقول له إن تلك هي الطريقة الوحيدة للنّجاة من بطش هذا النّزق.

مال خورخي إلى الأمام مجددًا، ووضع ذراعيه على الطاولة، لكنه لم يشبك يديه هذه المرة، بل كور قبضتيه بإحكام حتى طقطقت أصابعه، وقال:

- هل هدفك أن تخرجني عن صوابي حتى أقوم بقطع شرايينك واحدًا تلو الآخر؟

قاطعه توماس:

- لقد رأيتَ ما فعله بك، إنك تدرك جيدًا قدر القوة التي يتطلبها ذلك، سوف تخسر كل ما لديه من مهارات لو قمت بقتله، إنه أفضل مقاتلينا، وليس هناك ما يخشاه، ربما يكون مجنونًا، ولكننا نحتاج إليه حقًا.

حاول توماس أن يبدو عملياً جداً، ولا يهتم سوى بالمنفعة، ولكن لو كان هناك شخص غير تيريسا على سطح البسيطة يمكن أن يدعوه صديقاً حقيقياً، فإنه مينهو، وليس بإمكانه أن يخسره أيضاً.

قال خورخي بضيق، دون أن تنبسط قبضته ولو قدراً ضئيلاً:

- ولكنه أغضبني، لقد جعلني أبدو كفتاة صغيرة أمام رجالي، وذلك ليس شيئاً... مقبولاً.

هز توماس كتفيه في لا مبالاة، متظاهراً بأنها لم تكن سوى ملحوظة تافهة لا معنى لها، وقال:

- فلتعاقبه إذن، فلتجعله يبدو كفتاة صغيرة، ولكن قتله لن يكون في صالحنا، كلما كان لدينا أشخاص قادرين على القتال ستكون فرصنا أفضل وأقوى، أعني، إنك تعيش هنا، هل أنا بحاجة حقاً إلى أن أشرح لك هذا؟

أخيراً، أخيراً انبسطت قبضتا خورخي المحكمتان، وأطلق نفساً أيضاً لم يدرك توماس أنه كان يكتمه طوال الوقت.

قال النَّزق:

- حسناً، حسناً، ولكن ليس هذا بسبب محاولتك الكسيحة لإقناعي بذلك، سوف أدعه على قيد الحياة فقط لأنني اتخذت قراراً بأمر ما، في الحقيقة لسببين، وعلى الأرجح أنك قد فكرت في واحد منهما أنت أيضاً.

لم يعد توماس يكثر بتظاهره بالهدوء بعد الآن، كان الجهد الذي يبذله لإخفاء ما يشعر به يرهقه بشدة، كما أنه الآن أصبح لديه فضول شديد لمعرفة ما سيقوله خورخي. سأله:

- ماذا؟

- أولاً، أنت لا تعلم حقاً كل التفاصيل وراء ذلك الاختبار أو التجربة أو أيًا كان الذي تجعلكم وكّد تخوضون غماره، لذلك ربما لو أن عددًا أكبر منكم تمكن من النجاة والوصول إلى الملاذ الآمن، فستكون فرصة حصولكم أنتم على العقار أفضل، هل فكرت من قبل أن تلك المجموعة



(ب) كانت منافسة لكم؟ إنني أظن أن أهم شيء أفعله الآن هو التأكد من أنكم الأحد عشر جميعًا ستصلون إلى هناك.

أوماً توماس، ولكنه لم ينطق بكلمة، لم يرغب في أن يغامر بإفساد النصر الذي حققه الآن، لقد صدّق خورخي ما أخبره به عن السيد جردز والعقار.

استدرك خورخي:

- والذي يقودني إلى السبب الثاني، الأمر الذي اتخذت قرارًا بشأنه. سأله توماس:

- وما هو ذلك الأمر؟

- إنني لن آخذ أولئك النزقين الذين بالخارج، معنا.

- ماذا؟ لماذا؟ لقد فكرت أن ما كنا نتحدث بشأنه طوال هذا الوقت هو أنكم ستساعدوننا لكي نقاتل ونعبر المدينة.

هز خورخي رأسه بإصرار وأسند ظهره إلى كرسيه واتخذ وضعية أقل تهديدًا وعقد ذراعيه وضمهما إلى صدره، وأجاب:

- كلا، لو كنا سنقوم بهذا الأمر، فصدقني سيكون التسلسل أفضل بمراحل من العضلات، لقد كنا نتسلل حول حفرة الجحيم هذه منذ أول يوم وصلنا فيه إلى هنا، وإنني أعتقد أن فرص نجاحنا في عبور المدينة، ووصولنا على الطعام والأشياء التي نحتاج إليها، ستكون أكبر بكل تأكيد إذا أخذنا ما تعلمناه واستغللناه خير استغلال، أي أننا سنتسلل على أطراف أصابعنا من خلف النزقين الذين تخطوا الطور بمراحل بدلاً من أن نقتحم المكان عليهم كمجموعة من المحاربين الهواة.

قال توماس:

- إنك صعب الفهم، لا أقصد أن أكون وقحًا، ولكن في حقيقة الأمر أن تكونوا محاربين هو كل ما تطمحون إليه يا رفاق، أنفهم ما أعنيه؟ أي بالنظر إلى أزيائكم القبيحة وأدواتكم الحادة.

مرت ثوانٍ طويلة من الصمت حتى بدأ توماس يفكر في أنه قد ارتكب خطأً للتو، ومن ثم انفتح خورخي في الضحك:

- أه أيها الشاب، إنك لعين محظوظ أنتي معجب بك، لست واثقًا لماذا، ولكنني معجب بك حقًا، وإلا يجب أن أكون قد قتلتك ثلاث مرات إلى الآن.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

سأله توماس:

- هل يمكن أن تفعل ذلك؟

- ماذا؟

- أن تقتل شخصًا ثلاث مرات.

- سوف أجد طريقة بشكل أو بآخر.

- سأحاول إذن أن أكون لطيفًا.

ضرب خورخي الطاولة بيده ونهض واقفًا، وقال:

- حسنًا، إليك الاتفاق إذن، علينا أن نتأكد من أن أحد عشرتكم أيها الملاعين ستصلون إلى ملاذكم الآمن بسلام، ولكي أفعل ذلك، سوف أصطحب معي شخصًا واحدًا فقط، اسمها برندا، إنها فتاة عبقرية، سنحتاج إلى عقلها الذري، ولو تمكنا من فعلها حقًا، وانتهى بنا الحال بأن ليس هناك عقار لنا، فلن أحتاج إذن إلى إخبارك عما سيترتب على ذلك من نتائج.

قال توماس بطريقة مازحة:

- بحقك، لقد ظننت أننا أصبحنا أصدقاء الآن.

- ششش، لسنا أصدقاء يا أخي، بل شركاء، سوف أساعدك في الوصول إلى وكِد، وستوفر لي عقارًا، هذا هو الاتفاق وإلا سيكون هناك الكثير من الأموات.

نهض توماس واقفًا هو أيضًا، واحتك كرسيه بالحائط، وقال:

- لقد اتفقنا على ذلك بالفعل، أليس كذلك؟

- بلى، بلى، لقد اتفقنا، والآن استمع إليّ جيدًا، إياك وأن تأتي بذكر كلمة واحدة بالخارج، سيتطلب الفرار من بين أولئك النزقين الآخرين... بعض الخداع.

- ما هي خطتك؟

فكر خورخي لدقيقة، ظل مثبتًا عينيه على توماس في أثناء ذلك، ثم خرج عن صمته قائلاً:

- فقط أبقِ فمك مغلقًا ودعني أقوم بعملتي.  
شرع في السير باتجاه الباب المؤدي إلى الممر، ولكنه توقف فجأة، واستدرك:

- وهناك شيء آخر، لا أظن أن صاحبك<sup>(1)</sup> مینهو سوف يحب الأمر كثيرًا. أدرك توماس بمجرد خروجهم من الغرفة إلى الممر كم أنه يتضور جوعًا، شقت التشنجات التي كانت تفرقر في معدته إلى بقية أنحاء جسده، كأن أعضائه وعضلاته بدأت تنهش بعضها بعضًا.

أعلن خورخي عندما رجعا إلى الغرفة الكبيرة المحطّمة:

- حسنًا إذن، انتبهوا لي جميعًا! لقد توصلت أنا ووجه الغراب هذا إلى حل.

فكر توماس: وجه الغراب؟

ظل النزقون واقفين في تأهب، ممسكين بأسلحتهم القذرة بإحكام، يحدقون إلى أفراد الجلاید الذين تفرق كل منهم جالسين في أرجاء الغرفة، مستندين بظهورهم إلى الحائط، والضوء يقتحم الغرفة عبر النوافذ المحطّمة والسقف المثقوب.

سار خورخي حتى توسط الغرفة والتفت ببطء ليخاطب الجمع بأكمله، فكر توماس أنه بدا مثيرًا للسخرية، كأنه كان يبذل جهدًا هائلًا وصعبًا، ثم بدأ حديثه:

- أولًا، علينا أن نوفر طعامًا لأولئك الشباب، أعلم أن الأمر يبدو ضربًا من الجنون أن نشارك الطعام الذي حصلنا عليه بشق الأنفس مع حفنة من الغرباء، ولكنني أعتقد أن بإمكانهم أن يكونوا نبي نفع لنا، قدموا لهم اللحم والفاصوليا، لقد سئمت من هذا القرف على أي حال.

(1) كُتبت بالإسبانية في النص الأصلي.

لم يستطع أحد النزقين أن يكتم ضحكته، كان فتى هزياً قصير القامة وأحول العينين.

- ثانيًا، لقد قررت، استكمالاً لدور الزعيم الشهم ذي الخلق السمح، ألا أقتل ذاك الفاسق الذي هاجمني.

سمع توماس بعض الأصوات المعارضة التي تعالت في الغرفة، وتساءل فقط كيف أن فيروس الوهج قد بدأ يتمكن من أولئك الناس. ولكن فقط فتاة جميلة، شابة مراهقة ذات شعر طويل كان نظيفاً على نحو لا يُصدّق، أشاحت بنظرها وهزت رأسها تعبيراً عن أنها تجد هذه الضوضاء ضرباً من الخبل والغباء، وجد توماس نفسه يتمنى أن تكون هي تلك الفتاة، برندا، التي ذكرها خورخي.

أشار خورخي إلى مينهو، والذي كان، بما لم يفاجئ توماس على الإطلاق، يبتسم ويلوح إلى الحشد الثائر.

قال له خورخي:

- أنت سعيد، أليس كذلك؟ هذا أمر جيد، يعني أنك ستستقبل الأخبار على نحو جيد.

سأله مينهو بحدة:

- أي أخبار؟

وجّه توماس نظره إلى خورخي متسائلاً عما يوشك أن يخرج من فم الرجل.

بدأ زعيم النزقين يتحدث بلهجة إخبارية:

- أيها الغريباء، بعد أن نوفر لكم الطعام حتى لا تموتوا جوعاً هنا، سيكون عليك أنت أن تتلقى عقابك لمهاجمتك لي.

لو كان مينهو خائفاً، فلم تبدُ عليه أي علامة تدل على ذلك، أجابه قائلاً:

- أجل، حقاً؟ وماذا سيكون عقابي يا تُرى؟

حدق خورخي لبعض الوقت إلى مينهو، اكتسى وجهه بنظرة تخلو من أي تعبير ذي معنى، ثم قال:

- لقد لكمنتي بكلتا قبضتيك، لذلك سوف نقطع إصبعاً من كلتا يديك.

## الفصل التاسع والعشرون

لم يفهم توماس على الإطلاق كيف يمكن للتهديد بقطع إصبعي مينهو أن يمهد لهروبهم من بقية النزقين، وبالتأكيد لم يكن غيباً لدرجة أن يثق بخورخي بعد أن اجتمع به لمرة واحدة، انتابه رعبٌ من أن هذا الأمر لن يمر بسلام أبداً، وأن مصيبة سوف تقع على رؤوسهم. لكن خورخي نظر إليه، في خضم ما أخذ أصدقاؤه النزقون في الصياح والصراخ، وبدا شيء ما في عينيه، شيء بث في توماس بعض الراحة.

على الجانب الآخر، كان مينهو قصة أخرى، إذ انتصب واقفاً بمجرد أن قام خورخي بإعلان عقابه، وكاد أن يهجم عليه، لولا أن الفتاة الجميلة خطت نحوه ووضعت سكيناً أسفل ذقنه، لمعت قطرة الدم التي سقطت من ذقنه في ضوء أشعة الشمس الذي يغمر الغرفة من كل فتحة، لم يكن بإمكان مينهو أن ينبس ببنت شفة دون أن يخاطر بجرح خطير.

تابع خورخي بهدوء:

- إليكم الخطة، سوف أصطحب أولئك المتسكعين إلى مخبأ الطعام أنا وبرندا، سيملؤون معداتهم، ومن ثم سنتقابل جميعاً أعلى البرج، فلنقل بعد ساعة من الآن (نظر في ساعته) عندما تدق الساعة الثانية عشرة بالضبط، سوف نأتي ونحضر الطعام لبقيتكم جميعاً.

سأل أحدهم:

- لماذا فقط أنت وبرندا؟

لم يرَ توماس في البداية مَنْ قال ذلك، ثم أدرك بعد ذلك أنه كان رجلًا، ربما كان الشخص الأكبر سنًا في الغرفة بأكملها.

- ماذا لو هربوا منكما؟ هناك أحد عشر منهم مقابل اثنين منكما.

أغمض خورخي عينيه وفتحهما بطريقة ساخرة، وأجاب:

- أشكرك من أجل درس الرياضيات يا باركلي، المرة القادمة عندما أنسى كم عدد أصابع قدمي، سأحرص على قضاء بعض الوقت لكي أحصيهم بصحبتك. أما الآن ما رأيك أن تطبق شفطيك وتصمت وتقوم البقية إلى البرج، لو أن أحد أولئك الملاعين حاول فعل أقل حركة، سوف تقوم برندا بتقطيع السيد مينهو إلى لقيمات صغيرة بينما أنشغل أنا بأخذ أرواح بقيتهم، إنهم بالكاد يستطيعون الوقوف على أقدامهم، والآن اغرُب!

غمرت الراحة نفس توماس، مؤكد أنهم بمجرد أن ينفصلوا عن الآخرين سيبدأ خورخي بتنفيذ خطة الهرب، مؤكد أنه لا يعني أنه سينفذ العقاب حقًا. كان الرجل الذي يُدعى باركلي كبيرًا، ولكن تبدو عليه الصلابة، تملأ عضلاته المنتفخة أكمام قميصه، كان يمسك بخنجر صدئ في إحدى يديه، وبمطرقة في الأخرى.

قال بعدما تبادل نظرة طويلة مع قائده:

- طيب، ولكن لو انقضوا عليكما حقًا وجزوا عنقيكما، فاعلم أننا سنكون على ما يرام دونكما.

- أشكرك على كلماتك الرقيقة يا أخي، والآن اذهب، وإلا سيكون علينا أن نزيد المتعة واحدًا أعلى البرج.

ضحك باركلي كأنما ينقذ شيئًا من كرامته، ومن ثم انطلق إلى نفس الممر الذي سلكه توماس وخورخي من قبل، لوح بذراعه في إشارة لكي يتبعه الآخرون واستغرق الأمر بعض الوقت حتى تبعه آخر واحد من النزقين فيما عدا خورخي والفتاة الجميلة بشعرها البني الطويل، وكانت لا تزال تضع السكين على عنق مينهو، ولكن الجميل في الأمر أنها كانت برندا التي تفعل ذلك.

وبمجرد أن غادر فريق مصابي فيروس الوبج، نظر خورخي إلى توماس نظرة راحة أخيراً، ومن ثم هز رأسه فجأة بهدوء كأن الآخرين لا يزال بإمكانهم سماعهم.

تحركت برندا حركة جذبت انتباه توماس، نظر نحوها ليجد أنها أبعدت السكين عن عنق مينهو وخطت بعيداً عنه، ومسحت بقعة صغيرة من الدماء سقطت على بنطالها، قالت بصوت مبجوح ومنخفض، وغليظ بعض الشيء:

- أتعلم؟ لقد كدت أقتلك حقاً، حاول فقط أن تهاجم خورخي مرة أخرى لكي أقطع أحد شرايينك.

مسح مينهو جرحه الصغير بإبهامه، ثم نظر إلى النصل اللامع الملتح بلون دمائه، وقال:

- يا لها من سكين حادة حقاً، إنها تجعلك تعجبيني أكثر.

همهم كل من نيوت والسيد طاسة بضحكات ساخرة في نفس الوقت.

أجابت برندا:

- يبدو أنني لست النزق الوحيد الذي يقف هنا، إنكم معتوهون أكثر مني بمراحل.

أضاف خورخي، وسار ليقف بجانبها:

- لم يصبح أي منّا مجنوناً حتى الآن، ولكن لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً، دعكم من هذا، علينا أن نذهب إلى المخبأ ونضع بعض الطعام بداخل معدتكم أيها الرفاق، إنكم تبدوون مثل مجموعة زومبي يتضورون جوعاً. لم تبد الفكرة وكأنها أعجبت مينهو:

- هل تظن أننا سنعقد صداقة كي أجلس معكم أيها المختلون ثم أدعكم تقطعون أصابعي اللعينة بعد ذلك؟

قاطعته توماس، محاولاً أن يتواصل معه بعينه بطريقة ما:

- هلا أقفلت فمك قليلاً؟ فلنذهب ونأكل الآن، ولا يهمني ما يحدث ليديك الجميلتين بعد ذلك.

جفل مينوو إذ لم يكن يفهم ما الذي يجري، ولكن بدا عليه أنه يفهم أن هناك شيئاً ما يحدث:

- على أي حال، هيا بنا.

خطت برندا لتقف أمام توماس مباشرة في حركة غير متوقعة، لا يبعد وجهها سوى بضعة إنشات عن وجهه، كانت عيناها شديدتي السواد لدرجة أن البياض من حولهما كان يلمع متألقاً، سألته:

- هل أنت القائد؟

هز توماس رأسه نافيةً، وأجاب:

- لا، إنه الرجل الذي غرستِ سكينك في رقبته للتو.

استرقت برندا نظرة إلى مينوو، ثم إلى توماس مجدداً، ابتسمت وقالت:

- حسناً، إن هذا غباء، أعلم أنني على شفا حفرة من الجنون، ولكنني كنت سأختارك أنت، إنك تبدو كقائد.

- آآ، شكرًا لك.

شعر توماس بالخجل، ثم تذكر وشم مينوو، وتذكر وشمه أيضاً، وكيف أنه من المفترض أن يُقتل، حاول أن يقول شيئاً ليغطي على تبدل مزاجه:

- أنا... أنا كنت لأختارك أيضاً بدلاً من خورخي ذاك.

مالت الفتاة نحو توماس وقبّلت خده.

- إنك لطيف، إنني أتمنى حقاً ألا تضطر إلى قتلك على الأقل.

كان خورخي بالفعل يتولى إخراج الآخرين عبر الأبواب المهشمة، قال:

- حسناً إذن، أعتذر لمقاطعة لحظات الحب هذه الآن يا برندا، لدينا الكثير لتتحدث بشأنه عندما نصل إلى المخبأ، هيا بنا، لنذهب هيا.

لم تبعد برندا عينيها عن توماس، أما هو فكان لا يزال يشعر بالعرشة التي اجتاحت جسده بالكامل عندما لامست شفاتها خده. قالت له:

- إنك تعجبني.

ابتلع توماس ريقه وقد ذهب عقله تماماً ودون عودة. لعقت برندا زاوية فمها بلسانها وابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم ولته ظهرها أخيراً وسارت متجهة



إلى الأبواب، أغمدت سكينها في أحد جيوب بنطالها وصاحت تقول دون أن تنظر إليه من خلفها:

- هيا بنا!

كان توماس يدرك أن كل أفراد الجلايد يحدقون إليه، ولكنه أبى أن تلتقي عيناه بعيني أي واحد منهم، وقام بدلاً من ذلك بشد قميصه وسار في طريقه غير عابئ بالابتسامة التي ارتسمت على شفثيه رغمًا عنه، بعد ذلك تحرك الآخرون من خلفه، خرجت المجموعة من البناء وخطوا تحت الشمس الحارقة التي تضرب الأرض المحطمة بعنف في الخارج.

قادت برندا المقدمة وبقي خورخي خلف المجموعة. عانى توماس لوقت طويل حتى اعتاد سطوع الضوء، حاول حماية عينيه بيديه وأخذ يجفل في أثناء سيرهم بالقرب من الحائط حتى يحتموا بخط الظل الرفيع، بدت المباني والشوارع الأخرى من حولهم وكأنها تلمع تحيط بها هالة سماوية متألقة، كأنها قد بُنيت من نوع ما من الأحجار السحرية.

تحركت برندا بمحاذاة جدران البناء الذي خرجوا منه لتوهم إلى أن وصلوا إلى ما ظن توماس أنه الجهة الخلفية من البناء، وجدوا هناك مجموعة درجات مختفية في الأرض، نكّرت توماس بشيء من حياته السابقة، ربما شيء أشبه بنظام قطارات تحت الأرض.

ثم دون تردد، ودون أن تنتظر لتتأكد أن الآخرين في إثرها، نزلت برندا على الدرجات، لاحظ توماس أنها أمسكت السكين في يدها اليمنى مجددًا وأطبقت عليها بإحكام، تقربها بضع بوصات إلى جسدها، في استعداد تام للهجوم، أو الدفاع، يعتمد هذا على ما سيتطلبه الموقف.

تبعها إلى الأسفل بلهفة عارمة لكي يهرب من بطش الشمس، والأهم على الإطلاق، الوصول إلى الطعام، أخذت أحشاؤه تتضور جوعًا وتتقلص بقوة أكبر مع كل خطوة يأخذها نحو الأسفل، في الحقيقة لقد فاجأه أنه لا يزال قادرًا على الحركة، إذ انتشر الضعف والوهن في جسده كالسم، أو كسرطان يبتلع خلاياه الحية.

ثم ابتلعهم الظلام أخيرًا ببرودة وترحيب، تبع توماس خطوات برندا حتى وصلا إلى باب صغير ظهرت من خلاله أشعة ضوء برتقالي لامع، دلفت برندا

إلى الداخل بينما تردد توماس أمام عتبة الباب، كانت غرفة صغيرة وضيقة مليئة بالصناديق والصفائح، يضيئها مصباح وحيد يتدلى من منتصف السقف، بدت الغرفة صغيرة كي تسعهم جميعاً بداخلها.

لا بد أن برندا أدركت ما يدور بخلد، قالت له:

- يمكنك البقاء بالخارج في الممر أنت وأصدقائك، اجلسوا بجوار أحد الجدران، وسوف أحضر لك الكثير من الأطعمة اللذيذة خلال ثوانٍ.

أوماً توماس على الرغم من أنها لم تكن تنظر، ورجع أدراجه إلى خارج الممر، جلس بجوار أحد الجدران بعيداً عن بقية فتیان الجلايد، في عمق الظلام بداخل النفق، وقد أدرك أنه لن يخرج لهم مجدداً قبل أن يأكل شيئاً.

اتضح أن «الأطعمة اللذيذة» كانت فاصولياء معلبة وبعضاً من النقانق، وبناء على ما قالته برندا، كانت الكلمات المكتوبة على العبوة باللغة الإسبانية. قاموا بأكلها باردة، ولكنها مع ذلك بدت وكأنها أكبر وأشهى وجبة على الإطلاق أكلها توماس، استمتع بكل لقمة، كانوا قد تعلموا بالفعل ألا يتناولوا الطعام بسرعة بعد مدة كبيرة من الجوع، ولكنه لم يعبأ بهذا، وظل يأكل ويأكل دون توقف، على أمل أن يصادف شيئاً طازجاً.

بعد أن انتهت برندا من إحضار الطعام لأفراد الجلايد الذين يتضورون جوعاً، ذهبت وجلست بجوار توماس، انعكس الضوء الخافت القادم من الغرفة على حواف خصلات شعرها الأسود الناعم. قامت بوضع حقيبتين مليئتين بالمزيد من الأطعمة المعلبة إلى جانبها، وقالت له:

- واحدة من هذه لك.

- شكرًا.

كان توماس قد أنهى ما يقرب من نصف علبته، واستمر في الأكل، لم يحدث أي منهما، ولم يصدر أي صوت سوى صوت المضغ والبلع.

سألته برندا وهي تأكل من علبتها:

- هل أعجبك طعمه؟

- بحقك، إنني سأختار أن أدفع أُمي لتسقط عن الدرج، على أن أكل هذه الأشياء، هذا لو كان لا يزال لدي أم.

لم يستطع منع نفسه من التفكير في حلمه واللحظة العابرة التي رآها فيها، ولكنه جاهد كي ينساها، إذ سببت له كآبة كبيرة.

أخرجته برندا من شروده عندما تكلمت:

- لقد سئمت منه بسرعة.

لاحظ الطريقة التي تجلس بها، وركبتها اليمنى مغروسة في ساقه، قفزت في رأسه تلك الأفكار السخيفة بأنها حركت ساقها بهذه الطريقة عن عمد.

ركز توماس على تصفية ذهنه وأن يعيد نفسه إلى الواقع مجددًا، قال:

- من أين حصلت على الطعام؟ وما قدر ما تبقى منه؟

- قبل أن يحرق الوهج الشمسي هذه المنطقة، كان يوجد بالمدينة عدة مصانع للأغذية، بالإضافة إلى العديد من المنافذ لتخزين الطعام، إنني أفكر أحيانًا أن وكِد ترسل النزقين إلى هنا لهذا السبب، على الأقل بإمكانهم أن يخبروا أنفسهم أننا لن نموت جوعًا حتى نفقد عقولنا تمامًا ببطء ونقتل بعضنا بعضًا.

غرف توماس آخر قدر من الصلصة التي تبقت في قاع علبته ولعق ملعقته

لتصبح نظيفة تمامًا، وقال:

- إذا كان هناك العديد من المصانع، فلماذا لديكم اختيارات قليلة فقط؟

خطرت على بال توماس فكرة أنهم ربما وثقوا بها بسرعة كبيرة، وأنهم ربما يأكلون طعامًا مسمومًا، ولكنها كانت تأكل من نفس الطعام، لذلك تبخرت أفكاره تمامًا واختفت مخاوفه.

أشارت برندا إلى السقف بإبهامها، وقالت:

- لقد قمنا بتمشيط المصانع الأقرب فقط، بعض الشركات المتخصصة في نوع معين، لذلك لم يكن هناك تنوع كبير. أنا أيضًا بإمكانني أن أقتل أمك من أجل الحصول على شيء طازج من أحد البساتين، سلطة طازجة ويانعة.

- يبدو أن فرصة أُمي لن تكون كبيرة إذا وقفت ذات يوم بيننا وبين متجر الخضراوات.

- لا أظن ذلك.

ابتسمت بعد قول ذلك، على الرغم من أن الظل أخفى وجهها تقريبًا، فإن ابتساماتها كانت تلمع كذلك، وأحس توماس في قرارة نفسه أنه بدأ يُعجب بهذه الفتاة، صحيح أنها كادت تجز عنق صديقه المقرب للتو، ولكنه أعجب بها، وربما كان ذلك أحد الأسباب في إعجابه بها بشكل ما.  
سألها:

- هل لا يزال هناك متاجر خضراوات في العالم؟ أعني، أتساءل كيف يبدو العالم بالخارج بعد كل ما تسبب به الوهج الشمسي؟ هل يضطرم العالم كله حقًا، بينما الأناس الذين فقدوا عقولهم منتشرون في كل مكان؟

- لا، حسنًا، لست أدري، لقد تسبب الوهج الشمسي في قتل الكثير من الناس قبل أن يتمكنوا من الهروب إلى الشمال أو الجنوب، كانت عائلتي تعيش في شمال كندا، وكان والداي من أوائل الناس الذين نجحوا في الوصول إلى المعسكرات التي أنشأها تحالف الحكومات العالمية، الذين توصلوا في النهاية إلى تأسيس وِكد.

ظل توماس يحدق إليها فاغرا فاه عن آخره، لقد أخبرته لتوها بأخبار عن الوضع العالمي في جمل قليلة، ولكنها أكثر من أي شيء سمعه أو عرفه منذ مُحيت ذاكرته، قال:

- مهلاً... مهلاً لحظة، أحتاج أن أعرف كل شيء عن هذا، أيمكنك أن تبدئي من البداية؟

هزت برندا كتفيها وتنهدت:

- لا يوجد الكثير لأقوله، مضى وقت طويل منذ حدث كل شيء، لم يكن الوهج الشمسي متوقعًا أو أمكن التنبؤ باحتمالية حدوثه على الإطلاق، وإلى أن تمكن العلماء من تحذير أي أحد، كان الأوان قد فات. قاموا بتنظيف ما يقارب نصف الكوكب، وتدمير كل شيء بالقرب من مناطق خط الاستواء، تغيرت أحوال المناخ في كل أنحاء العالم، ومن ثم تجمع الناجون، واندمجت حكومات بعض الدول، ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفوا وجود فيروس لعين قد تسرب من مكان ما لتجارب السيطرة على الأمراض، وأطلقوا عليه اسم الوهج منذ البداية.

- يا إلهي!

دمدم توماس، نظر إلى فتیان الجلايد الآخرين في نهاية الممر وهو يتساءل إذا سمعوا أيًا من هذا، ولكن لم يبد أن أحدًا منهم كان يستمع إليهما وقد انهمكوا جميعًا في تناول الطعام، وعلى الأرجح كانوا بعيدين جدًا على أي حال. سأل توماس:

- ومتى قام...

رفعت برندا يدها أمامه لكي تقطع حديثه، وهمست:

- انتظر، هناك خطب ما، أظن أن لدينا زوارًا.

لم يسمع توماس أي شيء، ولم يبد على أفراد الجلايد أن شيئًا لفت انتباههم كذلك، ولكن خورخي كان بالفعل يجثو بجانب برندا ويهمس شيئًا في أذنها، وكادت هي أن تقف عندما دوى صوت انفجار في نهاية الممر، تحديدًا عند السلم الذي استخدموه في الوصول إلى المخبأ، كان صوت الدوي فظيعة، صوت لارتطام وتهدم أحجار تنهار، وتكسر الخرسانة وتمزق الحديد، ثم غطت سحابة من الغبار والتراب طريقهم وحُبس عنهم الضوء الخافت من غرفة الطعام.

ظل توماس جالسًا يحدق إلى الفراغ وقد شله الخوف، تمكن فقط من رؤية مينهو ونيوت والآخرين كلهم وهم يهرعون لينظروا إلى السلم المدمر، ورأى منعطفًا لممر آخر لم يلحظ وجوده من قبل، جذبته برندا من قميصه بقوة وسحبته ليقف على قدميه، وصرخت به:

- اهرب!

وبدأت تقوده بعيدًا عن الانهيار وهم يبحرون عميقًا تحت الأرض.

استفاق توماس من شروده محاولًا أن يفلت من قبضة يدها عليه، ولكنها لم تفلته.

- كلا! علينا أن نتبع أصد...

قبل أن يكمل جملته، انهار جزء كامل من السقف وسقط متحطمًا على الأرض أمامه مباشرة، تتابع سقوط الكتل الخرسانية بعضها على بعض مصحوبًا بدوي هادر، فتسبب ذلك في افتراقه عن الاتجاه الذي سلكه

أصدقاؤه، سمع صوت تصدع الصخور من فوقه فأدرك حينها أنه لم تعد لديه أي فرصة، ولا وقت.

وبسرعة انتبه وانطلق يركض مع برندا، التي لا تزال تقبض بيدها على قميصه بإحكام بينما يشقان طريقهما في قلب الظلام.

## الفصل الثلاثون

لم يلحظ توماس قلبه الذي أخذ يخفق بشدة، ولم يكن يملك وقتاً ليفكر ملياً فيما يمكن أن يكون السبب وراء الانفجار، كل ما شغل عقله هو أين ذهب أفراد الجلاید بعدما انفصل عنهم، استمر في العدو بلا هدى أو رؤية مع برندا، مجبراً على أن يسلم حياته لها كلياً.

صاحت قائلة:

- هنا!

انعطف بصعوبة إلى اليمين حتى تعثر وكاد يسقط، لكن برندا ساعدته ليحافظ على توازنه، وعندما تمالك نفسه وأخذ يعدو في مسار متزن، أفلتت قميصه من قبضتها أخيراً، وقالت:

- ابق قريباً مني.

أخذت أصوات الانهيار تخفت شيئاً فشيئاً كلما تقدما داخل هذا الطريق الجديد، وعندها فزع توماس.

- ماذا عن أصدقائي؟ ماذا لو...؟

- فقط استمر في التقدم! من الأفضل للجميع أن ينفصلوا عن بعضهم على أي حال.

يزداد الظلام وبرودة الهواء كلما تقدما أكثر داخل النفق الطويل. استعاد توماس قوته شيئاً فشيئاً وتمكن من التقاط أنفاسه بسرعة أكبر، وكانت الأصوات قد توقفت تقريباً. ظلَّ قلقاً على أفراد الجلاید، ولكن شيئاً بداخله قال له: إنه لا بأس من البقاء مع برندا، إذ بإمكان أصدقائه تدبر أمورهم لو تمكنوا

من الخروج، ولكن ماذا لو أن أحدهم أُسِر بواسطة أيًا كان من دبر الانفجار؟ أو قُتل؟ ومن ذا الذي هاجمهم؟ أحس أن القلق يعتصر قلبه من جديد حتى الموت في أثناء عدوهما عبر النفق.

انعطفت برندا ثلاث مرات أخرى، لا يعرف إلى أين تتجه، أو شك أن يسألها عندما توقفت، واضعًا يده على صدره في محاولة لالتقاط أنفاسه.

سألته بين أنفاسها المتلاحقة:

- هل تسمع أي شيء؟

أصاخ توماس السمع، ولكن كل ما سمعه كان صوت أنفاسهما، ولا شيء غير هذا إلا الصمت والظلام. أجابها:

- لا، أين نحن؟

- هناك مجموعة من الأنفاق والممرات تربط بين مباني هذا الجانب من البلدة، وربما تمر عبر المدينة بأكملها، إننا لم نستكشف هذا بعد، ولكنهم يطلقون عليه اسم الأسفل.

لم يرَ توماس وجهها، ولكنها كانت قريبة لدرجة أنه شعر وشم أنفاسها، وأدهشه أن رائحة أنفاسها لم تكن سيئة، مع أخذ ظروف معيشتها في الحسبان. كانت نوعًا ما بلا رائحة، ولكن جذابة بطريقة ما.

كرر وراءها:

- الأسفل؟ يا له من اسم غبي!

- حسنًا، لست أنا من أطلقته.

- إلى أي حد قمتم باستكشاف هذا المكان؟

لم تعجبه فكرة أن يستمر في العدو تحت الأرض هكذا وهم لا يعرفان أين سينتهي بهما الحال.

- ليس كثيرًا، كنا كثيرًا ما نصادف نزقين، الأشرار حقًا، أخطر بكثير ممن تجاوزوا الطور.

جعل ذلك توماس يدور حول نفسه وسط الظلام كأنه يبحث عن شيء لا يعلم ما هو، تشنج جسده تحت وطأة الخوف كأنه قد قفز للتو إلى ماء متجمد.



- حسنًا... هل نحن بأمان؟ كيف حدث ذلك الانفجار على أي حال؟ علينا أن نعود أدراجنا ونبحث عن أصدقائي.

- ماذا بشأن خورخي؟

- هاه؟

- أليس علينا أن نذهب ونبحث عن خورخي أيضًا؟

قال توماس دون أن يقصد الإساءة إليها:

- أجل، وخورخي أيضًا، وأصدقائي، كل أولئك العراقيين، لا يمكننا أن نتركهم وراء ظهورنا.

- ما العرقوب؟

- لا عليك... ماذا برأيك الذي حدث هناك؟

تنهدت برندا وخطت حتى أصبحت أقرب إليه، وضمت صدرها إلى صدره،

شعر توماس بشفاهاها تلمس أذنه وهي تتحدث:

- أريدك أن تعدني بشيء.

قالتها بنعومة وبصوت أكثر من الهمس. سرت قشعريرة في كل ذرة من

جسد توماس، أجابها:

- أمم... ماذا؟

قالت دون أن تبعد نفسها عن صدره، واستمرت في التحدث في أذنه:

- لا يهم ما يحدث، حتى لو اضطررنا إلى أن نكمل الطريق بمفردنا،

سوف تأخذني معك إلى نهاية الطريق، وحتى نصل إلى وكيد، وإلى ذلك

العقار الذي وعدت خورخي به، لقد أخبرني عنه في مخزن المؤن، لا

يمكنني البقاء هنا وأنتظر إلى أن أفقد عقلي ببطء، لا أستطيع أن أفعل

ذلك، أفضل الموت على هذا.

أمسكت يديه واعتصرتهم، ثم أراحت رأسها على كتفه بينما أخذ أنفها

يداعب عنقه، كان عليها أن تقف على أطراف أصابعها، بعث كل نفس منها

موجة جديدة من القشعريرة في جلده.

كان توماس سعيدًا من كونها قريبة جدًا منه، ولكن الأمر بدا في غاية الغرابة وعلى نحو مفاجئ، ومن ثم انتابه شعور بالذنب عندما فكر في تيريسا، هذا كله كان محض غباء. لقد كان في خضم رحلة قاسية محفوفة بالمخاطر في سبيل النجاح في عبور أرض خربة، وحياته على المحك، ربما مات أصدقائه، وحتى تيريسا ربما تكون قد ماتت، لذا فجلوسه هنا ليلاطف فتاة غريبة في قلب الظلام كان أكثر الأمور التي يمكن أن يفكر فيها عبثية.

قال:

- مهلاً.

أفلت يديه من بين كفيها وأمسك ذراعيها وأبعدها عنه، كان لا يزال غير قادر على رؤية أي شيء، ولكنه استطاع أن يتخيلها واقفة هناك تحديق إليه، أكمل:

- ألا تعتقدين أن هناك أشياء علينا أن نحلها؟

أجابت:

- إنك لم تعدني بعد.

ود توماس أن يصرخ، لم يستطع أن يصدق إلى أي حد كانت تتصرف بغرابة.

- حسنًا، أعدك، هل أخبرك خورخي بكل شيء؟

- تقريبًا، على ما أظن، ولكنني استطعت أن أخمن الأمر برمته في اللحظة التي قال لمجموعتنا أن يذهبوا دوننا وأن يقابلونا عند البرج.

- ما الذي خمنتِه؟

- أننا سوف نساعدكم في عبور المدينة مقابل أن تأخذونا إلى الحضر مجددًا.

بث هذا القلق في قلب توماس، قال:

- لو أنك استنتجت ذلك بهذه السرعة، ألا تظنين أن بعض أصدقائك تمكنوا من استنتاج ذلك أيضًا؟

- بالضبط.

- ماذا تعنين بقولك «بالضبط»؟ يبدو أنك فهمتِ بعضًا مما يجري؟

مدت برندا يديها ووضعتهما على صدره، وشرحت:

- أعتقد أن ذلك ما حدث، لقد خفت في بادئ الأمر من أنهم مجموعة نزقين في مرحلة متقدمة من الفيروس، ولكن ما دام لم يطاردنا أي أحد، فإنني أعتقد أن باركلي وبعضًا من أتباعه دبوا انفجارًا عند مدخل الأسفل لكي يحاولوا قتلنا، هم يعرفون أن بإمكانهم الحصول على بعض الطعام من أماكن أخرى، كما أن هناك طرقًا أخرى للنزول إلى هنا.

كان توماس لا يزال غير قادر على فهم السبب وراء إصرارها على التقرب منه باللمس بهذا الشكل، قال:

- هذا لا يبدو منطقيًا، أعني، لم يقتلونا؟ ألن يرغبوا في أن يستغلونا هم أيضًا؟ أن يأتوا معنا؟

- لا، لا، لا، إن باركلي والآخرين سعداء ببقائهم هنا، أظن أن الفيروس تمكن منهم أكثر منّا، وبدؤوا يفقدون جوانبهم العقلانية، أشك أن الفكرة قد خطرت في أذهانهم حتى، وأراهن أن ما فكروا فيه هو فقط أننا سنكون عصابة و... ونقوم بإقصائهم، وأننا نضع الخطط ضدهم هنا بالأسفل.

أفلت توماس ذراعيها وأسند رأسه مجددًا إلى الحائط، ولكنها ألصقت نفسها به مجددًا وأحاطت خصره بذراعيها. قال توماس:

- أوه... برندا؟

همهمت وهي مسندة رأسها إلى صدره:

- نعم؟

- ما الذي تفعليه؟

- ماذا تقصد؟

- ألا ترين أنك تتصرفين بغرابة بعض الشيء؟

أطلقت ضحكة، كان صوتًا لم يتوقع توماس سماعه لدرجة أنه فكر لثانية أن فيروس الوبج تمكن منه تمامًا، وتحول إلى نزق قد ذهب عقله كليًا أو شيء من هذا القبيل، ابتعدت برندا عنه وهي لا تزال تقهقه.

- ما خطبك؟

أجابت وسط قهقهتها الطفولية:

- لا شيء، آسفة، أظن أننا فقط جئنا من أماكن مختلفة، هذا هو الأمر وما فيه.

سألها، وقد شعر فجأة أنه يتمنى لو أنها تحتضنه مجددًا:

- ماذا تقصدين؟

قالت وقد انتهت ضحكها أخيرًا:

- لا تهتم بهذا، أعتذر عن تصرفي بهذه التلقائية، الأمر فقط أن هذا... أمر معتاد في المكان الذي جئت منه.

- كلا... لا بأس، إنني... إنني أعني، هذا جيد، لا بأس في ذلك.

كان سعيدًا لأنها لا ترى وجهه، إذ لا بد وأنه احمرَّ خجلًا إلى درجة ستجعلها تبدأ في الضحك مجددًا.

فكر في تيريسا في تلك اللحظة، وفكر في مينهو وفي الآخرين، أدرك أن عليه التحكم في نفسه على الفور.

قال محاولاً أن يبث بعض الثقة في صوته:

- انظري، لقد قلتِ بنفسك إن أحدًا لم يلحق بنا، علينا أن نعود أدراجنا من أجل الآخرين.

سألته بصوت يشوبه التردد:

- هل أنت متأكد؟

- ما الذي تعنيه؟

- يمكنني مساعدتك في عبور المدينة، وإيجاد ما يكفي من الطعام لنأخذه معنا، لم لا نتركهم جميعًا؟ ونصل إلى ذلك المكان الذي يدعى بالملاد الآمن بمفردنا؟

لن يخوض توماس هذا الحديث، قال لها:

- لا بأس لو لم تعودي معي، ولكنني سأعود.

وضع يده على الحائط لكي يرشد نفسه وأخذ يسير في الاتجاه الذي أتيا منه. صاحت به:

- انتظر!

أمسكت يده وتعانقت أصابعهما، وأصبحا الآن يسيران بجانب بعضهما،  
يدًا بيد مثل العشاق القدامى. قالت:

- أنا آسفة، حقًا، إنني فقط... لقد ظننت أن عبور المدينة سيكون أسهل  
مع عدد أقل من الأشخاص، لا تربطني بأي من أولئك النزقين أو اصر  
صداقة وطيدة، ليس مثلك أنت و... فتیان الجلايد خاصتك.

هل قال هذه الكلمة أمامها؟ لم يتذكر، ولكن يمكن أن يكون أحدهم قد  
فعل في وقت ما دون أن يلاحظ.

- أعتقد حقًا أن كل من يمكنه المجيء معنا يحتاج إلى أن يبلغ الملاذ  
الآمن، ولكننا، حتى لو قمنا بعبور المدينة بمفردنا، من يدري ما  
ينتظرنا هناك، ربما نكون وقتها في حاجة إلى عدد كبير حقًا.

فكر فيما قاله للتو، هل حقًا كل ما يهتم بشأنه عمن يصلون في النهاية  
أنهم سيوفرون فرصة أكبر للنجاة؟ هل حقًا كان يفكر بهذه الطريقة؟  
- حسنًا.

اقتصرت إجابتها على هذه الكلمة، وقد تغير شيء ما فيها، بدت أقل ثقة،  
وأضعف عزيمة.

أفلت توماس يده من يدها متحجبًا بأنه يغطي بها فمه لكي يسعل، ولم  
يمسك بيدها مجددًا عندما انتهى. لم يتكلم أحدهما لعدة دقائق، تبعها توماس  
مستشعرًا وجودها على الرغم من عدم قدرته على رؤية أي شيء. انعطفا عدة  
مرات حتى ظهر أمامهما من بعيد ضوء أخذ يزداد سطوعًا كلما اقتربا منه.

اتضح في النهاية أنه ضوء الشمس الذي يمر من ثقوب السقف المنهار  
نتيجة الانفجار - سدت كتل عملاقة من الصخور وقطع الحديد الملتوية  
والأنابيب المحطمة طريقيهما إلى مكان السلم - وبدت فكرة تسلق الحطام

في غاية الخطورة، كان كل شيء مغطى بالغبار، فبدت أشعة الشمس كثيفة كسحابة من الغبار، وأخذت حبيبات الغبار تتراقص في الهواء كالبعوض، وتشبع الهواء برائحة الأنقاض ورائحة شيء محترق.

طريقهم إلى مخزن المؤن مسدود أيضًا بكل ما يحويه من طعام، ولكن برندا وجدت الحقيبتين التي جهزتهما وأخرجتهما مسبقًا. قالت له:

- لا يبدو أن أي أحد هنا، هم لم يعودوا مجددًا، على الأرجح أن خورخي وأصدقاءك قد تمكنوا من الخروج إلى الأعلى مجددًا بطريقة ما.

في الحقيقة لم يكن توماس يدري ما كان يأمل أن يجده، ولكن على الأقل كانت هناك بادرة أمل أكيدة. قال:

- ولكن ليس هناك جثث، أليس كذلك؟ لم يمت أحد في الانفجار.

هزت برندا كتفيها في غير علم، وقالت:

- يمكن للزقنين أن يستخرجوا جثثهم من هنا، ولكنني أشك في هذا، ليس هناك داعٍ لهذا.

أومأ توماس كأنه يصدق على قولها ويستمسك بالفكرة، دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما يجب أن يفعله. هل ساروا عبر الأنفاق -عبر الأسفل- بحثًا عن بقية أفراد الجلايد؟ هل خرجوا إلى شوارع المدينة؟ هل عادوا أدراجهم إلى البناء حيث تخلصوا من باركلي والآخرين؟ بدت كل الاحتمالات أبشع من بعضها. أخذ ينظر من حوله كأن الإجابة ستمثل أمامه من تلقاء نفسها.

سادت لحظة ثقيلة من الصمت إلى أن أعلنت برندا:

- علينا أن نعبر الأسفل.

على الأرجح أنها كانت تفكر مليًا في الاحتمالات التي أمامهما كما فعل توماس.

- لو أن الآخرين قاموا بالخروج إلى الأعلى، فسيكونون قد ابتعدوا كثيرًا إلى هذا الوقت، كما أنهم سوف يجذبون كل الانتباه إلى أنفسهم وسيبعدونه عنَّا.

سألها توماس:

- ولو كانوا هنا بالأسفل فسوف نجدهم، أليس كذلك؟ تتصل هذه الأنفاق معًا في النهاية، صحيح؟

- صحيح، في كلتا الحالتين، إنني أعلم أن خورخي سوف يأخذهم إلى الناحية الأخرى من المدينة، نحو الجبال، علينا فقط أن نسير على نفس النهج إلى أن نقابل بعضنا ونتابع تقدمنا.

نظر توماس إلى برندا وأخذ يفكر، أو ربما كان يتظاهر بالتفكير ليس إلا، إذ لم يكن لديه خيار سوى أن يعلّق معها حقًا، لقد كانت هي أفضل فرصة له - وربما الفرصة الوحيدة- لتحقيق أي شيء عدا الموت المحتم والسريع على يد نزقين تخطوا الطور منذ وقت طويل، ما الذي يمكن أن يفعله سوى هذا؟ قال أخيرًا:

- حسنًا، هيا بنا.

ابتسمت برندا، ابتسامة عذبة تألقت وسط الغبار الذي يغطي وجهها، وتفاجأ توماس من حنينه إلى تلك اللحظات التي قضياها معًا في الظلام، ولكن تبخرت فكرته بنفس السرعة التي خطرت بها. ناولته برندا واحدة من حقائب الظهر التي تحوي الطعام، ثم مدت يدها بداخل حقيبتها وأخرجت مصباحًا يدويًا ثم أشعلته، شق شعاع الضوء سحابة الغبار وهي تحركه هنا وهناك، وجّهته أخيرًا باتجاه النفق الطويل الذي عبراه مرتين إلى الآن بالفعل.

- هيا بنا؟

- هيا.

دمدم توماس، كان لا يزال قلقًا بشأن أصدقائه، وأخذ يتساءل عما إذا كان يفعل الشيء الصحيح ببقائه مع برندا. ولكن عندما حثت السير، تبعها.





## الفصل الحادي والثلاثون

كان الأسفل مكانًا بشعًا مشبعًا بالرطوبة، حتى إن توماس فضلَ الظلام الحالك على رؤية ما يحيط به. كانا يمران بباب كل بضعة أقدام، ولكن معظمها كان مقفلًا عندما حاولا فتحهم، التراب يغطي مصابيح السقف التي لا بد وأنها احترقت منذ زمن، لكن ضوء بعضها لا يزال يتراقص ويرتعش، أما الزجاج المهشم فقد استحال إلى ثقوب صدئة.

بصورة عامة، بدا المكان وكأنه مقبرة مسكونة، الأسفل هو الاسم الأنسب له حقًا، تساءل عن السبب وراء بناء صرح كهذا تحت الأرض في المقام الأول، من يدري ما نوع الوظائف والأعمال التي تتطلب ممرات ومكاتب تحت الأرض؟ وممرات بين المباني للأيام الممطرة؟ وطرقًا للطوارئ؟ وأنفاقًا للهروب عند الكوارث الهائلة كالوهج الشمسي وهجوم الناس الذين يتحولون إلى نزقين؟ لم يتكلما كثيرًا بينما يتبع برندا من نفق إلى آخر، ينعطفان أحيانًا إلى اليسار عندما يتقاطع الطريق أو عند مفترق الطرق، وأحيانًا أخرى ينعطفان إلى اليمين، ما لبث جسده أن استنفد مخزون الطاقة من وجبته الأخيرة، وقد تمكن بعدما استمر في المشي لما يقرب من عدة ساعات من إقناعها بأن يتوقفا ويتناولوا وجبة أخرى.

قال لها عندما انطلقا مجددًا:

- أفترض أنك تعلمين إلى أين نحن ذاهبان.

بدا كل شيء يمران به متشابهًا تمامًا، كل شيء كان باهتًا وأسود، ويغطي الغبار كل شيء جاف، الصمت يخيم على الأنفاق عدا صوت تساقط قطرات

الماء المكتوم، وصوت احتكاك ملابسهما في أثناء السير، بالإضافة إلى صوت خطوات أقدامهما على الأرض الخرسانية.

توقفت برندا فجأة والتفتت إليه وهي توجّه ضوء المصباح اليدوي إلى وجهها من الأسفل، وهمست له:

- بوووف.

انتفض توماس ودفعها بعيدًا عنه، وصاح بها:

- توقفي عن هذا الهراء.

شعر بأنه بدا كالأبله، كاد قلبه أن ينفجر للتو من الخوف.

- إنك تبدين مثل...

أنزلت المصباح اليدوي إلى جانبها، ولكن عينيها لم تبتعدا عن عينيه.

- أبدو مثل ماذا؟

- لا شيء.

- هل أبدو كمنزق؟

ألمت الكلمة قلب توماس، لم يكن يرغب في أن يفكر بهذه الطريقة، استدرك:

- حسنًا... أجل، آسف.

ولته ظهرها وأخذت تمشي مجددًا موجّهة ضوء المصباح إلى الأمام، وقالت:

- أنا نَزَقَة يا توماس، ومصابة بفيروس الوهج، أنا نَزَقَة، وأنت كذلك.

اضطر أن يجري بضع خطوات ليلحق بها:

- أجل، ولكنك لم تصلي إلى الطور بعد... ولا أنا كذلك، أليس صحيحًا؟ وسوف نحصل على العقار قبل أن نفقد عقولنا.

من الأفضل للسيد جرد أن يتضح أنه يقول الحقيقة.

- لا يمكنني الانتظار، وبالمناسبة، أجل، أنا أعرف إلى أين نحن ذاهبان بالفعل. شكرًا لاهتمامك.

استمر في طريقهما، منعطف تلو الآخر، ونفق طويل تلو آخر، ساعد السير البطيء والطويل توماس على تصفية ذهنه وتجاهل التفكير في برندا، وجعله يشعر بتحسن لم يشعر به منذ أيام، شرد ذهنه وغرق في التفكير في المتاهة وذاكرته المشوهة، وفكر في تيريسا، وبخاصة في تيريسا.

دخل أخيرًا إلى غرفة واسعة تحتوي على عدة مخارج تتفرع إلى اليمين وإلى اليسار، بدت على نحو كبير وكأنها النقطة التي تتصل وتجتمع عندها كل الأنفاق التي تتفرع من كل المباني.

سألها توماس:

- هل هذا هو مركز المدينة أو شيء مثل ذلك؟

توقفت برندا لكي تستريح، جلست على الأرض وأسندت ظهرها إلى الحائط، فانضم إليها توماس.

أجابت:

- تقريبًا، أترى؟ لقد قطعنا نصف الطريق إلى الجانب الآخر من المدينة بالفعل.

أحب توماس كيف بدت هذه الفكرة، ولكن تفكيره في الآخرين غص ابتهاجه. مينهو، نيوت، كل أفراد الجلاید، ترى أين كانوا؟ أحس أنه كان مجرد وجه قشّر لأنه لم يبحث عنهم ويرى ما إذا كانوا قد وقعوا في ورطة ما. هل يمكن أن يكونوا قد نجحوا في الخروج من المدينة بسلام بالفعل حقًا؟

دوى صوت انفجار أخرج توماس عن شروده، كأنه مصباح زجاجي انكسر.

على الفور وجّهت برندا ضوء المصباح اليدوي إلى الاتجاه الذي أتى منه الصوت، ولكن لم تبد أي حركة على طول الممر الذي كان فارغًا إلا من بضعة خيوط من الماء الأسود القذر الذي يسيل على الجدران الرمادية الباهتة.

- ما الذي سيجعل مصباحًا قديمًا ينفجر هكذا من تلقاء نفسه؟

- لست أدري، ربما جرذ؟

- لم أر أي جرذان، كما أن كيف للجرذ أن يمشي على السقف؟

حدقت برندا إليه بنظرة ساخرة تكسو وجهها:

- أنت محق، لا بد أنه جرد طائر إذن، علينا أن نخرج من هذا المكان بحق الجحيم.

أفلتت منه ضحكة صغيرة قلقلة قبل أن يتمكن توماس من كبها:  
- هذا مضحك.

ثم انفجار آخر مصحوب هذه المرة بصوت تهشم الزجاج على الأرض، بدا جلياً أن الصوت أتى من خلفهما، كان توماس واثقاً من هذا هذه المرة، لا بد أن أحداً ما لحق بهما، ومؤكد أنهم ليسوا فتيان الجلايد، بدا الأمر وكأن بعض الأشخاص يحاولون إخافتهما، وإرعابهما.

حتى برندا لم تتمكن من إخفاء خوفها، تقابلت أعينهما وكانت تنطق بالخوف والقلق.

همست له:

- انهض.

نهض كلاهما معاً، ثم لبسا حقائبهما في هدوء، وجَّهت برندا الضوء إلى الطريق الذي أتيا منه مرة أخرى، لا شيء هناك.

سألته بصوت خفيض، كانت تهمس تقريباً، ولكن بدا الصوت عالياً جداً وسط الصمت الذي يغرق فيه النفق، حتى إنه إذا كان هناك أحد بالقرب منهما، فسيكون بإمكانه أن يسمع كل كلمة تقولها لتوماس:

- هل علينا أن نذهب لننظر هناك؟

- نذهب لننظر هناك؟

فكر توماس أن تلك كانت أسوأ فكرة سمعها منذ وقت طويل.

- كلا، علينا أن نغادر هذا المكان، كما قلت للتو.

- ماذا؟ هل تود أن تدع أيّاً يكن أولئك يلحقون بنا بهذه البساطة؟ وربما يستدعي بعضاً من أتباعه أو أتباعها لكي يتربصوا بنا؟ من الأفضل أن نهتم بهذا الأمر الآن.

جذب توماس يدها التي تمسك بالمصباح اليدوي ووجَّهه إلى الأرض، ثم

مال إليها واقترب منها ليتمكن من أن يهمس في أذنها:

- من الممكن جدًا أن يكون فخًا، لم يكن هناك أي زجاج في الخلف، سيكون عليهم أن يتسلقوا إلى الأعلى ويحطموا أحد المصابيح القديمة عمدًا، لماذا برأيك سيفعل أحدهم ذلك؟ لا بد أنه يحاول أن يجعلنا نرجع إلى هناك.

فكرت برندا مليًا، وقالت:

- لو كان لديهم ما يكفي من الناس لكي يهاجموا، ما الذي سيجعلهم يصبون لنا فخًا؟ هذا غباء، لما لا يأتون إلينا هنا فقط وينهون الأمر؟ فكر توماس في ذلك، كانت محقة، أجب:

- حسنًا، ولكن سيكون من الغباء أكثر أن نجلس هنا ونتحدث في هذا اليوم بطوله، ماذا سوف نفعل؟

- فلنقم فقط...

كانت قد قامت برفع المصباح وهي تتحدث، ولكنها لم تكمل كلامها حتى اتسعت عيناها عن آخرهما في فزع. أدار توماس عينيه ليكتشف السبب. وجدا رجلًا جالسًا هناك، أمام ضوء المصباح مباشرة.

بدا الرجل كالشبح، كان هناك شيء ما غير حقيقي في هيئته، انحنى إلى اليمين، وأخذت قدمه وساقه اليسرى تهتز بعض الشيء، وذراعه اليمنى أيضًا كانت ترتعش، بدا وكأنه يقبض يده، ولكنها في الحقيقة لم تكن موجودة، يرتدي بذلة سوداء ربما كانت أنيقة ذات يوم، على الرغم من أنها الآن قذرة وممزقة، البنطال عند الركبتين مشبع تمامًا بالماء أو ربما شيء آخر أكثر قذارة.

ولكن توماس تجاهل كل ذلك سريعًا، إذ ولى جل انتباهه إلى رأس الرجل، لم يستطع توماس إلا أن يحدق مشدوهمًا.

بدا الأمر وكأن الشعر قد اقتلع من رأسه اقتلاعًا، تاركًا مكانه قشورًا بشعة، كان وجهه شاحبًا ومبلاً، تغطيه الندوب والتقرحات في كل مكان. إحدى عينيه لم تكن في مكانها، وبدلاً منها كانت كتلة جلد أحمر لزجة. لم يكن لديه أنف أيضًا، وكان بإمكان توماس أن يرى آثار ممراته الأنفية بداخل جمجمته التي ترقد خلف جلده المشوه ببشاعة.

أما فمه، فكانت شفتاه مسحوبتين إلى الخلف كأنه كلب يزمجر، كاشفة عن أسنان بيضاء براقّة تضغط على بعضها بشدة، أخذت عينه السليمة تلتمع في الظلام، إذ أخذ يبدل نظرتة بين برندا وتوماس بطريقة وحشية. ومن ثم تفوه الرجل بشيء ما بصوت رطب كأنه يبقبق، جعل القشعريرة تسري في جسد توماس، لم يقل سوى كلمات قليلة، ولكنها كانت غريبة وفي غير محلها مما جعل الأمر كله أكثر رعباً:  
- أعتقد أن روز سرقت أنفي.

## الفصل الثاني والثلاثون

أفلتت صرخة صغيرة من أعماق توماس، لكنه لم يدرك إذا خرجت منه حقًا أم أنها كانت بداخله فقط، أو ربما تخيلها. بينما وقفت برندا بجانبه ملتزمة الصمت، ربما كانت مشدوهة، ولا يزال الضوء في يدها موجهًا على ذلك المسخ البشع.

اتخذ الرجل خطوة ثقيلة باتجاههما، واضطر إلى أن يلوح بذراعه السليمة لكي يحافظ على توازنه على ساقه الوحيدة السليمة، أخذ يكرر وفقاعات البلغم التي تسد حلقه تصدر صوتًا مثيرًا للاشمئزاز:  
- أعتقد أن روز سرقت أنفي، وهي حقًا تتمخط.

حبس توماس أنفاسه وانتظر برندا أن تبادر بالخطوة الأولى. قال الرجل وقد بدت شفاهه المزمجرة وكأنها تبتسم:

- هل فهمتما؟

بدا مظهره كحيوان يوشك أن ينقض على فريسته، وقال مكرراً:

- إنها حقًا تتمخط، أنفي الذي سرقتة روز، أعتقد ذلك.

ثم انفجر ضاحكًا، ضحكة مبلة باللعب جعلت توماس خائفًا من ألا يتمكن من النوم بسلام مرة أخرى أبدًا.

قالت برندا:

- أجل، أنا فهمت. إنه شيء مضحك.

شعر توماس بحركتها فوجه نظره إليها، قامت بإخراج علبة طعام من حقيبتها بمكر، تمسك بها في يدها اليمنى، مدت ذراعها وألقت العلبة على

النزق بكل قوتها. رأى توماس العلبة وهي تطير إلى أن اصطدمت بوجه الرجل، الذي أطلق صيحةً تجمد على إثرها قلب توماس.

ومن ثم ظهر المزيد، اثنان، فثلاثة، ثم أربعة وأكثر، رجالاً ونساء، يظهرون جميعاً من قلب الظلام ليقفوا خلف النزق الأول، لا يقل أي منهم عنه شيئاً في الجنون والبشاعة، وقد استنفدهم فيروس الوهج حتى لم يبق منهم شيئاً، مستعربين بالجنون تنتشر الجروح بدءاً من رأسهم حتى أخمص قدميهم، ولاحظ توماس أن جميعهم كانوا بلا أنف.

قال قائد النزقين:

- لم يكن ذلك مؤلماً كثيراً، لديك أنف جميل، إنني حقاً أريد أن أحصل على أنف جديد.

توقف عن الزمجرة بما يكفي لكي يلحق شفتيه، ومن ثم استكمل زمجرته على الفور. كان لسانه أشبه ببندبة أرجوانية مقززة، كأنه اعتاد أن يمضغه بداخل فمه عندما يشعر بالملل.

- وكذلك أصدقائي.

اجتاح الخوف صدر توماس، وكأن معدته قد أرسلت دفعة من الغاز السام إلى جسده، أصبح الآن يدرك أكثر من أي وقت مضى ما يفعله فيروس الوهج بالناس، لقد رأى ذلك من قبل عبر نوافذ مهجع النوم، ولكنه الآن قابله وجهاً لوجه وعلى مستوى شخصي، أمام عينيه مباشرة، ودون أي حواجز تمنعهم من القضاء عليه، بدت وجوه النزقين بدائية وحيوانية، اتخذ قائدهم خطوة ثقيلة ثانية ناحيتهما، ثم تبعها بأخرى.

حان وقت الهرب.

لم تقل برندا أي شيء، إذ لم تكن بحاجة إلى أن تفعل، بعد أن التقطت علبة أخرى وألقت بها في وجه النزقين، استدارت هي وتوماس وانطلقا يعدوان بأقصى سرعة. ارتفعت صرخات مطارديهم المختلين كشرارة نداء لمعركة جيش شيطاني.

أخذ ضوء المصباح اليدوي يهتز يمنة ويسرة في يد برندا بينما يعدوان دون توقف وينعطفان في كل اتجاه. أدرك توماس أن لديهما فرصة، إذ



كان النزقون يفتقدون أجزاءً كثيرة من أجسادهم، مما يعني أنهم لن يكونوا قادرين على الاستمرار في اللحاق بهما، ولكن احتمال أن يكون هناك المزيد من النزقين في هذا المكان، وربما يجلسون في انتظارهما في نهاية النفق... توقفت برندا فجأة وانعطفت يميناً وهي تجذب ذراع توماس لتدفعه إلى الأمام، تعثر لعدة خطوات وكاد أن يسقط، تمكن من استعادة استقامة ساقيه وحث نفسه مجدداً للعدو بأقصى سرعة، أخذت صيحات النزقين الغاضبة وعواؤهم يخفت شيئاً فشيئاً.

انعطفت برندا يساراً، ثم يميناً مرة أخرى، قامت بإطفاء المصباح اليدوي بعد ذلك الانعطاف الثاني دون أن تبطئ من سرعتها.

- ماذا تفعلين؟

سألها توماس ومد يداً أمامه يتحسس بها طريقه، إذ كان أكيداً من أنه سيصطدم بالجدار في أي لحظة، وكان الصمت هو الجواب الذي حصل عليه، أخذ يتساءل كيف أنه وثق ببرندا كثيراً، ووضع حياته بين يديها، ولكنه لم يجد أي خيار آخر أمامه، وبالأخص الآن.

توقفت مجدداً بعد بضع ثوان، وتوقفت تماماً، توقفاً في الظلام الحالك يلتقطان أنفاسهما، بات النزقون بعيدين عنهما، ولكن لا تزال أصواتهم العالية تدل على أنهم في طريقهم.

همست إليه:

- حسناً، تقريباً... هنا بالضبط.

سأل توماس:

- ماذا؟

- فقط اتبعني إلى هذه الغرفة، يوجد مكان مثالي لنختبئ فيه بالداخل، قد وجدته في أثناء استكشاف المكان ذات مرة، مستحيل أن يعثروا عليه، هيا بنا.

أمسكت يده بقوة وجذبه إلى جهة اليمين، أدرك أنهما كانا يعبران باباً ضيقاً، ومن ثم قامت برندا بدفعه لينحني إلى الأسفل، وقالت:

- هناك طاولة قديمة، يمكنك أن تشعر بها؟

أمسكت يده وقادتها عبر الظلام إلى أن استشعر الخشب القاسي الأملس،  
فأجاب:

- أجل.

- فقط انتبه لرأسك، سوف نزحف من تحتها إلى أن نصل إلى شق صغير  
في الحائط يؤدي إلى حجرة سرية، لا يدري إلا الله ما الغرض منها،  
ولكن من المستحيل أن يعثر عليها أولئك النزقون، حتى لو كان معهم  
مصدر للضوء، وإنني أشك في هذا الاحتمال.

طفق توماس يتساءل كيف أنهم كانوا يتجولون في المكان بلا مصدر  
للضوء، ولكنه وفرَّ السؤال إلى وقت لاحق، إذ انطلقت برندا بالفعل ولم يرغب  
في أن يضيعها، ظل قريباً منها حتى إن أصابعه كانت تلمس قدمها بينما  
يتبعها وهي تحبو على يديها وركبتيها أسفل الطاولة متجهة إلى الحائط،  
ومن ثم زحفاً خلال فتحة صغيرة مربعة إلى داخل حجرة ضيقة وطويلة.  
أخذ توماس يتحسس ما يحيط به، ويلمس الأسطح بيديه ليستكشف المكان  
الذي يقف فيه، كان السقف يبعد نحو قدمين فقط عن الأرض، لذا استمر في  
الزحف عميقاً بداخل الشق.

استلقت برندا مسندة ظهرها إلى حائط المخبأ إلى أن لحق توماس بها، لم  
يكن بإمكانهما سوى أن يتمددا على جانبيهما، كان المكان ضيقاً جداً، ولكنه  
تمكن من إدخال نفسه، كان في نفس الاتجاه الذي تنظر إليه، إذ كان ظهره  
ملتصقاً بصدرها، وشعر بأنفاسها على رقبته

همس توماس:

- يا له من مخبأ مريح حقاً!

- فقط ابق هادئاً.

دفع توماس نفسه إلى الأعلى قليلاً إلى أن أسند رأسه إلى الحائط،  
واسترخى قليلاً. استقر في موضعه وبدأ يأخذ أنفاساً عميقة ببطء وأصاخ  
السمع لكي يلتقط أي حركة يأتي بها النزقون.

في البداية كان الصمت عميقاً، ولكن لم تلبث أن ظهرت أصوات النزقين  
العالية مجدداً، من سعال، وصيحات عشوائية، وقهقهة جنونية. كانت

احتمالات إيجاد النزقين الغرفة التي يختبئان فيها ضعيفة للغاية، وبخاصة في قلب الظلام، سوف يتحركون قريباً، وكانا يأملان أنهم سيبتعدون عن هنا، وربما ينسون أمره هو وبرندا كلياً. وذلك أفضل كثيراً من مطاردة طويلة. وإذا ازدادت الأمور سوءاً، فسوف يتمكن هو وبرندا من الدفاع عن نفسيهما بسهولة عبر فتحة الحجرة الصغيرة، على الأرجح. أصبح النزقون قريبين الآن، حاول توماس أن يحارب رغبته الشديدة في حبس أنفاسه، كل ما كانوا بحاجة إليه هو صوت لهاث غير متوقع لكي يستدلوا على مكانهما. أغمض توماس عينيه على الرغم من الظلام الحالك وركز كل حواسه ليصيح السمع. انبعثت أصوات حفيف الأقدام والهمهمات والأنفاس المتناقلة، ضرب أحدهم بعنف على الحائط، ضربات مفزعة متتالية على الحائط الخرساني، وعلت أصوات الجدل والثرثرة شديدة الاهتياج، سمع توماس: "هذا الاتجاه!" و "ذاك الاتجاه!" والمزيد من السعال. أصدر أحدهم صوتاً وكأنه سيتقيأ ثم بصق بقوة شديدة كأنه يحاول أن يبصق عضواً أو اثنين خارج جسده. ضحكت امرأة ضحكة مليئة بالجنون أرسلت جيوشاً من القشعريرة في جسد توماس.

بحثت برندا عن يده في الظلام أمسكت بها بقوة، فشعر توماس من جديد بشعور سخيف بالذنب، كأنه يخون تيريسا، لم يستطع أن يتحمل الحميمية المبالغ فيها لتلك الفتاة. ويا له من شيء غبي لتفكر فيه عندما تكون...

دلف أحد النزقين إلى الغرفة ووقف أمام شق حجرتهم مباشرة، ثم تبعه آخر. تمكن توماس من سماع أصوات أنفاسهم المصحوبة بالصفير، واحتكاك أقدامهم بالأرض، ثم دخل آخر، كانت خطوات أقدامه طويلة وثقيلة، تتابعت خطوة خلف أخرى، فكر توماس أنه ربما يكون الرجل الذي رأوه أولاً، الوحيد الذي تحدث إليهم، ذاك النزق ذو الذراع والساق المرتعشتين عديمتي الفائدة.

أتى صوت الرجل وهو ينادي بصوت ساخر ومخيف:

- أيها الولد الصغيرiiiiiiiiiiير.

مؤكد أنه هو، لم يتمكن توماس من أن ينسى هذا الصوت.

- أيتها الفتاة الصغيرiiiiiiiiير، فلتخرجنا فلتخرجنا، أصدرنا صوتاً، أصدرنا صوتاً، إنني أريد أنفيكما.

قالت امرأة وهي تبصق:

- لا شيء هنا، لا شيء سوى طاولة قديمة.

أصدر احتكاك الطاولة بالأرض صريرًا مدويًا بينما تنزلق بسرعة، ثم توقف فجأة. أجاب الرجل:

- ربما يخبئان أنفيهما تحت الطاولة.

انكمش توماس والتصق ببرندا إذ سمع صوت يد أو حذاء تتجول على الأرض خارج مدخل مخبئهما الصغير مباشرة، على بعد قدم أو اثنين فقط. تكلمت المرأة مجددًا:

- لا يوجد شيء بالأسفل.

سمع توماس المرأة وهي تتحرك مبتعدة، أدرك وقتها أن جسده قد تحول إلى شيء أشبه بحزمة من الأسلاك المشدودة، فأجبر نفسه على أن يسترخي قليلاً وظل حريصًا على التحكم في صوت أنفاسه.

أتى المزيد من صوت تحرك الأقدام، ثم الهمس المؤرق، كأن ثلاثهم تقابل في منتصف الغرفة لكي يتفقوا على خطة. هل ما زالت عقولهم تعي بما يكفي لكي يفعلوا شيئًا كهذا؟ تساءل توماس. حاول أن يتنصت عليهم ليلتقط أي كلمة، ولكنهم كانوا ينفخون في أثناء الكلام بقوة جعلت فهم ما يقولونه مستحيلًا. صاح أحدهم:

- كلا!

كان رجلًا، ولكن لم يستطع توماس أن يحدد ما إذا كان هو الرجل نفسه.

- كلا! كلا! كلا! كلا! كلا! كلا! كلا!

هدأت الكلمات مجددًا حتى أصبحوا يهتمون في تلعثم. قاطعته المرأة

لتصيح بدورها:

- أجل، أجل، أجل، أجل، أجل، أجل، أجل، أجل.

صاح بهما الزعيم، مؤكد أنه كان الزعيم:

- اخرسا! اخرسا! اخرسا! اخرسا!

شعر توماس أن داخله قد تجمد، على الرغم من أن جلده كان ينضح بالعرق. لم يستطع توماس أن يعرف لو كان هذا الحوار يحمل أي شيء ذي معنى أم أنه فقط عَرَضَ آخر من أعراض الجنون.

قالت المرأة بصوت متقطع من النحيب، بدت كطفل ينسحب غاضبًا من اللعبة:

- أنا ذاهبة.

قال الرجل الآخر:

- وأنا أيضًا! وأنا أيضًا!

صاح الزعيم بهما بحدة أكثر من ذي قبل:

- اخرسا اخرسا اخرسا اخرسا اخرسا، اغربا اغربا اغربا اغربا.

أصاب التكرار الهستيرى للكلمات بهذا الشكل توماس بالتوتر، كأن أدمغتهم لم تعد تملك القدرة على السيطرة على اللغة. أخذت برندا تعنصر يده بداخل يدها بقوة لدرجة أنها ألمته، وانبعثت أنفاسها الباردة تتخلل العرق الذي يغطي رقبته.

انبعث صوت خطوات الأقدام واحتكاك الملابس من الخارج، هل كانوا ذاهبين؟ انخفضت أصواتهم بقدر ملحوظ عندما خرجوا إلى الممر، أو النفق، لا يهم. بدا أن بقية النزقين الذين شاركوا في الحفل قد غادروا بالفعل، وما لبث كل شيء أن عاد إلى الصمت التام مرة أخرى، إذ لم يسمع توماس سوى الصوت الخافت لأنفاسه هو وبرندا.

لبثا في الظلام منتظرين، مستلقيين على ظهريهما على الأرض القاسية في مواجهة المدخل الصغير، يلتصق كل منهما بالآخر، وكل منهما غارق في عرقه. امتد الصمت الرهيب حتى عاد صوت الطنين في آذانهما.

ظل توماس مصيخًا، إذ أدرك أن عليهما أن يتأكدا تمامًا، فبقدر ما كان يرغب في الخروج من هذا الجحر الضيق، وبقدر ما كان غير مريح، كان عليهما أن ينتظرا.

عدة دقائق مضت، ومضت المزيد منها، ولم يكن هناك سوى الصمت والظلام. همست برندا أخيرًا:

- أظن أنهم رحلوا.

ثم أشعلت ضوء المصباح.

- مرحبًا بذوي الأنوف!

صاح صوت بشع من قلب الغرفة، ومن ثم امتدت يد فظيعة عبر المدخل  
وجذبت توماس من قميصه.

## الفصل الثالث والثلاثون

أطلق توماس صيحة فزعة، وطفق يلکم اليد المليئة بالندوب والكدمات. كانت عيناه لا تزالان تحاولان اعتياد الضوء الذي أشعلته برندا، جفل عدة مرات لكي يتمكن من رؤية يد الرجل التي تقبض على قميصه بقوة، أخذ النزق يسحب توماس ويضربه في الحائط، وأخذ يسحق وجه توماس في الحائط الخرساني حتى تفجر الألم حول أنفه وشعر بالدم يسيل على وجهه.

قام الرجل بدفعه إلى الخلف بضعة إنشات ثم سحبه بقوة إلى الأمام مجددًا، وأخذ يدفعه ويسحبه مجددًا، ومجددًا، يسحق وجه توماس في الحائط كل مرة. لم يستطع توماس أن يصدق مقدار القوة التي لدى النزق، بدت ضربًا من ضروب المستحيل بالنظر إلى هيئته التي يغلب عليها الوهن والجروح الفظيعة.

أخرجت برندا سكينها وكانت تحاول أن تزحف من فوقه لتتمكن من الوصول إلى اليد لتضربها بعنف.

صاح بها توماس:

- احذري!

لقد كانت تلك السكين قريبة إلى حد مرعب، جذب توماس معصم الرجل وأخذ يشدها جيئة وذهابًا محاولًا أن يخفف تلك القبضة الحديدية، ولكن شيئًا لم يفلح، ولم يتوقف الرجل عن الدفع والجذب وسحق جسد توماس في الحائط مرة بعد مرة.

صرخت برندا ولم تتردد، صعدت فوق توماس والتمع نصل سكينها قبل أن تغرسه في ذراع النزق مباشرة، أطلق الرجل صيحة وحشية وأفلت قميص

توماس، اختفت يده من المدخل تاركة حوضًا من الدماء على الأرض، ظل يعوي من الألم بصوت عال أخذ صداه يتردد ويتتابع.

صاحت برندا:

- لا يمكننا أن نتركه يهرب! اخرج بسرعة.

كان توماس يدرك وهو تحت وطأة الألم الذي يجتاح كل جسده أنها محقة، فأخذ يتلوى بالفعل ليعدل من وضعية جسده. لو أن الرجل لحق ببقية النزقين، فسوف يعودون جميعًا، ربما سمعوا أصوات الهياج وكانوا الآن في طريق عودتهم.

تمكن توماس أخيرًا من إخراج ذراعيه ورأسه عبر الفتحة مما سهّل خروج باقي جسده، استخدم الجدار ليدعم نفسه حتى تمكن من الخروج، ثبت عينيه على النزق وانتظر هجمته التالية، كان الرجل يبعد عنه مسافة أقدم قليلة فقط، يضم ذراعه المجروحة إلى صدره. تقابلت أعينهما، راح النزق يزمجر كحيوان جريح، ويعض على الهواء.

كاد توماس أن ينهض واقفًا إلا أن رأسه ارتطم بقاع الطاولة. صاح:

- قشرًا.

ثم خرج من أسفل قطعة الخشب العتيقة، وتبعته برندا مباشرة، وما لبثا أن انقض كلاهما على النزق، الذي كان راقدًا على الأرض في وضعية الجنين يتلوى من الألم، أخذ الدم يسيل على الأرض من جرحه الناظر صانعًا بركة من الدماء.

أمسكت برندا بمصباحها اليدوي بيد واحدة، وبالسكين في الأخرى وهي تصوبها باتجاه النزق، قالت له:

- كان عليك الذهاب مع أصدقائك المختلين، أيها العجوز، كان عليك أن تدرك أن ذلك أفضل لك من العبث معنا.

وبدلاً من أن يجيب، استدار الرجل على كتفه في حركة مفاجئة، وركلها بساقه السليمة بسرعة وقوة لا تُصدق، ضرب برندا لتضطدم بتوماس ليتعثر كلاهما ببعض وينهاران على الأرض، سمع توماس صوت السكين والمصباح اليدوي يتدحرجان على الأرض الأسمنتية، وأخذت الظلال تتراقص على الجدران. نهض النزق على قدميه مترنحًا وهول إلى السكين التي استقرت بجانب الباب المؤدي للممر. دفع توماس نفسه على النهوض وهرع إلى الأمام،



اصطدم بركبتي الرجل من الخلف وألقاه على الأرض، استدار الرجل ووجّه ساعده أمام وجهه، فاصطدم بفك توماس الذي سقط وشعر بالألم يتفجر مجدداً عبر وجهه، وقد شقت يده طريقها غريزياً إلى وجهه.

ثم نهضت برندا وانقضت على النزق، ولكمته في وجهه مرتين، بدا عليه أنه تفاجأ من حركتها المدهمة، استغلت لحظة سانحة وتمكنت بطريقة ما أن تدفع الرجل بقوة فاستدار مجدداً وسقط مستلقياً على وجهه مرتطمًا بالأرض، ثم قامت بتقييد ذراعيه خلف ظهره، وأخذت تدفعه بساقها بطريقة بدت مؤلمة إلى درجة هائلة. أصبح النزق الآن مجروحاً واهناً، ثبتته برندا على الأرض بساقها. أخذ يعوي بصرخات مروعة وحادة ومرعبة.

صاحت برندا:

- علينا أن نقتله!

نهض توماس وجثا على ركبتيه وأخذ يحدق في زهول وإرهاق، سألها وهو مخدّر من الألم والإجهاد لدرجة أنه لم يقدر على استيعاب ما قالتها:

- ماذا؟

- التقط السكين! علينا أن نقتله!

استمر النزق في الصراخ بصوت جعل توماس يود أن يعدو ويهرب بعيداً بقدر المستطاع، كانت صرخاته غير طبيعية، غير آدمية.

صاحت به برندا:

- توماس!

زحف توماس إلى السكين والتقطها، وأخذ ينظر إلى البقع الأرجوانية التي تلطخ نصلها.

قالت برندا بعينين يتطاير منهما الشرر:

- أسرع!

أحسّ توماس في قرارة نفسه أن غضبها لم يعد بسبب النزق فقط الآن، لقد كانت غاضبة لأنه استغرق وقتاً طويلاً.

ولكن هل بإمكانه فعل ذلك؟ هل بإمكانه أن يقتل رجلاً؟ حتى لو كان رجلاً مجنوناً فقد عقله حاول قتله للتو وأراد أن يأخذ أنفه المقشور؟ أو لأنه يصرخ تلك الصرخات المرعبة؟

سار نحوها في تناقل وهو يمسك بالسكين وكأنها ملطخة بالسم، وكان إمساكه بها ربما ينقل إليه أوبئة قاتلة لا تُحصى ستتسبب في موته ببطء بعد عذاب مضمّن.

كان النزق بذراعيه المقيدتين خلف ظهره ما زال يصرخ.

نظرت برندا إلى عيني توماس، وقالت بحزم:

- سوف أقلبه، ثم ستقوم أنت بطعنه في قلبه.

بدأ توماس يهز رأسه، ثم توقف عن هذا، أدرك أنه لم يكن لديه خيار، وأنه توجب عليه أن يقوم بذلك، فأوماً موافقاً.

أطلقت برندا صرخة مجهدة وألقت بنفسها أرضاً إلى يمين النزق، واستخدمت جسدها وأحكمت قبضتها على ذراعيه لكي تقلب الرجل إلى جانبه. تعالت صرخاته على نحو بدا مستحيلًا، أصبح صدره الآن مكشوفًا ومقوسًا ومثبّتًا بإحكام أمام توماس مباشرة، يفصل بينهما إنشأت قليلة.

صاحت به برندا:

- الآن!

أحكم توماس قبضته على السكين، ثم أمسك به بيده الأخرى ليزيد من إحكام قبضته، والتفت أصابعه العشر بقوة حول مقبض السكين ووجّه نصلها باتجاه الأرض، عليه أن يقوم بذلك، عليه أن يفعلها.

صاحت برندا مجددًا:

- الآن!

تواصل صراخ النزق دون انقطاع.

تصبب وجه توماس بالعرق.

أخذ قلبه يخفق بقوة، وينبض بضربات صاخبة وسريعة.

تساقط قطرات العرق بداخل عينيه، وأحس بالألم يتدفق في كامل جسده. ولم تتوقف الصرخات البشعة غير الآدمية.

- الآن!

استجمع توماس كل قوته وغرس السكين عميقًا في صدر النزق.

## الفصل الرابع والثلاثون

كانت الثلاثون ثانية التالية شيئاً شديداً الفظاعة بالنسبة إلى توماس، أخذ النزق يصارع ويتشنج، أخذَ يختنق ويبيصق، ثبتته برندا في الأرض بينما يقوم توماس بإدارة السكين ودفعها عميقاً بداخل صدره بقوة. استغرق الرجل وقتاً طويلاً حتى فارقت الحياة، وتلاشى الضوء من عينيه التي يملؤها الجنون، هدأ عواؤه وأصبح تثبيته في الأرض يتطلب جهداً جسدياً أقل حتى سكن واستقر شيئاً فشيئاً.

أخيراً، مات الرجل المصاب بفيروس الوهج. انهار توماس إلى الخلف وقد تصلب جسده، يحارب ألماً فظيماً في صدره وهو يحاول التقاط أنفاسه. لقد قتل رجلاً للتو، أخذ حياة شخص آخر، شعر أن قلبه وروحه ممتلئان بالسم.

نهضت برندا على قدميها وقالت:

- علينا أن نذهب. مستحيل أنهم لم يسمعوا كل هذه الجلبة.

لم يستطع توماس أن يصدق مدى السرعة التي تخطت بها ما فعلاه للتو، وكيف أنها لم تتأثر بأي شيء، ولكن لمرة أخرى، لم يكن أمامهما خيار آخر. دوى صدى الصوت في نهاية النفق كعلامة أولى على اقتراب النزقين الآخرين، كأصوات الضباع الضارية وهي تجري وسط القطيع عبر الوادي.

أجبر توماس نفسه على النهوض متجاهلاً شعوره بالذنب الذي يهدد باستنزافه تماماً. قال:

- حسناً، ولكن لن يكون هناك المزيد من هذا.

أولاً هاجمتهم كرة معدنية تلتهم الرؤوس، والآن يقاتلون النزقين في الظلام الحالك.

- ما الذي تعنيه؟

قد طفح كيله من الأنفاق الطويلة المظلمة، أخذ ما يكفيه منها لمدى الحياة، قال:

- أريد أن أرى ضوء النهار، لا يهم ما سيتطلبه ذلك، أريد أن أرى ضوء الشمس، وفورًا.

\*\*\*

لم تجادله برندا، وراحت تقوده عبر عدة منعطفات وانحرافات وسرعان ما وجدا سلمًا حديديًا طويلًا يؤدي إلى السماء، إلى خارج الأسفل. لم تنقطع أصوات النزقين المزعجة من المسافة البعيدة، ضحكات وصيحات وقهقهة، وصرخة عالية من وقت إلى آخر. استغرق تحريك غطاء المخرج الكثير من الدفع القوي لوقت طويل، ولكنهما تمكنا من إزاحته ثم تسلقا إلى الخارج، وجدا نفسيهما واقفين وسط شفق رمادي اللون، تحيط بهما المباني الشاهقة من كل جانب، نوافذ محطمة، وشوارع تعج بالقمامة والقاذورات، والعديد من جثث الموتى الملقاة هنا وهناك، تزكم أنفيهما رائحة العفن والتراب، وبالطبع الحرارة.

ولكن لم يكن هناك أناس، لم يعد هناك أي أحد على قيد الحياة. ساور توماس بعض القلق من أن تكون إحدى الجثث لأصدقائه، ولكن قلقه تبدد لما نظر من حوله. كانت الجثث المتناثرة لرجال ونساء كبار في السن، وقد تحللت بالفعل.

استدارت برندا ببطء لتستكشف الاتجاهات من حولها.

- حسنًا، يُفترض بالجبال أن تكون في نهاية هذا الشارع.

أشارت بيدها، ولكن كان من المستحيل التأكد، إذ لم يتمكنوا من الرؤية بوضوح وقد أخفت المباني غروب الشمس.

سألها توماس:

- هل أنت متأكدة؟

- نعم، هيا تحرك.

عندما انطلقا في طريقهما عبر الشارع الطويل والوحيد، أبقى توماس عينيه متيقظتين، يتفحص كل نافذة مكسورة، كل زقاق، وكل مدخل منهار على أمل أن يلمح أي أثر لمينهو وفتيان الجلايد، ويأمل ألا يرى أي نزقين.

تابعا سيرهما حتى أرخى الليل سدوله، تجنبنا الاحتكاك أو لفت النظر إليهما، كان لا يزال بإمكانهما سماع الصرخات المتقطعة من مسافة بعيدة، أو أصوات تحطم أشياء بداخل المبنى من حين إلى آخر. للمرة واحدة رأى توماس مجموعة من الناس يهرولون عبر شارع على بعد عدة مبانٍ، لكن بدا أنهم لم يلاحظوه هو وبرندا.

فقط قبل أن تختفي الشمس معلنة نهاية النهار، انعطفا إلى إحدى الزوايا ليصبح لديهما رؤية واضحة لحدود المدينة، ربما تبعد فقط مسافة ميل واحد. لم يعد أمامهما أي مبانٍ فجأة، ومن خلفها وقفت الجبال الشاهقة بكل جلالها، بدت أكبر حجمًا بمراحل عديدة عما تخيلها توماس عندما رآها لأول مرة قبل عدة أيام، جافة ومليئة بالصخور، ولا توجد قمم مغطاة بالثلج الجميل، كما تراءى له في ذكرياته الماضية عن هذا الجزء من العالم.

سأل توماس:

- هل علينا أن نكمل بقية الطريق؟

انشغلت برندا في البحث عن مكان مناسب للاختباء. أجابت:

- هذا مُغرٍ، ولكن لا. أولاً، لأن العدو في هذا المكان في أثناء الليل شديد الخطورة. ثانيًا، حتى لو أننا فعلنا ذلك، فلن يكون لدينا مكان للاختباء هناك إلا إذا قطعنا الطريق بأكمله إلى الجبال، ولا أظن أننا يمكننا القيام بذلك.

وافقها بقدر ما خشي قضاء ليلة أخرى في هذه المدينة التعيسة، ولكن خوفه وقلقه على بقية أفراد الجلايد كان يأكل قلبه، أجاب بضعف:

- حسنًا، إلى أين علينا أن نذهب إذن؟

- اتبعني.

انتهى بهما المطاف إلى زقاق في نهايته جدار كبير من الطوب، فكر توماس في بداية الأمر أنها ليست فكرة جيدة أن يناما في مكان به طريق واحد للخروج، ولكن برندا أقنعتة بعكس ذلك، إذ إن النزقين لن يكون لديهم سبب للدخول إلى الزقاق إذ إنه لا يؤدي إلى أي مكان، بالإضافة إلى أنها أشارت بيدها ناحية عدة شاحنات ضخمة وصدئة يمكنهما الاختباء بداخلها.

انتهى بهما الحال بداخل واحدة بدت وكأنها أبعد ما تكون عن شيء ذي نفع، المقاعد ممزقة، لكنها لينة، وقمرة القيادة واسعة، جلس توماس خلف عجلة القيادة وأرجع الكرسي إلى الخلف بقدر ما أمكنه، شعر على نحو مفاجئ بالراحة بمجرد أن استلقى عليه، واستقرت برندا في كرسيها على بعد قدمين فقط إلى يمينه.

غرق المكان بالخارج في ظلام دامس، ووصلت إليهما أصوات النزقين النشيطين الآتية من بعيد عبر النوافذ المحطمة.

كان توماس منهكًا، يشعر بألم لا يُحتمل، ولديه بقع دم متجلط في كل جزء من ملابسه، قام بغسل يديه قبل قليل وأخذ يفركما حتى صاحت به برندا لكي يكف عن إهدار مياههما، ولكنه لم يحتمل وجود دماء ذاك النزق على يديه وأصابعه، يكاد قلبه يتوقف كلما فكر في ذلك، ولكنه لا يمكنه أن ينكر تلك الحقيقة الفظيعة بعد الآن، لو أنه لم يكن مصابًا بفيروس الوهج من قبل -بالنظر إلى الاحتمال الضئيل بأن السيد جردن كذب عليهم- فمؤكد أنه قد أُصيب به الآن.

أما الآن، وبينما يجلس في الظلام، مسندًا رأسه إلى باب الشاحنة، فقد تدفقت الأفكار حول ما فعله سابقًا وأخذت تعصف بعقله. همس قائلًا:

- لقد قتلت ذاك الرجل.

أجابته برندا بصوت حان:

- أجل، لقد فعلت ذلك، وإلا لكان قتلك هو، مؤكد أن ذلك كان هو الشيء الصحيح.

أراد في داخله لو يصدق ذلك. كان الرجل قد تخطى الطور بمراحل، واستهلكه فيروس الوهج عن آخره، لربما كان سيموت عاجلاً على أي حال.

ناهيك بأنه كان يفعل كل شيء في سبيل إيذائهما، في سبيل قتلهما، لقد قام توماس بالشيء الصحيح، ولكن لم يتوقف الذنب الذي كان يأكل قلبه، وينخر في عظامه. لم تكن فكرة قتل إنسان آخر شيئاً من اليسير تقبله.  
أجاب أخيراً:

- أدرك ذلك، ولكنه كان شيئاً... وحشياً، شيئاً قاسياً للغاية. أتمنى لو كان بإمكانني أن أطلق عليه النار فقط من مكان بعيد أو شيء من هذا القبيل.

- أجل، آسفة أن الأمور سارت بهذا الشكل السافل.

- ماذا لو رأيت وجهه المقرف كل ليلة عندما أذهب إلى النوم؟ ماذا لو رأيت في أحلامي؟

شعر بالغضب تجاه برندا لأنها جعلته يطعن النزق، ربما كان يجد غضبه لا مبرر له عندما يفكر كم كانا يائسين.

تحركت برندا في مقعدها لتنظر إليه، انعكس ضوء القمر عليها بما يكفي ليتمكن من رؤية عينيها الداكنتين، ووجهها الجميل على الرغم من اتساخه. ربما كان شيئاً سيئاً، وربما كان أحمق، ولكن النظر إليها جعله يرغب في أن تعود إليه تيريسا.

مدت برندا يدها وأمسكت بيده واعتصرتها بقوة، تركها تفعل ذلك، ولكنه لم يضغط على يدها بدوره.

- توماس؟

نطقت اسمه على الرغم من أنه كان ينظر إليها مباشرة.

- أجل؟

- إنك لم تنقذ حياتك أنت فقط، في الواقع، لقد أنقذت حياتي أنا أيضاً. إنني لا أعتقد أنني كنت لأتغلب على ذلك النزق بمفردي.

أوماً توماس، ولكنه لم يقل أي شيء، كان قلبه يتألم لعدة أسباب، لقد اختفى كل أصدقائه، وربما ماتوا، على حد علمه، لقد مات تشاك بكل تأكيد، لا يمكنه العثور على تيريسا، وها هو قد قطع نصف الطريق إلى الملاذ الآمن،

وينام في شاحنة وبجانبه فتاة سوف ينتهي بها الحال وهي فاقدة عقلها،  
وتحيط بهما مدينة تعج بالنزقين المتعطشين للدماء.

سألته برندا:

- هل تنام وعيناك مفتوحتان؟
- حاول توماس أن يبتسم، وأجاب:
- لا، أفكر فقط كم تحطمت حياتي.
- لقد تحطمت حياتي أيضًا، دُمّرت منذ وقت طويل، ولكنني سعيدة لأنني معك.

كانت عبارتها في غاية البساطة والرقّة لدرجة جعلت توماس يغمض عينيه ويغلقهما بشدة. كل الألم في داخله استحال إلى شعور ما تجاه برندا، يشبه تقريبًا شعوره تجاه تشاك. كان يبغض أولئك الذين فعلوا هذا بها، يبغض الوباء الذي تسبب في حدوث كل ذلك، وأراد أن يبيّن لها ذلك.

نظر إليها مجددًا أخيرًا، وقال:

- إنني سعيد أيضًا، لو بقيت بمفردي لأصبح الوضع مزريًا أكثر مما هو عليه.

- لقد قتلوا أبي.

أدار توماس رأسه متفاجئًا من الانحراف المفاجئ في مجرى الحديث.

- ماذا؟

أومأت برندا برأسها ببطء، وقالت:

- وكِد، لقد حاول منعهم من أن يأخذوني، وأخذ يصرخ كالمجنون بينما قام بمهاجمتهم بـ... أعتقد أنه مرقاق عجيب خشبي.

أفلتت منها ضحكة صغيرة، وأكملت:

- ثم قتلوه بطلقة في رأسه.

ترقرق الدمع في عينيها، وتلألأت تحت الضوء الخافت.

- هل أنت جادة؟



- أجل، لقد رأيت ذلك بأم عيني، رأيته يفارق الحياة من قبل حتى أن يسقط على الأرض.

بحث توماس عن كلمات تسعفه:

- يا إلهي! إنني حقًا... آسف. لقد رأيت ربما أفضل صديق لي في العالم وهو يُطعن، لقد مات بين ذراعي. (توقف لهنيهة) ماذا عن والدتك؟

- اختفت منذ وقت طويل.

لم توضّح، ولم يرد توماس أن يضغط عليها، أو لم يرد أن يعرف حقًا.

قالت برندا بعد صمت طويل:

- أنا خائفة من أن أفقد عقلي. إنني أشعر أن ذلك يقترب. كل شيء يبدو غريبًا. أشعر أنني سأبدأ فجأة في التفكير في أمور ليس لها أي معنى، إنني أشعر أحيانًا بأن الهواء من حولي... ثقيل، لا أدري ما معنى ذلك حتى، ولكنه شعور مخيف. لقد اقتربت بكل تأكيد، إن فيروس الوهج في طريقه لكي يفقدني عقلي.

لم يستطع توماس تحمل النظرة التي في عينيها، فهربت نظرتة نحو الأرض، وقال:

- ولكن مع ذلك لا تستسلمي، سوف نصل إلى الملاذ الآمن، وسنحصل على العقار.

- هذا سراب، ولكن أعتقد أنه أفضل من عدم وجود أمل على الإطلاق.

ضغطت على يده، وهذه المرة، ضغط توماس على يدها هو أيضًا.

ثم، وعلى نحو لا يُصدّق، راحا في النوم.



## الفصل الخامس والثلاثون

استيقظ توماس على كابوس، رأى فيه مينهو ونيوت محاصرَين بواسطة مجموعة من النزقين ممن تخطوا الطور، نزقون يحملون سكاكين، ونزقون غاضبون. استيقظ توماس مفزوعًا مع أول قطرة دماء. أجال بصره من حوله خوفًا من أن يكون قد صرخ أو قال شيئًا بصوت مسموع. كانت الشاحنة لا تزال غارقة في ظلام الليل، بالكاد بإمكانه رؤية برندا، ولم يستطع حتى أن يرى لو كانت عيناها مفتوحتين، ولكن أتى صوتها:

- حلم سيء؟

عدّل توماس من جلسته وأغمض عينيه.

- أجل، لا يمكنني أن أتوقف عن التفكير في أصدقائي، إنني فقط لا أطيق أننا قد افترقنا.

اعتدلت برندا في مقعدها، وقالت:

- أنا آسفة أن هذا حدث، أنا حقًا آسفة، ولكنني حقًا لا أعتقد أن عليك أن تقلق، يبدو على فتیان الجلايد أنهم أقوىاء وقادرون على حماية أنفسهم، وحتى لو لم يكونوا كذلك، فإن خورخي فتى قوي وماكر. سيتمكن من إخراجهم من المدينة بسلام، لا تضغط على نفسك وتستهلك قلبك، يجب أن تكون قلقًا علينا نحن الآن.

- إنك تنجحين بشكل رهيب في جعلي أشعر بتحسن.

ضحكت برندا وقالت:

- آسفة، لقد ابتسمت عندما قلت جملتك الأخيرة، لكنك لم ترني.

نظر توماس إلى ساعته المضيفة، ثم قال:

- ما زال لدينا بضع ساعات قبل شروق الشمس.

عم الصمت لبعض الوقت، ثم تكلم توماس مجددًا:

- أخبريني بالمزيد عن حياتنا، لقد سلبوا منا الكثير من ذكرياتنا، استعدت

جزءًا من ذاكرتي، ولكنها ذكريات مشوشة لا يمكنني الاعتماد عليها، ولا

يوجد الكثير مما أعرفه عن العالم الخارجي أيضًا.

تنهدت برندا بعمق.

- العالم الخارجي، هه؟ حسنًا، إنه بشع. بدأت درجات الحرارة في

الانخفاض أخيرًا، ولكن سيستغرق الأمر دهرًا حتى يفعل سطح البحر

الشيء نفسه. لقد مر وقت طويل منذ حدوث الوهج الشمسي، ولكن

الكثير من الناس ماتوا يا توماس، الكثير. في الحقيقة إنه لأمر مذهل

نوعًا ما كيف أن جميع الناجين تمكنوا من الاستقرار والتأقلم بهذه

السرعة، أعتقد أنه لولا فيروس الوهج اللعين لكان العالم قد تخطى

الأمر بسهولة. ولكن ألا ليت نيل المطالب... يا إلهي، لا أستطيع التذكر،

شيء اعتاد أبي قوله.

لم يستطع توماس كبح الفضول الذي فاض بداخله:

- ما الذي حدث بالفعل؟ هل أنشئت بلاد جديدة، أم فقط حكومة واحدة

متحدة؟ وما دور وِكد في كل هذا؟ هل هم الحكومة؟

- لا يزال هناك بلاد قائمة بذاتها، ولكنها... توحدت، عندما انتشر فيروس

الوهج كالنار في الهشيم، قاموا بتوحيد قواهم كلها معًا، التكنولوجيا،

الموارد، وكل ما يلزم لإنشاء صرح مثل وِكد، أنشؤوا نظام التحليل

للعين والمدروس بدقة، ومن ثم كرسوا كل مجهوداتهم لكي يوفروا

مناطق للحجر الصحي، وتمكنوا بالفعل من إبطاء انتشار الوهج،

ولكنهم لن يستطيعوا إيقافه، أظن أن الأمل الوحيد هو إيجاد عقار.

أمل أنك محق في أنهم تمكنوا من صنع واحد، مع العلم أنهم لو فعلوا،

فمؤكد أنهم لم يعلنوا عنه للعامة حتى الآن.

سأل توماس:

- إذن أين نحن؟ أين نحن الآن؟

- في شاحنة.

أكملت عندما لم يضحك توماس:

- آسفة، ليس وقتًا مناسبًا للنكات. بناء على ملصقات علب الطعام، فنحن نفترض أننا في المكسيك، أو ما كانت المكسيك في الماضي، يبدو هذا منطقيًا أكثر، إذ يُطلق عليها الآن الأرض المحترقة، أو بمعنى أصح أن كل المناطق التي تقع بين مداري السرطان والجدي أصبحت الآن أراضي يعمها الخراب، وسط وجنوب الأمريكتين، ومعظم مناطق إفريقيا، الشرق الأوسط بأكمله وجنوب آسيا، عدد هائل من الموتى والأراضي القاحلة. إذن، مرحبًا بك في الأرض المحترقة، أليس لطفاً منهم أن يرسلونا، نحن النزقين اللطفاء، إلى هذا المكان؟

- رباه.

اندفعت الأفكار في رأس توماس اندفاعًا، وبخاصة بعدما عرف أنه كان جزءًا من وِكد - جزءًا كبيرًا - وأن المتاهة والمجموعتين (أ) و (ب)، وكل القرف الذي خاضوا غماره كان أيضًا من ترتيبهم، ولكنه لم يتمكن من تذكر ما يكفي لكي يفهم أي شيء ذا أهمية. قالت برندا:

- رباه؟ أهذا كل ما تستطيع قوله؟ هناك العديد من الأسئلة التي تدور في رأسي، ويبدو أنني لن أتمكن من العثور على إجابة واحدة.

- هل تعلمين أي شيء عن المادة المخدرة؟

نظر توماس إليها وتمنى أن يستخلص أي شيء من وجهها، استأنف:

- أظن أن خورخي سبق أن قال شيئًا عن هذا. ماذا يكون ذلك؟

- إنك تعلم ما هو حال العالم، وباء جديد، أدوية جديدة، حتى لو كانت لا تؤثر مع المرض مباشرة، فلا بد أنهم يصنعون أشياء.

- وماذا يفعل ذلك؟ هل لديك أيُّ منه؟

صرخت به برندا في ازدراء:

- هااا! هل تعتقد أنهم سيعطوننا أيًّا منه، فقط الناس المهمون والأغنياء من يمكنهم الوصول لهذا الشيء اللعين، إنهم يسمونه النعيم، يخدر

مشاعرك، يخدر عمل دماغك، يحولك إلى كائن مغيَّب ومخمور، كمن راح في غيبوبة حتى لا تتمكن من الشعور بأي شيء، ويعمل على إيقاف انتشار الوهج لأنه يتغذى على الدماغ، يأكله، ويدمره، وإذا توقف نشاط الدماغ أو تضاعل بعض الشيء، فذلك يضعف الفيروس. عقدَ توماس ذراعيه، وانتبه إلى الأشياء المهمة التي تُقال الآن، ولكنه لم يستطع تحديد مغزاها، قال:

- إذن... هو ليس بعقار؟ حتى لو كان يبطئ من انتشار الفيروس؟  
- لم يقترب حتى من أن يكون كذلك، هو فقط يؤجل النهاية الحتمية، ويفوز فيروس الوهج في النهاية دومًا، تفقد أقل فرصة لتكون عاقلًا أو أن يكون لديك القدرة على الفهم، تفقد عاطفتك، تفقد إنسانيتك.  
التزم توماس الصمت، ربما أحس أكثرَ من أي وقت مضى أنه شعر بأنه تذكر شيئًا (ذكرى ذات أهمية) أخذ يعتصر دماغه لكي يساعده على تخطي الجدار الذي يحول بينه وبين ماضيه. فيروس الوهج، الدماغ، الجنون، المادة المخدرة، النعيم... وكِد، الاختبارات، وما قاله السيد جرد بأن استجاباتهم للعوائق التي يضعونها في طريقهم هي أهم شيء صُنِع لأجله كل ذلك.  
سألته برندا بعد مرور عدة دقائق من الصمت:

- هل نمت؟  
- لا، فقط المعلومات كثيرة جدًا.  
شعر بقلق شديد إثر ما قالتها، ولكنه لا يزال غير قادر على فهم الصورة كاملة.

- لا يمكنني استيعاب كل ذلك.  
- حسنًا، سوف أغلق فمي إذن.  
استدارت برندا وأسندت رأسها إلى الباب مجددًا، وقالت:  
- اطردها من عقلك، لن يأتيك ذلك بأي نفع، أنت بحاجة إلى الراحة.  
دمدم توماس:  
- آه، أجل.

أرهبه أنه يملك هذا القدر من المعلومات وليس لديه أي إجابات حقيقية. لكن برندا محقة، إنه فعلاً بحاجة إلى أخذ قسط جيد من النوم، حاول أن يسترخي وفعل كل ما في وسعه، ولكن الأمر استغرق منه وقتاً طويلاً حتى شعر بالنعاس أخيراً، ورأى حلمًا جديدًا.

\*\*\*

أصبح أكبر سنًا من جديد، ربما في الرابعة عشرة من عمره الآن. يجثو على ركبتيه هو وتيريسا على الأرض ويلصقان أذانهما بشق الباب يتنصتان ويسترقان السمع، بداخل الغرفة يوجد رجل وامرأة يتحادثان وبإمكان توماس أن يسمعهما بوضوح.

تكلم الرجل أولاً:

- هل حصلتِ على إضافات قائمة العوائق؟

أجابته المرأة:

- ليلة البارحة، أعجبنى ما أضافه ترنت عن تجارب المتاهة، إنها وحشية، ولكننا بحاجة إليها، نحتاج إلى الحصول على بعض الأنماط المهمة.
- بالتأكيد، كل شيء عن طريق سيناريو الخيانة، لو اضطررنا إلى فعل ذلك فعلاً.

أفلتت المرأة صوتًا بدا وكأنه ضحكة، ولكنها متوترة وخالية من المرح،

وقالت:

- أجل، لقد فكرت في ذلك، أعني، بحق الله، إلى أي حد سيصمد أولئك الأولاد قبل أن يفقدوا عقولهم تمامًا؟
  - ليس ذلك فقط، الأمر يحمل الكثير من المخاطرة، ماذا لو أنه مات؟ نحن جميعًا نتفق على أنه بحلول هذا الوقت سوف يصبح بكل تأكيد واحدًا من أهم المرشحين.
  - لن يحدث ذلك، لن نسمح له بذلك.
  - مع ذلك، نحن لسنا الله، من الممكن أن يموت.
- توقفنا لمدة طويلة قبل أن يتكلم الرجل مرة أخرى:

- ربما لن يصل الأمر إلى هذه الدرجة، ولكنني أشك في ذلك. النفسيون يقولون إنه سيحفز ظهور الكثير من الأنماط التي نحتاج إليها.  
أجابته المرأة:

- حسنًا، سيكون هناك العديد من المشاعر في أمر كهذا. وبناء على ما قاله ترنت، سينتج عنه بعض من أصعب الأنماط. أعتقد أن أنسب خطة لتلك العوائق هي اختيار الشيء الوحيد الذي سينجح.  
سأل الرجل:

- هل حقًا تعتقد أن التجارب سوف تنجح؟ هل أنت جادة؟ إن كل مقاييس ومعطيات هذا الأمر لا تُصدّق، هل فكرتِ إلى أي مدى يمكن للأمر أن يخرج عن السيطرة؟  
- يمكن، أنت محق، ولكن ما البديل؟ فقط جرّب، ولو لم تنجح فلسوف نبقى في نفس المكان كأننا لم نحاول على الإطلاق.  
- أفترض ذلك.

أخذت تيريسا تجذب توماس من قميصه، نظر إليها ليراها تشير باتجاه الصلاة، حان وقت الذهاب، أوماً توماس، ولكنه مال مجددًا ناحية الباب ليرى لو بإمكانه التقاط جملة أو جملتين أخيرتين، وبالفعل سمع المرأة تقول:  
- إنه لأمر مؤسف أننا لن نتمكن أبدًا من أن نشهد نهاية التجارب.  
أجاب الرجل:

- أعلم ذلك، ولكن المستقبل سوف يشكرنا.

\*\*\*

أيقظت أول خيوط الفجر الأرجوانية توماس هذه المرة، لم يستطع تذكر أنه تقلب في نومه مرة واحدة منذ حديثه الليلي مع برندا، ولا حتى بعد استيقاظه من الحلم.

الحلم، لقد كان هذا أغرب حلم إلى الآن، سمع الكثير من الأشياء التي أخذت تتلاشى بالفعل، من العسير عليه فهمها وترتيبها بداخل ذكريات ماضيه التي بدأت تعود إليه شيئًا فشيئًا وببطء شديد. ترك نفسه يشعر بقليل من الأمل أنه ربما لم يكن متورطًا كثيرًا في أمر تلك التجارب كما بدأ يُخَيَّل إليه، وعلى



الرغم من أنه لم يفهم الكثير من اللحم، وفكرة أنه وتيريسا كانا يتنصتان ربما تعني أنهما ليسا متورطين في كل الأشياء المتعلقة بالتجارب.

ولكن ماذا يمكن أن يكون الغرض وراء كل ذلك؟ لمَ سيشكر المستقبل أولئك الناس؟

فرك توماس عينيه وتمطى، ثم نظر إلى برندا، كانت لا تزال نائمة، عيناها مغمضتان وصدرها يعلو ويهبط في أنفاس منتظمة، وفمها مفتوح شيئاً قليلاً، لقد فاده كثيرًا هذا القسط المريح من النوم، شعر بطاقته تتجدد، واستعاد نشاطه، شعر بالحيرة والتهيه تحت وطأة رؤياه الجديدة وكل الأشياء التي أخبرته بها برندا، ولكنه استعاد قوته على الرغم من كل ذلك.

تمطى مرة أخرى وأوشك أن يتثاءب بعمق عندما وقعت عيناه على شيء على حائط الزقاق، شريحة معدنية كبيرة مثبتة بإحكام على الحائط، علامة بدت مألوفة للغاية.

دفع الباب وفتحه بعنف، ونزل إلى الشارع وسار باتجاهها، كانت مطابقة تقريبًا للعلامة التي كانت في المتاهة التي تقول: **منظمة الكوارث العالمية** - قسم تجارب المقتل، نفس المعدن الباهت، نفس الحروف، عدا أن هذه تقول شيئًا مختلفًا تمام الاختلاف، ظل محددًا إليها قرابة خمس دقائق متواصلة قبل أن يتحرك نحوها. كُتِبَ عليها:

**أنت القائد الحقيقي يا توماس.**



## الفصل السادس والثلاثون

كان بإمكان توماس أن يستمر في التحديق إلى اللوحة طوال اليوم لو لم تخرج برندا من الشاحنة وتأتي إليه.

تكلمت أخيرًا وأخرجته من شروده تمامًا:

- لقد كنت أنتظر الوقت المناسب لكي أخبرك.

أدار رأسه لكي ينظر إليها.

- ماذا؟ ما الذي تتحدثين عنه؟

لم تبادله النظر واستمرت فقط في التحديق إلى اللوحة. أجابت:

- إنني أنتظر منذ اللحظة الأولى التي عرفت فيها اسمك، وخورخي كذلك، ربما لهذا السبب قرر أن يجرب حظه ويذهب معك في رحلتك عبر المدينة وإلى الملاذ الآمن الذي تحدثت عنه.

كرر توماس:

- برندا، ما الذي تتحدثين عنه؟

بادلته برندا النظر أخيرًا:

- هذه العلامات موجودة في كل مكان في المدينة، وكلها تقول الشيء نفسه، الشيء نفسه تمامًا.

شعر توماس أن ساقبيه لا تقويان على حمله، استدار ثم انهار على الأرض وأسند ظهره إلى الحائط، قال:

- كيف... كيف يمكن ذلك؟ أعني، من الواضح أنها كانت منذ مدة...

لم يعرف حقًا ماذا عليه أن يقول. جلست برندا إلى جانبه على الأرض وأجابته:

- لست أدري. لم يفهم أي منا ما الذي تعنيه هذه الكلمات، ولكن عندما ظهرتم أيها الرفاق وأخبرتنا أنت باسمك... حسنًا، أدركنا أنها لم تكن بمحض الصدفة.

حدق توماس إليها بحدة وقد بدأ الغضب يعتمل في داخله، قال:

- لماذا لم تخبريني بذلك؟ ستمسكين بيدي وتخبرينني عن أبيك الذي قُتل، ولكنك لن تخبريني عن هذا الأمر.

- لم أخبرك لأنني كنت قلقة بشأن كيف ستستقبل الأمر، فكرت أنك ربما تهرع لكي تبحث عن العلامات وتتجاهلني وتتركني.

زفر توماس، لقد طفح كيله من كل هذا، أطلق نفسًا عميقًا لكي يلقي بكل الغضب خارجًا، وقال:

- أفترض أن هذا مجرد جزء آخر ليس له أي معنى من ذلك الكابوس. استدارت برندا لتلقي نظرة أخرى على اللوحة.

- كيف يمكن أنك لا تعرف ما تعنيه هذه اللوحة؟ أيمن أن تكون أبسط من ذلك؟ يجب أن تكون أنت القائد، هذا دورك. سوف أساعدك، لأستحق مكاني في رحلتك، وأستحق مكاني في الملاذ الآمن.

ضحك توماس وقال:

- هأنذا في مدينة تعج بالنزقين المختلين، ومطارَد من قبل مجموعة من الفتيات تسعى لقتلي، والآن يفترض بي أن أكرث بمن هو القائد الحقيقي لمجموعتي؟ هذه سخافة.

تجعد وجه برندا في ارتباك، وسألت:

- مجموعة من الفتيات تسعى لقتلك؟ ما الذي تحدث بشأنه؟

لم يجب توماس، أخذ يتساءل عما إذا كان يجب أن يخبرها بالقصة كاملة من البداية إلى النهاية، تساءل ما إذا كان بإمكانه أن يخوض في كل ذلك مرة أخرى.

قالت في إصرار:

- حسنًا؟

قرر توماس أنه من الأفضل أن يزيح ذلك عن صدره، وشعر أنه أصبح يثق بها، استسلم وحكى لها كل شيء، لقد أخبرها مسبقًا ببعض التلميحات والأجزاء الصغيرة، ولكنه الآن استغرق وقته في الاسترسال في التفاصيل، حكى لها عن المتاهة، وعن هروبهم، وأنهم استيقظوا ذات يوم ليجدوا أن كل شيء قد ازداد سوءًا من جديد، أخبرها عن أريس والمجموعة (ب)، لم يحكِ لها الكثير عن تيريسا، ولكن بإمكانه القول إنها لاحظت شيئًا عندما أتى بذكرها، ربما لاحظت شيئًا في عينيه.

سألته عندما انتهى:

- إذن هل كان هناك شيء بينك وبين تلك الفتاة، تيريسا؟

لم يدرِ توماس كيف يجيبها، هل كان هناك شيء بينهما؟ لقد كانا مقربين، كانا صديقين، هذا كل ما يعرفه. على الرغم من أنه استعاد جزءًا من ذاكرته، وشعر بالفعل أنه ربما كان هو وهي أكثر من أصدقاء قبل المتاهة، في ذلك الوقت البشع الذي عملا فيه بالفعل في تصميم ذاك الشيء الغبي.

وهناك قبلاً بعضهما...

أخرجته برندا من شروده:

- توم؟

نظر إليها نظرة حادة:

- لا تناديني بذلك.

سألته بنظرة يبدو عليها الدهشة، وربما جرحتها طريقته أيضًا:

- ماذا؟ لم؟

- فقط... لا تفعلني.

أحس بشعور بشع لأنه قال ذلك، تمنى أن يسحب ما قاله، لقد كانت تيريسا تناديه بهذا الاسم.

- كما نشاء، هل يمكنني أن أناديك بالسيد توماس؟ أو ربما جلالة الملك توماس؟ أو ما رأيك أن أناديك جلاتك فقط أفضل؟

تنهد توماس:

- أنا آسف، ناديني بما تشائين.

ضحكت برندا ضحكة ساخرة ثم التزم كل منهما الصمت.

ظلا جالسين مسندين ظهرَيهما إلى الحائط، وامتد بهما الوقت. ساد الجو هدوء مسالم حتى انتفض توماس لدى سماعه صوت ارتطام مباغت.

سأل برندا وهو في أوج انتباهه:

- هل سمعتِ ذلك؟

تسمرت برندا في مكانها وتوجه رأسها نحو اتجاه الصوت وأصاحت السمع، أجابت:

- أجل، يبدو كأن أحدهم يضرب طبلاً.

- أظن أن وقت اللعب والمرح قد انتهى.

انتصب واقفًا وساعد برندا على النهوض:

- ماذا يكون ذلك في رأيك؟

- لا يبدو أنه شيء جيد.

- ولكن ماذا لو كانوا أصدقاءنا؟

أخذ الصوت في الانتشار حتى أصبح يأتي من كل مكان في نفس الوقت، وأخذ الصدى يتردد جيئةً وذهابًا بين جدران الزقاق، ولكن بعد مرور بضع ثوانٍ، أدرك توماس أن الصوت كان آتياً من إحدى الزوايا في نهاية الزقاق المسدودة. وعلى الرغم من حجم المخاطرة، هرع توماس إلى هذا الاتجاه لكي يستكشف الأمر.

- ما الذي تفعله!؟

اعترضت برندا طريقه، ولكنها ذهبت من خلفه عندما تجاهلها.

بلغ توماس جدارًا من الطوب المتكسر القديم في أقصى نهاية الزقاق حيث وجد أربع درجات تقود إلى باب محترقٍ ومَحطَّمٍ بالأسفل، أعلى الباب

مباشرة وجد نافذة مستطيلة قد تهشم زجاجها عدا من شظية لا تزال عالقة في الأعلى كالسن المخلخ.

تمكن توماس من سماع صوت الموسيقى التي أخذت ترتفع بصوت أعلى الآن، كان الصوت صاخبًا وسريعًا، صدح صوت الباس بعنف، ودوت ضربات الطبل كالقنابل، وصرخ الجيتار، يتخلل الصخب صوت ضحكات لأناس يصيحون ويغنون بصوت عالٍ، ولم تبد أي منها... أنها تصدر من أناس يعقلون، كان هناك شيء ما مريب ومزعج بشأن هذه الأصوات.

بدا أن هؤلاء النزقين لا يسعون خلف الأنوف لكي ينتزعوها فقط، مما بث في قلب توماس شعورًا في غاية السوء، لم تكن لهذه الأصوات الصاخبة أي علاقة بأصدقائه. قال توماس:

- من الأفضل لنا أن نذهب من هنا.

أجابته برندا، التي تقف خلف كتفه مباشرة:

- أهكذا ترى؟

- هيا بنا.

استدار توماس كما فعلت هي بدورها، ولكن تجمد كل منهما حيث يقف، إذ ظهر ثلاثة أشخاص بداخل الزقاق عندما كانا غير منتبهين، رجلان وامرأة أصبحوا الآن واقفين على بعد بضعة أقدام فقط.

سقط قلب توماس إلى ساقيه لدى رؤيته للزوار الجدد، ثيابهم ممزقة، وشعرهم أشعث، ووجوههم قذرة، ولكنه عندما دقق النظر فيهم رأى أنهم ليس لديهم أي جروح ملحوظة، انعكس في أعينهم بعض أمارات الذكاء، كانوا نزقين، ولكنهم نزقون لم يبلغوا الطور بعد.

قالت المرأة:

- أهلاً وسهلاً.

كان لديها شعر أحمر طويل مرفوع على شكل ذيل حصان، ترتدي قميصًا قصيرًا للغاية لدرجة أجبرت توماس على أن يركز عينيه على عينيها، قالت:

- تعالا وانضمًا إلى حفلتنا، هناك الكثير من الرقص، الكثير من الحب، والكثير من الخمر.

تسببت حدة صوتها في توتر توماس، لم يكن يدري ما معنى ذلك، ولكن هذه السيدة لم تكن تحاول أن تبدو لطيفة، بل كانت تسخر منهما.

قال توماس:

- أمم، لا، شكرًا. إننا، آه، لقد كنا فقط...

قاطعته برندا:

- إننا فقط نحاول العثور على أصدقائنا، إننا جدد هنا، ونحاول التأقلم على المكان.

تكلم أحد الرجلين:

- مرحبًا بكما في أرض وكِد للنزقين.

كان رجلًا طويلًا وقبيحًا قذر الشعر، أومأ نحو السلاالم وأكمل:

- لا تقلق، إن معظم الذين هناك بالأسفل أوشكوا أن يبلغوا الطور، ربما في أسوأ الأحوال تتلقى ضربة ساعد في وجهك، أو ربما يضربونك في خصيتيك، ولكنني أضمن لك أن أحدًا لن يحاول أن يأكلك.

قالت برندا:

- خصيتين؟ معذرة؟

أشار الرجل إلى توماس وقال:

- إنني أتحدث إلى الفتى، ولكن ربما تسوء الأمور بالنسبة إليك أيضًا لو لم تبقي على مقربة منا، لكونك فتاة.

أصابت تلك المحادثة برمتها توماس بالإعياء، أجابهم:

- هذا يبدو ممتعًا، ولكن علينا أن نذهب، لكي نبحث عن أصدقائنا، وربما نعود بعد ذلك.

خطا الرجل الآخر نحوهما، كان قصيرًا لكنه وسيم ذو شعر أشقر قصير،

وقال:

- أنتما الاثنان لستما سوى طفلين، وحان الوقت لكي تتعلما بعض الدروس عن الحياة، حان الوقت لكي تستمتعا، نحن ندعوكما دعوة رسمية لحضور الحفل.



نطق الرجل كل كلمة من جملته الأخيرة بحرص شديد، وبطريقة تخلو من أي لطف على الإطلاق.

قالت برندا:

- شكرًا، ولكن لا، شكرًا لكم.

سحب الأشقر مسدسًا من جيب معطفه الطويل، كانت طبنجة صغيرة فضية، مكسوة بالوسخ وباهتة، ولكنه لا يزال خطرًا محددًا أكثر من أي شيء رآه توماس من قبل.

- إنني لا أظن أنكما فهتماني جيدًا، أنتما مدعوان إلى حفلنا، هذا ليس بالعرض الذي يمكنكما رفضه.

أشهر الطويل القبيح سكينًا، وأخرجت ذيل الحصان مفكًا ملطخًا في مقدمته ببقعة دم قديمة.

سأل الأشقر:

- ما رأيكما؟ هل تودان المجيء إلى حفلنا؟

نظر توماس إلى برندا، ولكنها لم تبادله النظر، كانت عيناها مثبتتين على الرجل الأشقر، وبدا على وجهها أنها سوف تقدم على شيء في غاية الغباء.

أسرع توماس يقول:

- أجل، سوف نذهب معكم، هيا بنا.

أدارت برندا رأسها إلى توماس:

- ماذا؟

- إنه يحمل مسدسًا، والآخر يحمل سكينًا، وهي لديها مفك بحق القشُر! إنني لا أرغب في أن تسحق عيني بداخل جمجمتي.

قال الأشقر:

- يبدو أن صديقك ليس غيبًا، الآن دعونا نذهب ونمرح قليلاً (قام بتوجيه فوهة مسدسه إلى السلاالم وابتسم) يمكنكما أن تنزلا أولاً.

بدا على برندا أنها في أوج غضبها، ولكن كان واضحًا في عينيها أيضًا أنها تدرك أنهما ليس لديهما أي خيار آخر، قالت:

- حسنًا.

ابتسم الأشقر مجددًا، كان تعبير وجهه ليليق للغاية بوجه ثعبان، قال:

- هذه هي الروح المطلوبة، مطيع وممتاز، لا شيء لتقلقنا بشأنه.

الطويل القبيح أضاف:

- لن يتعرض أحد لكما بأذى، ما لم تقترفا حماقة، وما لم نتصرفا

كالأشقياء، وبنهاية الحفل سوف ترغبان في الانضمام إلى مجموعتنا،

كونا واثقين مما أقوله لكما.

اضطر توماس إلى أن يقا تل لكي يمنع الرعب الذي أخذ يسحق داخله،

قال للأشقر:

- دعونا نذهب فقط.

أشار الرجل إلى السلم بمسدسه مرة أخرى.

- في انتظاركما.

مد توماس يده وأمسك بيد برندا وسحبها إلى جانبه. قال وهو يحاول أن

يضيف السخرية إلى نبرته بقدر ما استطاع:

- هيا بنا إلى الحفل يا عزيزتي. سوف نمرح كثيرًا.

قالت ذيل الحصان:

- كم هذا لطيف! إنني أتأثر كثيرًا عندما أرى اثنين متحابين.

مسحت دمعات عن خديها.

استدار توماس باتجاه السلم وبرندا إلى جانبه، مدرِّكًا تمام الإدراك

للمسدس المصوب إلى ظهره. شقًّا طريقهما عبر السلالم وإلى بقايا الباب

المحطم، وكانت المساحة كافية فقط لكي يعبرا جنبًا إلى جنب. عندما وصلا

إلى الأسفل، لم يرَ توماس مقبضًا للباب، رفع حاجبيه ونظر إلى الأشقر الذي

كان واقفًا على بعد درجتين منهما، قال الرجل:

- يجب أن تطرق الطريقة المميزة، ثلاث طرقات بطيئة بقضبتك، وثلاث

طرقات سريعة، ثم طرقتين بعقلة الإصبع.

كره توماس أولئك الناس، وكره طريقته الهادئة المبالغ فيها والكلمات اللطيفة التي يتعمدون استخدامها وتمتلئ كلها بالسخرية منهما. كان أولئك النزقون بطريقة ما أسوأ من الرجل الذي فقد أنفه، على الأقل كانوا يعرفون بالضبط ما الذي يتعاملون معه.

همست له برندا:

- افعلها.

كُور توماس يده إلى قبضة وطرق ثلاث طرقاتٍ بطيئة، ثم ثلاثاً سريعة، ثم ضرب الباب مرتين بعقل أصابعه فانفتح الباب على الفور، وانبعثت الموسيقى الصاخبة كالريح العاتية.

كان الرجل الذي فتح لهما الباب ضخماً، الكثير من الأقراط والثقوب تملأ وجهه وأذنيه، والوشوم تغطيه من رأسه إلى أخمص قدميه، ذو شعر أبيض طويل يتخطى طوله الكتفين، ولكن لم يكن لدى توماس ما يكفي من الوقت لكي يستوعب ما يرى قبل أن يتكلم الرجل:

- مرحباً يا توماس، لقد كنا بانتظارك.

مكتبة

t.me/soramnqraa



## الفصل السابع والثلاثون

في غضون الدقيقة الأولى أو نحو ذلك، توقفت الخمس حواس عن أداء وظائفها.

تجمّد توماس تحت وطأة الجملة الترحيبية السابقة، وقبل أن يتمكن من الرد، قام الرجل ذو الشعر الطويل بسحبه هو برندا إلى الداخل بالفعل، ثم بدأ في اقتيادهما عبر حشد مكتظ من الجثث الراقصة، يدورون ويقفزون ويتعانقون ويدورون حول أنفسهم، صوت الموسيقى يصمُّ الأذنان، أخذت إيقاعات الطبل تهوي كالمطرقة على رأس توماس، تدلت من السقف العديد من المصابيح الساطعة التي أخذت تتراقص جيئةً وذهابًا كلما اصطدم بها الناس، فتننتشر أشعة الضوء في كل اتجاه.

انحنى ذو الشعر الطويل ناحية توماس وتحدث إليه في أثناء شق طريقهم عبر الراقصين، بالكاد تمكن توماس من سماعه على الرغم من أنه كان يصرخ.  
- حمدًا لله على وجود البطاريات! ستصبح الحياة لا تُطاق عندما تنفذ هذه!

صاح توماس بدوره:

- كيف تعرف اسمي؟ لماذا كنتم تنتظرونني؟

ضحك الرجل، وقال:

- لقد كنا نراقبك طوال الليل! ثم عندما رأينا رد فعلك هذا الصباح عبر النافذة عندما رأيت اللوحة، عندها أدركنا أنه لا بد وأنك أنت توماس الشهير!

كانت برندا تلف ذراعها حول خصر توماس ملتصقة به، ربما خشية أن يفترقا عن بعضهما، ربما، ولكن لدى سماعها ذلك، شدت عليه بقوة أكبر.

نظر توماس من خلفه، فرأى الأشقر وصديقيه الآخرين يتبعونهما مباشرة، لم يعد هناك مسدس موجه إلى ظهره، ولكن توماس كان يدرك أنه يمكن أن يخرج مجددًا في أي لحظة.

دوى صوت الموسيقى كالرعد، وأخذ الباس يدق بجنون يرج الغرفة، أناس يتراقصون ويتقافزون، وأشعة الضوء تثقب قلب الظلام كالسيوف، فأخذ النزقون يلمعون ويشعون بعرقهم، فنتولد من كل هذه الأجساد حرارة جعلت الغرفة خانقة على نحو بغيض.

في مكان ما في منتصف الغرفة، توقف ذو الشعر الطويل والتفت ليواجههم، وشعره الأبيض الطويل يتطاير في الهواء.

صاح إليه:

- إننا حقًا نود أن تنضم إلينا! ستواجه العديد من الأشياء لكونك أنت! سوف نحملك من النزقين الأشرار!

كان توماس سعيدًا لأنهم لا يعرفون أكثر من ذلك، ربما الأمر ليس بهذا السوء على الرغم من كل شيء، سوف يجاريهم، ويتظاهر بكونه النزق المميز، وربما يمكنه أن يستمر بهذا هو وبرندا إلى أن يسنح لهما وقت مناسب لكي يتسلا دون أن يلاحظهما أحد.

قال ذو الشعر الطويل بصوت مرتفع:

- سأذهب وأحضر لكما مشروبًا، استمتعا بوقتكما.

ثم انطلق حتى اختفى بين الحشد الغفير من الراقصين.

التفت توماس ليرى أن الأشقر ورفيقه لا يزالون واقفين هناك، لم يكونوا يرقصون على الإطلاق، فقط منهمكون في المراقبة، لفتت ذيل الحصان انتباهه ملوحة له بيدها، وصاحت:

- يمكنكما أن ترقصا أيضًا!

ولكنهما لم يعملتا بنصيحتها.

التفت توماس حتى أصبح يواجه برندا مباشرة، كانا بحاجة إلى أن يتحدثا.

كأنما تمكنت من قراءة أفكاره، رفعت ذراعيها عاليًا ولفتهما حول رقبته، وجذبتة إليها حتى أصبح فمها بجانب أذنه مباشرة، فدغدغته أنفاسها الحارة على عرقه، قالت:

- كيف أدخلنا أنفسنا في هذا الوضع المقزز؟

لم يجد توماس ما يفعله سوى أن يلف ذراعيه حول ظهرها وخصرها، شعر بحرارة جسدها تتسلل إليه عبر ملابسه المشبعة بالعرق، أحسّ بشيء ما يتحرك في داخله، مختلطاً بشعوره بالذنب واشتياقه إلى تيريسا.

قال أخيرًا، وهو يتحدث عبر شعرها:

- لم أكن أتخيل أن يحدث شيء كهذا منذ ساعة واحدة فقط.

كان ذلك الشيء الوحيد الذي تمكن من التفكير فيه. تغيرت الأغنية إلى أخرى كئيبة ومقبضة، ذات إيقاع أبطأ، وصوت قرع الطبول أصبح أعمق بشكل جعل توماس غير قادر على أن ينطق بأي كلمة، كان الأمر أشبه وكأن المغني ينتحب وهو يغني مأساة بشعة، صوته أشبه بالنواح، مرتفع ومليء بالحزن.

قالت برندا:

- ربما سنضطر فقط إلى البقاء مع أولئك الناس لفترة من الوقت.

لاحظ توماس بعد ذلك أنهما كانا يرقصان، دون أن يقصدا ذلك أو حتى يرغبيا فيه، يتمايلان مع الموسيقى ويدوران ببطء وجسد كل منهما ملتصق بجسد الآخر بشدة، يحتضنان بعضهما بعضًا.

سألها توماس في دهشة:

- ما الذي تتحدثين بشأنه؟ إنك تستسلمين بالفعل؟

- لا، إنني فقط متعبة. ربما سنكون بأمان أكثر هنا.

ود لو يثق بها، وكان يشعر أن بإمكانه فعل ذلك، ولكن شيئًا في هذا الأمر أشعره بالقلق، فكر لو أنها جلبته إلى هنا عن عمد! بدا ذلك احتمالًا بعيدًا.

- برندا، لا تفقدي ثقتك بي، الخيار الوحيد الذي لدينا هو أن نصل إلى

الملاذ الآمن، يوجد عقار للتخلص من هذا.

هزت برندا رأسها قليلاً، وقالت:

- من الصعب تصديق أن ذلك شيء حقيقي، من الصعب أن نأمل ذلك.  
- لا تقولي ذلك.

لم يكن يرغب في التفكير في هذا، ولم يكن يرغب في سماعه.

- ما الذي سيجعلهم يرسلون كل أولئك النزقين إلى هنا لو كان هناك عقار؟ هذا لا يبدو منطقيًا على الإطلاق.

التفت توماس لينظر إليها وقد كسا وجهه القلق بشأن التغير المفاجئ في أسلوبها، فوجد عينيها مترقرقتين بالدمع.

- إنك تهذين!

قال ذلك ثم توقف لهنيهة، بالطبع كانت لديه شكوك، ولكنه لم يود أن يشجعها، استدرك:

- إن العقار حقيقي، علينا فقط أن...

توقف واسترق نظرة إلى الأشقر الذي كان لا يزال يحدق إليه، على الأرجح أن الرجل لم يكن بإمكانه أن يسمعهما، ولكن من الأفضل أن تكون سالمًا من أن تكون نادمًا.

مال توماس نحو برندا لكي يتحدث في أذنها مباشرة:

- من الأفضل لنا أن نذهب من هنا، هل تودين البقاء مع أناس يشهرون الأسلحة ومفكات البراغي في وجهك؟

قبل أن تتمكن من إجابته، عاد ذو الشعر الطويل إليهما وهو يحمل كوبًا في كلتا يديه، وقد تناثر السائل البني الذي بداخله، إذ أخذ يرتج في كل الاتجاهات بسبب اصطدامه بالراقصين، صاح بهما:

- تناولا مشروبكما!

تنبه توماس لشيء ما فجأة، بدت فكرة تناولهما لمشروب مقدم من قبل أولئك الغرباء فكرة سيئة جدًا جدًا، أصبح كل شيء متعلق بهذا المكان وهذا الموقف الذي هما عالقان فيه غير مريح على نحو لا يُصدق.



ولكن برندا أوشكت أن تمد يدها لكي تأخذ مشروبًا، صاح توماس دون أن يتمكن من إيقاف نفسه:

- كلا!

ومن ثم أسرع محاولًا تلافِي خطأه:

- أعني، لا، إنني حقًا لا أظن أننا يجب أن نشرب هذه الأشياء، إذ إننا قطعنا طريقًا طويلًا دون ماء، إننا نحتاج إلى ذلك أولًا، نحن، اممم، نرغب فقط في أن نرقص قليلًا.

كان يحاول أن يبدو مندمجًا، ولكنه كان يرتجف في داخله، ويدرك أنه بدا كالأبله، وبخاصة بعد أن رمقته برندا بنظرة تعجب.

أحس بشيء صغير وقاس يُغرس في جانبه، لم يكن مضطرًا إلى أن يلتفت لكي يرى ما هو؛ طبنجة الأشقر.

قال ذو الشعر الطويل مجددًا، وقد اختفى هذه المرة أي تعبير لطيف على وجهه الموشوم:

- لقد عرضتُ عليك مشروبًا، سيكون من الوقاحة الشديدة أن ترفض عرضًا كهذا.

مد يده بالكوبين مجددًا.

سرى الرعب في جسد توماس، لم يعد هناك أدنى قدر من الشك، أصبح أكيدًا من أن هناك شيئًا ما في تلك المشروبات.

غرس الأشقر المسدس في جسده بقوة أكبر، وهمس الرجل في أذنه:

- سوف أعدُّ إلى واحد، فقط إلى واحد.

لم يكن توماس في حاجة إلى التفكير، فقط مد يده وأخذ الكوب وصب السائل بداخل فمه، وتجرعه بأكمله مرة واحدة، كان يحرقه كالنار، تقرح حلقة وصدرة عندما ابتلعه، فانفجر في سعال مدمر أخذ يترنح على إثره.

- والآن حان دورك.

قال ذو الشعر الطويل وهو يمد يده بالكوب الآخر إلى برندا، نظرت إلى توماس ثم أخذت الكوب وتجرعته بأكمله، لم يبد عليها أنها انزعجت منه على الإطلاق، فقط ضيقت عينيها بعض الشيء بينما كانت تبتلعه.

تناول ذو الشعر الطويل الكوبين ليعيدهما، وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه الآن، وقال:

- هذا رائع للغاية، فقط عودا إلى الرقص يا رفاق.

انتاب توماس شعور داخلي بالمتعة على الفور، شعور بالدفع المريح والهدوء أخذ يكبر ويلف جسده بالكامل، لف ذراعيه من جديد حول برندا، واحتضنها بقوة بينما يتمايلان مع أنغام الموسيقى، كانت شفثاها قريبتين من رقبتيه، وفي كل مرة تلامسان فيها جلده، تندفع في داخله أمواج من اللذة.

- ماذا كان ذلك؟

سأل وهو يشعر بتداخل كلماته في بعضها أكثر مما كان يسمعها.

قالت برندا:

- ليس شيئاً جيداً، أظن أنه شيء مخدّر، إنه يفعل أشياء مضحكة لي. بالكاد كان توماس يسمعها، فكر في نفسه: أجل، أشياء مضحكة. أخذت الغرفة تدور من حوله، أسرع كثيراً مما ينبغي لدورانها البطيء أن يفعل، بدت وجوه الناس وكأنها تتمدد وهم يضحكون، وأفواههم تبدو كثقوب سوداء عميقة، تباطأت إيقاعات الموسيقى وأصبحت أكثر كثافة، وأصبح صوت المغني ثقيلاً كأنه غارق تحت الماء.

أبعدت برندا رأسها بعيداً عنه، واحتضنت وجهه بكفيها، أخذت تحرق إليه على الرغم من أن عينيها كانتا غائبتين، بدت جميلة، جميلة أكثر من أي شيء سبق أن رآه من قبل، غرق كل شيء حوله في ظلام تام، أدرك أن عقله في طريقه إلى أن يغيب كلياً.

قالت برندا، وكانت كلماتها لا تتماشى مع حركة شفثيها:

- ربما هكذا أفضل.

أخذ وجهها يتموه في دوائر، وبدلاً له كأنه ينفصل عن رقبتها.

- ربما يمكننا البقاء معهم، ربما سيكون بإمكاننا أن نظل سعداء إلى أن نتجاوز الطور (ثم ابتسمت ابتسامة مؤرقة ومزعجة) ثم سيكون بإمكانك أن تقتلني.

قال بصوت بدا أنه أت من بعد ملايين الأميال، وكأنه قادم من أقصى نهاية نفق لا نهاية له:

- كلا يا برندا، لا تفعلي...

قالت له، وقد أحكمت قبضتها على وجهه:

- قبّلني، قبّلني يا توم.

بدأت تجذبه نحوها، فقال مقاومتًا إياها:

- كلا!

توقفت وقد ارتسمت نظرة مجروحة على وجهها، وجهها المتموه المشوش، وسألت:

- لماذا؟

ابتلعه الظلام بالكلية الآن، قال:

- أنتِ لستِ... هي. (كان صوته بعيدًا، يشبه الصدى) لا يمكنك أن تكوني هي أبدًا.

ثم أخذت تتموه حتى اختفت تمامًا، وفعل عقله الشيء ذاته.



## الفصل الثامن والثلاثون

استيقظ توماس ليجد الظلام يلفه من كل جانب، شعر وكأنه موضوع بداخل نوع ما من آلة تعذيب قديمة، ومسامير تخترق رأسه ببطء من كل اتجاه.

صرخ وهو يئن بصوت مدوٍ ورهيب جعل الألم يشتد في رأسه أكثر، أجبر نفسه على الصمت، وحاول أن يرفع يده لكي يفرك...

أبت يده أن تتحرك، هناك قوة ما تمنعها من أن تتحرك، شيء لزج لا يعرف ماهيته يضغط بشدة على معصميه، شريط لاصق، حاول أن يركل بساقيه، ولكنهما كانتا مقيدتين أيضًا، ولم تفلح حركته سوى في بث موجة أخرى من الألم عبر رأسه وجسده، أصابه الوهن وأخذ يئن بصوت خفيض، وتساءل منذ متى وهو فاقد لوعيه.

همس:

- برندا.

ولكن لم يظفر بإجابة.

أشعل الضوء فجأة، كان ساطعًا ومزعجًا، أغمض عينيه بشدة، ثم فتحهما شيئًا قليلًا بما يكفي لنصف إغماضة، وجد ثلاثة أشخاص يقفون أمامه مباشرة، ولكنه لم يتمكن من تحديد وجوههم التي حجبها ظل الضوء الساطع من خلف ظهورهم.

أتى صوت أجش لشخص يضحك بازدراء:

- اصح واستيقظ أيها الكسول.

ثم أتى صوت أنثوي:

- هل تود المزيد من عصير النار ذاك؟

ثم ضحك الرجل مرة أخرى.

اعتاد توماس الضوء أخيرًا وتمكن من فتح عينيه جيدًا، كان جالسًا على كرسي خشبي، يده مقيدتان بإحكام بأذرع الكرسي بواسطة لاصق رمادي عريض، وكعباه مثبتتان بأرجل الكرسي، ووجد رجلين وامرأة واقفين أمامه مباشرة، الأشقر، والطويل القبيح، وذيل الحصان.

سأل توماس:

- لماذا لم تقتلوني في الزقاق؟

قال الأشقر، الذي بدا صوته مبوحًا بشدة:

- نقتلك؟ ماذا تظننا؟ أتظن أننا عصابة مافيا من القرن العشرين؟ لو كنا نريد قتلك، لأصبحت ميتًا بالفعل، تنزف دمك في وسط الشارع.

قاطعته ذيل الحصان:

- إننا لا نريدك ميتًا، سوف يفسد هذا مذاق اللحم، إننا نفضل أكل ضحايانا بينما لا يزالون يتنفسون، ونأكل بقدر ما نستطيع قبل أن ينزفوا حتى الموت، لن تصدق كم أن مذاقهم شهوي ولذيذ... ومليء بالعصارة.

انفجر الطويل القبيح ضاحكًا، ولكن توماس لم يكن متأكدًا ما إذا كانت ذيل الحصان جادة فيما تقول، وفي كلا الحالين، بث ذلك الرعب في قلبه.

قال الأشقر:

- إنها تمزح، نحن لم نأكل البشر قبلاً إلا في أسوأ الظروف وأشدّها بأسًا، قطع اللحم البشري كبراز الخنازير.

راح الطويل القبيح يقهقه من جديد. لم يصدق توماس أنهم كانوا جادين، ولكنه كان قلقًا في المقام الأول بشأن حالتهم العقلية... رباه!

ابتسم الأشقر للمرة الأولى مذ قابله توماس، وقال:

- مزحة أخرى، إننا لم نتحول إلى نزقين بالغي الطور بعد، ولكنني أراهن أن البشر مذاقهم ليس لذيذًا جدًا.

أوماً الطويل القبيح وذيل الحصان موافقين.

فكر توماس في نفسه أن أولئك الناس على بُعد خطوة من أن يفقدوا عقولهم بالفعل. التقطت أذناه أنيباً مكتوماً إلى يساره فنظر باتجاه الصوت، وجد برندا مقيدة في إحدى زوايا الغرفة مثلما كان بالضبط، ولكنهم ألصقوا فمها باللاصق أيضاً، فتساءل عما إذا حاولت أن تقاوم كثيراً قبل أن تفقد وعيها، بدا وكأنها قد بدأت للتو في استعادة وعيها، وبمجرد أن لاحظت النزقين الثلاثة، أخذت تتقلب وتتلوى في كرسيها وتئن من خلف اللاصق، بعينين تستشيطان غضباً.

أشار الأشقر إليها، وقد ظهر مسدسه في حركة مفاجئة، صاح بها:

- اخرسي، اخرسي وإلا فجرت دماغك بالحائط.

توقفت برندا عن الحركة، وتوقع توماس أن تبدأ في النحيب أو البكاء، ولكنها لم تفعل، فشعر على الفور أنه غبي لأنه فكر في ذلك، لقد كان جلياً كم أنها صلبة وقوية.

أنزل الأشقر سلاحه جانباً.

- هذا أفضل، يا إلهي، كان علينا قتلها منذ أخذت تصرخ بالأعلى، وتععض. قال ذلك ونظر إلى ذراعه حيث كانت آثار أسنان مغروسة على شكل قوس أحمر اللون.

قالت ذيل الحصان:

- إنها معه، لا يمكننا قتلها الآن.

سحب الأشقر كرسيّاً بقرب الحائط وجلس على بعد أقدام قليلة من توماس، فعل الآخران الشيء نفسه وقد بدت عليهما الراحة، كأنهما كانا ينتظران الإذن بذلك منذ ساعات. أراح الأشقر المسدس على فخذه، وفوهته موجّهة مباشرة نحو توماس.

تكلم الرجل:

- حسناً، هناك الكثير لنتحدث بشأنه أنا وأنت، ولكنني لن أتحدث معك في الأمور النافهة المعتادة، إذا تصرفرت بحماقة أو رفضت أن تجيب أو فعلت أي شيء، سوف أطلق النار على ساقيك، ومن ثم الثانية، وفي

المررة الثالثة سوف تذهب الرصاصة إلى وجه صديقتك، وإنني أفكر أن تستقر بين عينيها، وأفترض أنك تستطيع أن تخمن ما الذي سيحدث في المرة الرابعة التي ستفقدني فيها صوابي.

أوماً توماس، أراد أن يفكر أنه قوي، أن يفكر أنه قادر على الوقوف أمام أولئك النزقين، ولكن قول العقل هو الفائز، فقد كان مقيداً إلى كرسي، لا أسلحة، لا أصدقاء، لا شيء على الإطلاق. وعلى الرغم من كونه ليس لديه أي مما يخفيه حقاً، فإنه سيجيب عن أي شيء يسأله عنه الرجل، ومهما حدث بعد ذلك، لم تكن لديه رغبة في أن يحصل على أي رصاصات في ساقيه، وليس لديه شك في أن الرجل لم يكن يمزح.  
تلكم الأشقر:

- السؤال الأول، من تكون أنت؟ ولماذا اسمك موجود على لوحات في كل أنحاء هذه المدينة اللعينة؟  
- اسمي توماس.

ما إن نطق بتلك الكلمات حتى تجعد وجه الأشقر غضباً، أدرك توماس أنه ارتكب خطأ غيباً فأسرع مستدرجاً:

- أنت تعرف هذا بالفعل، حسناً، إن الطريقة التي جئت بها إلى هنا قصة غريبة حقاً أشك في أنك ستصدقها، ولكنني أقسم لك إن ما سأقوله لك هو الحقيقة.  
سألته ذيل الحصان:

- ألم تأتِ على "بِرْج" مثلما أتى الجميع؟  
لم يكن توماس يملك أي فكرة عما يكون هذا، ولكنه فقط هز رأسه وتابع حديثه:

- بِرْج؟ لا، نحن جئنا عبر نفق ما تحت الأرض نحو ثلاثين ميلاً أو ما يقارب من ذلك باتجاه الجنوب، مررنا قبل ذلك عبر شيء يدعى الناقل المسطح، أما من قبل ف...  
قاطعته الأشقر وهو يرفع يده:



- مهلاً مهلاً مهلاً، ناقل مسطح؟ إنني على وشك أن أطلق عليك النار فوراً، ولكن لا يعقل أنك اخترعت كل هذا في عقلك.

جعد توماس جبينه في عدم فهم، وقال:

- لماذا؟

- ستكون أبله لو أنك حاولت الفرار بكذبة ساذجة وواضحة مثل هذه، لقد جئتم عبر ناقل مسطح إذن؟

كانت الدهشة واضحة على وجه الرجل.

استرق توماس نظرة إلى النزقين الآخرين، وقد اعتلت وجه كل منهما النظرة المصدومة ذاتها، أجاب قائلاً:

- أجل، لماذا تجدون تصديق ذلك أمرًا في غاية الصعوبة؟

- هل تملك أدنى فكرة عن كيف أن الناقلات المسطحة باهظة الثمن؟ لقد أعلنوا عنها للعامة مباشرة قبل حدوث الوهج الشمسي، الحكومات وأصحاب الملايين وحدهم من يقدرون على شرائها لكي يستخدموها.

هز توماس كتفيه، وقال:

- حسنًا، ما أعرفه أن لديهم أموالاً طائلة، وهذا ما قاله ذلك الرجل عنه، أنه شيء يُدعى الناقل المسطح، كان شيئًا أشبه بجدار رمادي تشعر بلسعة البرد عندما تمر من خلاله.

سألت ذيل الحصان:

- أي رجل؟

بالكاد استطاع توماس أن يبدأ في سرد القصة بعقل مشوش بالفعل، إذ كيف يمكن للمرء أن يسرد قصة بهذا الشكل؟! أجابها:

- أعتقد أنه كان أحد الأشخاص من وكيد، إنهم يتحكمون بنا بغرض إجراء بعض التجارب أو اختبارات من نوع ما، إنني حقًا لا أعرف كل شيء. لقد... قاموا بمحو ذاكراتنا، استعدت بعضًا من ذكرياتي، ولكن ليست بأكملها.

لم يبدا على الأشقر أنه تأثر على الإطلاق، فقط بقي جالسًا وأخذ يحدق إليه، تكاد نظرتة تخترقه لتمر إلى الحائط من خلفه، تكلم أخيرًا:

- لقد كنتُ محاميًا، قبل أن يحدث ذلك الوهج الشمسي وينتشر هذا الوباء ليخرب كل شيء، أنا أعرف متى يكذب أحدهم، فقد كنتُ ماهرًا جدًا جدًا في وظيفتي.

على نحو غريب أحس توماس بارتياح، قال:

- إذن فإنك تعرف أنني لست...

- أجل، أعرف، وأريد أن أسمع كل شيء من البداية، فلتبدأ التكلم.

تكلم توماس، وقد بدا أن كل شيء بخير، لم يتمكن من معرفة لماذا، ولكن شيئًا ما في داخله قال له إن أولئك النزقين كانوا مثلهم مثل أي أحد آخر، تم إرسالهم إلى هنا ليقضوا سنواتهم الأخيرة الفظيعة يتعذبون حتى الموت بسبب فيروس الوهج، كانوا فقط يحاولون إيجاد شيء ما يستفيدون من خلاله، إيجاد مخرج، كما كان أي أحد ليفعل. وإن مقابلة شخص لديه لوحات تحمل اسمه معلقة في كل زاوية في المدينة كان شيئًا يُعد خطوة أولى هائلة. لو كان توماس في مكانهم، لربما فعل الشيء نفسه، ولكن دون المسدس والتقييد بهذا الشكل.

كان قد حكى معظم القصة لبرندا منذ يوم واحد فقط، وقام بإعادة حكيها بنفس الطريقة مرة أخرى، عن المتاهة، والهروب، ومهاجع النوم، وعن تكليفهم بمهمة عبور الأرض المحترقة، وحرص حرصًا شديدًا على أن يبدو كل شيء في غاية الأهمية، وبخاصة الجزء الذي يتعلق بالعقار الذي ينتظرهم في النهاية. فيما أن فرصتهم في الحصول على مساعدة خورخي في عبور المدينة قد ضاعت، ربما كان بإمكانه أن يحاول من جديد مع هؤلاء الناس. أوضح لهم أيضًا قلقه على بقية أفراد الجلاید، ولكنه عندما سألهم إذا رأوهم، أو رأوا مجموعة كبيرة من الفتيات، كانت الإجابة بلا.

ومرة أخرى، لم يذكر الكثير عن تيريسا، لم يرد فقط أن يترك أي فرصة قد تعرضها للخطر بأي شكل، على الرغم من أنه لم يكن يدري كيف أن كلامه عنها سوف يعرضها للخطر. لقد كذب قليلاً أيضًا بشأن برندا، حسنًا، هو لم

يكذب قط بشكل مباشر حقًا، ولكنه جعل الأمر يبدو وكأنها كانت معه منذ البداية.

عندما انتهى، وصولاً إلى الجزء الذي قابلا فيه الثلاثة أشخاص أمامهما في الزقاق، سحب نفساً عميقاً إلى رثتيه وعدّل من جلسته على الكرسي، وقال:

- هل يمكنكم أن تزيلوا هذا اللاصق عني الآن من فضلكم؟

جذبت يد الطويل القبيح انتباه توماس عندما رفعها من بعيد ونظر ليجد سكيناً لامعة حادة للغاية قد ظهرت في يده، قال للأشقر:

- ما رأيك؟

- طبعًا، لم لا؟

لقد كان وجهه ثابتاً وجامداً طوال الحكاية، وحتى الآن لم يصدر منه أي تلميح يفيد بأنه يصدّق قصة توماس.

هز الطويل القبيح كتفيه ونهض على قدميه، ثم سار باتجاه توماس، ولم يكد ينحني إلى الأسفل وهو يمد سكينه، حتى علا صوت جلبة آتية من الأعلى، دويُّ صوت ارتطام من السقف تبعته عدة صرخات، ثم بدا الأمر وكأن هناك مئة شخص يركضون هاربين في خطى حثيثة محمومة، كانوا يقفزون مصدرين المزيد من صوت الارتطام والمزيد من الصرخات.

قال الأشقر وقد بهت وجهه فجأة:

- لا بد أن مجموعة أخرى قد عثرت على مكاننا.

انتصب واقفاً وأشار إلى الاثنين الآخرين ليذهبا خلفه، ولم تمض ثوانٍ قليلة حتى ذهبوا، صعدوا مجموعة من السلالم ثم اختفوا في قلب الظلام. أتى صوت باب يُفتح ويُغلق، واستمرت الفوضى التي بالأعلى.

بث كل ذلك الرعب في قلب توماس حتى كاد يفقد عقله، نظر إلى برندا التي كانت لا تزال جالسة دون حراك تستمع، نظرت إليه أخيراً، ولكنها لم تنبس ببنت شفة، بالكاد أمكنها أن ترفع حاجبيها، لم يعجبه أنهم قاموا بتركهما مقيدين هكذا وملتصقين بالكراسي. لم يكن لأي من النزقين الذين قابلهم تلك الليلة مظهر السيد أنف. قال:

- ماذا لو كان مجموعة من النزقين الذين تجاوزوا الطور هناك بالأعلى؟

دمدمت برندا بشيء ما من خلف اللاصق.

استجمع توماس كل قوة عضلاته وبدأ يقفز بكرسيه في خطوات صغيرة إلى حيث كانت جالسة، تمكن من قطع مسافة نحو ثلاثة أقدام ومن ثم توقفت أصوات القتال والصريير فجأة، تجمد توماس ونظر إلى الأعلى نحو السقف، لم يأت أي شيء لعدة ثوانٍ، ثم سمع صوت بضع خطوات أقدام، ربما كانوا شخصين، يمشيان بتثاقل على الأرض بالأعلى، دوى صوت ارتطام عالٍ، ثم صوت ارتطام آخر، ثم آخر، تخيل توماس الجثث وهي تهوي على الأرض.

فُتح الباب المؤدي إلى السلالم، ثم أتى صوت وقع أقدام عالٍ وثقيل، كانت تركض نحو الأسفل، كان كل شيء تلفه الظلال، أحس توماس بموجة باردة من الفزع تجتاح جسده وهو منتظر لكي يرى من ذا الذي في طريقه إليهما. وأخيرًا، خطأ أحدهم خطوة إلى الضوء.

كان مينهو، مغطى بالوسخ والدماء، وجهه ممتلئ بجروح وحروق، ويحمل سكينًا في كلتا يديه... مينهو!

قال لهما:

- يبدو أنكما مستريحان أيها الرفاق.

## الفصل التاسع والثلاثين

على الرغم من كل الأشياء التي مر بها، لم يتمكن توماس من أن يتذكر متى كانت آخر مرة شعر فيها بعدم القدرة على النطق بكلمة، أخذ يتمتم في محاولة لقول أي شيء:

- ماذا... كيف...

ابتسم مينهو وهو ينظر إليه نظرة مرحبة للغاية، خصوصًا مع أخذ مظهر الفتى المزري في الحسبان، وقال:

- ها قد عثرنا عليك أخيرًا، هل ظننت أننا سوف نسمح لأولئك المقشورين أن يفعلوا أي شيء بك؟ أنت مدين لي، لقد مر وقت طويل.

سار نحوه وبدأ في قطع الشريط اللاصق.

كان توماس سعيدًا لدرجة أنه ود أن يضحك مثل الأبله، إذ لم يتم إنقاذهما فقط، بل أصدقاؤه أيضًا كانوا على قيد الحياة، إنهم أحياء يرزقون، قال:

- ماذا تقصد بأنك عثرت علينا أخيرًا؟

استمر مينهو في قطع اللاصق، وقال:

- لقد قادنا خورخي عبر المدينة متجنبين لفت انتباه النزقين، ونحن نبحث عن الطعام.

انتهى من فك وثاق توماس ثم اتجه إلى برندا ليحررها، استمر في حديثه من خلف ظهره:

- انفصل كل منا في اتجاه منذ صباح أمس، لكي نتقصى هنا وهناك، كان السيد طاسة يراقب ذلك الزقاق في إحدى الزوايا في الوقت الذي

وجّه أولئك الثلاثة مسدسًا إلى وجهك، ثم عاد إلينا وأخبرنا، غضبنا كثيرًا وبدأنا في وضع خطة للهجوم. كان معظم أولئك المقشورين إما نائمين أو فاقدى الوعي.

بمجرد أن فك مينهو وثاق برندا نهضت عن الكرسي وتخطت مينهو واتجهت إلى توماس، ولكنها ترددت. لم يعرف توماس لو كانت غاضبة أم قلقة عليه، ثم أكملت طريقها إليه وقامت بنزع الشريط اللاصق عن فمها لدى وصولها إليه، نهض توماس واقفًا، فشعر على الفور بأن رأسه يدور مجددًا، وأخذت الغرفة تدور به حتى أصابه الإعياء، هوى مجددًا على الكرسي، قال:

- يا إلهي، هل لدى أحدكم بعض الأسبرين؟

ضحك مينهو فقط، وسارت برندا إلى أن بلغت السلالم حيث توقفت وأشبكت ذراعيها ببعضهما، عكس شيء في لغة جسدها أنها كانت غاضبة حقًا، فتذكر توماس على الفور ما قاله لها قبل أن يفقدا وعيهما مباشرة بسبب المخدر.

فكر في نفسه: آه، تبًا. لقد قال لها إنها لن تكون تيريسا أبدًا، سألهما بصوت خجول:

- هل أنت بخير يا برندا؟

بالطبع مستحيل أن يوضح مسألة رقصهما الغريب وذاك الحديث الذي دار بينهما أمام مينهو. أمأت برندا، ولكنها لم تنظر إليه، وقالت:

- أنا بخير. هيا لنرحل. أريد أن أرى خورخي.

تكلمت في جمل قصيرة متقطعة لا تحمل أي شعور.

أصدر توماس أنينًا، وكان سعيدًا لشعوره بالألم كمبرر لذلك، أجل، أدرك أنها كانت غاضبة منه، وفي الحقيقة ربما تكون غاضبة ليست الكلمة الصحيحة، بل بدا أنها مجروحة.

أو ربما أيضًا أنه بالغ في وضع الافتراضات بينما هي لا تكثرث على الإطلاق.

تقدم مينهو إليه ومد له يدًا:

- هيا يا صديقي، سواء كنت مصابًا بالصداع أم لا، يجب أن نرحل من هنا، لا تدري إلى متى سيكون بإمكاننا أن نبقي أولئك السجناء المقشورين هناك بالأعلى دون إثارة المتاعب.

- سجناء؟

- أيًا كان ما تسميهم، لا يمكننا أن نخاطر بإطلاق سراحهم قبل أن نخرج من هنا، لدينا مجموعة من اثني عشر رجلًا يحتجزون أكثر من عشرين شخصًا، وهم ليسوا سعداء كثيرًا، ربما يبدوون في إدراك أن بإمكانهم القضاء علينا قريبًا جدًا بمجرد أن يستفيقوا من آثار المخدرات والخمر. نهض توماس مجددًا، ببطء شديد هذه المرة، كان رأسه يرتج ويضرب كقرع الطبول الذي لا ينقطع، بدا وكأن جمجمته ستلفظ عينيه خارج محجريهما مع كل ضربة، أغمض عينيه حتى تقف الأشياء من حوله عن الدوران، سحب نفسًا عميقًا إلى صدره ونظر إلى مينهو، وقال:

- سأكون على ما يرام.

ابتسم له مينهو، وقال:

- يا لك من رجل، هيا بنا.

تبع توماس صديقه إلى السلم، توقف بجوار برندا لكنه لم ينطق بأي كلمة، حدجه مينهو بتعبير يقول: ما خطبها؟ أجابه توماس بهزة خفيفة من رأسه فقط. هز مينهو كتفيه في لا مبالاة ثم شق طريقه نحو الأعلى حتى خرج من الغرفة، ولكن توماس بقي هو وبرندا لبعض الوقت، بدا أنها لا ترغب في التحرك، وأبت أن تنظر إلى عينيه. قال لها نادمًا على كلماته القاسية التي تفوه بها قبل أن يفقدا وعيهما:

- أنا آسف، أظن أنني تفوهت بأشياء غير لائقة نوعًا ما...

تحركت عينها مباشرة لتقابل عينيه، وقالت:

- هل تظن أنني أكثرث لأمرك أنت وحببيبتك بحق الجحيم؟ لقد كنت أرقص، وأحاول فقط أن أستمتع لبعض الوقت قبل أن تسوء الأمور، ما الأمر؟ هل تظن أنني مغرمة بك أو شيء مثل هذا؟ هل تتوق إلى اليوم الذي تطلب مني أن أصبح العروسة النزقة؟ استجمع شتات نفسه.

كانت كلماتها مشبعة بالغضب الشديد لدرجة جعلت توماس يخطو إلى الخلف، تألم كما لو أنها قد وجّهت له صفة، وقبل أن يتمكن من الرد عليها، كانت قد اختفت أعلى السلم عبر تنهداتها وخطواتها الثقيلة. شعر أنه لم يسبق أن افتقد تيريسا بهذا القدر كما كان في تلك اللحظة، حاول يائسًا أن يستدعيها في عقله، ولكنها لا تزال غير موجودة.

نخزت الرائحة أنفه من قبل حتى أن يذلف إلى الغرفة حيث كانا يرقصان. رائحة مشبعة بالعرق والقيء.

كانت الأرض تعج بالأجساد، بعضهم نائم وبعضهم ملتصقون معًا في مجموعات وهم يرتجفون، وبدا بعضهم أنه كان ميتًا. كان كل من خورخي، ونيوت، وأريس هناك، يقفون من أجل المراقبة، يتحركون ببطء في دوائر وهم يحملون سكاكين في أيديهم ويوجهونها نحوهم.

رأى توماس السيد طاسة وبقية أفراد الجلايد هناك أيضًا مما جعله يشعر بالارتياح والسعادة يجتاحان جسده، على الرغم من رأسه الذي لا يزال ينبض بشدة.

- ما الذي حدث لكم يا رفاق؟! أين كنتم؟

صاح السيد طاسة في جنون:

- مهلاً، إنه توماس! قبيح وعلى قيد الحياة كما هو دومًا!

هرع نيوت نحوه وابتسامة حميمية تعلو محياه، قال:

- إنني سعيد أنك لست ميتًا بحق الجحيم يا تومي، إنني سعيد، سعيد حقًا.

- وأنا أيضًا.

أدرك توماس وهو لا يزال يشعر بالخدر على نحو غريب أن هذا ما أصبحت عليه حياته، هكذا تكون تحيتك للناس بعد فراق ليوم أو اثنين.

- هل الجميع على ما يرام؟ إلى أين ذهبتم يا رفاق؟ وكيف تمكنتم من الوصول إلى هنا؟

أوما نيوت، وقال:



- ما زلنا أحد عشر، بالإضافة إلى خورخي.

توالت أسئلة توماس بسرعة هائلة لكي يتمكن أي أحد من أن يجيبه:

- هل يوجد أي أثر لباركلي وبقيتهم؟ هل كانوا هم الأشخاص الذين دبروا الانفجار؟

ابتسم خورخي، لاحظ توماس أنه كان يقف بقرب الباب، ويحمل سيفًا حادًا وقدرًا للغاية كان مثبتًا على كتف الطويل القبيح شخصيًا، وكانت ذيل الحصان بجواره، وكل منهما ملتصقان ببعضهما على الأرض.

- لم أر أيًا منهم منذ ذلك الحين، لقد هربنا بسرعة، وإنهم أجبن كثيرًا من أن يقدموا على المجيء إلى هذا الجزء من البلدة.

شعر توماس بالقلق يساوره لدى رؤيته للطويل القبيح. الأشقر، أين الأشقر؟ كيف تمكن مينهو والآخرين من التغلب على مسدسه؟ نظر من حوله، ولكنه لم يره في أي مكان في الغرفة.

همس توماس:

- مينهو...

ثم أشار له لكي يقترب منه، وما إن أصبح هو ونيوت بجانبه، مال بجسده نحوهما، وقال:

- الرجل ذو الشعر القصير للغاية، بدا أنه هو الزعيم، ما الذي حدث معه؟

رفع مينهو كتفيه في غير علم ونظر إلى نيوت ليجيب، أجاب الأخير:

- لا بد أنه هرب إلى الخارج، لقد هرب بعض منهم، لم نتمكن من إيقافهم جميعًا.

سأل مينهو:

- لماذا تسأل؟ هل أنت قلق بشأنه؟

أجال توماس بصره ثم أخفض صوته أكثر مما كان:

- إنه يحمل مسدسًا، إنه الشخص الوحيد الذي رأيته يحمل شيئًا أسوأ من الخنجر، وهو لم يكن لطيفًا كثيرًا.

قال مينهو:

- ومن يكثر بحق الجحيم؟ سوف نخرج من هذه المدينة اللعينة في غضون ساعة، ويجب علينا أن نتحرك، الآن.

كانت هذه هي أفضل فكرة سمعها توماس منذ أيام. قال:

- حسنًا، أريد أن أخرج من هذا المكان قبل أن يعود مجددًا.

خطا مينهو في وسط الحشد وصاح عاليًا:

- استمعوا إلي، إننا سوف نغادر الآن، إن لم تأتوا خلفنا تكونوا في أمان،

وإن أتيتم تموتوا. يا له من أمر سهل، ألا تظنون ذلك؟

تساءل توماس متى وكيف استعاد مينهو دور القائد من خورخي، ألقي نظرة على الرجل الكبير ولاحظ أن برندا واقفة في صمت بجوار أحد الجدران وتحديق إلى الأرض، شعر بالسوء لما حدث بينهما في الليلة الماضية، لقد أراد حقًا أن يقبلها، لكنه أيضًا شعر بالنفور لسبب لا يعلمه، ربما بسبب المخدر، ربما بسبب تيريسا، ربما كان...

كان مينهو يصرخ في وجهه:

- مرحبًا يا توماس! يا صديقي، استيقظ، نحن راحلون!

كان بعض فتیان الجلايد قد خرجوا بالفعل عبر الباب إلى ضوء الشمس، كم مر من الوقت منذ أن فقد وعيه بسبب المخدر؟ يوم كامل؟ أم فقط بضع ساعات؟ أم منذ الصباح؟ تحرك ليتبع الآخرين، توقف إلى جانب برندا وحثها على التحرك قليلًا، ساوره بعض القلق بأنها سترفض المجيء معهم، إلا أنها ترددت لثانية واحدة قبل أن تتجه إلى الباب.

انتظر مينهو ونيوت وخورخي لتأمين المكان بأسلحتهم، إلى أن خرج الجميع عدا توماس وبرندا. راقب توماس عبر المدخل فتیان الجلايد الثلاثة وهم يحومون في الطريق جيئةً وذهابًا بينما ينظفون سكاكينهم وسيوفهم ببطء، ولكن لم يبد الأمر وكأن أحدهم سيثير أي متاعب. أصبح الجميع مستعدًا للمضي قدمًا، تغمرهم السعادة من أجل البقاء على قيد الحياة.

تجمعوا في الزقاق بعيدًا عن السلاالم بينما ظل توماس قريبًا من السلمة الأخيرة، في حين تحركت برندا إلى الجانب الآخر من المجموعة، أقسم أنه سيتحدث إليها بمفردهما في أسرع وقت عندما يبتعدون عن هنا ويصبحون

في أمان. كان معجبًا بها، وود لو يصبح صديقها وليس أي شيء آخر. وأهم ما في الأمر أنه أصبح الآن يشعر نحوها بما شعر به نحو تشاك، إذ أصبح لسبب ما يشعر تجاهها بشيء من المسؤولية.

- ... وسوف نعدو إلى هنا.

مالَ توماس برأسه إذ أدرك أن مينهو كان يتكلم، كان الألم يضرب بلا رحمة بداخل رأسه، ولكنه تمكن من أن يركّز. تابع مينهو:

- هناك تقريبًا نحو ميل فقط، وليس من الصعب قتال أولئك النزقين على كل حال، إذن دعونا...

- مرحبًا!

أتت الصيحة من خلف توماس، صرخة مذعورة وعالية تملؤها أمارات الجنون الخالص، استدار توماس ليرى الأشقر واقفًا في الأسفل عند آخر درجة، بالقرب من الباب المفتوح فاتحًا ذراعيه عن آخرهما، يحمل مسدسه بين أصابع يده البيضاء، كان هادئًا وثابتًا على نحو مفاجئ، وكان المسدس موجهاً مباشرة إلى توماس.

وقبل أن يتمكن أي أحد من أن يتحرك، أطلق الرجل النار، كان الصوت أشبه بالانفجار الذي هز الزقاق الضيق كضربة برق. شعر توماس بألم لا يُحتمل يمزق كتفه اليسرى.



## الفصل الأربعون

تهاوى توماس إلى الخلف على إثر الطلقة، ودار حول نفسه إلى أن سقط على وجهه وارتطم أنفه بالأرض، وتمكن بشكل ما، وعلى الرغم من الألم والطنين المكتوم في أذنيه، من أن يسمع صوت إطلاق النار مرة أخرى، ثم تبعه أصوات عنيفة وأصوات لكلمات تبعها صوت ارتطام شيء معدني بالأرض الصلبة.

اعتدل ليصبح على ظهره ووضع يده على المكان المصاب وضغط عليه بقوة، استجمع شجاعته ليتمكن من النظر إلى الجرح، ازدادت حدة الطنين في أذنيه، وبالكاد تمكن من أن يلحظ بزاوية عينه أن الأشقر كان مثبتًا على الأرض وأخذ أحدهم يضربه حتى الموت.  
مينهو بالطبع.

ألقى توماس نظرة أخيرًا على الجرح، وما رآه هناك جعل قلبه يخفق بجنون.

رأى ثقبًا صغيرًا في قميصه، يظهر من خلاله خيط من الدم الأحمر اللزج في الجزء الملتحم من فوق الإبط، كانت تؤلمه، تؤلمه بشكل سيئ، لو أنه كان يجد ألم رأسه وهو بالأسفل ألمًا شديدًا، فإن هذا الألم كان ثلاثة أو أربعة أضعاف مثله، تجمعت كلها معًا واستحالت إلى وحش صغير من الألم يكمن في كتفه مباشرة، وينتشر عبر بقية جسده.

كان نيوت إلى جانبه ينظر إليه بعينين قلقتين.

- لقد أطلق النار عليّ.

خرج ذلك من فمه بمنتهى السلاسة ليحطم على الفور الرقم القياسي ويحصل على المرتبة الأولى لأكثر الأشياء التي قالها في حياته غباءً، كان الألم أشبه بمسامير معدنية حية تجري بداخل أحشائه تنخره وتجرحه بسنونها الحادة الصغيرة، أحس بعقله يظلم للمرة الثانية في ذلك اليوم.

قام أحدهم بإعطاء نيوت قميضًا ليضغط به بقوة على الجرح، مما تسبب في بث موجة أخرى من العذاب عبر جسده، أخذ يصرخ غير عابئ بأن يبدو جبانًا وبيكًا، كان هذا يؤلم أكثر من أي شيء شعر به من قبل، أحس أن العالم يبهت ويظلم من حوله بضع درجات.

أخذ يحث نفسه قائلاً: *افقد الوعي، ارجوك افقد الوعي، دعني أفقد الشعور بهذا الألم.*

أتت الأصوات من حوله بعيدة ومكتومة من جديد، مثلما شعر بها عندما تم تخديره في ساحة الرقص.

میز صوت خورخي من بين الجميع وهو يقول:

- يمكنني أن أخرج ذلك الشيء اللعين منه، ولكنني سوف أحتاج إلى نار.

- لا يمكننا فعل ذلك هنا.

هل كان هذا نيوت؟

- دعونا نغادر هذه المدينة اللعينة.

هذا مينهو بكل تأكيد.

- حسنًا إذن فليساعدي أحدكم في حمله.

ليس لديه فكرة من يكون هذا.

شعر بأيدٍ تحمله من الأسفل وتمسك بساقيه، والألم لا ينفك يزداد. سمع

أحدهم يقول شيئًا عن العد إلى ثلاثة، والألم يفتك به، هذا يؤلم بحق. واحد،

ألم، اثنان، تَبًّا، ثلاثة!

ارتفع نحو السماء، ومن ثم تفجر الألم بداخله مجددًا، موجة جديدة من

الألم المميت، تحققت من بعدها أمنيته بأن يفقد وعيه ولفه الظلام وخلصه

من عذابه.

عندما عاد إلى وعيه كان عقله مشوشًا وتائهاً.

داهمه سطوع الضوء فلم يتمكن من فتح عينيه مباشرة، أحس بجسده بأكمله ينبض وينتفض، ولا تزال الأيدي تحمله بإحكام، التقطت أذناه صوت الأنفاس السريعة والمتناقلة، وأصوات وقع الأقدام على الأرض، سمع أحدهم يصيح، ولكنه لم يتمكن من تمييز الكلمات، وأتت أصوات النزقين من مسافة بعيدة، ولكنها كانت قريبة بما يكفي كأنهم كانوا يلاحقونهم.

اشتدت الحرارة وكان الهواء يتلظى. أحس أن كتفه تحترق، وأخذ الألم يمزق جسده على هيئة سلسلة من الانفجارات المميتة إلى أن لفه الظلام وفقد وعيه مجددًا.

\*\*\*

فتح عينيه شيئًا قليلًا.

وجد الضوء أقل سطوعًا هذه المرة بفعل حمرة الشفق الذهبية، كان مستلقيًا على ظهره فوق أرض صلبة، وثمة صخرة مغروسة أسفل ظهره، ولكن ألمها كان لا يُذكر مقارنة بما يشعر به في كتفه، أخذ الناس يتحركون من حوله بينما يتحدثون بعبارات هامسة قصيرة ومقتضبة.

أصبحت الآن أصوات جلبة النزقين أبعد، لم ير أي شيء سوى السماء من فوقه، لم يعد هناك مبانٍ، والألم لا يزال في كتفه، تَبًّا لهذا الألم اللعين.

شعر بالنار تنتشر بأقصى سرعة وتضطرم في مكان قريب منه، شعر بحرارتها تلفح جسده بأكمله، رياح ساخنة يحملها هواء ساخن.

سمع أحدهم يقول:

- من الأفضل أن تقيده جيدًا من ذراعيه وساقيه.

على الرغم من أن عقله لا يزال غارقًا في سحابة ضبابية، فإن تلك الكلمات لم تكن ذات وقع جيد. ظهر ضوء منعكس على شيء فضي أمام ناظره، يشبه حمرة ضوء الشمس الآخذة في المغيب على... سكين؟ هل كانت السكين تشع بضوء أحمر؟

- سوف يؤلمه هذا بشكل فظيع لا يُحتمل.

ليس لديه فكرة عن تفوه بهذا.

سمع صوت الكيّ على جلده قبل أن يشعر وكأن مليار إصبع من الديناميت قد تفجرت بداخل كتفه... ومن ثم ودَّعه عقله للمرة الثالثة.

عندما استعاد وعيه أحسَّ أن وقتًا طويلًا قد مر هذه المرة. عندما فتح عينيه مجددًا، وخزت النجوم التي تسطح في السماء كضوء النهار عينيه كالدبابيس، كان أحدهم ممسكًا بيده، حاول أن يدير رأسه ليرى من يكون، ولكن تسببت تلك المحاولة في إرسال موجة من العذاب على طول فقرات ظهره.

لم يكن في حاجة إلى أن يرى، لقد كانت برندا.

من يكون غيرها؟ كما أن اليد كانت ناعمة وصغيرة، مؤكد أنها برندا.

استحال الألم الذي شعر به من قبل إلى شيء آخر، شعر بطريقة ما أنه الآن قد ازداد سوءًا، شعر بشيء أشبه بالإعياء الذي أصاب كل الوظائف الحيوية داخل جسده، وشعر بحكة تنهش لحمه على نحو يصيب بالجنون، شعور فظيع، كأن هناك ديدانًا تتلوى عبر شرايينه وثقوب عظامه وما بين عضلاته وتنهش في جسده.

كان هذا مؤلمًا، ولكن أصبح الأمر الآن أكثر من مجرد ألم، كان عميقًا وشديدًا، أخذت معدته تتلوى وتتقلص، والنيران تضطرم في عروقه.

لم يكن يعرف كيف أدرك ذلك، ولكنه كان أكيدًا من هذا، هناك شيء ما خطأ.

طفت كلمة «عدوى» إلى سطح عقله، ولم تغادر مكانها.

ثم راح في النوم ببطء.

أيقظته أشعة الشمس الأولى في الصباح التالي، وكان أول شيء أدركه أن برندا لم تعد تمسك بيده، ثم استشعر هواء الصباح الباكر يداعب جلده مما منحه لحظة عابرة من الراحة.

ثم أخذ يشعر شيئًا فشيئًا بالألم الذي يضرب جسده دون رحمة، لم يعد الأمر مقتصرًا على كتفه وجرح الرصاصة فقط، بل أصبح هناك أمر فظيع أصاب جسده بالكامل.

عدوى، ألحَّت الكلمة من جديد.



لم يكن يملك أي فكرة عن كيف سيصمد لخمس دقائق أخرى، أو لساعة أخرى، كيف سيتمكن حقًا من الصمود ليوم آخر بأكمله؟ حتى ينام ويعيد الكرة بأكملها من جديد؟ تملكه اليأس كفضاء شاسع، أخذ يتنأب تنأوبًا يتوعد بأن يسحبه إلى عمق هاوية سحيقة، أصابته نوبة فزع محمومة، فوق كل ذلك الألم الذي يغمره.

هكذا كان الأمر عندما أصبح كل شيء غريبًا.

سمع الآخرون هذا قبل أن يفعل هو، طفق مینهو والآخرون جميعًا يتدافعون فجأة، ويبحثون عن شيء ما، وأخذ كل منهم يمسح السماء بعينيه، السماء؟ لماذا يفعلون ذلك؟

صاح أحدهم -ظنُّ أنه خورخي- قائلًا كلمة: بَرُج.

ثم سمعها توماس، صوت قرع عميق يرسل ضربات ثقيلة، أخذ الصوت يرتفع قبل أن يتمكن حتى من إدراك ما يحدث، وما لبث حتى شعر وكأن الصوت بداخل جمجمته، يتردد صداه في فكيه وطبليتي أذنيه، كأنه ناتج عن قرع أضخم طبول في العالم، ولا سيما صوت الحفيف الهائل للمحرك الثقيل، ثم هبت الرياح حتى ظن توماس أن العاصفة توشك أن تبدأ من جديد، ولكن السماء كانت شديدة الزرقة لا تشوبها سحابة واحدة.

تسببت الجلبة في بث المزيد من الألم بداخله حتى أوشك أن يفقد وعيه مرة أخرى، ولكنه قاوم ذلك تحت وطأة رغبته الجامحة في معرفة ماهية مصدر الصوت. صاح مینهو بشيء ما وأشار بيده باتجاه الشمال، لم يستطع توماس أن يلتفت برأسه لكي يلقي نظرة تحت وطأة الألم الشديد. ازدادت الرياح قوة وأخذت تعصف من حوله وتتخبط بملابسه، وتكونت سحابة هائلة من الغبار، فجأة وجد برندا تقترب منه من جديد، وتضغط يده بيدها، ومالت نحوه حتى أصبح وجهها يبعد عن وجهه مسافة إنشأت قليلة فقط، وأخذ شعرها يتطاير في كل اتجاه.

تكلمت قائلة، ولكنه بالكاد تمكن من سماع ما تقول:

- أنا آسفة، لم أقصد ذلك، أعني، أنا أعلم أنك...

حاولت جاهدة أن تجد ما يسعفها من الكلمات، ثم أشاحت بوجهها.

ما الذي تتكلم بشأنه؟ لماذا لم تقل له ما الذي كان يصدر هذا الصوت البشع، كان يتألم بشدة...

اكتسى وجهها بنظرة رعب يشوبه الفضول، اتسعت عيناها وهي تنظر بغم فاجر، ومن ثم جاء اثنان قاما بدفعها...

استولى الرعب على توماس في هذه اللحظة، كان هناك شخصان يرتديان أغرب ملابس رآها في حياته، زِيٌّ من قطعة واحدة، واسع جدًا وذو لون أخضر قاتم، وكانت هناك حروف منقوشة على الصدر، لم يتمكن من قراءتها، يرتدون نظارات تشبه نظارات الغطس تغطي وجوههم، كلا، ليست نظارات، بل نوعًا ما من أقنعة الغاز، بدا مظهرهم غريبًا وغير مألوف، بدوا أشرارًا، كحشرات عملاقة ومتوحشة تأكل لحم البشر وهي ملفوفة في لباس بلاستيكي.

أتى أحدهم وأمسك بساقيه، وقام الآخر بوضع يديه من تحته وأمسكه من تحت ذراعيه فانفجر توماس بالصراخ من الألم الذي اجتاح جسده بأكمله. لقد أضحى الآن معتادًا العذاب تقريبًا، ولكن هذا كان أسوأ مما يقوى على تحمله، كان ذلك مؤلمًا بقدر يفوق قوة احتماله، لذلك فقد وعيه مجددًا.

طفقا يتحركان بعد ذلك بينما يحملانه، وللمرة الأولى تمكنت عينا توماس من التركيز بما يكفي لقراءة الحروف المكتوبة على صدر الشخص الذي يحمله من قدميه:

وكِد.

هدد الظلام بأن يفقده وعيه من جديد، فسمح له أن يفعل، ولكن هذه المرة ذهب الألم في صحبته.

## الفصل الحادي والأربعون

مرة أخرى، استيقظ توماس على ضوء أبيض ساطع يعمي الأبصار، سطع مباشرة في عينيه قادمًا من الأعلى، أدرك على الفور أنه لم يكن ضوء الشمس، بل كان شيئًا مختلفًا، بالإضافة إلى أنه كان يسطع من مسافة قريبة للغاية، وحتى بعد أن أغمض عينيه بشدة مجددًا، كان لا يزال يشعر بأثر الضوء يتخلل الظلام.

سمع أصواتًا أقرب إلى الهمس، ولم يتمكن من فهم كلمة واحدة، كان الصوت خافتًا جدًّا، وبعيدًا بما يكفي ليصبح مستحيلًا على الفهم.

سمع صوت الكلك-كلاك لاحتكاك المعادن ببعضها، كانت أصوات خافتة، أول شيء خطر في ذهنه كان الأدوات الطبية، المشارط وتلك القضبان المعدنية التي توجد مرآة في نهايتها، قفزت هذه الصور إلى عقله من غياهب الذاكرة المشوهة، وعند ربطها مع الضوء اتضح له كل شيء.

لقد تم أخذه إلى مشفى، مشفى؟ كان هذا هو آخر شيء يتوقع وجوده في أي مكان من الأرض المحترقة، أم أنه تم أخذه بعيدًا؟ بعيدًا جدًّا؟ عبر ناقل مسطح، أيعقل أن ذلك ما حدث؟

ظهر شبح ما عبر الضوء، فتح توماس عينيه، كان هناك شخص ينظر إليه، يرتدي الزي السخيف نفسه الذي ارتداه أولئك الذين أحضروه إلى هنا، قناع الغاز، أو أيًا كان اسمه، نظارات غطس ضخمة. ومن خلف الزجاج الواقى تمكن من رؤية عينين داكنتين مثبتتين عليه، عينا امرأة، ولكنه لم يكن يدري كيف عرف هذا.

سألته:

- هل بإمكانك سماعي؟

أجل، لقد كانت امرأة، على الرغم من أن صوتها لم يكن واضحًا من خلف القناع.

حاول توماس أن يومئ برأسه، ولكنه لم يكن متأكدًا من أنه فعل ذلك. قالت المرأة:

- لم يُفترض لهذا أن يحدث.

أرجعت رأسها إلى الخلف قليلاً وأشاحت بوجهها، مما جعل توماس يفكر في أنها لم تكن تعنيه هو بما قالته. استأنفت:

- كيف يمكن للمسدس أن يدخل إلى المدينة؟ هل لديك أي فكرة عن كمية الصداً والمواد السامة التي لا بد لتلك الرصاصة أنها كانت تحملها، ناهيك بالجراثيم.

بدا أنها غاضبة بشدة.

صاح رجل:

- دعك من هذا الأمر الآن، علينا أن نعيده إلى هناك في أسرع وقت! لم يكن لدى توماس وقت كافٍ ليفهم ما كانا يقولانه، إذ تدفق ألم لا يُحتمل من جديد في كتفه. وفقد وعيه للمرة التي لم يعد يعرف عددها. استيقظ مجددًا.

لقد تغير شيء ما ليست لديه فكرة ما هو، انبعثت نفس الضوء من نفس المكان فوقه مباشرة، نظر هذه المرة إلى جانبه بدلاً من أن يغلق عينيه، فوجد أن رؤيته قد تحسنت، وتمكن من استعادة انتباهه، يتشكل السقف من مربعات فضية اللون، وآلة غريبة الشكل مصنوعة من الفولاذ تحمل أشكالاً عديدة من المفاتيح والأقراص والشاشات.

لم يفهم وظيفة أي منها.

ومن ثم ضربته. ثم استفاق بفعل صدمة هائلة شديدة الوطأة لدرجة أنه لم يصدق أن ذلك قد حدث حقًا.

لم يعد يشعر بأي ألم، لا شيء على الإطلاق.

لم يكن هناك أي أحد يقف إلى جواره، ولا حتى الأشخاص الذين يرتدون بذلات الفضائيين الخضراء السخيفة، ولا أقنعة، لا أحد يضع أشياء بداخل كتفه، بدا أنه أصبح بمفرده، وأصابه غياب الألم بشعور غامر من السعادة والهناء، لم يكن يعرف أن بإمكانه أن يشعر بشعور جيد كهذا.

مؤكد أنه لم يكن كذلك، لا بد أنه تحت تأثير مخدر ما.

ثم راح في النوم.

\*\*\*

تقلب إثر سماعه للأصوات الخافتة، على الرغم من أنها وصلت إلى مسامعه عبر غياهب عقله المخدّر.

بطريقة ما فضل أن يُبقي عينيه مغمضتين، فلربما يتمكن من التقاط أي شيء عن أولئك الذين أخذوه، والذين قاموا بالفعل بمعالجته وتخليص جسده من العدوى.

سمع رجلاً يتكلم قائلاً:

- هل من المؤكد أن هذا لن يفسد الأمر؟

أجابته امرأة:

- أنا أكيدة من هذا، حسناً، أكيدة بقدر ما. على كل حال، ربما يتسبب ذلك في إثارة نمط جديد في المقتل لم نتوقع حدوثه، ويكون بمنزلة مكافأة إضافية، أليس كذلك؟ لا أعتقد أن ذلك من الممكن أن يؤدي به أو بأي أحد غيره إلى اتجاه يمكن أن يمنع حصولنا على بقية الأنماط الأخرى التي نتطلع إليها.

أجابها الرجل:

- بحق الله، أمل أن تكوني محقة فيما تقولين.

انضمت امرأة أخرى إلى حديثهما، وتكلمت بصوت مرتفع وواضح للغاية:

- كم عدد الذين لدينا وتعتقد أنهم لا يزالون مرشحين محتملين؟

شعر توماس بالطريقة التي ميزت بها كلمة: المرشحين. انتابه الارتباك، ولكنه حاول أن يبقى ثابتًا ليستمتع جيدًا.

أجابت المرأة عن سؤالها:

- لقد تناقص العدد إلى أربعة أو خمسة. إن توماس الموجود هنا يعد أعظم آمالنا إلى الآن، إنه يستجيب بشكل دقيق للغاية للعوائق. انتظرا، أظن أنني لمحت عينيه قد تحركت للتو.

تجمد توماس، حاول أن يغمض عينيه جيدًا ويركز في ظلام جفنيه، كان أمرًا شاقًا، ولكنه أجبر نفسه على التنفس بانتظام ليبدو أنه نائم. لم يكن لديه أدنى فكرة عما سمعهم يتحدثون بشأنه، ولكنه أراد بشدة أن يسمع المزيد، أدرك أنه في حاجة إلى سماع المزيد.

قال الرجل:

- وما المشكلة لو كان يستمع إلينا؟ لن يكون بإمكانه أن يفهم أي شيء يتسبب في التأثير على كيفية استجابته بأي شكل كان، بل سيجعله ذلك يعرف أننا قمنا باستثناء هائل لكي نجلبه إلى هنا ونخلصه من العدوى، وأن وكِد سوف تفعل أي شيء عندما يتوجب عليها فعله.

ضحكت المرأة صاحبة الصوت المرتفع، كان صوتها أحد أكثر الأصوات التي سمعها توماس جاذبية، وقالت:

- إذا كنت تتنصت يا توماس، أود إخبارك بألا تتحمس كثيرًا، لأننا سوف نعيدك إلى حيث أخذناك مرة أخرى.

بدا أن المخدر الذي يجري في شرايين توماس أخذ يتدفق بقوة، إذ وجد نفسه يفقد وعيه شيئًا فشيئًا، حاول أن يفتح عينيه، ولكنه لم يستطع. وقبل أن يغيب تمامًا عن الوعي التقطت أذناه شيئًا أخيرًا قالتها المرأة الأولى، شيئًا غريبًا للغاية:

- هذا ما كنت سترغب في أن نفعله.

## الفصل الثاني والأربعون

كان أولئك الناس الغامضون محقين في كلمتهم، ففي المرة التالية التي استيقظ فيها توماس، كان معلقاً في الهواء ومربوطاً بإحكام إلى حبل قماشي قذر وهو يتأرجح في الهواء جينة وذهاباً، كان الحبل موصولاً بحلقة معدنية زرقاء لتثبيته في الشيء الضخم الذي كان معلقاً فيه، مصحوباً طوال الطريق بصوت الخفق الثقيل والصاخب الذي سمعه عندما أتوا لكي يأخذوه.

أمسك بالحبل الكتاني المتسخ وكاد يموت رعباً.

أحس أخيراً بصوت ارتطام خفيف، ومن ثم ظهرت العديد من الوجوه أمامه، مينهو، ونيوت، وخورخي، وبرندا، والسيد طاسة، وأريس وبقية أفراد الجلايد. انفصل الحبل الذي كان مثبتاً إليه وحلق في الهواء، ثم، وفي لمح البصر تقريباً، كانت المركبة التي أعادته قد ابتعدت تماماً، وابتلعها ضوء الشمس الساطع الذي يحيط بهم، خفت صوت محركاتها شيئاً فشيئاً ولم يمض وقت حتى اختفت عن الأنظار.

بعد ذلك انفجر الجميع يتحدثون في الوقت ذاته:

- ماذا كان كل ذلك؟
- هل أنت بخير؟
- ما الذي فعله أولئك الناس لك؟
- من يكونون أولئك؟
- هل كانت رحلتك على متن البرج ممتعة؟
- كيف حال كتفك؟

تجاهل توماس كل ذلك وحاول أن ينهض على قدميه، ولكنه أدرك أنه لا يزال مقيدًا بإحكام إلى الحبال التي كان مثبتًا بها. بحث بعينيه عن مينهو، وقال له:

- هلا ساعدتني هنا قليلًا؟

وبينما كان مينهو واثنان آخران يعملون على فك وثاقه، خطرت في ذهن توماس فكرة مؤرقة، لقد ظهر أولئك الأشخاص من وِكد من العدم فجأة، وبناء على ما قالوه، لقد كان شيئًا لم يخططوا له، ولكنهم فعلوه على أي حال، أي أن هذا يعني أنهم كانوا يراقبونهم وبإمكانهم التدخل لكي ينقذوهم ما إن أرادوا ذلك.

ولكنهم لم يفعلوا ذلك حتى الآن، كم عدد الذين ماتوا في الأيام الماضية بينما وِكد ظلت تراقبهم دون أن تحرك ساكنًا؟ ولماذا تغير ذلك عندما أتى الأمر إلى توماس؟ هل فقط لأنه أُصيب برصاصة صدئة؟ تلك أشياء كثيرة للغاية لكي يفكر فيها كلها.

ما إن أصبح حارًا، حتى نهض واقفًا على قدميه وأخذ يمدد عضلاته وأبى أن يستجيب لوابل الأسئلة الذي أخذ يطر عليه من جديد، كان النهار حارًا، حارًا بشكل لا يُحتمل، وعندما انتهت من تمارين الإطالة، أدرك أنه لم يعد يشعر بأي ألم سوى وجع خفيف في كتفه. ألقى نظرة على نفسه فوجد أنه كان يرتدي ملابس نظيفة، وأن هناك انتفاخًا بسيطًا أسفل كم قميصه الأيسر لوجود ضمادة حول كتفه، ولكن أفكاره انحرفت على الفور إلى شيء آخر. قال:

- ما الذي تفعلونه في هذا المكان المفتوح يا رفاق؟ سوف تُشوى أجسادكم!

لم يجب مينهو، بل أشار فقط إلى شيء من خلفه، نظر توماس فرأى كوخًا مهالكا غاية التهالك، كان مصنوعًا من الخشب الجاف الذي بدا كأنه سينهار في أي لحظة، ولكنه كان كبيرًا بما يكفي ليأوا فيه جميعًا من حرارة الشمس. قال مينهو:

- من الأفضل أن نعود إلى هذا الشيء.



أدرك توماس أنهم لا بد وأن هرولوا إلى الخارج عندما رأوه عائداً على متن ذلك... البرج الطائر، لقد قال خورخي إن اسمه برج.

سار الفريق على مضض متجهين إلى ذلك المأوى، قال لهم توماس عشرات المرات إنه سوف يخبرهم بكل شيء من البداية ما إن يستقروا في مكان ما. بحثت عينا برندا عن مكانه ثم ذهبت وجلست إلى جانبه، ولكنها لم تمد له يدها، وشعر توماس بارتياح مضطرب لذلك، لم تنطق بكلمة، وكذلك فعل هو.

أصبحت مدينة النزقين البائسة تبعد عدة أميال عنهم، كومة ضخمة من العفن والجنون في الجنوب، ولم يعد هناك أي أثر لأولئك الموبوتين بعد الآن، أما في اتجاه الشمال، فقد لاحت لأنظارهم الجبال، إذ بدت كأنها تبعد فقط مسافة يوم، منحدره متعرجة تخلو من أي مظهر للحياة، ارتفعت وارتفعت بميل حاد حتى انتهت بسطوحها البنية المتعرجة، تظهر بها العديد من القطع الصخرية الحادة التي جعلت الجبل بأكمله يبدو وكأن عملاقاً أخذ يضرب فيه بفأس ضخماً يوماً بعد يوم في محاولة للتنفيس عن غضب هائل.

عندما بلغوا المأوى المنشود، وجدوا أن الخشب كان قد جف مثل العظام المتآكلة، بدا وكأنه كان واقفاً وسط ذلك الجحيم لمئة سنة، ربما قام أحد المزارعين ببنائه قبل أن يُدمر العالم، أما عن كيف ظل صامداً في خضم كل ما حدث، فهذا كله لغز، ولكنها مسألة عود واحد من الثقاب وعلى الأرجح سيحترق هذا الشيء ويصبح رماداً في غضون ثلاث ثوانٍ.

قال مينهو وهو يشير ناحية مكان ظليل في نهاية الكوخ:

- حسناً إذن، أنت اذهب واجلس هناك وارتح هكذا بشكل جميل وابدأ بإخبارنا كل شيء.

لم يتمكن توماس من تصديق كم أنه أصبح بخير، فقط كان يشعر بألم بسيط في كتفه، ولم يعد يشعر بأثر المادة المخدرة داخل جسده، أيّاً كان ما قام أطباء وكِد بحقنه به فقد كان شيئاً ذا مفعول رائع، اتخذ مجلسه وانتظر حتى يجتمع الجميع أمامه، جلسوا جميعاً بأرجل متقاطعة على الأرض الساخنة والمغطاة بالغبار، كان أشبه بأستاذ مدرسة يستعد لإلقاء درس، وبدأ له ذلك كذكرى مشوشة من ماضيه.

جلس مینهو آخرًا، إلى جانب برندا مباشرة، وقال:

- حسنًا، احكِ لنا عن مغامراتك مع الفضائيين في سفينة الفضاء العملاقة الشريرة.

سأله توماس:

- هل أنت واثق من هذا؟ كم يومًا تبقى لدينا لكي نبلغ تلك الجبال ونصل إلى الملاذ الآمن؟

- خمسة أيام يا صديقي، ولكنك تعلم أننا لا يمكننا أن نتسكع في الجوار في هذه الحرور وليس لدينا شيء نحتمي به، سوف نتكلم، ثم سنأخذ قسطًا من النوم، ومن ثم سوف نهز مؤخراتنا وننتقل إلى السير طوال الليل، دعك من هذا.

- حلو الكلام.

قال توماس وهو يتساءل عما كانوا يفعلونه في أثناء غيابه، ولكنه أدرك أن ذلك لم يكن مهمًا إلى هذا الحد. قال:

- فلتتركوا كل أسئلتكم حتى النهاية أيها الأطفال.

عندما لم يضحك أي أحد، ولا ابتسم حتى، سعل توماس ومضى في حديثه:

- لقد كانت وِكد من أتت وأخذتني، كنت أفقد وعيي طوال الوقت، ولكنهم أخذوني إلى بعض الأطباء الذين قاموا بمعالجتي على أكمل وجه، سمعتهم يقولون شيئًا عن أنه لم يكن من المفترض لذلك أن يحدث، وأن المسدس كان شيئًا لم يتوقعوا وجوده هنا. لقد أصابتني الرصاصة بعدوى سيئة، وإنني أخمن أنهم شعروا بالحاح بأن هذا لم يكن الوقت المناسب لي لكي أموت.

حدقت إليه الوجوه خاليةً من أي تعبير.

أدرك توماس أن تقبُّل الأمر سيكون عسيرًا عليهم، حتى بعدما أخبرهم بالقصة كاملة، استدرج:

- إنني فقط أخبركم بما سمعته.

مضى يشرح لهم المزيد، وأخبرهم بكل شيء تمكن من تذكره بالتفصيل، وعن المحادثة الغامضة التي حدثت بجانبه، وأمور عن أنماط المقتل

والمرشحين، والمزيد حول العوائق، لم يبد له أي شيء منطقيًا للوهلة الأولى، وقد شعر الآن أن الأمر قد ازداد غموضًا بينما كان يحاول تذكر كل شيء. بدا على فتیان الجلايد، وبرندا وخورخي كذلك أنهم جميعًا كانوا مشتتين مثله تمامًا.

تلكم مينهو أخيرًا:

- حسنًا، إن ذلك يجعل كل شيء واضحًا، ولا بد أنه يتعلق بوجود كل تلك اللوحات التي تحمل اسمك في المدينة.

هز توماس كتفيه، وقال:

- إنني سعيد لمعرفة أنكم سعداء جدًا لأنني ما زلت على قيد الحياة.

- مهلاً، لو تود أن تصبح أنت القائد، فعلى الرحب والسعة، إنني في غاية السعادة لرؤيتك على قيد الحياة.

- لا، شكرًا لك، يمكنك الاحتفاظ بها.

لم يجب مينهو، ولم يستطع توماس إنكار أن تلك اللوحات كانت تثقل كاهله بشدة، ما الذي يعنيه حقًا أن وكِد أرادت أن يصبح هو القائد؟ وما الذي عليه فعلة حيال هذا الأمر؟

نهض نيوت، يكتسي وجهه بتكشيرة عميقة تدل على شدة التركيز، وقال:

- إذن فنحن جميعًا مرشحون محتملون لشيء ما، وربما يكون الغرض وراء كل القرف الذي نخوض غماره هو تصفية أولئك المستبعدين من الاختيار. ولكن لسبب ما فإن حادثة المسدس والرصاصة الصدئة تلك لم تكن جزءًا من... الاختبارات الأصلية، أو العوائق، أيًا كان ذلك، إذن فلو أن توماس سيقتل ويموت، فليس من المفترض لعدوى لعينة أن تفعل ذلك.

ضم توماس شفتيه وأومأ في استسلام، بدا ذلك كملخص عظيم له.

قال مينهو:

- إذن هذا يعني أنهم يراقبوننا، كما كانوا يفعلون في المتاهة، هل لمح أحدكم خنفساء معدنية تحوم في أي مكان؟

هز معظم فتیان الجلايد رؤوسهم نفيًا.

سأل خورخي:

- ماذا تكون تلك الخنفساء المعدنية بحق الجحيم؟

أجاب توماس:

- نوعٌ ما من الآلات يشبه حشرة معدنية تحمل كاميرات، كانت تتجسس علينا في المتاهة.

أدار خورخي عينيه من حوله، وقال:

- بالطبع، آسف لأنني سألت.

قال أريس:

- لقد كانت المتاهة مكانًا مغلقًا بالطبع، وأظن أنه من المستحيل أن نكون بداخل شيء ما في الوضع الحالي، ولكن على الأرجح يمكنهم أن يستخدموا الأقمار الصناعية أو الكاميرات ذات المدى البعيد.

تنحى خورخي، وقال:

- وما الذي في توماس يجعله مميزًا بهذا الشكل؟ وتلك اللوحات التي تملأ المدينة وتقول إنه القائد الحقيقي، وظهورهم هنا فجأة من أجل الاعتناء به عندما أصابه المرض (نظر إلى توماس) لست أحاول أن أتصرف بوقاحة أيها الشاب، إنني فقط ينتابني الفضول، ما الذي يجعلك أفضل من أصدقائك الباقين؟

- أنا لست مميزًا.

قال توماس ذلك على الرغم من يقينه أنه يحمل سرًا ما، ولكنه فقط لا يعرف ما هو، استدرك:

- لقد سمعت ما قالوه، لدينا مئات الطرق لنموت بها في هذا المكان، ولكن ذلك المسدس لم يكن إحداها فقط. إنني أعتقد أنهم كانوا سينقذون أي أحد أُصيب بالرصاص، لم يكن الأمر من أجلي أنا، بل الرصاصة التي خربت مخططهم.

أجاب خورخي بابتسامة ماكرة:

- ومع ذلك، أظن أنني سأبقى قريبًا منك منذ هذه اللحظة.

علا صوت بعض النقاشات الأخرى، ولكن مينهو لم يسمح لها بأن تطول، وألح على ضرورة النوم إذا كانوا ينوون التحرك في أثناء الليل، لم يتذمر توماس، لقد كانت كل ثانية تمر عليه تصيبه بالمزيد من الإعياء بينما يجلس في ذلك الهواء اللافح وعلى هذه الأرض الساخنة. ربما كان ذلك بسبب جسده الذي يتماثل للشفاء، وربما بسبب الحر فقط، في كلا الحالين كان بحاجة إلى النوم.

لم يكن لديهم أي أغطية أو وسائد، لذلك استلقى توماس على الأرض بالضبط في نفس موضع جلوسه، ووضع ذراعيه أسفل رأسه، بطريقة ما انتهى الحال ببرندا وهي نائمة إلى جواره، ولكنها لم تنبس ببنت شفة، وبالطبع لم تقدم على لمسه.

سحب نفسًا طويلًا وبطيئًا، وأغمض عينيه، ثم شعر ببعض الارتياح، وأحب ذاك الشعور المتناقل بالنعاس الذي بدأ بسحبه إلى نوم عميق، بدأت الأصوات من حوله تخفت شيئًا فشيئًا، أصبح الهواء الذي يحيط به ثقيلًا، ولفه شعور بالاسترخاء إلى أن غط في النوم.

كانت الشمس لا تزال تتلظى في قلب السماء عندما سمع صوتًا يتردد بداخل عقله حمله على أن يستيقظ. كان صوت فتاة؛ تيريسا.

بعد أيام وأيام من الصمت الرهيب، عادت تيريسا تتواصل معه بالتخاطر الذهني مجددًا، بشكل مفاجئ وبسيل من الكلمات:

- توم، لا تحاول حتى أن تجيبني، فقط استمع إليّ، هناك شيء فظيع سوف يحدث لك غدًا، شيء بشع، شيء بشع، سوف تتعرض للأذى وستشعر بالخوف، ولكن يجب عليك أن تثق بي، لا يهم ما سيحدث، ولا يهم ما ستراه، لا يهم ما ستسمع ولا يهم ما ستفكر فيه، عليك فقط أن تثق بي، لن يكون بإمكانني أن أتحدث معك.

توقفت لهنيهة، كان توماس مصدومًا يبذل جهدًا شاقًا ليفهم ما قالته، ويتأكد من ألا ينسى أي شيء، لم يتمكن من استيعاب أي شيء حتى راحت تتحدث مجددًا:

- يجب أن أذهب، لن أتكلم معك لبعض الوقت.

توقفت مرة أخرى ثم قالت:

- إلى أن نكون معاً من جديد.

جاهد بحثاً عن شيء ليقوله، ولكنه لم يعد يشعر بصوتها ووجودها.  
اختفت تاركة إياه فارغاً من جديد.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## الفصل الثالث والأربعون

استغرق توماس وقتًا طويلًا ليتمكن من النوم مرة أخرى.

كان أكيدًا من أنها تيريسا، دون أي شك، بالضبط مثلما كانا يتحدثان بعضهما إلى بعض من قبل، كان يشعر بوجودها، وأحس بمشاعرها، لقد كانت هنا، معه، حتى لو لم يدُم هذا إلا لوقت قصير. وعندما رحلت، بدا الأمر وكأنما قد امتلأ داخله بذلك الفضاء الشاسع من جديد، كأن سائلًا ثخينًا ولزجًا تسرب ببطء إلى داخله ليملأ هذا الفراغ في أثناء غيابها كل تلك الأيام، فقط لكي يغادره في لحظات عندما جاءت وذهبت هكذا، ليترك بداخله ذاك الشعور بالخواء مجددًا.

على أي حال، ما الذي كانت تعنيه بما قالته؟ شيء فظيع على وشك أن يحدث له، ولكن كل ما يحتاج إليه هو الوثوق بها؟ لم يكن قد استعاد كامل وعيه بما يكفي لكي يستنبط أي معنى وراء هذا. وعلى قدر ما بدا تحذيرها مروعًا، ظلت أفكاره تتحول إلى ذاك الجزء الأخير عندما قالت إنهما سيكونان معًا من جديد، هل كان ذلك مجرد خيط لأمل كاذب؟ أم أنه يعني أنها تعتقد أنه سوف ينجح في اجتياز هذا الشيء البشع ويصبح كل شيء على ما يرام؟ هل سيجتمعان معًا أخيرًا؟ تدافعت احتمالات لا نهائية بداخل عقله، ولكنها جميعًا كانت تصل إلى نهاية مأسوية عن الموت.

أخذت حرارة النهار تزداد اضطرارًا كلما تقلب في نومته تحت رطأة أفكاره الجامحة، لقد أصبح معتادًا تقريبًا غياب تيريسا، مما أصاب معدته بإعياء شديد، ومما يزيد الأمر سوءًا أنه بات يشعر بأنه خائن لأنه سمح لبرندا أن تصبح صديقتة، ولأن قربه منها يزداد بمرور الوقت.

والشيء السخيف في الأمر أيضًا أن أول شيء شعر به هو رغبته في أن يوقظ برندا ليحكي لها عن الأمر، هل ذلك شيء خاطئ؟ شعر بارتباك شديد وبأنه غبي وأراد فقط أن يصرخ، يا لها من أشياء عظيمة بالنسبة إلى شخص يحاول أن ينام في هذا النهار القاتظ!

كانت الشمس قد قاربت على المغيب عندما تمكن أخيرًا من النوم.

شعر بقليل من التحسن عندما هزه نيو ت لكى يوقظه في الليل، إذ بدت زيارة تيريسا القصيرة إلى عقله الآن وكأنها حلم، وأصبح بإمكانه أن يصدق أنها لم تحدث قط.

سأله نيو ت:

- هل نمت جيدًا يا تومي؟ كيف حال هذه الكتف؟

نهض توماس وأخذ يفرك عينيه، وعلى الرغم من أنه لم ينام أكثر من ثلاث أو أربع ساعات، فإنه نام نومًا عميقًا وهادئًا، ذلك كتفه بيده لكي يختبر حالتها وكانت النتيجة مفاجئة له بحق، قال لنيو ت:

- إنها تبدو في خير حال حقًا، تؤلمني ولكن ليس كثيرًا، لا أصدق إنني كنت أتألم بهذا الشكل البشع من قبل.

نظر نيو ت باتجاه بقية أفراد الجلاد المنهمكين في الاستعداد للتحرك، ثم إلى توماس مجددًا، وقال:

- يبدو أننا لم نحظ بفرصة لتحدث منذ غادرنا ذلك المهجع اللعين، على الأرجح لا نملك وقتًا للجلوس واحتساء كوب من الشاي.

- أجل.

لسبب ما جعل ذلك توماس يفكر في تشاك، فشعر بألم موته يتدافع إلى داخله مجددًا، مما جعله يزداد غضبًا على الذين تسببوا في كل ذلك من البداية، خطر في ذهنه شيء كانت تيريسا قد قالته من قبل: "إنني لا أرى أي شيء يدل على أن وكِد تسعى للخير". سأله نيو ت:

- أين ذهبت؟



- هل تذكر ما كُتِبَ على ذراع تيريسا عندما استعادت وعيها أول مرة؟ هل لديك فكرة عن ذلك أصلًا؟ كان مكتوب: وِكد تسعى للخير. إنني فقط لا يمكنني تصديق ذلك.

كان صوته يحمل قدرًا واضحًا من السخرية.

قال نيوت وعلى وجهه ابتسامة غريبة:

- في الحقيقة لقد قاموا للتو بإنقاذ حياتك البائسة.

- أجل، إنهم قديسون حقًا.

لم يستطع توماس أن ينكر أنه كان مشوشًا، فقد أنقذوا حياته بالفعل، كان يدرك أيضًا أنه عمِلَ لديهم، ولكن ما معنى كل ذلك؟ هذا ما لا يملك أدنى فكرة عنه.

نهضت برندا لتوها أخيرًا بعدما كانت تتقلب طوال نومها، وأطلقت تثاؤبًا عميقًا، وقالت:

- صباح الخير، أو مساء الخير، لا يهم.

أجابها توماس:

- يوم آخر على قيد الحياة.

ثم أدرك أن نيوت ربما ليس لديه أي فكرة عن تكون برندا، ولم يكن لديه فكرة حقًا عما حدث للمجموعة مذ أُصيب بالطلق الناري، وقال:

- على الأرجح كان لديكما وقت لتتعرفا على بعضكما أيها الرفاق. لو لا، إذن برندا، هذا نيوت، نيوت، هذه برندا.

تقدم نيوت وصافح يدها بحركة ساخرة، وقال:

- أجل، نعرف بعضنا بالفعل. ولكن شكرًا لك مرة أخرى لأنك ساعدت هذا الأبله اللعين ألا يُقتل، بينما كنتم تحتفلان بالخارج أنتم الاثنان.

ظهر شبح ابتسامة على وجه برندا، وقالت:

- نحتفل، أجل، إن الجزء الأحب إليّ بالأخص عندما طاردنا بعض الأشخاص الذين أرادوا نزع أنوفنا عن وجوهنا.

اكتسى وجهها بنظرة ما، كانت تحمل شيئاً من الإحراج واليأس في آن،  
استدركت:

- أغلب الظن أنني لن أستغرق وقتاً طويلاً قبل أن أصبح واحدة من أولئك  
المختلين.

لم يدر توماس كيف يرد على ما قالتها، ولكنه قال:

- على الأرجح أنك لست قريبة إلى ذلك أكثر منّا، تذكرني أن...

قاطعتها برندا قبل أن ينهي جملته:

- أجل، أعلم ذلك، أنكم أيها الرفاق ستأخذونني إلى العقار السحري، أعلم  
ذلك.

سارت مبتعدة بعدما قالت ذلك، من الواضح أن المحادثة قد انتهت. نظر  
توماس إلى نيوت الذي أجاب بهزة من كتفيه، بعد ذلك، وما إن جثا على  
ركبتيه لكي يستعد للنهوض، مال إلى توماس وهمس إليه:

- أهي صديقتك الجديدة؟ سوف أخبر تيريسا.

ضحك مع نفسه ثم ذهب. ظل توماس جالساً في مكانه لدقيقة، شعر  
بأن كل شيء يثقله، تيريسا، برندا، أصدقاؤه، التحذير الذي تلقاه، فيروس  
الوهج، وحقيقة أن أمامهم فقط أياماً قليلة لكي يعبروا تلك الجبال، ووكيد، وما  
ينتظرهم عند الملاذ الآمن وما ينتظرهم في المستقبل.

هذا كثير، هذا كثير بشكل لا يُحتمل.

كان عليه أن يكف عن التفكير، كان جائعاً، وهذا شيء يمكن حله، وهكذا  
نهض وذهب لبحث عن شيء ليأكله، ولم يخيب السيد طاسة آماله.

\*\*\*

انطلقوا في طريقهم ما إن هبطت الشمس إلى مكنها، واصطبغت الأرض  
المتأججة بأولى خيوط الليل.

أصبحت الجبال لنواظرهم ككتل عملاقة متعرجة كالظلال، تزداد ضخامة  
وارتفاعاً كلما اقتربوا منها. أخذ الوادي المنبسط في الامتداد نحو الأمام إلى  
أن استحالت الأرض إلى منحدرات زلقة شديدة الانحدار، يكسوها جميعاً اللون

البنّي والقبح وأمارات الجذب وجفاف الحياة. تمنى توماس أن يتضح لهم طريق نافذ ما إن ينجحوا في قطع كل تلك المسافة.

لم يتكلموا كثيرًا عبر الطريق الطويل، ظلت برندا على مقربة منه لكنها التزمت الهدوء، ولم تتكلم حتى مع خورخي. كره توماس الوضع الذي آلت إليه الأمور، وكيف ساءت الأمور بينه وبينها بهذا الشكل، لقد أُعجب بها، ربما أكثر مما أُعجب بأي أحد آخر إلى الآن بعد مينهو ونيوت، وتيريسا بالطبع.

اقترب منه نيوت بعدما حل الظلام، وتولى القمر والنجوم مهمة إرشادهم، ضوءهم يفي بالغرض، إذ إنك لن تحتاج إلى أكثر من ذلك عندما تكون الأرض منبسطة وكل ما أنت بحاجة إليه هو أن تحث السير باتجاه حائط من الصخور يلوح في الأفق مباشرة أمام ناظريك، ليس هناك سوى صوت وقع أقدامهم وهي تحتك بالأرض الصلبة ليملاً الفراغ المحيط بهم.

تكلم نيوت:

- لقد كنت أفكر...

- فيم تفكر؟

لم يكن توماس يهتم في حقيقة الأمر، كان ممتنًا فقط لأنه وجد أحدًا يتحدث إليه ليتمكن من تجاهل الأفكار التي تثور في عقله.

- بشأن وكِد وتلك الأمور، لقد كسروا قوانينهم اللعينة من أجلك.

- كيف ذلك؟

- لقد قالوا إنه لا وجود للقواعد هنا، قالوا إن لدينا وقتًا محددًا من أجل الوصول إلى الملاذ الآمن للعين وهذا هو الأمر وما فيه، لا قواعد، الناس يموتون في كل اتجاه من حولنا، ثم نجدهم يظهرن فجأة من الجحيم في وحش طائر لكي ينقذوك من الموت، لا يبدو هذا منطقيًا (توقف قليلاً) لا أقول ذلك لأتذمر، إنني سعيد لأنك على قيد الحياة.

- أوه، شكرًا لك.

أدرك توماس أن ما قاله كان شيئًا مهمًا، ولكنه منهك لكي يفكر فيه الآن.

- بالإضافة إلى كل تلك اللوحات في المدينة، هذا غريب.

نظر توماس إلى نيوت، بالكاد يمكنه أن يرى وجه صديقه، وسأله محاولاً تحويل الحوار إلى مزحة، محاولاً تجاهل حقيقة أن تلك اللوحات لا بد وأنها شيء يستحق الالتفات إليه:

- ماذا؟ هل تشعر بالغيرة أم ماذا؟

ضحك نيوت، وقال:

- كلا أيها الأخرق، إنني فقط أتوق لمعرفة ما الذي يجري حقاً من حولنا، لماذا يحدث كل هذا حقاً؟

أوماً توماس، لم يكن بإمكانه أن يتفق معه أكثر.

- أجل، قالت المرأة إن قليلاً منا فقط من سيكونون جديرين بأن يكونوا مرشحين، وقد قالت بالفعل أنني المرشح الأفضل، وأنهم لم يرغبوا في أن أموت بسبب شيء لم يخططوا له، ولكنني حقاً لا أعلم ماذا يعني هذا برمته، لا بد وأن الأمر يتعلق بهذا الهراء عن أنماط المقتل.

تابعوا المسير لدقيقة أو اثنتين حتى تكلم نيوت مجدداً:

- لا يستحق ذلك أن نرهق عقولنا بشأنه، أظن ذلك، ما يفترض له أن يحدث سوف يحدث.

أوشك توماس أن يحكي له عما قالته تيريسا عندما تخاطرت معه، ولكنه شعر لسبب ما أنه يجب ألا يفعل.

التزم الصمت حتى سار نيوت مبتعداً في النهاية وأصبح توماس يسير وحده في الظلام مرة أخرى.

مرت ساعتان إلى أن أجرى محادثة جديدة، هذه المرة كانت مع مينهو، تبادلا بعض الكلمات، ولكنهما في مجمل الأمر لم يتكلما كثيراً، مجرد تمضية للوقت في إعادة طرح الأسئلة ذاتها التي أخذت تدور في أذهانهم لملايين المرات.

كانت ساقا توماس متعبتين بعض الشيء، ولكنهما لم تكونا تؤلمانهما كثيراً، وقد أصبحت الجبال أقرب من أي وقت مضى، والهواء بارد بقدر ملحوظ وكان ذلك شيئاً مذهلاً. ظلت برندا بعيدة ملتزمة الصمت.

وهكذا مضوا إلى الأمام.

\*\*\*

عندما أرسل الفجر أول خيوطه واصطبغت السماء بزرقه داكنة، راحت النجوم تطفئ أضواءها تمهيداً لطلوع نهار اليوم الجديد، استجمع توماس شجاعته ليقترّب من برندا ويتجاذب معها أطراف الحديث حول أي شيء، أصبحت المنحدرات قريبة جداً الآن، واتضحت أمامهم الأشجار الميتة وقطع الصخور المحطّمة، سوف يبلغون سفح الجبال ما إن تتحرر الشمس من محبسها وتلوح في الأفق، كان توماس أكيداً من هذا.

قال محدثاً برندا:

- مرحباً، كيف حالك بعد كل هذا المسير؟

- بخير.

أجابته بأسلوب جاف، ولكنها أسرعرت تتكلم مجدداً، ربما لتحاول إخفاء

ذلك:

- ماذا عنك؟ تبدو كتفك بحال جيدة؟

- لا يمكنني أن أصدق كم تحسنت، لم تعد تؤلمني.

- هذا جيد.

- أجل.

قلّب رأسه بحثاً عن أي شيء يقوله:

- إذن، اممم، إنني آسف بشأن كل الأمور الغريبة التي حدثت، و... كل

شيء قلته، إن رأسي مشوش تماماً ويعج بفوضى جنونية.

وجّهت نظرها إليه، وتمكن أخيراً من أن يلمح شيئاً من اللين في عينيها،

وقالت:

- أرجوك يا توماس، إن آخر شيء عليك فعله هو أن تعتذر (أشاحت

بنظرها مجدداً إلى الأمام) إننا فقط مختلفان، بالإضافة إلى أن لديك

حبيبتك تلك، لم يكن ينبغي أن أحاول تقبيلك وكل تلك الأشياء السخيفة.

- إنها ليست حبيبتي بالضبط.

ندم على قول ذلك بمجرد خروجه من فمه، لم يكن يعلم حتى من أين خرج

ذلك الكلام.

زفرت برندا بانفعال، وقالت:

- لا تكن غيبياً، وإياك أن تسخر مني، لو كنت تنوي أن ترفض هذا (توقفت ولوحت بيديها بإشارة إلى نفسها بدءاً من رأسها وحتى أخصص قدميها) فسيكون أفضل لو كان لسبب جيد.

ضحك توماس، وقد تبخر كل التوتر والحرص الذي شعر بهما، وقال:

- وصلت الرسالة، على الأرجح أنك لا تجيدين التقبيل على كل حال.

قامت بلكم ذراعه، لحسن الحظ كانت الذراع السليمة، وقالت:

- لا يمكنك أن تكون خاطئاً أكثر من ذلك، ثق بما أقوله لك.

أوشك توماس أن يقول شيئاً غيبياً قبل أن يتصلب في مكانه كالصخر، إذ ظهر أحدهم فجأة كأنما مر من خلفه ومن جانبه بسرعة هائلة كالطيف، اتسعت عيناه وهو ينظر أمامه وقد توقف قلبه عن الخفقان.

كان الضوء قد أنار السماء بقدر معقول، وأصبح بينهم وبين الطريق المؤدي إلى المنحدر الجبلي مسافة مئات قليلة من الأقدام فقط، وفي منتصف المسافة بينه وبين هناك، ظهرت فتاة وكأنها قد بانّت من العدم أو خرجت من شق في الأرض، وبدأت في التحرك نحوهما بخطوات حثيثة.

كانت تحمل في يديها رمحاً خشبياً طويلاً ينتهي بنصل كبير وحاد.

لقد كانت تيريسا.

## الفصل الرابع والأربعون

لم يدرك توماس كيف عليه أن يشعر حيال ما رآه بالضبط، لم يشعر بأنه تفاجأ أو بأنه سعيد لأن تيريسا على قيد الحياة، إذ إنه كان يعرف ذلك بالفعل، فقد تخاطرت معه في اليوم الماضي، ولكنه كان سعيدًا لرؤيتها أمام عينيه إلى أن تذكر تحذيرها له بأن شيئًا سيئًا سوف يحدث له، وإلى أن أدرك أنها كانت تحمل رمحًا حادًا.

لاحظ بقية فتیان الجلايد وجودها بمجرد أن فعل توماس، وما لبث الجميع أن توقفوا لينظروا إلى تيريسا بينما تسير نحوهم بملامح صلبة كالحجر والرمح بيدها، بدا عليها أنها على أهبة الاستعداد لكي تطعن أول شيء يُقدم على الحركة.

خطا توماس نحوها، دون أن يعرف ما الذي ينوي فعله، ولكنه توقف فجأة عند حدوث حركة مفاجئة.

ظهر المزيد من الفتيات على كلا جانبي تيريسا، وبدا أنهن قد ظهرن من العدم أيضًا، التفت توماس لينظر خلفه ليجد أنهم كانوا محاطين بعشرين فتاة على الأقل، جميعهن يحملن الأسلحة، ما بين السكاكين والخناجر الحادة والسيوف الصدئة، والعديد كنَّ يحملن أقواسًا وأسهمًا مصوَّبة باتجاه فتیان الجلايد. امتلأ قلب توماس بخوف شل حركته، بغض النظر عما قالت تيريسا عن أن شيئًا بشعًا سوف يحدث، فمن الأكيد أنها لن تسمح لأولئك الناس بإيذائهم، أليس كذلك؟

قفزت فكرة المجموعة (ب) إلى عقله، وتذكر وشمه الذي يتنبأ بأنه سوف يُقتل.

خرج عن شروده عندما توقفت تيريسا على بعد نحو ثلاثين قدمًا من المجموعة وفعلت زميلاتها الشيء نفسه حتى أحطن بفتيان الجلاید في دائرة، دار توماس حول نفسه مجددًا ليلقي نظرة على ما يحدث.

توقفت الزائرات الجدد جميعًا في تحفز، يمسكن بأسلحتهن أمامهن وهن على أهبة الاستعداد، كانت الأقواس هي أكثر ما يخيفه، فلن يكون لديه هو أو أي من فتیان الجلاید أي فرصة قبل أن تحلق تلك الأسهم في الهواء وتجد مسكنًا لها بداخل صدر أحدهم.

توقف توماس في مواجهة تيريسا، كانت عيناها مثبتتين عليه، وكان مينهو أول من تكلم قائلًا:

- ما خطب تيريسا بحق الجحيم؟ يا لها من طريقة جيدة لتحيا بها أصدقاءها الذين لم ترهم منذ زمن طويل!

ما إن ذكر اسم تيريسا حتى استدارت برندا وحدثت توماس بنظرة صارمة، أومأ لها إيماءة خفيفة بدوره، ولسبب ما جعلته النظرة التي اكتسى بها وجهها يشعر بالحزن.

لم تجب تيريسا عن السؤال، وعم صمت مبالغت بين أفراد المجموعة. تابعت الشمس رحلتها إلى منتصف السماء، متجهة إلى النقطة التي ستمكن أشعتها الحارقة من ضربهم في الأسفل بلا رحمة.

حُثت تيريسا السير باتجاههم مرة أخرى إلى أن توقفت على بعد نحو عشرة أقدام من حيث يقف كل من مينهو ونيوت جنبًا إلى جنب.

سألها نيوت:

- تيريسا؟ بحق الجحيم ما الذي...

قالت تيريسا:

- اخرس.

لم تصرخ أو تصيح به بصوت عالٍ، بل قالتها بهدوء وثبات تام، مما جعلها تبدو مخيفة بالنسبة إلى توماس. استدركت قائلة:

- إذا أقدم أي منكم على أي حركة، سوف تبدأ الأقواس في رمي السهام.



عدلت تيريسا رمحها إلى وضع أكثر استعدادًا للقتال، وأخذت تحركه إلى الأمام وإلى الخلف بينما خطت إلى حيث يقف مينهو ونيوت ومرت من بين أفراد الجلاید الآخرين، كأنها تبحث عن شيء ما، ووصلت إلى حيث تقف برندا ثم توقفت، لم تنبس أيّ منهما ببنت شفة، ولكن الضغينة التي تحملانها تجاه بعضهما كانت جلية الواضح، تخطتها تيريسا دون أن تبدل نظرتها الباردة كالجليد، وهكذا إلى أن توقفت أمام توماس، حاول أن يقنع نفسه أنها لن تقدم أبدًا على استخدام هذا السلاح ضده هو، ولكنه لم يتمكن من أن يصدق ذلك أمام نصل الرمح الحاد المصوّب نحوه.

همس رغماً عن إرادته:

- تيريسا...

وعلى الرغم من الرمح، وعلى الرغم من النظرة القاسية التي يكتسي بها وجهها، وعلى الرغم من الطريقة التي تشنجت بها عضلاتها كأنها توشك على غرس رمحها بداخل قلبه، كل ما أراده هو أن يقترب منها، لم يستطع إلا أن يتذكر قبلتها له وكيف شعر بها.

لم تتحرك، استمرت فقط في التحديق إليه، لا يبدو أي شيء على وجهها عدا الغضب الجلي، تكلم قائلاً:

- تيريسا، ما الذي...

- اخرس.

اللهجة الأمرة الهادئة ذاتها. لم تكن تبدو تيريسا الحقيقية.

- ولكن ماذا...

رجعت تيريسا خطوة للوراء ثم هوت بمؤخرة رمحها على توماس وغرسته بقوة في خده الأيمن، انفجر ألم فظيع في عظام جمجمته ورقبته لدرجة جعلته يركع على ركبتيه، واضعاً يده على وجهه في موضع ضربتها.

انحنى إلى الأسفل وجذبتة من قميصه وشدته إلى الأعلى حتى استقامت ووقفته مجدداً، وقالت:

- لقد أمرتك أن تخرس.

أعدت الرمح إلى وضعيته السابقة على كتفها ووجّهته نحوه، وسألت:

- هل اسمك توماس؟

نظر إليها بعينين متسعيتين وفاه فاغر وقد أحس وكأن العالم ينهار فوق رأسه، حتى على الرغم من أنه قال لنفسه إنه سبق أن حذرته، قالت له إنه مهما يحصل عليه أن يثق بها، فقد قال:

- أنت تعلمين من أنا...

هذه المرة هوت ضربة الرمح بعنف أشد إذ سحقت جانب رأسه بمؤخرة رمحها، فشعر على إثر الضربة بضعفي ألم الأولى، صرخ متألمًا وهو يقبض بكتا يديه على رأسه، ولكنه لم يسقط أرضًا هذه المرة وصرخ بها بصوت عالٍ:

- أنت تعرفين من أنا!

- كنت أعرفك في الماضي، على أي حال.

كان صوتها يحمل مزيجًا من الهدوء والتقزز. استدركت:

- والآن سوف أسألك للمرة الثانية، هل اسمك هو توماس؟

صاح بها:

- نعم! اسمي توماس!

أومأت تيريسا وخطت إلى الوراء مبتعدة عنه، ولا يزال نصل رمحها موجَّهًا إلى صدره. انفض الجميع من طريقها كلما اقتربت منهم وهي تمر من بين المجموعة لكي تنضم مجددًا إلى حلقة الفتيات التي تحيط بهم.

أعلنت بصوت عالٍ:

- توماس، أنت أت معنا، فلتستعد... وتذكر، إذا أقدم أي أحد على فعل أي شيء، فسيتلقى سهمًا في منتصف صدره.

صاح مينهو:

- في أحلامك، لن تأخذنه إلى أي مكان!

تصرفت تيريسا وكأنها لم تسمعه، وحوَّلت عينيها إلى توماس بتلك النظرة المحدقة بصرامة وكأن عينيها نصف مغمضتين، وقالت:

- هذه ليست لعبة غبية، سوف أبدأ بالعد، كل مرة سأصل فيها إلى العشرة، سوف نقتل واحدًا منكم رميًا بالسهم، وسنعمل هذا حتى لا يتبقى سوى توماس، وسوف نأخذه على أي حال، كما تشاؤون.

لاحظ توماس لأول مرة أن آريس كان يتصرف بغرابة، إذ ظل الأخير واقفاً على مبعدة بضعة أقدام إلى يمين توماس ويدور دون توقف حول نفسه ببطء وهو يحدق إلى الفتيات واحدة تلو الأخرى كأنه يعرف كل واحدة منهن تمام المعرفة، ولكنه لسبب ما لم ينطق بكلمة واحدة.

قال توماس في نفسه: بالطبع، فلو أن هؤلاء الفتيات هن المجموعة (ب) حقاً، فلقد كان آريس معهن، وبالتالي يعرفهن بكل تأكيد.

صاحت تيريسا:

- واحدا!

لم ينتظر توماس للحظة واحدة وتقدم بأولى خطواته إلى الأمام مروراً بالآخرين ووصولاً إلى فتحة الدائرة، ومن ثم اتجه مباشرة باتجاه تيريسا، تجاهل كل ما يقوله مينهو والآخرين، تجاهل كل شيء. أبقى عينيه على تيريسا محاولاً رسم تعابير جامدة على ملامحه، وسار إلى أن وقف أنفاً إلى أنف أمام تيريسا.

كان هذا ما يرغب فيه على كل حال، أليس كذلك؟ كان يرغب في أن يكون معها، حتى لو انقلبت عليه بطريقة ما، حتى لو تلاعبت وكبد بدماغها، مثلما حدث مع ألبى وجالي. كل ما استطاع التفكير فيه هو أنهم محوا ذاكرتها من جديد، لا يهم ذلك، فقد بدا عليها أنها جادة فيما تهدد به، ولم يكن بإمكان توماس أن يخاطر بحياة أحد أصدقائه بأن يُقتل رمياً بالسهام، قال أخيراً:

- حسناً، هأنذا.

- لقد عدت إلى واحد فقط.

- أجل، إنني شجاع إلى هذه الدرجة حقاً.

هوت عليه بالرمح في ضربة عنيفة فهوى إلى الأرض مرة أخرى، ألمه فكه ورأسه كالجمر المتأجج، وبصق فوجد الدماء تختلط بتراب الأرض.

أتى صوت تيريسا من الأعلى:

- أحضرن الكيس.

تحركت نحوه فتاتان، وقد اختفت أسلحتهما في مكان ما، تحمل إحدهما في يدها - كانت فتاة سمراء البشرة بشعر قصير - كيساً مهترئاً من الخيش،

وتوقفت كلتاها على بعد قدمين منه، نهض توماس مرتعباً من أن يأتي بأي فعل قد يعاقب عليه بأن يُسَحَق مرة أخرى.

صاحت تيريسا:

- نحن سنأخذه معنا، إذا فكر أحدكم أن يتبعنا سوف نستمر في ضربه مجدداً وسنرميكم بالسهام، وفي الحقيقة لن نزعج أنفسنا بالتصويب، فقط سنطلق السهام لتحلّق في الهواء كيفما شاءت.

أتى صوت مينهو قائلاً:

- تيريسا، هل أصببت بفيروس الوهج بهذه السرعة؟ من الواضح أنك فقدت عقلك بالفعل.

نزلت مؤخرة الرمح محطّمة رأس توماس من الخلف فانهار على الأرض على وجهه، شعر أنه يرى نجومًا تسبح في الطين الذي كان بينه وبين وجهه إنشآت قليلة، كيف أمكنها أن تفعل ذلك به؟

سألتهم تيريسا:

- هل لديكم شيء آخر تودون قوله؟

بعد بضع ثوانٍ من الصمت قالت:

- حسنًا، هكذا ظننت، ضغنَ الكيس على رأسه.

جذبت بعض الأيدي بعنف من كتفيه، انغrust قبضاتهن في كتفه المجروحة بقوة حتى شعر بالألم يتدفق في بدنه بأكمله لأول مرة مذ عالجتة وكبد.

أنّ متألّمًا، نظر إلى وجه الفتاتين اللتين حملتاه على النهوض، لم يبد على وجهيهما الغضب حتى، غطّت رأسه مباشرة بكيس الخيش. قالت له الفتاة السمراء وحبيبات العرق تلتمع على وجهها:

- لا تقاوم، وإلا سيزداد الأمر سوءًا.

أصابت تلك الفتاة توماس بالحيرة، لقد حملت عيناها ونبرة صوتها شفقة صادقة من أجله، ولكن أتت كلماتها التالية على نحو مغاير كليًا، قالت:

- سيكون من الأفضل أن تسير بهدوء وتدعنا نقتلك، لن تنفعك المقاومة بأي شيء إلا المزيد من الألم على طول الطريق.

انزلق الكيس على رأسه وكل ما أصبح بإمكانه رؤيته هو ضوء قاتم كئيب.

## الفصل الخامس والأربعون

أخذن يقلبنه على الأرض إلى أن دخل جسده بالكامل إلى داخل الكيس، ثم ربطن نهاية الكيس عند قدميه بحبل وعقدنه عقدة محكمة ثم لَفَّنَه نهايتي الحبل على الكيس من حوله إلى أن قيده كلياً بداخل الكيس، وربطن عقدة أخرى أعلى رأسه مباشرة.

شعر توماس بالكيس يضغط عليه أكثر، ومن ثم ارتفع رأسه إلى الأعلى، فتخيل الفتيات وهن يحملنه من كلتا النهايتين لذلك الحبل الطويل إلى ما لا نهاية، وهذا يعني شيئاً واحداً وهو أنهن سوف يجدرنه جراً، لم يستطع تحمل ذلك أكثر، أخذ يتلوى على الرغم من علمه بما سوف يلقى جراء ذلك، صاح قائلاً:

- تيريسا! لا تفعلي ذلك بي!

هذه المرة تلقى لكمة في منتصف بطنه جعلته يشعر أن روحه تُسحب من جسده، حاول أن ينكمش على نفسه، أن يتشبث بخصره، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب الكيس اللعين، أصابته نوبة من الغثيان حاول أن يناومها وألا يتقيأ الطعام الذي في معدته.

قالت تيريسا:

- بما أنه من الواضح أنك لا تكترث لما يحدث لك، تكلم مرة ثانية وسوف

نبدأ في رمي أصدقاتك بالسهام، هل تعجبك هذه الفكرة؟

لم ينطق وكتم نحيباً معدباً في داخله، هل حقاً كان يفكر بالأمس فقط بأن كل شيء بدأ يتحسن من حوله؟ عولجت عدواه وتمائل جرحه للشفاء وقد بات

بعيدًا عن مدينة النزقين، ولم يكن بينه وبين الملاذ الآمن سوى جبل يجب أن يتسلقه بسرعة وبتبعض المشقة، كان عليه ألا يفكر بهذه السذاجة بعد كل ما خاض غماره.

صاحت تيريسا إلى فتیان الجلايد:

- إنني أعني ما قلت، لن يكون هناك تحذير، سترمّون بالسهام إذا تبعتمونا.

رأى توماس شبح هيئتها وهي تجثو على ركبتها بالقرب منه، وسمع صوت احتكاك ركبتها في التراب، ثم جذبته نحوها عبر الكيس وقربت رأسها إلى رأسه ليصبح بين فمها وأذنه بوصات قليلة، راحت تهمس إليه وحاول هو أن يبذل جهدًا وسط وهنه وألمه لكي يتمكن من سماعها ويركز لكي يلتقط كلماتها عبر الهواء. همست قائلة:

- إنهم يمنعونني من التحدث إليك عبر أدمغتنا، لا تنس أن تثق بي.

كان توماس مشدوفاً وحارب لكي يبقى فمه مقفلاً.

تكلمت إحدى الفتاتين اللتين تمسكان الحبل المربوط في الكيس:

- ما الذي تقولينه له؟

- أردته أن يعلم فقط كم أنني أستمتع بتعذيبه، وكم أنني أستمتع بأخذ انتقامي منه، هل لديك مانع؟

لم يشعر توماس بذلك التكبر في صوتها من قبل قط، لقد كانت إما ممثلة ماهرة أو أنها بدأت تفقد عقلها وأصيبت بانفصام في الشخصية.

أجابتها الفتاة الأخرى:

- حسنًا، سعيدة لأنك تستمتعين بهذا القدر، ولكن علينا أن نسرع.

قالت تيريسا:

- أعلم ذلك.

ثم أحكمت قبضتها على رأس توماس بشدة وأخذت تعصرها وتهزها، ثم ضغطت شفيتها بالقماش الخشن إلى أن التصقت بأذنه، عندما أحس توماس

بالهواء الساخن الناتج عن همسها في أذنه إذ مرت سخونة أنفاسها عبر كيس الخيش:

- ابق بالداخل، سوف ينتهي كل شيء قريبًا.

أصابت الكلمات دماغ توماس بالخدر فلم يتمكن من معرفة كيف وفيم يجب أن يفكر، هل كانت تسخر منه؟

أطلقت سراحه وانتصبت واقفة من جديد، وقالت:

- حسنًا، دعونا نغادر هذا المكان، تأكدن من رمي بعض الصخور بقدر ما تستطيعن على طول الطريق.

حدثن مختطفات توماس السير بينما يجررته جرًّا وراءهن، شعر باحتكاك جسده بالأرض الخشنة وهو يُجر عليها، وبالطبع لم يكن كيس الخيش الكبير هذا ليوفر له أي حماية، كان ذلك يؤلم حقًا. حاول أن يقوس ظهره ويركز كل وزنه على قدميه لكي يقع تأثير الاحتكاك الحارق على حذائه، لكنه يعلم أنه لن يحتمل لوقت طويل، ظلت تيريسا تسير إلى جانبه بينما يجررته طوال الطريق، تمكن من تمييز هيتها عبر ثقوب الخيش.

وفجأة بدأ مينهو في الصياح، ولكن صوته كان يصلهم خافتًا بفعل المسافة البعيدة، بالإضافة إلى صوت احتكاكه بالأرض الذي جعل من العسير عليه أن يسمع بوضوح، ولكن على الرغم من ذلك تمكنت أذنا توماس من التقاط صوته، مما بث في قلبه شيئًا من الأمل، سمع توماس من بين الصيحات المشوشة وغير الواضحة بضع كلمات مثل: «سوف نجدك» و«عندما يحين الوقت» و«الأسلحة».

ومن ثم هوت تيريسا بقبضتها على معدة توماس مرة أخرى لكي تخرس مينهو.

وهكذا تابعن المضي عبر الصحراء، وظل توماس يرتطم بالأرض ككومة ملابس قديمة.

أخذ يتخيل أمورًا مروعة طوال الطريق، يشعر بساقيه تزداد ضعفًا في كل ثانية، وأدرك أنه سيضطر إلى أن يستلقي بظهره على الأرض قريبًا، تخيل الجروح البالغة والندبات المستديمة التي سيصاب بها.

ولكن ربما لم يكن ذلك شيئاً ذا أهمية، إذ إنهن يخططن لقتله على كل حال. لقد أخبرته تيريسا أن يثق بها، وكان يحاول أن يصدقها، هل يمكن حقاً أن يكون كل شيء فعلته به منذ ظهورها مع تلك الأسلحة وفتيات المجموعة (ب) مجرد تمثيل؟ ولو لم يكن كذلك، لماذا إذن لا تنفك تهمس في أذنه بأن يثق بها؟

ظل عقله يدور في حلقات مفرغة إلى أن فقد تركيزه كلياً، شعر بأن جسده يتقرح وجلده يُسَلَخ، وأدرك حينها أن عليه إيجاد طريقة تساعد في أن يمنع كل بوضة من جلده من الاحتكاك بالأرض.

ومن ثم جاءت الجبال لتخلصه من عذابه.

عندما بدأ في صعود المنحدر الزلق، أصبح من الصعب على الفتيات أن يتابعن جر جسده على تلك الأرض شديدة الانبساط، حاولن بالفعل أن يسحبنه في حركات سريعة فما كان منهن إلا أن يتركنه لينزلق بضعة أقدام إلى الأسفل، ثم يرفعه عن الأرض ليتركنه ينزلق من جديد، وهكذا إلى أن قالت تيريسا أخيراً إنه ربما يكون من الأسهل عليهن لو حملنه من كتفيه وكعبيه، وسوف يتبادلن الأدوار خلال ذلك.

خطرت في ذهن توماس حينها فكرة أنه كان واضحاً جداً أن هناك شيئاً ما قد غفل عنه، قال عبر كيس الخيش خاصته:

- لم لا تدعني أسير فقط؟!

أتى صوته مكتوماً ومبحوحاً من العطش، استدرك:

- أعني، إنكن تحملن أسلحة، ما الذي سيمكنني فعله؟

ضربته تيريسا في جانبه، وقالت:

- احرص يا توماس، نحن لسنا غيبات، إننا ننتظر إلى أن نبتعد عن أنظار أصدقائك.

بذل جهداً مضنياً لكي يكتم تأوهاتة إثر قدمها التي سحقت قفصه الصدري، وقال:

- ماذا؟ لماذا؟

- لأن هذا ما أمرنا أن نفعله، والآن أبقِ فمك مقفلاً!



همست إليها إحدى الفتيات بلهجة حادة:

- لماذا أخبرته بهذا؟

أجابتها تيريسا دون حتى أن تحاول إخفاء ما قالت:

- وما يهم في ذلك؟ إننا سوف نقلته على أي حال، ما المشكلة لو عرف أن هذا ما أمرنا بفعله.

فكر توماس: هذا ما أمرن بفعله، ما أمرتهن ويكد بفعله.

خرجت فتاة أخرى عن صمتها، وقالت:

- حسناً، بالكاد أصبح بإمكانني رؤيتهم الآن، ما إن نبلغ ذاك الشق هناك بالأعلى لن يصبح بإمكانهم رؤيتنا على الإطلاق، ولن يتمكنوا أبداً من إيجادنا بعد هذه المسافة، هذا لو أنهم كانوا خلفنا بالفعل.

قالت تيريسا:

- حسناً إذن، دعونا فقط نحمله حتى نصل إلى هناك.

بعد ذلك حملت توماس الكثير من الأيدي من كل اتجاه ثم رفعه في الهواء، وما تمكن من رؤيته عبر ثقوب الكيس أن تيريسا كانت تحمله رفقة ثلاث فتيات أخريات من صديقاتها الجدد، شققن طريقهن عبر الصخور وحول الأشجار الميتة، التقطت أذناه صوت أنفاسهن الثقيلة، واستطاع أن يشم عرقهن، مع كل خطوة يهتز فيها كان يزداد بغضاً لهن، حتى تيريسا نفسها، حاول لمرّة أخيرة أن يتواصل معها عبر دماغها، لكي يستجديها بأن يثق بها، ولكنها لم تجب.

استمر المشي الطويل إلى أعلى الجبل نحو ساعة، وكانت الفتيات يتوقفن من حين إلى آخر لكي يتبادلن الأدوار في حمله، وقد حدث ذلك لمرتين تقريباً طوال كل تلك المسافة مذ ابتعدن عن أفراد الجلاید. بلغت الشمس ذروتها وتأججت نيرانها بشكل خانق لا يُحتمل، ولكنهن احتمين بعد ذلك خلف جدار عملاق حيث ارتفعت الأرض بعض الشيء مكونةً بعض الظلال، وكان الهواء اللطيف يُعدّ مكافأة.

قالت تيريسا:

- حسناً إذن، أنزلنه.

ودون مقدمات، فعلمن ما قالت له وتركنه يرتطم بالأرض في ضربة عنيفة، شعر بعضلاته تتشنج وأن قلبه ارتج بداخل صدره، وظل جاثيًا على الأرض يلهث من أجل الحصول على بعض الهواء بينما أخذن يحلن وثاقه، وما إن تمكن من التقاط أنفاسه، قمن بخلع الكيس عنه.

استرق النظر إلى الأعلى بحثًا عن تيريسا وصديقاتها، كل واحدة منهن تصوب سلاحها ناحيته مما بدا أمرًا سخيًا برمته.

استجمع بعضًا من شجاعته لم يعلم من أين، وقال:

- لا بد أنكن تبالغن في أمري كثيرًا أيها الرفاق، أنتن نحو عشرين فتاة تحملن السكاكين والخناجر، بينما أنا لا أملك شيئًا، إنكن تشعرنني أنني مميز حقًا.

تأهبت تيريسا لتضربه برمحتها، فصرخ توماس:

- مهلاً، انتظري!

رفع يديه إلى الأعلى في وضعية دفاعية، وتوقفت هي، استدرك:

- انظرن، لا أنوي فعل أي شيء، فقط خذنني إلى حيث نحن ذاهبون ومن ثم سأدعكن تقتلنني كولد مطيع، ليس لدي أي شيء لعين لأعيش من أجله على أي حال.

كان ينظر إلى تيريسا مباشرة وهو يقول ذلك، وحاول أن يعكس ما استطاع من الغضب في كلماته، إذ كان لا يزال يتشبث ببعض الأمل بأنه بطريقة ما سيتحول كل شيء لينتهي بطريقة منطقية، ولكن في كلا الحالين، وبعد الطريقة التي عومل بها، فإنه لم يعد متحمسًا لأي شيء بعد الآن.

قالت تيريسا:

- هيا بنا، لقد سئمت من هذا الأمر، فلندخل إلى بداية الطريق حتى يتسنى لنا النوم في أثناء النهار، وسوف نبدأ مسيرنا بحلول الليل.

تكلمت الفتاة السمراء التي ساعدت في إدخاله بداخل الكيس، وقالت:

- وماذا عن ذلك الفتى الذي نتجول به طوال ساعات؟

أجابتها تيريسا:

- لا تقلقي، سوف نقتله، سوف نقتله تمامًا بالطريقة التي أمرونا بها، هذا هو عقابه جراء ما فعله بي.

## الفصل السادس والأربعون

لم يفهم توماس ما تعنيه تيريسا بجملتها الأخيرة، ما الذي فعله بها؟ ولكن ما لبث ذهنه أن تشوش بينما تابعن السير دون توقف، وعلى الأرجح كُن في طريق العودة إلى معسكر المجموعة (ب). استمر تسلق الجبل دون توقف وشعر توماس أن ساقيه تحترقان ألمًا، استظلوا بظل الجرف شديد الانحدار في أثناء تسلقهم، ولكن ظل كل شيء يحيط بهم ذابلًا وقاحلًا ويتأجج كالجمر، كل شيء جاف يغطيه التراب. منحته الفتيات بضع رشفات قليلة من الماء، ولكنه كان واثقًا من أن كل قطرة قد تبخرت قبل حتى أن تصل إلى معدته.

ساروا حتى بلغوا أهدودًا عميقًا باتجاه الشرق بالضبط عندما ارتقت شمس الظهرية وأصبحت فوق رؤوسهم مباشرة واستحالت إلى كرة نار ذهبية تكاد تحولهم إلى رماد. بلغ عمق الكهف الصغير نحو أربعين قدمًا في قلب الجبل، بدا واضحًا أن ذلك معسكرهم، وعلى الأرجح أنهم بقين هناك ليوم أو يومين، أعطية ملقاة في كل اتجاه، وبقايا نيران، وقد تكومت بعض القمامة في أحد الجوانب. لم يكن هناك سوى ثلاثة أشخاص لدى وصولهم، وكان فتيات مثلهن مثل البقية، وبدا الأمر وكأنهم كن بحاجة إلى الجميع تقريبًا من أجل الحصول على توماس. وتطلب منهن الأمر كل تلك السكاكين والخناجر، والأقواس والرماح؟ بدا الأمر سخيًا ومضحكًا، إذ إنه لم يكن يتطلب أكثر من بعض منهن فقط لإنجاز المهمة.

لقد عرف توماس بعض الأمور خلال هذا الطريق الطويل، فالفتاة السمراء مثلًا كانت تُدعى هاريت، وتلك التي في صحبتها طوال الوقت ذات الشعر

الأشقر المصبوغ ببعض الحمرة كانت تُدعى سونيا. وعلى الرغم من أنه لم يكن أكيدًا تمامًا، فقد ظن أن هاتين الاثنتين كانتا تتوليان قيادة الفريق حتى وصول تيريسا، إذ كانتا تتصرفان بشيء من المسؤولية، لكنهما لا تتصرفان دون الرجوع إلى تيريسا قبل كل شيء.

قالت تيريسا:

- حسنًا، فلنقيده بتلك الشجرة.

أشارت تيريسا إلى هيكل شجرة بيضاء كالعظام المتيبسة، لا تزال جذورها متشبثة بالتربة الصخرية على الرغم من أنها قد ماتت منذ سنوات وسنوات بكل تأكيد. تابعت تقول:

- ومن الممكن أيضًا أن نطعمه كيلا يستمر في النواح والأنين طوال النهار ولا نتمكن من النوم بسببه.

فكر توماس: إنها تبالغ كثيرًا، أليس كذلك؟ أيا كانت نياتها الحقيقية، فقد أخذت كلماتها منحى سخيًا بعض الشيء، ولم يعد بإمكانه أن ينكر ما يشعر به الآن، قد بدأ حقًا يكرهها، بغض النظر عن أي شيء مما قالته في البداية.

لم يقاومهن عندما أخذن يقيدنه بساق الشجرة ولم يقيدن يديه، وما إن أحكمن وثاقه وتأكدن من أنه جيد، أعطينه وجبة من الجرانولا وزجاجة ماء، لم يتحدث إليه أحد أو أولاه انتباهًا حتى. وإذا لم يكن مخطئًا في ظنه، فقد لاحظ على نحو غريب أنهم جميعًا يشعرون بالذنب بعض الشيء، راح يأكل وفي أثناء ذلك ظل يراقب كل شيء من حوله بحرص، أطلق لأفكاره العنان إلى أن بدأ الجميع في الاستعداد للنوم لما تبقى من النهار، كان هناك خطب ما في الأمر برمته.

لم يكن ما تفعله تيريسا محض تمثيل، لم يكن هكذا قط، هل يمكن أنها كانت تفعل عكس ما تخبره به عن عمد؟ أي أنها تريد أنه تجعله يثق بها في حين أن خطتها الحقيقية هي أن...

شلتها الصدمة حين تذكر البطاقة المعلقة على باب غرفتها في المهجع؛ الخائنة. كان قد نسي أمرها تمامًا إلى هذه اللحظة، وهكذا بدأت الأمور تتضح أمامه.

إن وِكد هي التي تدير الأمور في هذا المكان، وهي الأمل الوحيد في النجاة لكنتا المجموعتين. لو أنهم حقًا أمروها بقتله، هل كانت لتفعل ذلك؟ من أجل أن تنقذ نفسها؟ وما ذلك الذي قالته عن أنه فعل شيئًا بحقها؟ هل يتلاعبون بأفكارها وبعقلها لكي يجبروها أن تتوقف عن حبه؟

وكذلك الوشم على رقبتة واللوحات التي تملأ أرجاء المدينة، لقد كان الوشم يُعد تحذيرًا له، وقد أخبرته العلامات أنه هو القائد الحقيقي، والبطاقة بجانب غرفة تيريسا تحذير آخر أيضًا.

ولكن هذا لا يغير شيئًا ما دام لا يملك سلاحًا وهو مقيد إلى شجرة، ناهيك بأن فتيات المجموعة (ب) عشرون فتاة وكل واحدة منهن تحمل سلاحًا، يا للسهولة حقًا!

زفر لينفض كل هذه الأفكار عن رأسه، وقد أنهى طعامه وأصبح جسده في حال أفضل بعض الشيء، وعلى الرغم من أنه لم يكن يملك أي فكرة عن كيفية سير الأمور بعد ذلك، أصبح يشعر بما هو أقرب لليقين بأنه سيتمكن من فهم كل شيء قريبًا، ولم يتخلَّ عن ثقته في ذلك.

أخذت كل من هاريت وسونيا تعدان حقايب النوم بالقرب منه، وتسترقان النظر إليه بينما تستعدان للنوم، ومجددًا لاحظ توماس تلك التعبيرات الغريبة على وجهيهما، تعبيرات تنم عن الشعور بالذنب والعار، ورأى أن يحاول استغلال الفرصة للقتال من أجل حياته بالكلمات، سألهما بنبرة مَنْ يعرف أنهما تكذبان:

- أنتما لا تريدان قتلي حقًا، أليس كذلك؟ هل سبق وأن قتلت إحداكما أحدًا من قبل؟

حدجته هاريت بنظرة حادة وتوقفت مباشرة قبل أن تريح رأسها على الوسادة، وعدلت من نفسها مستندة إلى كوعها، وقالت له:

- بناء على ما قالته لنا تيريسا، فإننا قد هربنا من متهنتنا قبل أن تفعلوا أنتم بثلاثة أيام، وخسرنا عدة أشخاص خلال ذلك وقتلنا العديد من الهوام، لذا أظن أن قتل مراهق صغير تافه لن يكون بالشيء العسير.

قال وهو يأمل أن تتمكن فكرته من اختراق قلبيهما:

- فكَرًا في إحساس الذنب الذي ستشعران به.

- سنتمكن من التغلب على ذلك.

أخرجت لسانها له -أخرجت لسانها له بالفعل!- ثم وضعت رأسها على الوسادة وأغمضت عينيها.

بينما جلست سونيا مربعة ساقيها وبدت مؤرقة غير قادرة على النوم،  
وقالت:

- ليس لدينا خيار، وكِد قالوا لنا إن هذه هي مهمتنا الوحيدة، ولو أننا لم نفعل ذلك لن يسمحوا لنا بدخول الملاذ الآمن، وسينتهي بنا الحال ونحن أموات في هذه الأرض المحترقة.  
هز توماس كتفيه، وقال:

- حسنًا، إنني أتفهم ذلك، يمكنكن التضحية بي لكي تنقذن حياتكن، يا له من تصرف نبيل!

أخذت تحديق إليه لوقت طويل، مما اضطره إلى أن يحارب كيلا يبعد عينيه عن عينيها، وهكذا إلى أن أشاحت بنظرها بعيدًا واستلقت بعد أن ولته ظهرها.  
أتت تيريسا إليهما بوجه تبدو عليه أمارات الانزعاج، وقالت:

- عما تتكلمان أنتما الاثنان؟

دمدمت هاريت:

- لا شيء، قولي له أن يغلق فمه.

- أبقى فمك مقللاً.

أطلق توماس ضحكة ساخرة، وقال:

- ماذا ستفعلين لو لم أبقه مقللاً، هل ستقتلينني؟

لم تقل أي شيء، فقط ظلت تنظر إليه بوجه يخلو من أي تعبير. سألتها:

- ما الذي جعلك تكرهينني هكذا فجأة؟ ما الذي اقترفته بحقك؟

التفتت كل من سونيا وهاريت لتستمعا إلى الحوار، وأخذتا تنقلان نظريهما بين توماس وتيريسا.

قالت تيريسا أخيرًا:

- أنت تعرف ما فعلت، وكذلك كل الموجودين هنا يعرفن، لقد أخبرتهن جميعًا بكل شيء، ولكن وعلى الرغم من كل شيء، فإنني لم أهبط إلى مستواك وأقتلك، إننا سنفعل ذلك فقط لأنه ليس لدينا خيار آخر، آسفة، هكذا هي الحياة.

تساءل توماس عما إذا لمح شيئًا يلمع في عينيها حقًا، ما الذي تحاول إخباره به؟ قال:

- ما الذي تتحدثين بشأنه، ماذا يعني أن تهبطي إلى مستواي؟ إنني لم أقتل أحد أصدقائي لكي أنجو بحياتي قط، قط.  
- وكذلك أنا، ولهذا السبب أنا سعيدة لأننا لسنا أصدقاء.

قالت ذلك وأولته ظهرها استعدادًا للرحيل، فاستوقفها توماس بسرعة قائلاً:

- إذن قل لي ما الذي فعلته لك؟ آسفة، ولكنني أعاني فقدان الذاكرة، كما تعلمين، كما أن معظمنا يعاني نفس الأمر، ذكّرني بما حدث.  
التفتت إليه مرة أخرى وحدثت إليه بعينين يتطاير منهما الشرر، وقالت:  
- لا تسخر مني، إياك وأن تجرؤ على أن تجلس هكذا وتنتظر بأن شيئًا لم يحدث، والآن اخرس وإلا سأترك كدمة جديدة على وجهك الجميل هذا.

مضت مبتعدة، والتزم توماس الصمت، ظل يتقلب في مكانه حتى استراح في جلسته نوعًا ما، أسند رأسه إلى ساق الشجرة الميتة، لقد أصبح كل شيء يحدث معه محض هراء، ولكنه كان مصممًا على أن يحل الأمر وينجو بحياته مهما كلف الأمر.

تمكن من النوم في نهاية المطاف.





## الفصل السابع والأربعون

نام توماس نومًا متقطعًا استمر لبضع ساعات أخذ يتقلب خلالها محاولًا أن يجد وضعية مريحة على الأرض الصخرية القاحلة، إلى أن تمكن أخيرًا من النوم العميق، ورأى حلمًا جديدًا:

توماس في الخامسة عشرة من عمره، لا يعلم كيف عرف ذلك، وكيف له أن يدرك زمن حدوث الذكرى، هل ما يراه ذكرى حقًا؟

يقفان هو وتيريسا أمام صف عملاق من الشاشات، تعرض كل شاشة صورًا متعددة من الجلايد والمتاهة، كانت مشاهد حية تتحرك، وهو يعرف السبب وراء ذلك، إذ إن تلك المقاطع تأتي عبر كاميرات الخنافس المعدنية التي أخذت تغير موقعها بين الحين والآخر، وعندما تفعل ذلك تبدو وكأنك تنظر عبر عيني جرد.

تكلمت تيريسا:

- لا يمكنني أن أصدق أنهم ماتوا جميعًا.

تظهر على توماس أمارات الارتباك وعدم الفهم، وها هو من جديد لا يملك فكرة عما يحدث، يشعر أنه بداخل هذا الفتى الذي يفترض أنه هو، ولكنه لا يدري شيئًا عما تتكلم عنه تيريسا، مؤكد أنها لا تقصد أفراد الجلايد بكلامها، إذ إنه يرى مينهو ونيوت على إحدى الشاشات وهما يسيران باتجاه الغابة، وعلى شاشة أخرى يظهر جالي جالسًا على أحد المقاعد، ثم ألبى وهو يصيح بأحد لم يتمكن توماس من التعرف عليه.

تكلّم أخيرًا ليجيب تيريسا، ولم يكن يعلم لم قال ذلك:

- كنا نعرف أن ذلك سيحدث.
- على الرغم من ذلك من الصعب تقبل الأمر، الكرة أصبحت في ملعبنا الآن، بالإضافة إلى الأشخاص الذين في الثكنات.
- لم ينظر أحدهما إلى الآخر وأخذا فقط يحلان ما يظهر على الشاشات.
- قال توماس:
- ممتاز.
- إنني أشعر تجاههم بالأسف بقدر ما أشعر تجاه أفراد الجلايد، تقريبًا.
- تساءل توماس عما يعنيه ذلك، بينما النسخة الأصغر سنًا من توماس تتنحى لتنقية حلقه، وقال:
- في اعتقادك هل درسنا الأمر بما يكفي؟ هل تعتقدن حقًا أننا قادرون على النجاح في ذلك بعد موت المؤسسين الأصليين؟
- علينا تحقيق ذلك يا توم.
- اقتربت منه تيريسا وأمسكت بيده، نظر بدوره إليها لكنه لم يفهم تعبيرات وجهها، وأكملت:
- إن كل شيء حيث ينبغي له أن يكون، لدينا عام مخصص لتدريب البدلاء والاستعداد جيدًا.
- ولكن هذا ليس صحيحًا، كيف يمكننا أن نطلب منهم أن...
- بدلت تيريسا نظرها في أنحاء الغرفة وشدت على يده بقوة ألمته، وقالت:
- إنهم يدركون ما هم مقبلون عليه، لا ينبغي أن نتكلم بهذا الشكل.
- أجل.
- أدرك توماس بطريقة ما أن الشخص الذي يشبهه في الرؤيا التي يراها كان يشعر بأنه ميت من الداخل، ليس لكلماته أي معنى. تابع قائلاً:
- إن كل ما يهم الآن هي الأنماط، وتجارب المقتل، ولا شيء غير ذلك.
- أومأت تيريسا مؤكدة، وقالت:

- لا يهم عدد الذين سيموتون أو يتألمون، فعلى كل حال، إن لم تنجح هذه التجارب سوف ينتهي بهم الحال بالنتيجة ذاتها، سينتهي الحال بنا جميعًا هكذا.

قال توماس:

- الأنماط هي ما يهم.

شدت تيريسا على يده، وقالت:

- الأنماط هي ما يهم.

\*\*\*

كانت الشمس قد اختبأت عندما استيقظ توماس، وعم الأرض ضوء رمادي خافت وباهت، ووجد هاريت وسونيا جالستين بالقرب منه، وقد أخذت كل منهما تحديق إليه بغرابة.

قال لهما بحماس مصطنع، إذ لا يزال اللحم المؤرق حاضرًا في ذهنه:

- طاب مساؤكما، هل يمكنني مساعدتكما يا أنسات؟

أسرعت هاريت تقول:

- نريد أن نعرف ما تعرفه.

تبخرت بقايا النعاس من عينيه بسرعة، وأجابها:

- وما الذي يجعلني أساعدكما في هذا؟

كان يريد أن يجلس مع نفسه ويفكر فيما رآه في أثناء حلمه، ولكنه أدرك أن هناك شيئًا ما قد تغير، بإمكانه أن يرى ذلك في عيني هاريت التي تحديق إليه، ولم يتمكن من تضييع الفرصة للنجاة بحياته.

قالت هاريت:

- لا أظن أن لديك خيارًا في هذا، ولكن لو شاركت معنا أي شيء تعرفه أو

اكتشفته، ربما حينها يمكننا مساعدتك.

نظر توماس من حوله بحثًا عن تيريسا لكنه لم يرها.

- أين...

قاطعته سونيا:

- قالت إنها تريد أن تستكشف المنطقة لتتأكد أن أصدقاءك لم يأتوا خلفنا، لقد ذهبت منذ نحو ساعة.

كان بإمكانه أن يرى تيريسا، ولكن في عقله من بقايا الحلم وهي تراقب تلك الشاشات وتتحدث عن المؤسسين الذين ماتوا والمقتل، وتتحدث عن الأنماط، كيف اجتمعت كل تلك الأشياء في عقله معًا؟

- هل فقدت القدرة على الكلام؟

انتبه ونظر إلى سونيا، وقال:

- كلا، أعني... هل هذا يعني أنكما تراجعان نفسيكما بشأن قتلي أيتها الرفيقتان؟

بدت له كلماته محض غباء، تساءل كم عدد الأشخاص في تاريخ العالم أجمع الذين سألوا سؤالًا مثل هذا.

ابتسمت هاريت ابتسامة ساخرة، وقالت:

- لا تتسرع في إصدار الاستنتاجات، وإياك أن تعتقد أننا قد نصبح أصدقاءك، يمكننا فقط أن نقول إن لدينا بعض الشكوك ونود التحدث بشأنها، ولكن الاحتمالات التي تفكر فيها واهية ولا وزن لها.

أدلت سونيا برأيها هي الأخرى:

- إن الشيء الأكثر ذكاءً في هذه اللحظة هو أن نفعل ما أمرنا أن نفعله، كما أننا نفوقك عددًا كثيرًا، أعني، فُكر جيدًا، لو أنك من سيتخذ هذا القرار، ماذا كنت لتفعل؟

- على الأغلب أنني لن أختار أن أقتل نفسي.

- لا تكن حمازًا، هذا ليس شيئًا مضحكًا، لو أن القرار بيدك، والخياران اللذان أمامك إما أن تموت أنت أو يموت كل منّا، أي واحد كنت لتختار؟ هذا الأمر كله يتلخص في إما أنت أو نحن.

بدا على وجهها أنها جادة للغاية، وقد وقع السؤال على توماس وقوع الصاعقة، لقد كانت محقة، إلى حد ما... لو أن ذلك سوف يحدث لهم حقًا—أن جميعهن سوف يمُتن لو لم يقتلن— فكيف إذن يتوقع منهن ألا يفعلن؟

قالت سونيا بإصرار:

- أَلن تجيبيني؟

- إنني أفكر.

توقف لهذهبة، ومسح بعض العرق عن جبهته. ومن جديد قفز الحلم إلى عقله فاضطر توماس إلى أن يزيحه عن رأسه، ثم قال:

- حسنًا، سأكون صادقًا فيما أقول، أعدكما، لو أنني كنت في مكانك، كنت سأختار ألا أقتلني.

أشاحت هاريت بنظرها في تملل، وقالت:

- من السهل قول ذلك عندما تكون حياتك على المحك.

- ليس الأمر هكذا، في اعتقادي أن هذا اختبار من نوع ما وربما ليس عليك حقًا أن تفعلنه.

أخذ قلب توماس يخفق بشدة، لقد كان يعني ما قاله حقًا، ولكنه يشك في أنهما ستصدقان شيئًا مما قاله، حتى لو حاول أن يشرح. استدرك:

- ربما يجب علينا أن نتشارك الأمور التي نعرفها ونحاول أن نفهم شيئًا. تبادلنا كل من هاريت وسونيا نظرة مطولة.

أومأت سونيا أخيرًا، وقالت هاريت:

- لقد كانت لدينا شكوكنا في هذا الأمر برمته منذ البداية، هناك خطب ما في الأمر، إذن نعم، من الأفضل أن تقول ما لديك، ولكن دعنا نحضر الجميع إلى هنا أولاً.

توقفت كلتاها لتناديا بقية الفتيات.

قال توماس بينما يتساءل عما إذا كانت حقًا أمامه فرصة في الخروج من هذه الورطة:

- أسرعن إذن، من الأفضل أن نفعل ذلك قبل أن تعود تيريسا.



## الفصل الثامن والأربعون

لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى حضر الجميع، شعر توماس بفضولهن كي يسمعن ما سيقوله الرجل الذي أصبح في عداد الأموات، وكان هذا يُعد دافعًا له أن يستمر. تجمعت الفتيات وجلسن بالقرب من بعضهن أمام توماس، بينما ظل مقيدًا في جذع الشجرة القبيحة الميتة.

قالت هاريت:

- ها نحن أولاء، أنت ستتكلم أولًا ومن ثم نحن.

أومأ توماس وتنحنح، ثم راح يتكلم على الرغم من أنه لم يكن قد رتب ما سيقوله على الإطلاق:

- كل ما أعرفه عن مجموعتكن يقتصر على ما أخبرني به أريس، مما يفيد بأننا جميعًا خضنا التجربة ذاتها إلى حد كبير بداخل المتاهة، ولكن العديد من الأمور قد تغيرت بعد هروبنا، وليس لدي فكرة عن المعلومات التي لديكن عن وِكد.

قالت سونيا:

- ليس الكثير.

تشجع توماس إثر ذلك، إذ جعله يشعر أن لديه ميزة عنهن، كما بدا له أن سونيا قد ارتكبت خطأ فادحًا لأنها صرّحت بما قالته. تابع حديثه:

- حسنًا، لقد عرفت الكثير عنهم، إننا جميعًا مميزون بطريقة ما، إننا نخضع لاختبار من نوع ما لأن لديهم خطأ بشأننا.

توقف قليلاً بعدما قال ذلك، ولكن لم يبد على إحداهن أي شيء، وهكذا تابع:

- هناك العديد من الأشياء غير المنطقية التي يفعلونها بنا، وهي جزء من تلك التجارب ليس إلا، وهذا ما تسميه وِكد بالعوائق، وهدفها رؤية كيفية استجاباتنا لمواقف وظروف معينة، وإنني لا أفهم أي شيء منها، ولا حتى بالقدر الضئيل، ولكنني أعتقد أن كل ما يتعلق بأمر قتلي مجرد جانب آخر من هذا، أو كذبة أخرى، إذن... إنني أعتقد أن هذا الأمر أحد تلك العوائق بهدف رؤية ما سيفعله كل واحد منا.

قالت هاريت:

- أي بمعنى آخر، أنت تريد منا أن نخاطر بحياتنا بناء على هذا الاستنتاج العبقري.

- ألا ترين ذلك؟ ليس هناك أي داعٍ لقتلي، ربما يكون ذلك اختبارًا لكنّ، لست أدري، ما أعرفه حقًا هو ما يمكنني مساعدتك به لو كنت على قيد الحياة، وليس وأنا ميت.

أجابته هاريت:

- يا للهول، إذن نحن نخضع لاختبار بهدف معرفة لو أننا نملك الجرأة الكافية لقتل قائد المجموعة المنافسة لنا، أليس هذا الهدف من الأمر برمته؟ رؤية أي المجموعتين ستنجح؟ التخلص من الضعفاء في سبيل بقاء الأقوى؟

هز توماس رأسه بإصرار، وقال موضحًا:

- إنني لم أكن القائد حتى، بل مينهو، كلا، فكري في الأمر، كيف لقتلي أن يبرهن على قوتك بأي شكل؟ إنني مجرد شخص عادي، بينما تملكن هذا الكم من الأسلحة، كيف لذلك أن يكون دليلًا على أي منّا هو الأقوى؟

قالت إحدى الفتيات من الخلف:

- إذن ما الغرض وراء ذلك؟

توقف توماس لينتقي كلماته بحرص شديد، وقال:



- في اعتقادي أن هذا اختبار لكي يروا ما إذا كنتن ستفكرن بأنفسكن، أو ستغيرن الخطط، أو أنكن ستتخذن قرارات عقلانية. وكلما زاد عددنا، أصبحت فرص نجاحنا في الوصول إلى الملاذ الآمن أقوى، فبالتالي ليس هناك أي نفع وراء قتلي، لن يعود بأي نفع على أي أحد، لقد أثبتُّن قوتكن بالفعل بنجاحكن في أسري، والآن عليكن أن تثبتن لهم أنهم لا يتحكمون بكن كالعميان.

توقف واستند بظهره إلى جذع الشجرة، لم يستطع عقله أن يفكر في أي شيء آخر، لقد ترك القرار لهن الآن، ولقد حاول بأقصى ما لديه.

قالت سونيا:

- إن هذا مثير للاهتمام، يبدو حقًا وكأنه شيء سيقوله شخص يستमित للحفاظ على حياته.

هز توماس كتفيه في استهجان، وقال:

- إنني حقًا أشعر أن هذه هي الحقيقة، إنني أعتقد أنكن لو قتلتنني، فقد فشلتن في الاختبار الحقيقي الذي وضعتن فيه وكِد.

قالت هاريت:

- أجل، أراهن على أنك تعتقد ذلك (نهضت واقفة) انظر، لكي نكون صادقات معك، لقد كنا نفكر بنفس الطريقة، ولكننا أردنا أن نرى ما ستقوله، سيحل الليل قريبًا، وإنني متأكدة من أن تيريسا ستعود في أي وقت، سوف نناقش الأمر عندما تعود.

قال توماس بسرعة، مخافة أن تيريسا لن يكون من السهل مساومتها:

- كلا! أعني، إنها تبدو أكثر من يتوق لقتلي.

قال ذلك على الرغم من أنه تمنى في قرارة نفسه ألا يكون صحيحًا، فبقدر السوء الذي تصرفت به معه، من الأكيد أن الأمر لن يصل لدرجة قتله. تابع توماس:

- أعتقد أنه يجب عليكن اتخاذ القرار أيتها الرفيقات.

قالت هاريت، وقد لاحت ابتسامة على وجهها:

- تمهل قليلاً، لو أننا قررنا ألا نقتلك، فلن تستطيع أن تفعل أي شيء  
حيال هذا بحق الجحيم، ولكن لو أننا...

توقفت هاريت واكتسى وجهها بنظرة غريبة، هل كانت قلقة من أنها قد  
قالت أشياء كثيرة؟ أضافت:

- سوف نحل الأمر.

حاول توماس إخفاء شعور الطمأنينة الذي ملأه، فلربما قد أرضى غرورهن  
بعض الشيء، ولكنه على الرغم من ذلك حاول كبح جماح آماله الواعدة.

راقب توماس الفتيات بينما يجمعن متعلقاتهن بداخل حقائب ظهر،  
تساءل توماس من أين حصلن على تلك الأشياء. تعالت أصوات الهمهمات  
والهمسات، بدا واضحاً أنهن يتناقشن فيما قاله لهن.

أخذت ظلمة الليل تشتد وتزيد، وأخيراً ظهرت تيريسا آتية من نفس  
الاتجاه الذي سلكوه من قبل في ذلك اليوم، وقد لاحظت على الفور أن هناك  
شيئاً مختلفاً، ربما من الطريقة التي أخذت جميع الفتيات يبدلن أنظارهن بها  
بينه وبين تيريسا.

سألت وعلى وجهها نفس النظرة القاسية منذ البارحة:

- ما الأمر؟

أجابتها هاريت:

- يجب أن نتكلم.

بدت على تيريسا أمارات عدم الفهم، ولكنها ذهبت مبتعدة إلى أقصى نهاية  
المعسكر إلى بقية المجموعة، وعلى الفور علت أصوات همسات النقاشات  
الحادة، ولكن توماس لم يتمكن من التقاط أي كلمة يقلنها، وتقلصت عضلات  
معدته عندما حاول توقع الحكم الذي ينتظره. استطاع أن يرى من حيث  
يقف أن المحادثة أخذت تزداد حدة، وبدت تيريسا تستشيط غضباً مثلها مثل  
الجميع، ظل يراقب تعابيرها وهي تزداد حدة وهي تحاول شرح شيء ما، وبدا  
أنها تقف وحدها ضد البقية، مما أغضب توماس كثيراً.

وأخيراً، وبعد أن ابتلع ظلام الليل كل شيء تقريباً، ولتهن تيريسا ظهرها  
وابتعدت عن جمع الفتيات بغضب وأخذت تمشي مبتعدة عن المعسكر متجهة

إلى الشمال، كانت تمسك برمحاها وتضعه على كتفها وحقيبة ظهر على الكتف الأخرى. تابعها توماس بعينيه إلى أن ابتلعها جدران الممر الجبلي الضيق. نظر مرة أخرى إلى المجموعة، وبدت على الكثير منهن علامات الارتياح، سارت هاريت باتجاهه ومن دون أن تنبس ببنت شفة جثت على ركبتها وراحت تفك وثاق الحبل الذي يقيدته في الشجرة.

سألها توماس أخيرًا:

- حسنًا إذن، هل اتخذتني أي قرار أيتها الرفيقات؟

انتظرت هاريت حتى انتهت من إطلاق سراحه، ثم جلست القرفصاء ونظرت إليه، كانت عيناها الداكنتان تعكسان ضوء القمر والنجوم الخافت، وأجابته:

- هذا يوم حظك، لقد قررنا ألا نقتلك في نهاية المطاف أيها الأخرق، مؤكد أن الأمر لم يكن بمحض الصدفة أننا جميعًا في قرارة أنفسنا كنا نفكر في نفس الأشياء.

لم يشعر توماس بدفعة الارتياح المتوقعة، إذ إنه أدرك في تلك اللحظة أنه كان يعلم طوال الوقت أن هذا هو ما كن سيقدرنه.

قالت هاريت وهي تنهض واقفة وتمد له يداً لتساعده على النهوض أيضًا: - ولكن أخبرك شيئًا؟ إن تيريسا لا تحبك، لم أكن لأثق بها مطلقًا لو كنت مكانك.

سمح توماس لهاريت أن تساعده على النهوض، نشبت معركة ما بين التشتت والألم للسيطرة عليه تمامًا.

كانت تيريسا تريد أن تقتله حقًا.



## الفصل التاسع والأربعون

ظل توماس هادئاً في أثناء ما كان يأكل مع فتيات المجموعة (ب) ويتجهز للمغادرة، وهكذا انطلقوا في طريقهم عبر الممرات الجبلية المظلمة، متجهين إلى الملاذ الآمن الذي من المفترض أنه ينتظرهم على الجانب الآخر.

بدا الأمر في غاية الغرابة، إذ أصبح فجأة ودوداً معهن بعد كل ما فعلنه معه، ولكنهن كن يتصرفن وكأنه لم يحدث أي شيء غير عادي، أصبحن يعاملنه بلطف، كأنه إحدى الفتيات.

ولكنه ظل بعيداً عنهن بعض الشيء بالفعل، محافظاً على مسافة كافية بينه وبينهن، ومتسائلاً لو كان بإمكانه حقاً أن يثق بهن ثقة كاملة بعد تغيير رأيهن في أمره، ما الذي يفترض به أن يفعله؟ حتى لو سمحت له هاريت والأخريات بأن يغادر، هل سيكون عليه حينها أن يبحث عن مجموعته وأصدقائه، مينهو ونيوت والجميع؟ أحس برغبة شديدة في أن يعود ليصبح مع أصدقائه وبرندا مرة أخرى، ولكنه كان يدرك أن الوقت ليس في صالحه، كما أنه لم يكن يملك طعاماً ولا ماءً ليتمكن من الذهاب بمفرده، تمنى أن يتمكنوا من الوصول إلى الملاذ الآمن.

وهكذا مضى في طريقه، وظل بالقرب من المجموعة (ب).

مرت نحو ساعتين لا يحيط به أي شيء غير المنحدرات الصخرية، ولا يسمع صوتاً يؤنسه غير صوت وقع أقدامه فوق التراب والصخور، غير أنه كان مسروراً لأنه يتحرك من جديد ويمدد ساقيه وعضلاته، كما أن الموعد النهائي يقترب بسرعة رهيبة، ومن ذا الذي يدري ما العقبة التالية التي ستظهر في طريقهم؟ أم أن لدى الفتيات خططاً أخرى من أجله؟ فكر مطولاً في الأحلام

التي رآها، ولكنه لا يزال غير قادر على تكوين صورة كاملة تمكّنه من فهم ما يحدث حقًا.

رجعت هاريت إلى الخلف حتى أصبح كلاهما يسير جنبًا إلى جنب.  
قالت له:

- آسفة لأننا جررناك عبر الصحراء في كيس.

لم يستطع توماس رؤية وجهها جيدًا وسط الضوء الخافت، ولكن تخيل ابتسامة تعتلي وجهها.

أدرك أن عليه أن يلعب دوره جيدًا بأن يتصرف ببعض الفكاهة والمرح، قال:  
- لا عليك، لا مشكلة، من الجيد أن يستريح المرء من عبء السير على قدميه لبعض الوقت.

لم يتمكن من الوثوق في الفتيات تمامًا إلى هذه اللحظة، ولكن لم يكن لديه خيارات أخرى.

ضحكت هاريت، خفف صوت ضحكتها من توتر أعصابه بعض الشيء،  
ثم قالت:

- أجل، حسنًا، لقد أعطانا رجل وِكد تعليمات محددة للغاية بشأنك، ولكن تيريسا كانت مهووسة بالفكرة، لقد كان قتلك فكرتها هي تقريبًا.

صُعق توماس لدى سماعه ذلك، ولكن الفرصة قد أُتيحت له ليعرف بعض الأشياء ولم يكن ينوي أن يضيّعها. قال:

- هل كان ذاك الرجل يرتدي بذلة بيضاء وله مظهر يوحي إليك وكأنه جرد في هيئة إنسان؟

أجابت دون تردد:

- أجل، أهو نفس الرجل الذي تحدث إليكم؟

أوماً توماس:

- وما هي تلك ال... التعليمات المحددة التي أعطاهها لكُنْ؟

- حسنًا، لقد كانت معظم رحلتنا عبر أنفاق تحت الأرض، لهذا السبب لم ترونا في الصحراء، أول شيء كان يُفترض بنا فعله كان ذاك الحديث الغريب الذي دار بينك وبين تيريسا بداخل ذلك المبنى في الجانب الجنوبي من المدينة، أتذكر ذلك؟

أحس توماس بأن الدنيا تدور من حوله، لقد كانت حينها مع مجموعتها؟

- آه، نعم، أذكر ذلك.

- حسنًا، على الأغلب لقد فهمت الأمر، ولكن كل ما حدث كان مجرد تمثيل، كانت تجهزك نوعًا ما لكي تمنحك أمانًا زائفًا، حتى إنها حكمت لنا أنهم تحكموا بها بطريقة ما... ولفترة طويلة بما يكفي لإجبارها على أن تُقبِّلك، هل هذا صحيح؟

توقف توماس عن السير وانحنى ووضع يديه على ركبتيه، شعر أن الهواء لم يعد يصل إلى رئتيه وكأنه انسحب من الجو فجأة، هكذا كان الأمر إذن، لقد استحال شكه إلى يقين تام لا تخالطه شائبة شك، لقد انقلبت تيريسا ضده، أو ربما لم تكن إلى جانبه قط.

قالت هاريت بلطف:

- أعلم أن هذا شيء فظيع، يبدو أنك اعتدت أن تشعر أنكما مقربان. نهض توماس واقفًا مجددًا وسحب ببطء نفسًا عميقًا إلى رئتيه، وقال:  
- إنني... فقط... كنت آمل أن الأمر كان على عكس ذلك تمامًا، وأنهم أجبروها على أن تؤذينا، وأنها بذلت جهدًا كبيرًا للخروج عن سيطرتهم فقط لكي... تقبِّلني.

ربت هاريت على ذراعه، وقالت:

- منذ اليوم الأول الذي انضمت فيه إلينا وهي تصنع منك وحشًا ارتكب أبشع الأشياء في حقها، ولكنها لم نخبرنا قط ما هي تلك الأشياء، ولكن يجب أن أقول لك إنك لست أي شيء مما وصفتك به، وعلى الأرجح هذا هو السبب الحقيقي وراء تغيير رأينا بشأنك.

أغمض توماس عينيه وحاول أن يهدئ قلبه، ثم استعد واستحث خطاه من جديد، وقال لهاريت:

- حسنًا، أخبريني بالباقي، أحتاج إلى سماع ذلك، أخبريني كل شيء.

خطت هاريت بالقرب منه، وقالت:

- كل الأشياء الأخرى تتعلق بتعليمات قتلك كانت عن طريق القبض عليك في الصحراء كما فعلنا وأن نحضرك إلى هنا، كذلك قالوا لنا أن نبقى بداخل الكيس إلى أن نبتعد عن أنظار المجموعة (أ)، ثم، حسنًا، ثم من المفترض أن يكون أهم يوم هو بعد غد، يُفترض أن يكون هناك بناء مشيد بداخل الجبل في الشمال، مكان بنوه خصيصي من أجل... قتلك.

أراد توماس أن يقف مرة أخرى، ولكنه تابع السير.

- بنوا مكانًا؟ ماذا يعني ذلك؟

- لا أدري، فقط أخبرنا ذاك الرجل أننا سنعرف ما سنفعله لاحقًا عندما

نصل إلى هناك (توقفت قليلاً، ثم أصدرت صوتًا بإصبعيها كأن شيئًا

خطر في ذهنها للتو) أراهن على أنها ذهبت إلى هناك قبل قليل.

- لماذا؟ هل نحن قرييون من الجانب الآخر؟

- في حقيقة الأمر، ليس لدي فكرة.

التزم كلاهما الصمت وتابعا المسير.

\*\*\*

استغرق الأمر وقتًا أكثر مما توقع، كانوا في منتصف الليلة الثانية من

السير عندما تعالت الصيحات من المقدمة معلنة أنهم قد بلغوا نهاية الممر

الجبلي، انطلق توماس، الذي كان في مؤخرة المجموعة طوال الوقت، وأخذ

يعود للحاق بهن، أراد بشدة أن يعرف ما الذي يوجد في الجانب الشمالي من

هذا المكان، بطريقة أو بأخرى أراد معرفة مصيره الذي ينتظره هناك.

تجمعت الفتيات في رقعة شاسعة تعج بالصخور التي هوت من الوادي

الضييق للممر قبل أن ينحدر إلى جرف شاهق ووعر إلى القاع وحتى سفح

الجبيل، أرسل القمر الأحذب ضوءه الخافت على الوادي من أمامهن، مما جعله

يبدو مصطبغًا بلون أرجواني كثيب، كان يبدو كسهلٍ منبسّط يمتد لأميال

وأميال دون أن يلوح أي شيء سوى أراضٍ متباعدة وجدباء.

لا شيء على الإطلاق.

لم تظهر أي علامة على أي شيء قد يكون ملاذًا آمنًا، في حين أنه من

المفترض أن يَكُنَّ على مقربة منه ببضعة أميال الآن.

- ربما لا يمكننا أن نراه فقط.

لم يعرف توماس من قالت ذلك، ولكنه كان يدرك أنهم جميعًا يفهمون جيدًا

لماذا قالت ذلك، إذ كانت تحاول التمسك بالأمل. أضافت هاريت وقد بدا عليها

الابتهاج:

- أجل، ربما يكون هناك مدخل آخر لأحد الأنفاق الأرضية، إنني أكيدة من

أن هناك أحدها.

سألته سونيا:



- في رأيك كم تبقى من أميال إلى أن نصل؟  
أجابت هاريت:

- لا يمكن أن تكون أكثر من عشرة أميال، بالنظر إلى النقطة التي بدأنا منها والمسافة التي أخبرنا بها الرجل، على الأغلب نحو سبعة أميال أو ثمانية، لقد ظننت أننا عندما نصل إلى هنا سنجد بناءً ضخماً وجميلاً بانتظارنا وعليه وجه مبتسم.

كان توماس يبحث في الظلام طوال الوقت، ولكنه لم يلمح أي شيء أيضاً، كبحر من السواد حدوده الأفق، الذي بدا كستار من النجوم. ولم يكن هناك أي أثر لتيريسا في أي مكان.

أعلنت سونيا:

- حسناً، ليس أمامنا سوى أن نستمر في السير باتجاه الشمال، كان علينا أن ندرك أننا يجب ألا نتوقع شيئاً سهلاً، ربما نتمكن من الوصول إلى سفح الجبل مع شروق الشمس، لنتمكن من النوم على أرض منبسطة. اتفق الجميع معها وأوشكن على الانطلاق عبر ممر بالكاد يمكن رؤيته يتفرع من ممر الصخور عندما تكلم توماس:

- أين تيريسا؟

وجَّهت هاريت نظرها إليه، وقد غمر وجهها ضوء القمر في تألق شاحب، وقالت:  
- في هذه المرحلة، أنا لا أهتم على الإطلاق، لو كانت فتاة كبيرة بما يكفي لكي تشق طريقها بمفردها عندما لا يعجبها الأمر، فستكون كبيرة بما يكفي لكي تلحق بنا عندما تتخطى الأمر. هيا بنا.

انطلقوا في طريقهم، متجهين عبر المسار الضيق إلى قاع الجبل، كانت التربة رخوة والصخور تُسحق تحت أقدامهم، لم يستطع توماس منع نفسه من أن ينظر خلفه يبحث في سطح الجبل والمدخل الضيق للممر الجبلي عن أثر لتيريسا، كان عقله مشوشاً تجاه كل شيء، ولكنه لا يزال يشعر برغبة غريبة في رؤيتها، أخذ يحدق ناحية المنحدرات المظلمة، ولكنه لم ير سوى ظلال باهتة وانعكاسات ضوء القمر. التفت واستحث قدميه على السير، وشعر بارتياح لأنه لم يرها.

شقت المجموعة طريقها إلى قاع جبل، يتحرك كل منهم في اتجاه طوال الطريق في صمت، وقد تباطأ توماس حتى أصبح في الخلف مجدداً، كان

متفاجئًا من مدى الخواء الذي شعر به في عقله، ومدى الخدر الذي لفه، لم يكن لديه أي فكرة مطلقًا عن مكان أصدقائه، ولا يعرف أي أخطار تتربص له. بعد نحو ساعة من الترحال، بدأ يشعر بساقيه تحترقان ألمًا من السير في هذا الطريق المتعرج البشع. مرت المجموعة بغابة صغيرة من الأشجار الميتة التي تشق الجبل في شكل سهم على امتداد مساحة كبيرة، بدأ الأمر وكأن ذات يوم كان هناك شلال يروي هذا التشكيل الغريب للأشجار. حتى لو كان كذلك، فإن قطرة الماء الأخيرة لا بد وأنها استسلمت منذ دهور على هذه الأرض المحترقة.

لا يزال آخر واحد في الصف، كان يمر بجانب الأشجار حين نطق أحدهم باسمه، داهمه الصوت حتى كاد يتعثّر، استدار بسرعة ليجد تيريسا تنبثق من خلف كتلة سميكة من الخشب الأبيض ووجهها مختفٍ في الظلال. لا بد أن الأخريات لم يسمعن لأن واحدة منهن لم تلتفت وهن يتابعن المسير. همس قائلاً:

- تيريسا، ماذا...

لم يدرك حتى ماذا يقول. قالت هي:

- توم، يجب أن نتحدث.

كانت تقريبًا تتكلم مثل الفتاة التي كان يظن أنه يعرفها.

- لا تقلق بشأنهن، فقط تعال معي.

أشارت إلى الأشجار من خلفها بحركة سريعة من يدها، نظر توماس إلى فتيات المجموعة (ب) اللواتي تابعن سيرهن بعيدًا عنه، التفت ليوواجه تيريسا مجددًا، وقال:

- ربما علينا أن...

- فقط تعال معي، لقد انتهت المسرحية.

لم تنتظر رده وابتعدت بداخل الغابة الميتة. أخذ توماس يرهق نفسه في التفكير لثوانٍ طويلة وقد تمكن التشوش والارتباك منه، يصرخ عقله به ألا يفعل ذلك، ولكنه تبعها.

## الفصل الخمسون

ربما قد ماتت الأشجار، ولكن أغصانها أخذت تتشابك في ملابس توماس وتخدش جلده، بدت الغابة وكأن لونها أبيض تحت ضوء القمر، خطوط الظل المترامية في كل مكان على الأرض أعطت المكان شعورًا مقبضًا ومخيفًا، استمرت تيريسا في السير وهي ملتزمة الصمت، تتسلق أعلى الجبل كالشبح، إلى أن تما لك شجاعته أخيرًا ليتكلم:

- إلى أين نحن ذاهبان؟ وهل تتوقعين مني حقًا أن أصدق أن كل ما حدث كان تمثيلًا؟ لماذا إذن لم تتوقفي عندما قرر الجميع عدم قتلي؟  
أتى ردها غريبًا، بالكاد أدارت رأسها، وسألته:

- لقد قابلت أريس، صحيح؟

لم تبطئ من خطواتها وهي تواصل التحرك. بينما توقف توماس للحظة تحت وطأة المفاجأة، وقال:

- أريس، في الأصل كيف لك أن تعرفيه؟ وما علاقته بما يحدث؟

حث خطاه ليلحق بها مجددًا، يشعر بالفضول لمعرفة الجواب، ولكنه يخشاه أيضًا لسبب ما.

لم تجبه فورًا ومضت في طريقها عبر حزمة أغصان متشابكة، ارتدَّ أحدها إلى الخلف وضرب وجهه بعد أن مرت به وتركته يطلق في الهواء. ما إن عبرت، توقفت واستدارت إليه، حيث انعكس ضوء القمر على وجهها، فبدت ملامحها حزينة، وقالت بصوت حازم:

- إنني أعرف آريس غاية المعرفة، أعرفه جيداً وأكثر مما سيعجبك، لم يكن فقط جزءاً من حياتي قبل المتاهة، بل كنا نتخاطر أنا وهو، بالضبط كما كنا نفعل، حتى عندما كنت في الجلايد كنا نتواصل معاً طوال الوقت، وكنا نعلم أنهم سيضعوننا معاً من جديد عاجلاً أو آجلاً. فكر توماس في شيء ليجيبها به، كان ما قالته غير متوقع لدرجة أنه ظنه مزحة، أو خدعة جديدة من خدع وِكد.

انتظرت لهنيهة وذراعاها مطويتان، بدت وكأنها تستمتع برؤيته وهو يعاني ليتحدث. تكلم أخيراً:

- أنت تكذبين، كل ما تفعلينه كذب، لا أفهم لماذا أو ما الذي يجري، ولكن...

قاطعته تيريسا:

- رباه، بحقك يا توم. كيف يمكنك أن تكون غيبياً هكذا؟ بعد كل ما حدث لك، كيف لأي شيء أن يفاجئك بعد الآن؟ كل شيء كان مجرد جزء من اختبار سخيف، وكل شيء قد انتهى، سوف نفعل أنا وآريس ما أمرنا أن نفعله، والحياة ستستمر، إن وِكد هي كل ما يهم الآن، هذا هو الأمر. - ما الذي تتكلمين عنه؟

شعر بالخواء يبتلعه قلباً وروحاً.

نظرت تيريسا من خلف كتفه، التقطت أذناه صوت تكسر الأغصان على الأرض، وبشكل ما حافظ على ماء وجهه بما يكفي كيلا يلتفت ليرى من تسلل إليه.

قالت تيريسا:

- توم، إن آريس يقف خلفك مباشرة، وهو يحمل سكيناً كبيرة جداً في يده، حاول أن تأتي بأي حركة وسوف يقطع رقبتك، ستأتي معنا وستفعل كل شيء نقوله لك بالحرف، مفهوم؟

أخذ توماس يحدق إليها، على أمل أن يظهر الغضب الذي يعصف داخله على ملامح وجهه بوضوح، لم يشعر بهذا الغضب طوال حياته، أو ما بإمكانه أن يتذكره منها. قالت تيريسا:

- قل مرحبًا لتوماس يا أريس.

بعد ذلك حدث أسوأ شيء حتى الآن، ابتسمت.

قال الفتى من خلفه:

- مرحبًا يا تومي.

إنه هو دون شك، ولكن ليس ودودًا كما كان من قبل.

- إن سعادتي لا توصف لأننا معًا من جديد.

شعر توماس بسن السكين يلامس ظهره مباشرة، ظل صامتًا.

قالت تيريسا:

- حسنًا، على الأقل تتصرف مثل إنسان بالغ الآن، فقط اتبعني، نحن على

وشك أن نصل.

قال توماس بصرامة:

- إلى أين نحن ذاهبون؟

- سوف تكتشف ذلك قريبًا جدًا.

قالت ذلك واستدارت وبدأت تشق طريقها بين الأشجار من جديد مستخدمة رمحها مثل العصا. سارع توماس يحث خطاه من خلفها قبل أن يشعر أريس بالرغبة في دفعه، أصبحت الأشجار أكثر كثافة وتقاربًا بعضها من بعض، ولم يجد ضوء القمر منفذًا إليهم وحل محله ظلمة تامة سحبت من داخله الضوء والحياة.

بلغوا كهفًا تحيط به الأشجار الكثيفة مثل سورٍ عظيم أمام مدخله، لم يحصل توماس على أي تحذير، وخلال دقيقة واحدة كانوا يشقون طريقهم عبر الأغصان الشائكة، بعد ذلك كانوا يمشون بحفرة ضيقة وعميقة في جانب الجبل، انبعث مصدر ضوء عميقًا من داخلها على شكل مستطيل من الضوء الأخضر الباهت جعل تيريسا تبدو مثل الزومبي، عندما نتحت جانبًا مفسحة الطريق لهما ليدخلا، خطا أريس من حوله ووجّه نصل سكينه كالمسدس إلى صدر توماس بينما تراجع إلى الخلف حتى استند إلى الحائط قبالة تيريسا.

لم يستطع توماس فعل أي شيء سوى أن يبدل نظره جيئةً وذهابًا بينهما،  
شخصان يخبره كل جزء في داخله أنهما صديقاها، إلى الآن.

قالت تيريسا وهي تنظر إلى آريس:

- حسنًا، ها قد وصلنا.

أجابها آريس دون أن يبعد عينيه عن توماس:

- أجل، لقد وصلنا. حسنًا إذًا، هل أنت جادة بشأن ما قلتَه إنه أقنع البقية

بالعفو عنه؟ ماذا يكون هذا الفتى؟ نوع من علماء النفس الخارقين؟

- في الحقيقة لقد أتى ذلك في صالحنا، وسهّل علينا إحضاره إلى هنا.

حدجت تيريسا توماس بنظرة متعجرفة ثم عبرت الكهف إلى آريس،

راقبها توماس وهي تقف على أصابع قدميها وتطبع قبلة على خد آريس وهي

تبتسم وتقول:

- إنني سعيدة جدًا لأننا أصبحنا معًا أخيرًا.

ابتسم آريس ورمى توماس بنظرة محذرة، ثم خاطر بالنظر بعيدًا إذ أمال

رأسه نحو تيريسا ليقبل شفيتها. أشاح توماس بعينيه بعيدًا وأغلقهما حتى

كاد يعصرهما. مناشداتها له ليثق بها، وهمساتها المسترقة له ليظل بداخل

الكيس، كل ذلك كان ذريعة لإحضاره إلى هنا، لكي يصل إلى هذه النقطة

بمنتهى السهولة، من أجل أن تتمكن من تنفيذ أغراض فاسدة من تدبير وكِد،

تكلم أخيرًا دون أن يجرؤ على فتح عينيه، لم يكن يريد أن يعرف ما الذي

يفعلانه أو لماذا كانا هادئين:

- فقط أنهيا هذا الأمر، أنهيا هذا الأمر.

عندما لم يجيباه، لم يستطع منع نفسه من أن يسترق نظرة، كانا يتهامسان

ويسترقان القبلات بين الكلمة والأخرى، شعر توماس بالنيران تضطرم في

أحشائه، أشاح بنظره مجددًا وركزه على مصدر الضوء الغريب القادم من

نهاية الكهف، كان ضوءًا على شكل مستطيل أخضر وباهت ينبض بوهج

أثيري في قلب الأحجار الداكنة، بطول رجل تقريبًا وعرضه نحو أربعة أقدام

وقد تناثرت البقع على سطحه الباهت كبقع طينية مشعة متوهجة وخطيرة.

تمكن من أن يلمح بطرف عينيه تيريسا وهي تخطو مبتعدة عن آريس، على الأرجح أن احتفال تبادل الحب قد انتهى، نظر توماس إليها متسائلاً لو أن عينيه تظهر لها أنها سحقت قلبه.

قالت له:

- توم، لو أن ذلك سيساعدك، فإنني آسفة حقاً لأنني جرحتك، لقد فعلت ما توجب عليّ فعله في المتاهة، ولم يكن أمامي سوى أن أتقرب منك لنصبح صديقين من أجل الحصول على الذكريات التي نحتاج إليها لفك تلك الشيفرة والهروب من المتاهة، ولم تكن لدي خيارات كثيرة هنا في الأرض المحترقة، كل ما كان علينا فعله هو إحضارك إلى هنا لكي نجتاز التجارب، كان الأمر إما أنت أو نحن.

توقفت تيريسا لثانية، وظهر بريق غريب في عينيها، وقالت بهدوء:

- آريس هو أقرب صديق لي يا توم.

وكان هذا ما دفع توماس إلى حافة الانهيار، صرخ بها قائلاً:

- لا... يهمني!

على الرغم من أن الحقيقة كانت قريبة وفي غاية الوضوح.

- إنني فقط أقول، لو أنك تهتم لأمرى، إذن يجب أن تفهم لماذا أنا مستعدة أن أفعل أي شيء مهما كلف الأمر لكي أحميه، ألم تكن لتفعل الشيء نفسه من أجلي؟

لم يستطع توماس أن يصدق كيف أنه بعيد عن الفتاة التي ظن ذات يوم أنها أقرب أصدقائه، حتى في كل ذكرياته، كان كلاهما معاً دائماً. أجابها:

- ما تفعلين؟ هل تحاولين أن تفعلي كل شيء في الكون لكي تجرحيني؟ فقط أبقى فمك اللعين مقللاً وافعلًا أيًا كان ما أحضرتماني إلى هنا لفعله!

أخذ قلبه يخفق بسرعة قاتلة وصدرة يكاد ينفجر من أنفاسه الهائجة. أجابته:

- لا بأس. فلنفتح الباب يا آريس، حان الوقت لكي نودع توم.





## الفصل الحادي والخمسون

انتهى كلام توماس معهما، ولكنه بكل تأكيد لم يكن ينوي أن ينزل إلى الأسفل دون عراق، قرر أن ينتظر ويتربق أفضل فرصة مناسبة.

أبقى أريس سكينه موجهة نحوه بينما ذهبت تيريسا باتجاه المستطيل الضخم من الزجاج الأخضر المتوهج. لم يستطع توماس أن ينكر فضوله لما يوجد خلف هذا الباب.

وصلت إلى نقطة حيث أصبح جسدها كهالة سوداء بالكامل أمام توهج الضوء الذي جعل حوافها غير واضحة كما لو كانت تذوب. سارت عبر الكهف حتى ابتعدت عن الضوء تمامًا إلى أن وصلت إلى الجدار الحجري، وأخذت تضرب بإصبعها على شيء بدا أنه لوحة مفاتيح نوعًا ما، ولكن توماس لم يتمكن من الرؤية بوضوح. انتهت تيريسا مما تفعله وعادت متجهة إليه.

قال أريس:

- سوف نرى لو أن ذلك سيفلح حقًا.

أجابته تيريسا:

- سوف يفلح.

دوى صوت فرقة عاليًا، تبعه صوت صفير حاد، وأخذ توماس يراقب حافة الزجاج اليمنى وهي تنفجر نحو الخارج مثل الباب، وما إن انفتح حتى انبعثت سحب رقيقة من الضباب الأبيض لا يلبث وأن يتبخر على الفور تقريبًا إلى لا شيء، كان أشبه بثلاجة مهجورة منذ فترة طويلة وأخذ يطلق هواءه البارد إلى حرارة الليل. استمر الظلام يعم المكان بالداخل على الرغم من

الإشعاع الأخضر الغريب الذي ينبعث من المستطيل الزجاجي. فكر توماس في نفسه أن الباب لم يكن نافذة، بل مجرد باب أخضر، وتمنى ألا تكون النفايات السامة هي ما ينتظره في المستقبل القريب.

توقف الباب أخيرًا مصدرًا صريخًا جليديًا لدى ارتطامه بالجدار الصخري الخشن، انفتح الباب كاشفًا عن حفرة سوداء من خلفه، إذ لم يكن هناك ضوء كافٍ ليكشف ما يوجد بداخلها، وقد توقف الضباب الأبيض تمامًا أيضًا. شعر توماس أن هاوية من القلق تفتح من تحت قدميه.

سألها أريس:

- هل لديك مصباح؟

وضعت تيريسا رمحها على الأرض وجذبت حقيبة ظهرها وأخذت تقلب في محتوياتها لثوانٍ إلى أن أخرجت منها مصباحًا يدويًا وأشعلته.

أومأ أريس إلى الفجوة مجددًا، وقال:

- اذهبي وألقي نظرة وأنا سأراقبه، إياك وأن تحاول شيئًا يا توماس، أنا أكيد من أن ما خططوه من أجلك سيكون أسهل بكثير من أن تُطعن حتى الموت.

لم يجب توماس، وظل ملتزمًا بالقسم السخيف الذي قطعه على نفسه بأن يظل صامتًا حتى ينتهي من هذا العبث، فكر مليًا في السكين ولو كان بإمكانه أن ينتزعها من أريس.

كانت تيريسا قد اقتربت إلى جانب الفجوة المستطيلة الواسعة وسلطت ضوء مصباحها بداخلها، أخذت تقلبه إلى الأعلى وإلى الأسفل ويمينًا ويسارًا. نفذ الضوء عبر سحابة من الضباب، ولكن الرطوبة كانت قليلة بما يكفي لتكشف عما في الداخل، كانت غرفة صغيرة على عمق أقدام قليلة، بدت جدرانها وكأنها مصنوعة من معدن فضي، تبرز من أسطحها نتوءات بنحو بوصة واحدة تقريبًا، يوجد في نهاية كل منها ثقب أسود.

استدارت تيريسا إلى أريس وهي تطفئ ضوء المصباح، وقالت:

- يبدو كل شيء جيدًا.

التفت أريس ببصره إلى توماس، الذي كان مركزًا على الغرفة الغربية حتى فاتته فرصة أخرى لفعل شيء أكثر أهمية.

- تمامًا كما قالوا إنها ستكون.

سألت تيريسا:

- إذن... أعتقد أن هذه هي.

أومأ أريس وبدل السكين إلى اليد الأخرى وأحكم قبضته عليها، وقال له:

- هذه هي يا توماس، تصرف كولد صالح واذهب إلى الداخل، من يدري، ربما يكون هذا مجرد اختبار كبير وما إن تدخل إلى هناك سيطلقون سراحك ومن ثم يمكننا جميعًا أن نجتمع معًا في سعادة.

قالت تيريسا:

- اخرس يا أريس.

في الواقع كان ذلك أول شيء تقوله خلال وقت طويل ولم يجعل توماس يرغب في أن يلكمها، ثم التفتت إلى توماس مجددًا وتحاشت النظر في عينيه، وقالت:

- دعونا ننهي هذا الأمر.

لوح أريس بنصل السكين إشارة لتوماس أن يسير للأمام، وقال:

- هيا تحرك، ولا تجعلني أسحبك إلى الداخل.

نظر إليه توماس وهو يكافح كي يحافظ على أن يبدو وجهه جامدًا وخاليًا من أي تعبير بينما يدور عقله في مليون اتجاه، تدفق تيار من الرعب في أوصاله، إما الآن أو أبدًا، وإما أن يقاتل أو يموت.

أدار بصره نحو المدخل المفتوح وبدأ السير باتجاهه ببطء، كان قد قطع نصف المسافة بعد ثلاث خطوات فقط، انتصبت تيريسا في وقفاتها وانقبضت عضلات ذراعيها تاهبًا له في حالة حاول أن يسبب أي متاعب، بينما حافظ أريس على سلاحه مصوبًا إلى رقبة توماس.

خطا خطوة أخرى، ثم خطوة أخرى حتى أصبح أريس يقف إلى يساره ويبعد فقط قدمين أو ثلاثة عنه، وكانت تيريسا خلفه، ولكن بعيدة عن مجال

بصره، وقد أصبح باب الغرفة المفتوح بجدرانها الفضية المغطاة بالثقوب أمامه مباشرة.

توقف ونظر إلى آريس بطرف عينيه، وسأله:

- كيف بدت ريتشل عندما كانت تنزف حتى الموت؟

كان يجرب حظه، إذ وجد ملعبًا فارغًا ليرمي به كرتة.

تجمد آريس تحت وطأة الصدمة التي جرحتة، مما أعطى توماس الفرصة التي يحتاج إليها، وانقض على الفتى وقوَّس ذراعه اليسرى وأخذ يحركها في الهواء ليسقط السكين من يده فهوت مرتطمة بالأرض، ضرب توماس قبضته اليمنى في بطن آريس فسقط الأخير أرضًا محاولًا التقاط أنفاسه.

التقطت أذنا توماس صوت نقر المعدن على الصخور فامتنع عن ضرب الفتى في ساقه ورفع عينيه ليجد تيريسا قد التقطت رمحها عن الأرض.

نظر كل منهما إلى الآخر للحظة ومن ثم هاجمته تيريسا، رفع توماس يديه عاليًا لكي يحمي نفسه، ولكن كان متأخرًا جدًّا. ألقت برمحها في الهواء إلى أن هوت مؤخرته على جانب رأسه، شعر بالدنيا تدور به قبل حتى أن يهوي أرضًا وهو يحارب كيلا يفقد وعيه، وبمجرد أن ارتطم بالأرض، أخذ يزحف على يديه وركبتيه ليهرب بعيدًا.

ولكنه سمع صوت تيريسا تصرخ، ولم تمضِ ثانية حتى سحق الجزء الخشبي من الرمح مقدمة جمجمته، سقط توماس أرضًا مجددًا وأصدر سقوطه صوت ارتطام حاد، سال شيء رطب عبر ثنايا شعره وتساقط على صدغيه، شعر بالألم يمزق رأسه، كما لو أن فأسًا شطرت دماغه إلى نصفين، انتشر الألم إلى باقي جسده فشعر بغثيان يفقده توازنه. تمكن بطريقة ما من أن يدفع نفسه على الأرض وينقلب على ظهره ليجد تيريسا تقف أمامه وترفع سلاحها إلى الأعلى استعدادًا لضربه مرة أخرى.

قالت له وسط أنفاسها المتلاحقة:

- ادخل إلى الغرفة يا توماس. اذهب وادخل إلى الغرفة وإلا سأضربك مجددًا، وأقسم أنني سأستمر بضربك حتى تفقد وعيك أو تنزف حتى الموت.

استجمع آريس نفسه ونهض واقفاً على قدميه مجدداً ووقف بجانبها مباشرة، فقام توماس بضم ساقيه إلى صدره ثم ركل في الهواء وهوى بساقيه على ركبة كل منهما، أخذ كل منهما يصرخ، وسقطا فوق بعضهما. تسبب المجهود البدني في اندفاع رهيب من الألم عبر جسد توماس. انبعثت ومضات بيضاء أعمت رؤيته وأخذ العالم يدور من حوله، تأوه بينما كان يكافح لكي يتحرك، استلقى مجدداً على بطنه وحاول أن يضع يديه أسفل جسمه، بالكاد تمكن من رفع نفسه بضعة إنشات عن الأرض قبل أن يهوي آريس من فوقه وسحقه مجدداً بالأرض، وفي غضون ثوانٍ لف الفتى ذراعه حول عنق توماس وأخذ يخنقه.

قال آريس وهو يبصق في أذنه:

- ستذهب إلى هذه الغرفة... ساعديني يا تيريسا.

لم يكن لدى توماس القوة الكافية لمقاومتها معاً على الإطلاق، كانت الضربات التي توالى على رأسه كافية لتستنزف كل قوته، وكأن عضلاته راحت في سبات عميق لأن دماغه لم يكن لديه الطاقة الكافية لكي يرسل لها أي إشارة لما يجب فعله. وسرعان ما أمسكت بكلتا ذراعيه وبدأت تسحبه نحو الباب المفتوح بينما يدفعه آريس بدوره. حاول توماس يائساً أن يركل في وهن، ولكن الصخور كانت تنغرس في جلده.

همس وقد استسلم تماماً لليأس:

- لا تفعلني هذا.

كانت كل كلمة ترسل موجة من الألم عبر أعصابه.

- أرجوك...

كل ما كان يراه أمامه ومضات من الأبيض والأسود، أدرك أنه أصيب بارتجاج في المخ، ارتجاج لدرجة مروعة حقاً.

بالكاد تمكن من أن يشعر بجسده وهو يعبر عتبة الباب، وبتيريسا وهي تطلق سراح ذراعيه على معدن الجدار الخلفي البارد، خطت من فوقه وساعدت آريس لكي يلفا ساقيه من حوله حتى أصبح مكوماً حول نفسه في مواجهة الحائط، لم يستطع توماس أن يستجمع قوته لينظر إليهما حتى.

قال بشيء أقرب إلى الهمس الخافت:

- لا...

طفت في عقله صورة الفتى المريض، بن، الذي تم نفيه من الجلايد، كان وقتًا غريبًا للتفكير في ذلك، ولكنه الآن أدرك كيف كان شعوره قبل أن تقفل عليه جدران المتاهة لينفى فيها إلى الأبد.

أخذ يكرر بصوت خفيض لدرجة أنه شك في أنهما تمكنا من سماعه:

- لا...

كان الألم يضربه من رأسه حتى أخمص قدميه.

سمع تيريسا وهي تقول:

- إنك عنيد جدًا، لا يمكنك إلا أن تصعب الأمر على نفسك! وتصعبه علينا جميعًا!

همس توماس:

- تيريسا.

استجمع ما استطاع من قوة وسط ما يشعر به من ألم وحاول أن يتواصل معها عن طريق التخاطر، على الرغم من أن تلك الطريقة لم تفلح لوقت طويل.

- تيريسا.

أجابته في عقله من جديد:

- أنا آسفة يا توم، ولكن شكرًا لك لأنك أصبحت قريبًا منا.

لم يدرك أن الباب كان يُقفل، ولكنه أغلق عليه تمامًا مع تلك الكلمة الأخيرة الفظيعة التي راحت تطفو وسط أفكاره السوداء.

## الفصل الثاني والخمسون

كان الباب الذي أقفلاه عليه يشع ضوءًا أخضر، محوّلًا الغرفة إلى سجن كئيب وكريه. ربما بكى، ربما انهمرت الدموع من عينيه وانتحب كطفل صغير لو أن رأسه لم يكن مصابًا بهذا الأذى البالغ، شعر بألم رهيب يتمكن من جمجمته، وشعر وكأن هناك حممًا بركانية تتلظى في عينيه.

ولكن حتى في ذلك الوقت، ومع كل ما يمر به، كان الألم الذي يشعر به في داخله لخسارته لتيريسا هو ما يمزق نياط قلبه، لم يستطع أن يترك نفسه للبكاء. فقد قدرته على الشعور بالوقت بينما كان مستلقيًا هناك، بدا الوضع وكأن من دبر هذا الأمر أراد أن يمنحه فرصة للتفكير مليًا فيما حدث في أثناء انتظاره لنهايته، ولكي يفكر في مدى خبث وقسوة خدعة تيريسا بأن تقنعه بأن يثق بها مهما حدث، والتي أظهرت له في نهاية المطاف حقيقة خيانتها. مرت ساعة، ربما ساعتان أو ثلاث، أو ربما فقط ثلاثون دقيقة، لم يكن يدري شيئًا عن الوقت، وظل هكذا إلى أن بدأ صوت الصغير.

كشفت الضوء الخافت المنبعث من توهج الباب عن خيوط الضباب التي ترسلها الثقوب المثبتة في الجدران من أمامه. أدار رأسه (مما أرسل تيارًا جديدًا من الألم عبر جمجمته) فرأى أن كل تلك الفتحات تبعث نوافير من الضباب، وأخذت كلها تصدر هسيسًا كعش من الأفاعي السامة.

فكر في نفسه: إن هذا كل شيء؟ بعد كل شيء مر به، وبعد كل الألفاظ والقتال ولحظات الأمل العابرة، سيقتلونه هكذا عن طريق الغازات السامة؟ عبث، هذه هي حقيقة الأمر، محض عبث وغباء، لقد قاتل الهوام والنزقين، نجا

من إصابة طلق ناري وعدوى مميتة، وكانت وكِد هم من أنقذوه! والآن سوف يقومون بتسميمه بالغاز حتى الموت بمنتهى البساطة؟

نهض جالسًا، وقد جعله ذلك يصرخ حقًا تحت وطأة ما سببته حركته له من ألم، نظر من حوله بحثًا عن أي شيء ربما يتمكن من...  
شعر بأنه متعب، متعب جدًا.

شعر بخطب ما بداخل صدره، بالإعياء.

الغاز.

كان متعبًا يشعر بالألم والإرهاق الجسدي.

لم يستطع منع نفسه عن استنشاق الغاز.

شعر بإعياء شديد، هناك خطب ما في داخله.

تيريسا، لماذا انتهى الأمر بهذه الطريقة؟

كان منهكًا.

شعر في مكان ما بداخل وعيه برأسه وهو يرتطم بالأرض.

خيانة.

منهكًا...

جدًا...



## الفصل الثالث والخمسون

لم يكن توماس يعرف إذا كان ميتاً أم أنه على قيد الحياة، ولكنه شعر وكأنه نائم. كان وعيه حاضراً، ولكن كما لو كان مخدرًا، وما لبث أن سقط في حلم جديد.

\*\*\*

توماس في السادسة عشرة من عمره، يقف أمام تيريسا وفتاة أخرى لم يتمكن من التعرف عليها، وأريس أيضًا.

أريس؟

ينظر ثلاثتهم إليه بوجوه متجهمة، وتيريسا تبكي.

قال توماس:

- حان الوقت لكي أذهب.

أوما أريس، وقال:

- ستمر بعملية محو الذاكرة، ومن ثم إلى المتاهة.

لا تفعل تيريسا شيئاً غير أن تمسح دموعها.

مد توماس يداً ليتصافحا هو وأريس، ثم فعل توماس الشيء نفسه مع

الفتاة التي لا يعرفها.

ثم هرعت تيريسا نحوه وغمرته في عناق وسط نحيبها ودموعها، لبدرك

توماس بعدها أنه كان يبكي هو الآخر حتى بلل شعرها بدموعه وهو يضمها

بشدة إلى صدره.

قال آريس:

- عليك أن تذهب الآن.

نظر توماس إليه، وانتظر محاولاً أن يستمتع بتلك اللحظة مع تيريسا، كانت آخر لحظة قبل أن يفقد ذاكرته كلها، ولن يكونا هما الاثنان هكذا مجدداً ولمدة طويلة جداً.

رفعت تيريسا عينيها إليه، وقالت:

- سوف ينجح الأمر، سوف ينجح كل شيء.

قال توماس:

- أعلم ذلك.

شعر بحزن شديد جعل كل جزء منه يتألم.

فتح آريس الباب وأشار لتوماس كي يلحق به، وهكذا فعل توماس، ولكنه تمكن من استراق نظرة أخيرة إلى تيريسا، حاول أن يتظاهر بالتفائل، وقال:

- أراك غداً.

وقد كان ذلك صحيحاً، وألمه هذا.

\*\*\*

انتهى الحلم، ومن ثم غط في النوم الأشد قتامة في حياته.

## الفصل الرابع والخمسون

همسات في قلب الظلام.

هذا ما التقطته أذنا توماس عندما استعاد وعيه، كانت أصوات خفيضة لكن قوية، مثل فرك ورق الصنفرة بجوار طبلتي أذنه. لم يتمكن من فهم أي شيء مما يقال، وكان الظلام دامسًا لدرجة أنه استغرق ثواني ليدرك أن عينيه كانتا مفتوحتين بالفعل.

شعر بشيء بارد وقاس يضغط على وجهه بقوة... الأرض، لم يتحرك منذ أن أفقده الغاز الوعي. كان مصدومًا عندما وجد أن رأسه لم يعد يؤلمه، في الحقيقة لم يعد يشعر بأي ألم، بل شعر بدلًا من ذلك بموجة انتعاش ونشوة تغمره قلبًا وجسدًا حتى كادت تفقده اتزانه. ربما كان فقط سعيدًا لأنه على قيد الحياة.

استند على يديه ودفع نفسه إلى وضعية الجلوس، نظر من حوله، ولكن دون جدوى، إذ لم يكن هناك ولو بصيص من الضوء ينفذ عبر هذا الظلام السرمدي.

تساءل عن الذي حدث للضوء الأخضر المتوهج الذي يشع من الباب الذي أقفلته عليه تيريسا.

تيريسا.

تلاشت فرحته عندما تذكر ما فعلته به. ولكن على الرغم من كل شيء... لم يمض، إلا إذا كانت الحياة الآخرة مجرد غرفة كئيبة تلفها الظلماء. استراح لبضع دقائق حتى يترك فرصة لعقله ليستيقظ ويستعيد اتزانه قبل أن ينهض

على قدميه ويتحسس ما حوله. كان هناك ثلاثة جدران معدنية باردة تحتوي كل منها على فتحات بارزة تبعد مسافات متساوية بعضها عن بعض، وجدار رابع بدا ملمسه كالبلستيك، قد كان في الغرفة الصغيرة نفسها بكل تأكيد. التصق بالباب وأخذ يصيح:

- مرحبًا! هل هناك أحد بالخارج؟

أخذت أفكاره تدور وتتشابك في عقله، الرؤى التي يراها أصبحت متزايدة الآن، وكثيرة للغاية على عقله ليستوعبها، والكثير من الأسئلة التي تثور في عقله. أخذت الأشياء التي تذكرها بادئ ذي بدء في مرحلة التغير عندما كان في المتاهة تتضح في عقله وتثبت. لقد كان جزءًا من مخططات وِكد، لقد كان جزءًا من كل هذا، لقد كان هو وتيريسا أصدقاء مقربين جدًا أيضًا، بدا كل شيء صحيحًا في الحلم، بدا أنه كان يفعل تلك الأشياء لهدف الصالح العام. الأمر فقط أن توماس لم يكن يشعر بشعور جيد بشأن ذلك الآن، لا يشعر سوى بالغضب والخزي، كيف يمكن لأي شيء أن يبرر ما فعلوه؟! أو ما تفعله وِكد، وهم من ضمنهم! ولكنه لم يكن يظن هكذا بنفسه بكل تأكيد، لقد كان هو والآخرين مجرد أطفال، أطفال! لم يعد يطبق النظر إلى نفسه بعد الآن. لم يكن يعلم متى وكيف وصل إلى نقطة التحول تلك، ولكن هناك شيئًا قد كُسر في داخله.

ثم كانت هناك تيريسا، كيف له أن يكون لديه كل تلك المشاعر تجاهها؟ سمع صوت شيء ما ينكسر، ثم تبعه صوت صغير قطعه عن تفكيره. بدأ الباب يُفتح ببطء إلى الخارج، ورأى تيريسا تقف هناك تحت ضوء الشروق الخافت وعلى وجهها آثار الدمع، ما إن انفتح الباب بما يكفي لها، هرعت نحوه وأحاطته بذراعيها ودفنت وجهها في رقبتها، وقالت وسط دموعها التي تبلل رقبتها:

- أنا آسفة جدًا يا توم، إنني آسفة جدًا جدًا، لقد قالوا إنهم سوف يقتلونك لو لم نفعل مثلما قالوا لنا، مهما كان ذلك بشعًا، أنا آسفة يا توم. لم يستطع أن يجيبها، ولم يقوَ على أن يعانقها بدوره. لقد كُتب على البطاقة على باب غرفة تيريسا أنها... خائنة، بالإضافة إلى الحديث الذي

سمعه بين الأشخاص الذين ظهروا في حلمه، أخذت قطع اللغز تتجمع في مكانها الصحيح، كل ما كان يعرفه الآن أنها كانت تحاول خداعه مرة أخرى، إن خيانتها له تعني أنه ليس بإمكانه الوثوق بها مرة أخرى، وشعر أن قلبه لن يتمكن من مسامحتها.

ولكن من ناحية أخرى، كان يدرك أن تيريسا قد أوفت بوعدها له منذ البداية بعد كل شيء، لقد فعلت تلك الأمور الفظيعة دون إرادتها. كان ما همست به إليه طوال الوقت صحيحًا، ولكنه على الرغم من ذلك أدرك أن علاقتهما لن تعود مثل السابق أبدًا، أبدًا.

قام أخيرًا بدفع تيريسا بعيدًا عنه، ولكن الحب الذي بدا في عينيها الزرقاوين لم يتمكن من القضاء على شكوكه الراسخة. قال لها:

- تَبًّا... ربما سيكون عليك إخباري بما حدث.

أجابته:

- لقد قلت لك أن تثق بي، قلت لك إن أشياء في غاية السوء ستحدث لك، ولكن كل شيء بشع فعلته كان تمثيلاً.

ابتسمت بعد ذلك، كانت ابتسامتها جميلة لدرجة جعلت توماس يتمنى لو يجد طريقة لكي ينسى ما اقترفته، قال:

- أجل، ولكن لم يبدو أنك كنتِ تعانين كثيرًا بينما تسحقينني برمحك وتلقين بي إلى غرفة مليئة بالغاز.

لم يخف شعوره بعدم الثقة بها الذي يعتمل في قلبه. راح ينظر إلى أريس الذي بدا عليه الخجل كما لو أنه تطفل على محادثة خاصة. قال الفتى:

- أنا آسف.

سأله توماس:

- لماذا لم تخبرني أننا كنا نعرف بعضنا من قبل؟ ما الذي...

لم يدر ما يقول. قالت تيريسا:

- لقد كان كل شيء مجرد تمثيل يا توم. يجب أن تصدقنا، لقد فعلنا ذلك بعدما وعدونا منذ البداية أنك لن تموت، وأن تلك الغرفة مجرد مرحلة ستنتهي عندما تحقق غرضها، أنا حقًا آسفة جدًا.

نظر توماس مجددًا إلى الباب المفتوح، وقال:

- أظن أنني أحتاج إلى بعض الوقت لكي أفكر في كل هذا.

أرادت تيريسا أن يسامحها، أرادت أن يعود كل شيء كالسابق فورًا. قال له شيء في قرارة نفسه أن يخفي مشاعره المريرة، ولكنه لم يستطع قط.

سألت تيريسا:

- ما الذي حدث بالداخل على أي حال؟

حوّل توماس نظره إليها، وقال:

- ما رأيك أن تتكلما أنتما الاثنان أولًا، ومن ثم أتكلم أنا؟ أظن أنني أستحق هذا.

حاولت أن تمسك بيده لكنه أبعدا متظاهراً بأنه يحك رقبتّه. عندما رأى ملامح وجهها التي اكتست بالألم، شعر بقدر ضئيل جدًا ببراءتها.

عادت تيريسا تقول:

- انظر، أنت محق، بالطبع تستحق تفسيرًا لذلك، أظن أنه لا بأس في إخبارك بكل شيء الآن، ولكن هذا لا يعني أننا نعلم كل شيء.

تنحى آريس في علامة واضحة على الاعتراض، وقال:

- ولكن... أعني، من الأفضل أن نفعل ذلك بينما نمشي، أو نعدو، لم يتبقّ أمامنا سوى ساعات قليلة، اليوم هو اليوم الأخير.

أخرجت تلك الكلمات توماس من شروده تمامًا، ألقى نظرة على ساعته، لو أن آريس محق بشأن أنهم بلغوا نهاية الأسبوعين، فإن ما تبقى لهم هو خمس ساعات ونصف فقط. لقد فقد توماس الشعور بالوقت، ولم يكن يدري كم لبث في تلك الغرفة، ولن يصبح لأي من تلك الأمور أهمية لو أنهم لم ينجحوا في الوصول إلى الملاذ الآمن، على أمل أن يكون مينهو والآخرون قد عثروا عليه.

قال مغيرًا الموضوع:

- لا بأس، فلنؤجل هذا إلى وقت لاحق. هل هناك أي شيء مختلف في الخارج؟ أعني، لقد رأيت المكان في الظلام، ولكن...

قاطعته تيريسا:

- نعلم ذلك، ليس هناك أي أثر لأي مبنى، لا شيء، يبدو المنظر أكثر سوءًا في ضوء النهار، فقط مجرد أرض خربة تمتد إلى ما لا نهاية، ليس هناك شجرة أو تل، ولا أي ملاذ آمن.

نظر توماس إلى أريس ثم إلى تيريسا مجددًا، وقال:

- إذن ما الذي يجب علينا أن نفعل؟ إلى أين نذهب؟

فكر في مينهو ونيوت وفتيان الجلاید، وفي برندا وخورخي، وسأل:

- هل رأيتم أي أحد من الآخرين؟

أجاب أريس:

- كل فتيات مجموعتي هناك بالأسفل، يتحركن باتجاه الشمال مثلما يُفترضُ بهن أن يفعلن، على بعد ميلين تقريبًا. ولقد لمحنا أصدقاءك عند سفح الجبل على بعد ميل أو اثنين باتجاه الغرب من هنا، لست متأكدًا تمامًا، ولكن لا يبدو أن هناك أحدًا آخر مفقودًا، وهم يتجهون إلى نفس الاتجاه مثل الفتيات.

شعر توماس بالطمأنينة، لقد نجح أصدقاؤه في الوصول، لحسن الحظ أن يكون جميعهم قد فعل.

قالت تيريسا:

- علينا أن نتحرك الآن، عدم وجود أي شيء بالخارج لا يعني أي شيء. من يدري ما تخطط وكد لفعله، علينا فقط أن نفعل ما قالوه لنا، هيا بنا.

كان توماس يمر بلحظة عابرة ود فيها لو يستسلم وأن يجلس وينسى أمر كل شيء، ويترك أيًا كان ما سيحدث يحدث، ولكن سرعان ما اختفى هذا الشعور بمجرد أن طرأ تقريبًا، قال:

- حسنًا، هيا بنا، ولكن من الأفضل لكما أن تخبراني بكل شيء تعرفانه.

قالت تيريسا:

- سوف أخبرك بكل شيء، سوف ننطلق في العدو أيها الرفاق ما إن نعبر غابة الأشجار الميتة هذه.

أوماً آريس، ولكن توماس أشاح بنظره في تململ، وقال:

- بحقك، إنني عدا.

رفعت تيريسا حاجبيها، وقالت:

- حسنًا إذن، سوف نرى فقط مَنْ سيتوقف قبل مَنْ.

أجابها توماس بأن خطأ خارجًا من قطعة الأرض الصغيرة إلى داخل الغابة الميتة، رافضًا أن يخضع لوطأة عاصفة الذكريات والمشاعر التي حاولت أن تجثم عليه.

لم تضىء السماء كثيرًا مع حلول أول خيوط أشعة شمس النهار، إذ اكتست بالسحب الرمادية الكثيفة، كانت كثيفة لدرجة أن توماس لم يكن ليملك أي فكرة عن الوقت لو لم ينظر إلى ساعته.

سُحب، آخر مرة قد حدث ذلك...

ربما لن تكون هذه العاصفة سيئة جدًا، ربما.

ما إن غادروا غابة الأشجار الميتة الكثيفة، لم يتوقفوا لثانية. وجدوا ممرًا واضحًا يقود إلى الوادي الذي بالأسفل، يتعرج يمينًا ويسارًا كندبة قبيحة على وجه الجبل، قدّر توماس أن عبوره سيستغرق نحو ساعتين حتى يصلوا إلى الأسفل، بدا العدو عبر جرف زلق وشديد الانحدار كهذا طريقة جيدة جدًا إذا ما أراد المرء أن يكسر ساقه، ولو حدث شيء مثل هذا، لن يتمكنوا أبدًا من الوصول.

اتفق ثلاثتهم على أن يسيروا بسرعة، ولكن مع الحفاظ على سلامتهم، وسوف يزيدون من سرعتهم بمجرد أن يصلوا إلى أرض منبسطة، انطلقوا في طريقهم نحو الأسفل، آريس أولًا ثم توماس، ومن خلفهما تيريسا، ازدادت السحب احتقانًا فوق رؤوسهم بينما أخذت الريح تعصف من كل اتجاه تقريبًا. بالضبط كما قال آريس، تمكن توماس من رؤية تجمُّعين من الناس في الصحراء التي بالأسفل، لم يبتعد أصدقاؤه فتيان الجلايد عن سفح الجبل كثيرًا، بينما كانت المجموعة (ب) تبعد عنهم مسافة ميل أو اثنين.

شعر توماس بالارتياح يغمره مجددًا لدى رؤيتهم، وأخذت خطواته تزداد خفة بينما يتحرك في طريقه.



بعد انعطافهم الثالث على الطريق المتعرج، تكلمت تيريسا من خلفه  
قائلة:

- إذن أظن أنني سأستأنف القصة من حيث توقفنا.

أوماً توماس فقط، لم يستطع أن يصدق كم كان يشعر أنه بخير من الناحية  
البدنية، إذ شعر على نحو لا يُصدَّق بأن معدته ممتلئة، ولم يعد يشعر بأي ألم  
إثر ما تعرض له من ضرب، وقد جعله الهواء الطلق والرياح المنعشة مفعماً  
بالحيوية، ليست لديه أدنى فكرة عما يحويه ذاك الغاز الذي استنشقه، ولكنه  
لم يبدُ كغاز سام على الإطلاق. كان لا يزال غير قادر على أن يثق بتيريسا ولو  
بقدر ضئيل، لم يرد أن يتصرف بلطف معها كثيرًا.

- بدأ كل شيء عندما كنا نتكلم معًا في منتصف ليلة ما، بالتحديد أول  
ليلة بعد إنقاذنا من المتاهة، كنت شبه نائمة حينها عندما دخل أولئك  
الناس إلى غرفتي بملابسهم السخيفة تلك، كانوا جميعًا يرتدون بذلات  
فضفاضة غريبة الشكل، وأقنعة غاز.

سألها توماس من خلف ظهره:

- حقًا؟

بدوا كأولئك الذين أخذوه بعدما أصيب بالرصاص بالضبط.

- لقد أفزعوني، وحاولت أن أتواصل معك، ولكنني أصبحت غير قادرة  
على فعل ذلك فجأة، أعني تواصلنا بالتخاطر، لا أعلم كيف أدركت ذلك،  
ولكنه فقط اختفى فجأة، ومنذ ذلك الحين وإلى الآن، ظل يأتي ويذهب  
هكذا من وقت إلى آخر.

ومن ثم راحت تتكلم في عقله:

- يمكنك أن تسمعني جيدًا الآن، أليس كذلك؟

- أجل، هل كنتما أنت وأريس تتخاطران حقًا عندما كنا في المتاهة؟

- حسنًا...

توقفت عن الكلام، وعندما رفع توماس عينيه إليها مجددًا، لاحت على  
وجهها نظرة قلقة.

تكلم في عقلها، وأعاد تركيزه إلى الطريق مجددًا قبل أن يفعل شيئًا غبيًا  
ويتعثّر حتى يصل إلى سفح الجبل:

- ما الخطب؟

- لا أريد التحدث في هذا الموضوع الآن.

- تتحدثين...

أوقف نفسه قبل أن ينطق ذلك بصوت عال، وتابع:

- تتحدثين في ماذا؟

لم تجب تيريسا، حاول توماس جاهدًا بقدر ما استطاع أن يصرخ في  
رأسها:

- تتحدثين في ماذا؟

ظلت ملتزمة الصمت لبضع ثوانٍ حتى أجابت أخيرًا:

- أجل، لقد كنا نتحدث أنا وأريس منذ أن وصلت إلى الجلايد، وحتى  
عندما كنتُ في تلك الغيبوبة اللعينة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

## الفصل الخامس والخمسون

استهلك الأمر جهدًا هائلًا من طاقة توماس كيلا يلتفت إليها، وعاد يتكلم في عقلها:

- ماذا؟ لماذا لم تخبريني عنه منذ كنا في المتاهة؟

وكأنه كان بحاجة إلى سبب آخر ليكره كلاً منهما.

سأل أريس فجأة:

- ما رأيكما أن تتوقفا عن الكلام أيها الرفيقان؟ هل تثرثران عني بداخل رأسيكما الصغيرين الجميلين؟

على نحو لا يُصدّق، لم يعد أريس يتصرف بعدوانية على الإطلاق، بدا الأمر كما لو أن كل ما حدث في الغابة الميتة كان من نسج خيال توماس.

أطلق توماس سراح نفسه ثقيل كان يجثم على رثتيه، وقال:

- لا أستطيع أن أصدق ذلك، لقد كنتما أنتما الاثنان...

توقف، إذ أدرك أنه على الرغم من كل شيء ربما لم يكن متفاجئًا، لقد رأى أريس في آخر حلم من أحلام ذكرياته المتقطعة، وقد كان جزءًا من الأمر، أيًا كانت حقيقة هذا. كما أن الطريقة التي تصرفا بها تجاه بعضهما في أثناء هذه الرؤيا الوجيهة توضح أن كلاً منهما كان في جانب الآخر، أو هكذا اعتادا أن يكونا على أي حال.

قال توماس أخيرًا:

- اللعنة، فقط استمري في الحديث.

- حسنًا، هناك العديد من الأشياء لكي أشرحها لك، لذلك وبدءًا من هذه اللحظة ابق هادئًا واستمع إليّ فقط، اتفقنا؟

أخذت ساقا توماس تحترقان ألمًا بسبب سيرهم المستمر على المنحدر، فقال:

- حسنًا، ولكن... كيف تعرفين متى تتحدثين إليّ ومتى تتحدثين إليه؟ كيف يحصل ذلك؟

- إنه فقط يحصل، إنه أشبه بأن أسألك كيف لك أن تعرف متى تأمر ساقك اليسرى بأن تتحرك ومتى تأمر ساقك اليمنى أن تتحرك، إنني فقط... أعرف، إنه أمر مصمم في دماغي بشكل ما.

قال أريس:

- لقد فعلناها أنا وأنت أيضًا يا رجل، ألا تذكر؟

دمدم توماس بصوت مشبع بالغضب والانزعاج إلى درجة هائلة:

- بالطبع أذكر ذلك.

لو أن بإمكانه فقط أن يستعيد كل شيء مجددًا، أي ذاكرته بالكامل، كان يعلم أنه حينها سيتضح له كل شيء في مكانه الصحيح وسيتمكن من الماضي قدمًا. لم يستطع أن يفهم السبب وراء أن وكِد وجدت أنه من المهم جدًّا أن يجردوا عقولهم من كل ذكرياتهم، وما السبب وراء استعادته لأجزاء من ذاكرته من حين إلى آخر مؤخرًا؟ هل كان ذلك عن قصد أم محض مصادفة؟ أم أنه أثر ممتد لمرحلة التحول؟

الكثير من الأسئلة، الكثير من الأسئلة اللعينة، وكلها بلا إجابة.

قال أخيرًا:

- حسنًا إذن، سوف أبقى فمي وعقلي مقفلين. أكملني كلامك.

- يمكننا أن نتحدث عني أنا وأريس في وقت لاحق، إنني لا أذكر حتى ما الذي تحدثنا عنه، لقد نسيت كل شيء تقريبًا عندما استيقظت، لا بد أن الغيبوبة التي دخلها كل منا كانت جزءًا من العوائق، لذا فلربما أمكننا التواصل بهذه الطريقة حتى لا نُجن، أعني، لقد كنا جزءًا من هذا الأمر برمته، أليس كذلك؟

- جزء من الأمر برمته؟ إنني لست...

تقدمت تيريسا وضربته ضربة خفيفة على ظهره، وقالت:

- ظننت أنك ستبقى صامتًا.

تمتم توماس:

- أجل.

- على كلِّ، أتى أولئك الناس بأزيائهم الغريبة إلى غرفتي ومنذ ذلك الحين فقدت قدرتي على التخاطر معك، كنت خائفة وشبه غائبة عن الوعي، جزء مني كان يشعر بأن كل ذلك مجرد كابوس، وآخر شيء أتذكره بعد ذلك أنهم وضعوا شيئًا ما ذا رائحة بشعة على فمي ومن ثم فقدت وعيي. عندما استعدت وعيي كنت مستلقية على سرير في غرفة مختلفة، ومجموعة من الأشخاص جالسون على كراسي خلف ذاك الحائط الزجاجي الغريب، لم أعرف بوجوده إلا عندما لمستته، كأنه كان جدارًا عازلاً غير مرئي بشكل ما.

قال توماس:

- أجل، لقد رأينا شيئًا مثل ذلك أيضًا.

- بعد ذلك بدؤوا يتحدثون إليّ، وحينها أخبروني بكل هذا المخطط وعمّا ينبغي أن أفعله أنا وأريس معك، ولقد توقعوا أن أقوم أنا بإخباره، كما تعلم، عن طريق التخاطر، حتى على الرغم من كونه في مجموعتكم في ذاك الوقت، أو مجموعتنا، المجموعة (أ)، لقد أخذوني من غرفتي وأرسلوني لكي أكون في المجموعة (ب)، ثم أخبرونا عن مهمة الوصول إلى الملاذ الآمن، وعن كوننا نحمل فيروس الوهج، كنا خائفات وتائهات، ولكن لم يكن أمامنا أي خيار. ظللنا نسير عبر تلك الأنفاق تحت الأرض حتى وصلنا إلى الجبال، ولم نقرب المدينة على الإطلاق، كل شيء بدءًا من تقابلنا أنا وأنت في ذلك المبنى الصغير، ومن ثم كل شيء حدث عندما ظهرنا أمامكم عند الوادي بكل تلك الأسلحة، كل ذلك كان مخططًا.

فكر توماس في الرؤى المتقطعة من ذكرياته القديمة التي يراها في أحلامه، لقد أحس في قرارة نفسه بأن شيئاً مثل هذا كان لا بد أن يحدث قبل أن يصل إلى الجلايد وإلى المتاهة، كان لديه مئات الأسئلة ليسألها لتيريسا، ولكنه قرر أن يبقيها في داخله لمزيد من الوقت.

انعطفوا مجدداً مع الجرف المتعرج، ومن ثم تابعت تيريسا:

- إنني أكيدة من أمرين فقط، الأول أنهم قالوا لي إنني لو حاولت فعل أي شيء عكس ما خططوه سوف يقتلونك، وقالوا إن لديهم «خيارات أخرى»، أيًا كان الذي يعنيه ذلك. الشيء الثاني الذي أعرفه أن الغرض من وراء ذلك كله أن تشعر شعورًا لا يخالطه شك بأنه قد تمت خيانتك حقًا، والغرض وراء كل شيء فعلناه معك هو أن نتأكد من حدوث ذلك. مرة أخرى كانت الذكريات هي كل ما يفكر فيه توماس، لقد استخدم هو وتيريسا كلمة أنماط مباشرة قبل أن يتركها ويذهب، ما الذي يعنيه ذلك؟

سألت تيريسا بعد فترة من الصمت:

- والآن ماذا؟

أجاب توماس:

- ماذا... ماذا؟

- إذن ماذا تعتقد؟

- أهذا كل شيء؟ هل هذا هو كل ما لديك؟ أيفترض بي أن أكون سعيدًا للغاية الآن؟

- لم يكن أمامي أي فرصة يا توم، لقد هددوني أنهم سيقتلونك لو لم أنفذ ما قالوه، مهما حدث، كان لا بد أن تشعر أنك تمت خيانتك تمامًا حتى ينتهي هذا الأمر، لهذا السبب كنت أبالغ في فعل هذا، ولكن لماذا كان ذلك أمرًا بتلك الأهمية بالنسبة إليهم؟ ليست لدي فكرة.

أدرك توماس فجأة أن كل تلك المعلومات الجديدة سببت له صدامًا آخر.

قال:

- حسنًا، لقد أجدت هذا الأمر بكل تأكيد. وماذا عما حصل بداخل ذاك البناء؟ عندما قبلتني؟ و... ما علاقة أريس بهذا الأمر منذ البداية؟

جذبتة تيريسا من ذراعه لكي يتوقف وينظر إلى وجهها، وقالت:

- لقد حسبوا حساب كل شيء، كل شيء من أجل العوائق، لا أدري ما علاقة كل شيء ببعضه ببعض.

هز توماس رأسه ببطء مفكرًا، وقال:

- حسنًا، لا يبدو لي أي من هذا الهراء منطقيًا، واعذريني لكوني غاضبًا قليلًا.

- هل نجح الأمر.

- هاه؟

- لقد أرادوا أن تتعرض للخيانة لسبب ما غير معلوم، ولقد نجح ذلك، أليس صحيحًا؟

توقف توماس ونظر بداخل عينيها الزرقاوين مطولًا، ثم أجاب:

- أجل، لقد نجح.

- آسفة من أجل ما فعلته، ولكنك على قيد الحياة، وكذلك أنا، وكذلك آريس.

أجاب مجددًا، لم يكن يرغب حقًا في التكم معها بعد الآن:

- أجل.

- لقد حصلت وكِد على ما يريدونه، وحصلت أنا على ما أريده.

نظرت تيريسا إلى آريس، الذي تابع السير بمفرده إلى أن أصبح الآن يقف في المستوى التالي من الطريق، نادته قائلة:

- آريس، التفت إلى مواجهة الوادي.

أجاب آريس وقد بدا عليه عدم الفهم:

- ماذا؟ لماذا؟

- افعل ذلك فقط.

لم يعد صوتها يحمل لؤمًا الآن، ولم يعد كذلك منذ غادروا غرفة الغاز، ولكن ذلك في حقيقة الأمر قد جعل توماس يزداد رغبة في أمرها ويفكر فيما هي مقبلة على فعله.

زفر آريس في تملل، ولكنه فعل ما قالت له، استدار مولياً ظهره لهما.  
لم تتردد تيريسا، وأحاطت رقبة توماس بذراعيها وجذبتة نحوها، ولم  
يملك الأخير ما يكفي من الإرادة ليقاومها.  
وراحا يقبلان بعضهما، ولكن شيئاً لم يتحرك في داخل توماس، لم يشعر  
بأي شيء.



## الفصل السادس والخمسون

اشتدت الرياح وأخذت تضرب وتعصف من كل اتجاه.

وأخذ الرعد يرج السماء المكفهرة، مما أعطى توماس مبررًا لكي يبعد نفسه عن تيريسا، مقررًا مرة أخرى أن يخفي مشاعره الثقيلة. كان الوقت ينفد ولا يزال أمامهم طريق طويل.

بذل أفضل قدراته التمثيلية وهو يبتسم لتيريسا ويقول:

- أعتقد أنني فهمت الأمر، لقد فعلت أشياء غريبة، ولكنك أُجبرتِ على فعلها، وهأنذا على قيد الحياة، هذا كل شيء، أليس كذلك؟  
- هذا كل ما في الأمر.

- سأتوقف عن التفكير في الأمر إذن، يجب أن نلحق بالآخرين بسرعة.  
كانت الفرصة الوحيدة التي لديه للوصول إلى الملاذ الآمن هي أن يعمل مع تيريسا وأريس، وكان هذا ما ينوي فعله، بإمكانه أن يؤجل تفكيره في تيريسا وكل ما فعلته لاحقًا.

قالت تيريسا بابتسامة مفتعلة كأنها تشعر بأن هناك خطبًا ما:

- كما تشاء.

أو ربما لم يعجبها احتمال مواجهة فتیان الجلايد بعد كل ما حدث.

صاح أريس، الذي لم يزل ينظر إلى الناحية الأخرى:

- هل انتهيتما مما تفعلانه بالأعلى يا رفاق؟

صاحت تيريسا تجيبه:

- أجل! ولا تتوقع مني أن أقبلك على خدك مرة أخرى أبدًا، لا بد أن شففتي أصيبت بالفطريات الآن.

كاد توماس يضحك لدى سماعه ذلك، وانطلق في مسيرته إلى قاع الجبل من جديد، وابتعد بسرعة قبل أن تحاول تيريسا أن تمسك يده.

\*\*\*

استغرق الأمر ساعة أخرى إلى أن بلغوا قاع الجبل، كان المنحدر يزداد انبساطاً كلما اقتربوا من القاع، مما أتاح لهم أن يزدوا من سرعتهم، حتى انتهت تعرجات المنحدر تمامًا وانطلق ثلاثتهم يركضون مسافة ميل تقريباً حتى بلوغ الأرض المستوية المقفرة المنبسطة على امتداد البصر.

كان الجو حارًا، ولكن السماء الملبدة بالغيوم والرياح خفتت من شدته، ولا يزال توماس غير قادر على أن يرى بوضوح أفراد المجموعتين (أ) و(ب) الذين يقتربون ببطء من بعضهم من بعيد، وبخاصة الآن، بعدما فقد رؤيته الشاملة للمكان من الأعلى بفعل سحب التراب التي تكونت في الهواء. كل من مجموعة الفتيات والفتيان لا يزالان يتحركان جنبًا إلى جنب في اتجاه الشمال، وحتى من الرؤية التي يتيحها له موقعه، بدا له أنهم يتمايلون مع الريح العاتية في أثناء سيرهم.

أخذت عينا توماس تحرقانه بسبب الهواء المُحمَّل بالحصى والأتربة، استمر في فرك عينيه، وكان ذلك كثأطية مُدَّت بماءٍ، إذ تسبب في حدوث التهاب في الجلد المحيط بعينيه. لم ينفك العالم من حولهم يشتد اكفهرارًا وظلامًا، إذ أخذت السُّحب تزداد احتقانًا فوق رؤوسهم.

بعدما أخذوا استراحة سريعة زدوا فيها أنفسهم ببعض الطعام والشراب، وقد أخذ ما تبقى لهم من مؤن في النفاذ بسرعة، توقف ثلاثتهم بعدها لثوانٍ ليعرفوا أين وصلت المجموعتان الأخريان.

قالت تيريسا وهي تشير بيد إلى الأمام مباشرة بينما تحمي عينيها من الرياح باليد الأخرى:

- ها هم يسيرون هناك، لماذا لا يَعدُّون؟

أجابها آريس وهو ينظر في ساعته:

- لأنه لا يزال لدينا أكثر من ثلاث ساعات حتى الموعد النهائي. لو أن حسبتنا ليست خاطئة، فإن الملاذ الآمن لا بد وأن يكون على بعد أميال قليلة من هذه الناحية من الجبال، ولكنني لا أستطيع رؤية أي شيء.

كان توماس يكره أن يعترف بذلك، ولكن أمله في أن هناك شيئًا لا يستطيعون رؤيته من هذه المسافة كان قد تلاشى تمامًا.

قال توماس:

- إنهم يجرون بالمناسبة، من الواضح أنهم لا يستطيعون رؤيته أيضًا، مؤكد أنه لا شيء هناك، وليس أمامهم ما يعدون إليه سوى الصحراء الممتدة.

نظر أريس إلى السماء ذات اللون الرمادي المائل إلى السواد، وقال:

- المنظر بالأعلى لا يبشر بالخير، ماذا لو هبت عاصفة أخرى من عواصف البرق اللطيفة تلك؟

قال توماس:

- سيكون من الأفضل لنا أن نختبئ في الجبال لو أن ذلك حدث.

فكر أن ذلك لن يكون النهاية المثلى لإنهاء هذا الأمر، أن يحترقوا حتى الموت بواسطة صواعق كهربائية في أثناء بحثهم عن مكان يدعى بالملاذ الآمن الذي لم يكن له وجود منذ البداية.

قالت تيريسا:

- دعونا فقط نلحق بهم، ولاحقًا يمكننا أن نفكر فيما نفعله.

استدارت لكي تنظر إلى كلا الفتيتين ووضعت يديها على فخذيهما، وقالت:

- هل أنتما مستعدان يا رفاق؟

قال توماس:

- أجل.

حاول ألا يترك نفسه للذعر والقلق ليبتلعاه، لا بد من وجود إجابة لكل ما حدث لهم، لا بد من ذلك.

اكتفى أريس برفع كتفيه كإجابة. قالت تيريسا:

- فلنعدُ إذن.

ومن ثم انطلقت قبل أن يتمكن توماس من الإجابة عليها، وكان أريس في إثرها تمامًا.

أخذ توماس نفسًا عميقًا، لسبب ما ذكَّره كل شيء بالمرَّة الأولى التي انطلق يعدو هو ومينهو بداخل المتاهة، مما سبب له شعورًا بالقلق، أطلق سراح النَّفس خارج رثَّيه وانطلق في إثر الاثنين.

بعد نحو عشرين دقيقة تقريبًا من العدو، أجبرته الرياح على بذل أضعاف أكبر جهد بذله من قبل في المتاهة. تحدث توماس إلى تيريسا في عقلها:  
- أظن أنني استعدت بعض الذكريات الأخرى مؤخرًا، أراها عبر أحلامي.  
لقد كان ينتظر كي يخبرها، ولكن ليس في وجود آريس، لكي يختبرها أكثر من أي شيء آخر، لكي يرى رد فعلها على الأشياء التي تذكرها، وليرى إذا كان بإمكانه أن يستنبط أي دليل على نياتها الحقيقية.

أجابته في عقله بدورها:

- حقًا؟

شعر توماس بصدمتها.

- أجل، هذا غريب، رأيت أشياء عشوائية، وذكريات منذ طفولتي، و... أنت كنتِ هناك أيضًا، رأيت لمحات عن الطريقة التي عاملتنا بها وكِد، مباشرة قبل أن نصل إلى الجلايد بوقت قليل.

توقفت قبل أن تجيبه، ربما كانت تخشى طرح الأسئلة التي قفزت في ذهنه في النهاية.

- هل يوجد منها ما يساعدنا؟ هل تتذكر الكثير من الأشياء؟

- بعض منها، ولكن ليس بما يكفي حقًا لكي يكون صورة ذات معنى.

- ما الذي رأيته؟

أخبرها توماس عن كل الذكريات التي رآها بالتفصيل، أو عن الأحلام التي رآها خلال الأسابيع القليلة الماضية، عن رؤيته لوالدته، وعن استراقه السمع لمحادثات عن جراحة ما، وأنه هو وهي يتجسسان على أشخاص من وكِد، وسمعا أشياء لم يستطيعا لها فهمًا على الإطلاق، وعن اختبارهما وتدريبهما على قدرتهما على التخاطر، وأخيرًا، وداعهما بعضهما لبعض مباشرة قبل مغادرته إلى الجلايد.

سألته:

- إذن أريس أيضًا كان هناك؟

ولكنها تابعت قبل أن يرد عليها:

- بالطبع كان هناك، أنا أعلم ذلك بالفعل، أعلم أن ثلاثتنا كنا جزءًا من وِكد، ولكن الغريب هو جميع من يموتون، والتبديل الذي حدث بيننا، وكل شيء، ما معنى ذلك في اعتقادك؟

- لا أدري، ولكنني أشعر أنه لو كان لدينا الوقت لكي نجلس فقط ونتحدث عن كل شيء، ربما يمكننا أن نساعد بعضنا في استعادة كل شيء.

- وأنا أيضًا يا توم، أنا آسفة جدًا، يمكنني أن أتخيل كم من الصعب عليك مسامحتي.

- هل سيغير ذلك من أي شيء؟

- كلا، إنني فقط تقبلت الأمر بطريقة أو بأخرى، وأن إنقاذ حياتك كان يستحق أن أفقد الشيء الذي ربما كان بيننا.

لم يدرِ توماس بما يمكنه أن يجيئها.

لا يعني ذلك أنهما كان بإمكانهما التكلم أكثر لو أرادا هذا، فمع الرياح التي تعصف بهم والأتربة والحصى الذي يتطاير في الهواء، والسحب التي تزداد احتقانًا وتضخمًا، والمسافة التي استمرت في التضاؤل بينهم وبين الآخرين... فقط لم يكن الوقت في صالحهم، وهكذا تابعوا العدو.

\*\*\*

تقابلت كلتا المجموعتين أخيرًا وتمكنوا من رؤيتهم أمامهم بعيدًا، ولكن الأمر الذي أثار اهتمام توماس هو أن ذلك لم يبدُ وكأنه عن طريق الصدفة على الإطلاق، إذ توقفت فتيات المجموعة (ب) عندما وصلن إلى نقطة محددة، ومن ثم قام كل من مينهو -أصبح بإمكان توماس تمييزه الآن، وشعر بارتياح لرؤيته سليمًا وحيًا يُرزقُ- وفتيان الجلاید بتغيير اتجاه سيرهم إلى الشرق ليتقابلوا معهن.

والآن، وعلى بعد نصف ميل فقط، وقف الجميع حول شيء ما لم يتمكن توماس من رؤيته، كانوا متجمهرين في دائرة لكي ينظروا إلى ذاك الشيء.

سألته تيريسا في عقله:

- ما الذي يجري هناك؟

- لا أدري.

وأخذ كلاهما، ومعهما أريس، يعدون بسرعة أكبر.

استغرق منهم الأمر بضع دقائق أخرى فقط عبر سحب التراب والحصى التي ولدتها الرياح الثائرة إلى أن تقابلوا مع المجموعتين.

ما إن وصلوا إلى هناك، خطا مينهو بعيدًا عن الحشد الكبير ووقف في مقابلتهم، كانت ذراعاها مطويتين وملابسه قدرة، وشعره متسخ، ولا تزال علامات الحرق ظاهرة على وجهه، ولكنه كان مبتسمًا بطريقة ما، لم يستطع توماس أن يصدق كم أسعدته رؤية تلك الابتسامة المتعجرفة مجددًا.

صاح بهم مينهو:

- استغرق الأمر منكم وقتًا طويلًا حتى تلحقوا بنا أيها الكسالى البطيئون.

توقف توماس أمامه مباشرة وانحنى ملتقطًا أنفاسه لبضع ثوانٍ، ثم

انتصب واقفًا وقال:

- لقد ظننت أنكم ستتقاتلون حتى الموت مع أولئك الفتيات بعد ما فعلنه

بنا، أو بي، على أي حال.

بدل مينهو نظره إلى جمع الفتيان والفتيات الذين امتزجوا بعضهم

ببعض، ثم نظر إلى توماس مرة أخرى، وقال:

- حسنًا، أولًا، هن لديهن أسلحة أكثر فتكًا مما لدينا، ناهيك بالأقواس

والسهام، كما أن تلك الفتاة المثيرة التي تدعى هاريت شرحت لنا كل

شيء، نحن من يجب أن نكون متفاجئين لأنك ما زلت معهما.

سدّد مينهو النظر إلى تيريسا ثم إلى أريس.

- لم أثق بأي من هذين الخائنين الفاسقين قط.

حاول توماس أن يخفي مشاعره المختلطة، وقال:

- لقد أصبنا إلى صفنا، ثق بي.

وبطريقة غريبة غير مفهومة، كان قد بدأ حقًا بتصديق ذلك.

ضحك مينهو بمرارة، وقال:

- تصورت أن تقول شيئاً كهذا، دعني أضمن، أهي قصة طويلة؟

أجابه توماس:

- أجل، قصة طويلة للغاية.

ثم غيّر الموضوع:

- لماذا توقفتم جميعاً هنا؟ ما الذي ينظر إليه الجميع؟

خطا مينهو إلى جانبه وربت على ظهره.

- اذهب وألقِ نظرة بنفسك.

ثم صاح في كلتا المجموعتين قائلاً:

- أفسحوا الطريق أيها الرفاق.

نظر بعض فتیان الجلايد وفتيات المجموعة (ب) إلى الخلف وعادوا إلى الورا ببطء حتى تشكلت فسحة ضيقة بداخل الحشد، رأى توماس على الفور ذاك الشيء الذي جذب انتباه الجميع، كانت مجرد عصا تخرج من باطن الأرض منتصبّة، معلق في طرفها شريط برتقالي يرفرف في الهواء، ويحمل أحرفاً مطبوعة على طرفه الرفيع.

تبادل توماس وتيريسا النظر، ثم اقترب توماس لينظر نظرة أكثر تفحصاً. كان قد تمكن من قراءة الكلمات المطبوعة باللون الأسود على الشريط البرتقالي من قبل حتى أن يصل إليه.

**الملاذ الآمن**





## الفصل السابع والخمسون

على الرغم من الرياح العاصفة وضجيج الناس من حوله، شعر توماس لدقيقة بأن العالم يسكن من حوله وكأن أذنيه سُدَّتَا بالقطن، سقط جاثيًا على ركبتيه ومد يده دون وعي ليلمس الشريط البرتقالي الذي يرفرف مع الريح. هل ذلك هو الملاذ الآمن؟ أليس ببناء، مأوى، أي شيء؟

وفجأة تعالت الأصوات من حوله تندفع إلى أذنيه مثلما اختفت فجأة، جعله الصوت يستفيق إلى الأمر الواقع، صوت أزيز الرياح المحمّل بهمهمات الحديث الذي يدور بين الجميع.

التفت مجددًا إلى تيريسا ومينهو، إذ وقف كل منهما إلى جانب الآخر ومن خلفهما أريس يسترق النظر عبر كتفیهما.

نظر توماس في ساعته، ثم قال:

- تبقى لدينا نحو ساعة، هل ملاذنا الآمن عبارة عن عصا مغروسة في الأرض؟

تشوش عقله حتى لم يعد واثقًا مما يقول أو يفكر.

قال مينهو:

- ليس الأمر ببالغ السوء، عندما تفكر فيه مليًا، لقد نجح أكثر من نصف عددنا في الوصول إلى هنا، ويبدو أن معظم فريق الفتيات قد فعل أيضًا.

انتصب توماس واقفًا، محاولًا كبح غضبه، وقال:

- هل أفقدك الوهج عقلك بالفعل؟ أجل، لقد وصلنا إلى هنا، بسلام وأمان، إلى عصا لعينة.

قال مينهو ساخرًا:

- يا صديقي، إنهم لن يرسلونا إلى هنا هباءً، لقد وصلنا خلال الوقت الذي منحونا إياه، والآن علينا فقط أن نجلس حتى ينتهي الوقت بالضبط وسوف يحدث شيء ما.

قال توماس:

- إن هذا ما يقلقني.

أضافت تيريسا:

- إنني أكره أن أقول هذا، ولكنني أتفق مع توماس، فبعد كل شيء فعلوه بنا، فسيكون أمرًا في غاية السهولة أن ننتظر هنا جميعًا عند تلك العلامة الصغيرة إلى أن يظهروا من مكان ما ويضعونا في طائرة كمكافأة لنا، إن شيئًا سيئًا على وشك أن يحدث.

قال مينهو بوجه لم يخف ذرة من البغض الذي يشعر به تجاه تيريسا:

- أيًا كان ما ستقولينه أيتها الخائنة، فإنني لا أريد أن أسمع كلمة أخرى تخرج من فمك.

سار مبتعدًا وشرر السخط يتطاير من عينيه كما لم يسبق لتوماس أن رآه من قبل.

نظر توماس إلى تيريسا، والتي بدت عليها وطأة المفاجأة بوضوح، وقال:

- لا يفترض بك أن تكوني متفاجئة.

هزت كتفها في استهجان، وقالت:

- لقد سئمت من الاعتذار، لقد فعلت ما توجب عليّ فعله.

لم يستطع توماس أن يصدق أنها جادة فيما قالت.

- لا يهم، يجب أن أجد نيوت، أريد أن...

قبل أن ينهي جملته، ظهرت برندا من بين الحشد وأخذت تبديل نظرها جيئةً وذهابًا بينه وبين تيريسا، وأخذ شعرها الطويل يتطاير في الهواء مع

الرياح ويضرب وجهها بعنف جنوني فراحت تجمعه خلف أذنيها ليعاود الكرة مجددًا.

قال وقد شعر بالذنب لسبب ما لا يعلمه:

- برندا...

قالت برندا بينما سارت إلى أن وقفت أمامه هو وتيريسا مباشرة:

- مرحبًا بك، هل هذه هي الفتاة التي كنت تخبرني عنها؟ عندما كنا أنا وأنت مختبئين في تلك الشاحنة؟

اندفعت الكلمة خارج فم توماس قبل أن يتمكن من إيقافها:

- أجل، كلا... أعني، نعم.

مدت تيريسا يدها إلى برندا وتصافحتا، ثم قالت:

- أنا تيريسا.

أجابتها برندا:

- سعدت بمقابلتك، أنا نزقة، أفقد عقلي شيئًا فشيئًا، لا أستطيع منع نفسي من أكل أصابعي والرغبة في قتل الناس بشكل عشوائي، ولقد وعدني توماس بأن ينقذني.

وعلى الرغم من أنها كانت تمزح بكل تأكيد، لم يظهر على وجهها شبح ابتسامة حتى.

اضطر توماس إلى إخفاء نفوره، وقال:

- هذا مضحك يا برندا.

قالت تيريسا، ولكن بوجه بدا كقطعة جليد:

- من الجيد أنه لا يزال لديك القدرة على المزاح.

نظر توماس في ساعته، لا يزال لديهم خمس وخمسون دقيقة.

- إنني، اممم، أحتاج إلى أن أتحدث مع نيوت.

ثم استدار بسرعة وسار مبتعدًا قبل أن تتمكن إحدى الفتاتين من قول أي شيء، أراد أن يبتعد عن كليهما بقدر المستطاع.

كان نيوت جالسًا على الأرض مع السيد طاسة ومينهو، بدا على ثلاثتهم وكأنهم في انتظار العالم لينتهي.

تخللت الريح العاتية بعض الرطوبة، وقد بدت السحب المحقنة والمنتفخة كقرب الماء أقرب إليهم بشكل ملحوظ، سحب كثيفة من الضباب الأسود تغشى الأرض لتبتلعها ابتلاعًا، لاحت بعض الأضواء الخاطفة هنا وهناك في السماء تشع ضوءًا بنفسجيًا ممتزجًا بالبرتقالي الذي بدا كالنار في قلب السماء الرمادية، لم يرَ توماس أي صعقة برق فعلية حتى الآن، لكنه كان يدرك أنها آتية لا محالة، لقد بدأت العاصفة الهائلة الأولى بنفس الطريقة تمامًا.

قال نيوت عندما انضم إليهم توماس:

- مرحبًا يا تومي.

جلس الأخير بجوار أصدقائه وأحاط ركبتيه بذراعيه، فقط كلمتان بسيطتان لا أكثر ولا أقل، بدا الأمر كما لو أن توماس قد عاد لتوه من تمشية أو نزهة وليس وكأنه قد اختطف وكاد يُقتل.

قال توماس:

- سعيد لأنكم تمكنتم من الوصول إلى هنا يا رفاق.

ضحك السيد طاسة ضحكته المعتادة التي تشبه خنخنة الخنزير، وقال:  
- وأنت أيضًا، على الرغم من أن الأمر يبدو وكأنك استمتعت كثيرًا بالبقاء مع إلهة الحب خاصتك، أظن أنكما تبادلتما القبلات وهذه الأشياء؟

أجاب توماس:

- ليس بالضبط، لم يكن الأمر مرحًا.

سأل مينهو:

- ما الذي حدث إذن؟

تردد توماس في البداية، ولكنه كان يعلم أن عليه إخبارهم بكل شيء، ولم يكن هناك وقت أفضل من الوقت الحالي، سحب نفسًا عميقًا وراح يتكلم، أخبرهم عن خطة وكِد التي وضعوها من أجله، وعن المعسكر وغرفة الغاز، لا يزال غير قادر على فهم أي شيء، ولكنه شعر بقليل من التحسن بعدما أخبر أصدقاءه.

سأل مينهو عندما انتهى توماس أخيرًا:

- وهل سامحت تلك المحتمالة؟

- لن أسامحها، لا يهمني ما يريد فعله أولئك الفاسقون في وِكد، ولا يهمني ما تريدون فعله أنتم أيضًا، ولكنني لا أثق بها، ولا أثق بآريس، ولا أطيق أيًا منهما.

بدا نيوت وكأنه يفكر في الأمر بعمق، إذ قال:

- لقد فعلوا كل ذلك، وقاموا بكل ذلك التخطيط والتمثيل، فقط لكي يجعلوك تشعر بالخيانة؟ هذا ليس منطقيًا بحق الجحيم.

قال توماس:

- أعرف هذا، وكلا، لم أسامحها، ولكنني أعتقد الآن أننا في مركب واحد ليس إلا.

نظر من حوله فوجد معظم الناس جالسين، يحدقون إلى الفراغ، لم يتبادلوا أطراف الحديث كثيرًا، ولكن كلتا المجموعتين لم تلتزما الصمت التام أيضًا.

- وماذا عنكم يا رفاق؟ كيف وصلتكم إلى هنا؟

أجاب مينهو:

- عثرنا على ممر عبر الجبال، وكان علينا أن نقاتل بعض النزقين، كانوا يخيمون بداخل كهف، ولكن لم نواجه أي مشكلة دون ذلك، ولكن الطعام والماء على وشك النفاد، وساقاي تؤلمانني بشدة، وإنني أكيد من أن عاصفة برقية ورعدية هائلة أخرى توشك على أن تبدأ فوق رؤوسنا وتجعلني أبدو كقطعة لحم مقعد كالتي يصنعها السيد طاسة.

قال توماس، وهو ينظر إلى الورا نحو الجبال، وفكر أنهم على الأرجح قد قطعوا إجمالاً مسافة أربعة أميال بعيدًا عن سفح الجبل:

- أجل، ربما يجب علينا أن ندعنا من أمر الملاذ الآمن ذاك ونحاول إيجاد مكان للاختباء.

ولكن حتى بعد أن قال ذلك، كان يدرك أنه ليس خيارًا متاحًا، على الأقل ليس قبل أن ينتهي الوقت.

أجابه نيوت:

- غير ممكن، لم نقطع هذه المسافة لكي نعود أدرجنا الآن، دعنا فقط نأمل أن تتأخر العاصفة اللعينة لمزيد من الوقت.

رفع عينيه نحو السحب التي استحال لونها إلى الأسود تقريباً وقد تجعدت قسماً وجهه.

التزم فتیان الجلايد الثلاثة الآخرون الصمت، ولم تنفك الرياح تزداد عصفاً، وجعل صوتها الصارخ من العسير عليهم أن يسمعو بعضهم بعضاً على أي حال. استمر توماس في النظر إلى ساعته.

خمس وثلاثون دقيقة، مستحيل أن تصمد هذه العاصفة لـ...

صرخ مينهو:

- ما هذا؟!

انتصب واقفاً فجأة وأشار إلى مكان ما من فوق كتف توماس.

نهض توماس واقفاً بدوره والتفت لينظر وقد اشتعل القلق في داخله، إذ كان الرعب واضحاً على وجه مينهو وضوح الشمس.

على بعد نحو ثلاثين قدماً من الفريق، أخذت مساحة كبيرة من أرض الصحراء... تنشق وتُفتح، مربع مثالي، ربما مساحته نحو خمسة عشر قدماً، تدور حول محور قطري إذ أخذت تقلب التراب من أسفل إلى الأعلى، دوى صوت صرير المعدن في أثناء دورانه عبر الهواء أعلى من صوت الريح المصرصرة. ثم ما لبث المربع الدوّار أن انقلب كلياً، وحيث كانت الأرض صحراوية، أصبحت الآن سوداء ومن فوقها يجثم شيء غريب.

كان شيئاً أبيض مستطيل الشكل ذا حواف مستديرة، لقد رأى توماس شيئاً مثله إلى حد كبير من قبل، العديد منه في حقيقة الأمر، بعد هروبهم من المتاهة ودخولهم إلى الغرفة الضخمة التي كانت الهوام تأتي منها، لقد رأوا العديد من تلك الحاويات التي تشبه التوابيت، ولكن لم يكن لديه سعة من الوقت ليفكر في أمرها في ذلك الوقت، ولكن لدى رؤيته الآن، فكر أنها مكمّن الهوام بكل تأكيد، أو حيث ينمّن عندما لا يخرج لصيد البشر بداخل المتاهة.

وقبل أن يتمكن من الإتيان بأي رد فعل، راحت المزيد من الأجزاء من أرض الصحراء التي تحيط بالمجموعة في دائرة شاسعة تدور وتُفتح ككفوك وحوش أسطورية.

كان هناك العشرات منها.

## الفصل الثامن والخمسون

كان صرير المعدن الذي تصدره الأخاديد المربعة وهي تدور ببطء حول محاورها يصمُّ الأذان لدرجة جعلت توماس يضع يديه على أذنيه في محاولة لتخفيف حدة الصوت، وفعل بقية أفراد المجموعة الشيء ذاته.

ومن حولهم، أخذت بقع من أرض الصحراء الموزَّعة على مساحات متساوية بحيث تطوَّق المنطقة المحيطة بهم تطويقًا كاملاً تدور في دوامات، إلى أن أصدرت صوت قرقرة عالٍ واستقرت أخيرًا واختفت في باطن الأرض، فاستحالت كل واحدة منها إلى مربع كبير أجوف، يعتلي كل واحد منهم واحد من التوابيت المستديرة الضخمة بيضاء اللون، كان عددهم لا يقل عن الثلاثين تقريبًا.

توقف صوت صرير المعادن التي تحتك بعضها ببعض، ولم ينبس أحدهم بكلمة. لم يتحرك أي شيء قيد أنملة منذ اللحظة التي ظهرت فيها تلك الأشياء الغريبة والمنفرة، لم يكن حاضرًا سوى ذلك الصوت والرياح والبرد وأعينهم التي تحرقهم.

نادته تيريسا في عقله:

- توم؟

- نعم.

- أنت تذكر تلك الأشياء، أليس كذلك؟

- أجل.

- أتظن أن هناك هوامًا بداخلها؟

أدرك توماس أن هذا بالضبط ما كان يعتقد، ولكنه أيضًا كان قد اقتنع أخيرًا بأنه لا ينبغي أن يتوقع أي شيء، فكر في الأمر مليًا قبل أن يجيب:

- لا أدري، أعني، إن أجساد الهوام رطبة جدًا حقًا، ستكون حركتهن مستحيلة في هذا المكان.

بدا ذلك رأيًا غبيًا، ولكنه حاول أن يتشبث بأي شيء.  
عادت تيريسا تقول بعد هنيهة من الصمت:

- ربما نحن من يفترض بنا أن... ندخلها، ربما تلك الصناديق هي الملاذ الآمن، أو أنها ستنقلنا إلى مكان ما.

استقبح توماس الفكرة، ولكنه فكر أنها ربما تكون محقة، أشاح بنظره بعيدًا عن الصناديق الضخمة ونظر إليها، وكانت هي تسير نحوه بالفعل، ولحسن الحظ كانت بمفردها، لم يكن باستطاعته أن يهتم بكلتيهما معًا؛ هي وبرندا.

تكلم جهراً:

- مرحبًا.

ولكن الرياح بدت وكأنها امتصت الصوت قبل حتى أن يخرج من فمه، أو شك أن يمد يده إليها لكنه سحبها مسرعًا وقد نسي تقريبًا كم أن الأمور تغيرت بينهما. لم يبد أنها لاحظت بينما تسير باتجاه مينهو ونيوت، دفعت كلاً منهما برفق في تحية، التفت الاثنان نحوها وتحرك توماس باتجاههم ليجتمع معهم.

سأل مينهو:

- إذن، ما الذي يتوجب علينا فعله؟

حدج تيريسا بنظرة حادة منزعجة تنم عن أنه لا يريد أن تكون جزءًا من اتخاذ القرار.

أجاب نيووت:

- لو أن هناك هومًا في داخل تلك الأشياء، فسيكون علينا أن نستعد لقتال أولئك الأوغاد الملعين.

- عما تتكلمون أيها الرفاق؟



التفت توماس ليجد هاريت وسونيا خلفهم، وكانت هاريت هي التي تكلمت، بينما وقفت برندا خلفهما مباشرة وإلى جانبها خورخي.

تمتم مينهو:

- هذا رائع، ملكتا المجموعة (ب) البهية.

تظاهرت هاريت فقط بأنها لم تسمعه، وقالت:

- إنني أفترض أن جميعكم رأيتم تلك الصناديق من قبل في غرفة متاهة وكِدْ خالصتكم أيضاً، كانت حيث يتم شحن الهوام أو أياً كان ما يفعله بهن.

قال نيوت:

- أجل، لا بد أنه كذلك.

بدأت أضواء البرق تتفجر وتشق السماء من فوق رؤوسهم، وأخذت تلك الأضواء الخاطفة تزداد سطوعاً، والرياح تعصف بعنف في ملابس كل منهم وفي شعره فأصبحت رائحة كل شيء كرائحة خليط من التراب المبلل بالماء، خليط غريب. تفحص توماس الوقت مجدداً، وقال:

- لدينا فقط خمس وعشرون دقيقة. أمامنا احتمالان، إما أن نقاتل الهوام، أو سيتوجب علينا أن ندخل إلى تلك التوابيت الضخمة في الوقت الصحيح، ربما كانت هي الـ...

تصدع الهواء فجأة بصوت صفير حاد من كل الاتجاهات، ثقب الصوت أدنى توماس فأسرع يضغط بيديه على جانبي رأسه مجدداً، وجذبت انتباهه حركة ما في المساحة المحيطة بهم، راح يراقب بتأهب ما كان يحدث للصناديق البيضاء الكبيرة.

ظهر خطٌ من ضوء أزرق داكن على جانب واحد من كل صندوق، ثم أخذ الضوء يتسع بينما انفتح شيئاً فشيئاً نحو الأعلى بواسطة مفصلات مثل غطاء التابوت، لم يصدر منها أي صوت، أو على الأقل لم يصدر صوت بالحدة الكافية لكي يُسمع وسط الرياح العاصفة وصعقات البرق. شعر توماس بأفراد الجلايد والآخرين وهم يتحركون معاً ببطء إلى أن كَوَّنوا عقدة محكمة بين بعضهم بعضاً، حاول كل منهم أن يبتعد بقدر ما أمكنه عن تلك الكبسولات، وما لبثوا أن التحموا جميعاً في نقطة تتمركز وسط الكبسولات التي تحيط بهم.

استمرت أغطية الكبسولات في التحرك حتى انفجرت كلها مفتوحة على مصارعها حتى سقطت على الأرض، وفي داخل كل واحدة منها كان هناك شيء ضخم يرقد، لم يستطع توماس أن يرى ما هو بوضوح، ولكنه أيضًا لم يتمكن من أن يرى أي شيء يبدو مثل هيئة الهوام، لم تصدر منها أي حركة، ولكنه تعلم ألا يتخلى عن حيپته.

تحدث إلى تيريسا في عقلها:

- تيريسا؟

لم يخاطر بمحاولة التحدث إليها جهرا ولو حتى بصوت خفيض، ولكن كان عليه أن يتحدث إلى أحد وإلا سيفقد عقله.

- أجل.

- يجب أن يذهب أحدنا ليلقي نظرة، ويرى ماذا يوجد في داخلها.  
قال ذلك، ولكنه لم يرد حقا أن يكون هو من يفعل ذلك.  
قالت تيريسا ببساطة:

- هيا لنذهب معا.

فجأته بشجاعته، أجابها، وقد حاول أن يبدو ساخرا:

- أحيانا يكون لديك أسوأ الأفكار على الإطلاق.

ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه أنها الحقيقة أكثر بكثير مما ود أن يعترف بها لنفسه، لقد كان مرعوبا.

صاح مينهو:

- توماس!

كانت الرياح لا تزال تعصف بوحشية، ولكنها الآن قد ابتلعته أصوات عاصفة البرق والرعد التي تزداد اقترابا منهم، إذ أصبحت السماء صفحة تعرض أضواء انفجارات البرق المتألقة التي تشق السماء من فوقهم والأفق أمام نواظرهم. كانت العاصفة على شفا خطوة من أن تصب غضبها فوق رؤوسهم.

صاح توماس مجيبا:

- ماذا هناك؟

- أنت وأنا ونيوت، فلنذهب ونتحقق مما هناك.

لم يكد توماس يتحرك حتى أوقفه انزلاق شيء ما خارج إحدى الكبسولات، تبادل توماس نظرات مستفهمة مع من كانوا بالقرب منه، ثم التفت ليلقي نظرة أكثر تفحصًا. تابعت تلك الأشياء التحرك بداخل كل الصناديق، أشياء لم يستطع فهم ماهيتها في البداية، وأيًا كانت، فإنها أخذت تخرج من منازلها المستطيلة بكل تأكيد. ركز توماس على الكبسولة الأقرب إليه، ودقق النظر كي يتمكن من ملاحظة الشيء الذي سيواجهه.

تدلت ذراع مشوهة من فوق حافة الكبسولة بينما ارتفعت الأيدي بضعة إنشات عن سطح الأرض، كانت يداً ذات أربع أصابع، قطع لحم بني فاتح يثير الاشمئزاز، ليس أحدها بنفس طول الآخر. أخذت الأيدي تهتز وتسبح في الهواء كأنها تبحث عن شيء لتمسك به ولم يكن موجودًا، كأن المخلوق الذي بالداخل يبحث عن شيء يتمسك به ليتمكن من الخروج، كانت ذراعه مجعدة بالكامل ومليئة بالتورمات، وكان هناك شيء في غاية الغرابة حيث يُفترض أن يكون مكان الكوع، شيء أشبه بنتوء أو جزء نام على شكل دائري، يبلغ قطره نحو أربعة إنشات تقريبًا، ويتوهج بلون برتقالي.

بدا الأمر وكأن ذلك الشيء يحمل مصباحًا ملتصقًا بذراعه، استمر الوحش في محاولاته في الخروج إلى أن ظهرت ساق تحمل قدمًا ضخمة ككتلة لحم، وأربع كتل ناتئة بدت وكأنها أصابع قدمه، وظهرت على ركبته واحدة أخرى من تلك الأجسام الكروية الغريبة تشع ضوءًا برتقاليًا، على ما يبدو أنها كانت ناتئة في جلده مباشرة.

صاح مینهو وسط صخب العاصفة الهوجاء:

- ما هذا الشيء؟

لم يجبه أحد، إذ كان توماس في حالة من الذهول بينما يحدق إلى المخلوق بعينين مشدوهتين ومرتعبتين في نفس الوقت. أبعد ناظره عنه أخيرًا ليجد المزيد من الوحوش التي تشبهه تخرج من كل الكبسولات الأخرى، وفي نفس اللحظة معًا. أعاد توماس ناظره باتجاه الوحش الأقرب إليه مجددًا، وقد تمكن بطريقة ما من رفع وتثبيت نفسه بذراعه وساقه اليمنى ومن ثم راح يسحب الجزء الباقي من جسده خارجًا، ظل توماس يحدق بوجهه يملؤه الرعب إذ أخذ الشيء البغيض يتقلب ويتلوى حتى ترنح من فوق حافة الكبسولة المفتوحة وسقط على الأرض، هيئته تشبه البشر على نحو مثير للاشمئزاز، عدا أن طوله فاق القدمين على الأقل أكثر من أي شخص من حول توماس، كان جسده عاريًا

وسميًا، يتدلى جلده المليء بالندبات فوق بعضه، وأكثر ما كان يثير الغثيان هي تلك النتوءات المنتفخة، اقترب عددها من العشرين على أقل تقدير، تنتشر على طول جسد ذاك المسخ وتتوهج بضوء برتقالي ساطع، ويتركز أكبر عدد منها على صدره وظهره، وواحد على كلا الكوعين والركبتين، ولكن المصباح على ركبة الساق اليمنى أخذ يصدر شررًا هائلًا لدى ارتطامه بالأرض، بينما كان هناك العديد من المصابيح تتبرعم من كتلة ضخمة حيث يجب أن يكون... رأسه، وإن لم يحتو على أعين أو فم أو أذنين، وكذلك الشعر.

نهض الوحش واقفًا على قدميه، ترنح قليلًا إلى أن استعاد توازنه، ثم استدار ببطء ليوافق مجموعة البشر. وبنظرة سريعة من حولهم، وجدوا الوحوش الأخرى قد تحررت من كبسولاتها، وأصبحت الآن جميعًا تحيط أفراد الجلايد وفتيات المجموعة (ب) في دائرة. رفعت المخلوقات أذرعها نحو السماء في حركة منسجمة للغاية، ومن ثم انطلقت شفرات رفيعة من فتحات في أصابعهم البدينة، ومن أصابع أقدامهم، ومن أكتافهم، أخذت ومضات البرق في السماء تلمع على أسطح الشفرات الفضية البراقة الحادة. وعلى الرغم من عدم وجود أي علامة على أن لديها فمًا، إلا أن أنينًا وحشيًا ومرعبًا راح يصدر من أجسادها، كان صوتًا تمكن توماس من الشعور به أكثر من سماعه، وكان لا بد من أن يكون صاحبًا كي يصبح سماعه ممكنًا وسط صوت هزيم الرعد الهائل.

تكلمت تيريسا بداخل عقل توماس:

- ربما لو كانت هوائيًا لكان الوضع أفضل.

أجابها وهو يجاهد كي يبقى هادئًا:

- حسنًا، إن الشبه بينهم كبير، من الواضح من الذي صنع هذه الأشياء.

استدار مينهو بسرعة في مواجهة حشد الأشخاص المحيطين بتوماس والذين لا يزالون يحدقون من هول الصدمة، صاح قائلاً:

- هناك واحد تقريبًا لكل منا، أحضروا كل ما لديكم من أسلحة.

بدأت المخلوقات المضيئة في التحرك وكأنها أدركت أنهم يتحدثونها تقريبًا، كانت خطواتها الأولى مترنحة بعض الشيء، ولكنها ما لبثت وأن استعادت توازنها وأصبحت أقوى وأكثر ثباتًا ورشاقة.

كانت تزداد قربًا منهم مع كل خطوة تخطوها.

## الفصل التاسع والخمسون

قدّمت تيريسا إلى توماس سكيناً طويلة تقترب من أن تكون سيفاً، لم يستطع أن يتخيل أين كانت تخفي تلك الأشياء، ولكنها تحمل الآن خنجراً صغيراً مع رمحها.

تحدث مينهو وهاريت إلى أفراد مجموعتهما عندما ازدادت العمالقة المضيئة منهم اقتراباً أكثر فأكثر، راحوا ينقلونها في أرجاء المكان، ويحددون موقع كل واحدة، تبددت صيحاتهم وتعليماتهم مع الريح قبل أن يتمكن توماس من سماع أي شيء، غامر بإبعاد عينيه عن الوحوش التي تزداد اقتراباً لكي ينظر إلى السماء، تفرعت وتشعبت شحنات البرق عبر السحب المحترقة، والتي بدت وكأنها تبعد مسافة بضع عشرات أقدام فقط من فوق رؤوسهم، وتشبّع الهواء برائحة الكهرباء النفاذة.

أعاد توماس نظره إلى الأسفل وركز على المخلوق الأقرب إليه، وتمكن كل من مينهو وهاريت من تنظيم المجموعتين لكي يشكلوا دائرة مثالية تقريباً في الاتجاه المقابل للوحوش.

وقفت تيريسا إلى جوار توماس، كان ليقول لها شيئاً ما لو أنه استطاع أن يفكر في أي شيء، كان كمن فقد قدرته على الكلام.

أصبحت أحدث أعمال وكد البغيضة على بعد ثلاثين قدماً فقط. في النهاية وكزته تيريسا بكوعها بين أضلاعه، فنظر إليها توماس ورآها تشير إلى أحد الكائنات وتخبره -لتتأكد من أنه على علم بذلك- أنها قد اختارت خصمها. وأماً برأسه ثم أشار إلى الوحش الذي ظن طوال الوقت أنه كان خاصته.

خمسة وعشرون قدمًا، فكر توماس فجأة أنهم أخطؤوا عندما انتظروهم، وأنهم كانوا بحاجة إلى الانتشار أكثر من ذلك، ولا بد أن الفكرة ذاتها قد راودت مينهو.

صاح القائد، وقد تسببت أصوات العاصفة في تمزيق الصوت فبدا وكأنه آتٍ من بعيد:

- الآن! مزقوهم إربًا!

راودت الكثير من الأفكار عقل توماس في تلك اللحظة، بين قلقه على تيريسا، على الرغم من كل ما تغير بينهما، وقلقه على برندا، التي كانت واقفة بثبات يفصل بينه وبينها عدة أشخاص فقط، وشعوره بالحزن لأنهما نادرا ما تبادلا أطراف الحديث منذ عودته. تخيلها بعد أن قطعت كل هذا الطريق فقط لكي تُقتل على يد وحش من صنع الإنسان. فكر في الهوام، وفي مسؤوليته وتشاك وتيريسا عندما كانوا في المتاهة، في الوصول إلى الجرف وإلى الحفرة، بينما يقاتل أفراد الجلايد الهوام ويموتون من أجلهم لكي يتمكنوا من إدخال الشيفرة وإيقاف كل شيء.

فكر في كل شيء خاضوا غماره حتى وصلوا إلى هذه اللحظة لكي يعيدوا الكرة من جديد ويقاتلوا جيش التكنولوجيا الحيوية التي انكبت وكِد على تصميمه. تساءل ما الغرض وراء كل ذلك، وما إذا كان الأمر يستحق المحاولة من أجل البقاء على قيد الحياة بعد الآن، قفزت صورة تشاك وهو يُطعن بتلك السكين في عقله، وكان ذلك ما حسم الأمر، وأفاقه من شروده ووقفه مجمدًا لثوان تحت وطأة الخوف والشك. أشهر سكينه الهائلة فوق رأسه وأمسكها بكلتا قبضتيه واندفع وهو يصرخ بكل قوته إلى الأمام مباشرة نحو الوحش المقابل له.

كان الآخرون يقاتلون أيضًا عن يمينه وعن شماله، ولكنه تجاهلهم، كان عليه أن يتجاهلهم، وأجبر نفسه على فعل ذلك، إذا لم يستطع أن يتولى أمر مهمته، فلن يساوي قلقه على الآخرين شيئًا.

حوصر في الداخل، خمسة عشر قدمًا، ثم عشرة أقدام، فخمسة أقدام، حتى توقف الكائن عن التقدم وعدل ساقيه في وضعية استعداد للقتال، ومد ذراعيه عن آخرهما حيث توجّه الشفرات التي تخرج منه نحو توماس مباشرة، فأخذت تلك الأضواء البرتقالية المتوهجة تنبض في تلك اللحظة، تنقبض

وتنبسط، وتنقبض وتنبسط، كما لو أن ذاك المخلوق البشع يمتلك قلبًا حقًا في مكان ما من جسده.

كان أمرًا مزعجًا ألا يمتلك الوحش وجهًا، ولكنه ساعد توماس في أن يفكر به على أنه لا شيء سوى مجرد آلة، لا شيء أكثر من سلاح بشري صُنِع ليقتله. اتخذ توماس قرارًا قبل مواجهته مع الكائن مباشرة.

ألقى بنفسه على الأرض لينزلق على ركبتيه وقصبتي ساقيه وأرجح ذراعيه بسلاحه الذي يشبه السيف في الهواء من خلفه وفي حركة دائرية وهو يوصل سكينه على ساق الوحش اليسرى بضربتين متتاليتين عنيفتين، غاصت السكين إنشًا واحدًا بداخل جلده ومن ثم ارتطمت بشيء شديد الصلادة مما أرسل هزة عنيفة إلى ذراعي توماس.

لم يتحرك الكائن، لم يهتز ولم يصدر منه أي صوت من أي نوع، آدمي أو غير آدمي. وبدلاً من ذلك هوى بيديه المحشوة بالشفرات إلى الأسفل حيث يجثو توماس أمامه، ولا يزال سيفه مغروسًا في لحم الوحش، حرَّ السيف ودفع نفسه إلى الخلف مباشرة قبل أن تصطدم تلك الشفرات بعضها في بعض تمامًا حيث كان رأسه قبل ثوانٍ، سقط على ظهره وزحف مبتعدًا عن الكائن الذي خطا خطوتين نحو الأمام بحركة ثقيلة صاخبة بالسكاكين التي تخرجها قدماه والتي كادت تصيب توماس.

أطلق الوحش زئيرًا هذه المرة، بدا صوته أشبه بأنين الهوام الملعون، ثم هوى بنفسه على الأرض وضرب بذراعيه في محاولة لإخضاع توماس، فانزلق توماس وتدحرج عدة مرات إذ التقطت أذناه صوت نصل معدني يحتك بالأرض الصخرية، انتهاز الفرصة أخيرًا وقفز واقفًا على قدميه، وراح على الفور يعدو بسرعة لعدة ياردات قبل أن يستدير وهو يحكم قبضتيه على السيف، كان الوحش لا يزال يحاول النهوض على قدميه وأخذ يلوح في الهواء بأصابع يده ذات الشفرات الحادة.

ملء توماس رئتيه بأنفاس هائلة من الهواء وتمكن من رؤية الجميع وهم منهمكون في القتال من حوله، أخذ مينهو يمزق ويطنع بالسكاكين بكلتا يديه وقد بدأ الوحش في التراجع إلى الخلف بالفعل مبتعدًا عنه. وتقلب نيوت على الأرض بينما يسير الوحش الذي يقاومه ببطء من خلفه، من الواضح أنه

مصاب واستمرت حركته في التباطؤ. وكانت تيريسا هي الأقرب إليه، راحت تقفز وتتفادى الهجمات وتهاجم خصمها بعقب رمحها، لماذا كانت تفعل ذلك؟ بدا على الوحش أنه أصيب إصابة بالغة أيضًا.

أعاد توماس انتباهه إلى معركته مرة أخرى، وتفادى ضربة وشيكة حين لمح حركة النصل الفضي اللامع تمر من فوق رأسه مباشرة، إذ شعر بنسمة الرياح التي ولدتها حركة ذراع الوحش تتخلل شعره. استدار توماس حول نفسه وقرص بالقرب من الأرض وراح يطعن أي موضع تطاله يده في جسد الوحش الذي يلاحقه، وكادت عدة ضربات وشيكة أن تصيبه، تمكن توماس من الوصول إلى واحد من المصابيح البرتقالية الناتئة وتحطيمه إلى شرر متناثر حتى انطفأ ضوءه على الفور، أدرك أن فرصته تكاد تنفذ، فرمى بنفسه إلى الأرض، وراح يرتطم ويتدحرج مجددًا إلى أن قفز واقفًا على قدميه على بُعد بضع ياردات من الوحش، الذي توقف لثوانٍ، على الأقل بما كان كافيًا لتوماس أن يستغل فرصته للهرب، ولكنه الآن راح يسعى من خلفه مجددًا. خطرت فكرة في عقل توماس واتضحت معالمها جيدًا عندما نظر نحو معركة تيريسا وقد أصبح الوحش الذي يقاتلها منهكًا يتحرك ويهاجم ببطء، استمرت في استهداف المصابيح في هجماتها، كلما ضربتها يتفجر منها ذلك الشرر الذي يشبه الألعاب النارية، وقد تمكنت من تدمير ثلاثة أرباع تلك الزوائد الغريبة. إذن كل ما يجب عليه فعله هو أن يقضي على تلك المصابيح، إذ إنها ترتبط بطريقة ما بقوة ذاك المخلوق أو حياته أو طاقته، أيعقل أن الأمر بهذه السهولة حقًا؟

نظر نظرة سريعة إلى ساحة المعركة من حوله فوجد أن الفكرة قد راودت بعضًا من البقية كذلك، ولكن البعض لم يفعل، واستمروا في القتال اليائس من أجل اختراق الجسد وقطع الأطراف والعضلات والجلد، ولم تخطر المصابيح في ذهنهم على الإطلاق. أصبح هناك شخصان مستقلقيان على الأرض الآن وتعطيهما الجروح، كانا جثتين هامدتين، فتى وفتاة.

غيرَ توماس أسلوب هجومه كليًا، وبدلاً من الهجوم عشوائيًا، انقض على خصمه واستهدف واحدًا من المصابيح الناتئة من صدر الوحش، أخطأ ضربته إذ وقعت على جلده المجدع الأصفر والمترهل، هاجمه الوحش بدوره، ولكنه تمكن من أن يرجع بجسده إلى الخلف بمجرد أن أحدثت الشفرات ثقوبًا ممزقة



في قميصه. بعد ذلك انقض عليه مجددًا مستهدفًا المصباح ذاته مرة أخرى، ونجح في إصابته هذه المرة وفجر النتوء الدائري الذي أرسل وميضًا متطايرًا من الشرر، ترنح الكائن على إثرها لثانية كاملة ومن ثم استعاد توازنه وعاد للمعركة.

أحاط توماس بالكائن، وأخذ يتقدم نحوه ويرجع للخلف عدة مرات بينما يوخزه ويوجه له ضربات متفرقة مستهدفًا مصباحًا مختلفًا في كل مرة.

تمكنت إحدى شفرات الوحش من قطع جبهته، تاركة خطأً طويلًا من الدم الأحمر الفاتح. ظل توماس يهاجم ويهاجم دون توقف، تفجر ضرباته مصباحًا في كل مرة، فيتطاير الشرر من حوله، فيترنح الكائن ويتعثر مع كل استراحة. كانت مدة توقفه تطول قليلًا مع كل ضربة ظافرة، شعر توماس بالمزيد من الجروح والخدوش في جسده، ولكنها لم تكن بالأمر الخطير. لم يتوقف، واستمر في مهاجمة تلك النتوءات البرتقالية كروية الشكل، واستمر صوت الانفجار والانفتاق.

كان كل انتصار صغير كفيلاً باستنزاف طاقة الكائن، وهكذا إلى أن بدأ ينهار بشكل واضح، ولكن ذلك لم يمنعه عن محاولة تمزيقه إلى أشلاء. تتابعت المصابيح المتفجرة واحدًا تلو الآخر، كل واحد منها أسهل من سابقه، وظل توماس يهاجم بلا هوادة. فقط لو كان بإمكانه القضاء عليه، ويجعله يموت تمامًا، فيصبح بإمكانه أن يهرع لمساعدة الآخرين، وينهي هذا الشيء مرة واحدة وإلى الأبد...

سطع ضوء يعمي الأبصار من خلفه، ثم سمع صوتًا مدويًا كما لو أن الكون بأكمله قد انفجر للتو فتمزقت لحظة الحماس والأمل العابرة التي راودته. أتت موجة من قوة خفية هوت من فوقه وأسقطته أرضًا على وجهه، وسقط سيفه من يده بعيدًا عنه، هوى الكائن على الأرض أيضًا وتشبع الهواء برائحة حريق، زحف توماس على جانبه لكي يلقي نظرة، فرأى حفرة هائلة من السواد تشكلت في الأرض، متفحمة يتصاعد منها الدخان، بينما على حافة الحفرة كانت ترقد ساق ويد لأحد الوحوش، بينما لا يوجد أثر لبقية الجسد.

لا بد وأنها كانت صاعقة برق خاطفة، لقد بدأت العاصفة أخيرًا. في اللحظة التي فكر فيها في ذلك، نظر إلى الأعلى ليرى شرارة ضخمة من الشحنات البيضاء تشق طريقها إلى الأرض عبر باطن السحب السوداء بالأعلى.



## الفصل الستون

انفجرت شحنة البرق من حوله فانشقت الأرض بصوت يصم الأذان للرعده المصاحب لها، وتولدت سحب هائلة من الأتربة في الهواء من كل اتجاه، تعالت أصوات صراخ عدة أشخاص، من بينها صوت صراخ فتاة ما لبث أن انقطع على نحو مباغت، وازدادت حدة رائحة الحريق في الهواء بقدر لا يُحتمل. خمدت صعقات الشحنات الكهربائية بنفس السرعة التي بدأت بها، ولكن الضوء لم ينفك يومض بداخل السحب، ثم راح المطر يهطل بغزارة فوق رؤوسهم.

لم يتحرك توماس قيد أنملة خلال سورة البرق الأولى، لم يكن لديه أي سبب لكي يعتقد أنه سيكون أكثر أماناً في أي مكان آخر غير المكان الذي كان يقف فيه. ولكن بعد نهاية هذا الاهتياج، أخذ يتجول في المكان من حوله ليرى ما يمكنه أن يفعله أو أين يمكنه أن يعدو قبل أن تعيد العاصفة الكرة.

كان الوحش الذي قاتله ميتاً، وقد تفحم نصف جسده بينما اختفى النصف الآخر. وقفت تيريسا بجوار خصمها الذي يرقد أرضاً، وغرست نصل رمحها بقوة محطمة المصباح الأخير، فخفت شرارتها مصحوبة بصوت صفير حاد.

كان مينهو جالساً على الأرض يحاول أن ينهض على قدميه ببطء، بينما ظل نيوت واقفاً، يسحب أنفاساً ثقيلة إلى رئتيه ويطلق سراحها ببطء، وانحنى السيد طاسة وأخذ يتقيأ. استلقى البعض على الأرض، وآخرون، مثل برندا وخورخي، كانوا لا يزالون منهكين في معركتهم مع الوحوش. أخذ الرعد ينفجر من حولهم كوابل من القنابل، وشحنات البرق تضيء السماء.

كان على توماس أن يفعل شيئاً، لم تكن تيريسا بعيدة عنه كثيراً، كانت لا تزال واقفة على بعد بضع خطوات من خصمها الميت، وانحنت مستندة بيديها على ركبتيها. تحدّث إليها في عقلها:

- يجب أن نجد مكاناً لنحتمي به.

- كم تبقى من الوقت؟

نظر توماس إلى ساعته عن قرب:

- عشر دقائق.

- علينا أن ندخل إلى الكبسولات.

أشارت تيريسا إلى أقرب واحدة إليها، والتي كانت لا تزال مفتوحة كقشرة بيضة مقطوعة بمثالية، ولا بد وأنها قد امتلأت بالماء عن آخرها الآن.

أعجبه الفكرة، فقال:

- ماذا لو لم نتمكن من إغلاقها؟

- هل لديك أي خطة أفضل؟

- كلا.

جذب يدها وانطلقا يعدوان. قالت تيريسا لدى اقترابهما من الكبسولة:

- يجب أن نخبر الآخرين.

- سوف يتدبرون أمرهم.

أدرك توماس أنهم لا يملكون وقتاً، إذ من الممكن للمزيد من الصواعق أن تهبط على رؤوسهم في أي لحظة، وسوف يموتون جميعاً ما إن يحاول هو وتيريسا التواصل مع أي أحد، واضطر أن يثق في أن أصدقاءه سيتمكنون من إنقاذ أرواحهم، كان يعلم أن بإمكانه الوثوق بهم. تطايرت الأتربة التي تحملها مياه الأمطار في كل مكان، وأخذت أذنا توماس تطنان، نظر إلى داخل النصف الأيسر من الحاوية، لكنه لم ير سوى حوض من مياه قدرة تنبعث منها رائحة قاتلة.

صاح وهو يتسلق إلى الداخل:

- أسرع!

تبعته تيريسا، لم يكونا في حاجة إلى أن يتكلما ليعرفا ما يجب عليهما فعله، جثا كل منهما على ركبتيه بالداخل ثم مال بجسده إلى الأمام لكي

يجذب طرف النصف الثاني من الكبسولة، كان محاطاً بشريط من المطاط، فتمكنا من جذبه بسهولة. استنفد توماس كل ما تبقى من طاقته وهو يتدلى بنصف جسده عبر حافة الكبسولة ثم قام بسحب الغطاء حتى تمكن من رفعه وسحبه باتجاههما.

وبينما راح توماس يعدّل من وضعية جسده لكي يجلس ويغلق الكبسولة، ركض كل من برندا وخورخي باتجاههما، غمر توماس شعور بالارتياح لدى رؤيتهما بخير.

صرخ خورخي وسط ضجيج العاصفة:

- هل يوجد مكان لنا؟

أجابته تيريسا بصوت عالٍ:

- اصعدا.

تسلق كل منهما عبر الحافة ثم ألقى بنفسه بداخل الحاوية الكبيرة، كانت المساحة محدودة، ولكنها تفي بالغرض، التصق توماس بالجدار ليوفر مساحة إضافية بينما لا يزال يمسك بغطاء شبه مفتوح، وأخذت مياه الأمطار تنهمر كالطبول فوق سطحه. وما إن استقر كل منهم في مكانه، أحنى توماس وتيريسا رأسيهما للأسفل وأفلتا الغطاء ليقلع عليهما تمامًا. ساد الصمت نسبيًا، عدا من صوت هطول مياه السيل وصوت ضربات صواعق البرق المكتومة وصوت أنفاسهم المتلاحقة.

لم يكن يأمل سوى أن يتمكن أصدقائه من بلوغ الكبسولات بأنفسهم.

عندما هدأ الجميع والتقطوا أنفاسهم، تكلم خورخي:

- شكرًا للسماح لنا بالدخول أيها الشاب.

أجابه توماس:

- بالطبع.

جثم الظلام بداخل الحاوية وابتلعها كليًا، ولكن برندا كانت إلى جواره مباشرة، وبجانبتها خورخي، ثم تيريسا في الطرف الآخر منها.

تكلمت برندا قائلة:

- ظننت أنكما غيرتما رأيكما بشأن اصطحابنا معكما، كانت تلك فرصة جيدة للتخلص منا.

غمغم توماس في تملل، إذ كان في غاية الإنهاك ليراعي نبرة صوته:  
- بحقك.

لقد كانوا جميعًا على شفا حفرة من الموت، ومن الوارد جدًا أنهم لا يزالون  
في خطر محقق إلى الآن.  
سألت تيريسا:

- هل هذه هي ملاذنا الآمن إذن؟

أشعل توماس ضوء ساعته الخافت، فوجد أنه لا يزال لديهم سبع دقائق  
حتى نهاية الوقت المحدد. أجابها:

- إلى الآن فقط، أمل ذلك، ربما في غضون بضع دقائق ستدور تلك  
المربعات اللعينة مجددًا وتأخذنا إلى مكان مريح وجميل حيث يمكننا  
أن نعيش بسعادة وهناء إلى الأبد، وربما لا.

دوى صوت ارتطام من الأعلى صرخ توماس على إثره، ارتطم شيء ما  
بسطح الكبسولة ارتطامًا عنيفًا مصدرًا أكثر الأصوات التي سمعها في حياته  
هولًا، صوت يصم الأذنان. انبثق ثقب صغير - كان مجرد ضوء رمادي باهت -  
في سقف مخبئهم، وراحت حبيبات الماء تتكون وتقطر بسرعة.

قالت تيريسا:

- لا بد أنه البرق.

أخذ توماس يفرك أذنيه وقد ازداد الطنين حدة، وقال بصوت أجوف:

- ضربتان أخريان مثل هذه وسوف نعود إلى حيث بدأنا.

نظر إلى ساعته مرة أخرى، تبقت خمس دقائق، وقد تكونت بركة صغيرة  
من الماء فازدادت الرائحة عفونة حتى كاد توماس يغيب عن الوعي.

قال خورخي:

- هذا ليس كما ظننت أيها الشاب، لقد ظننت أننا ما إن نصل إلى هنا  
ستقوم أنت بإقناع الرؤوس الكبيرة بأن يسمحوا لنا بالدخول، ومن ثم  
يعطوننا ذاك العقار، لم أفكر أننا سنُحشَر في مرحاض نتن في انتظار  
أن نُصَعَق بالبرق.

سألت تيريسا:

- كم تبقى من الوقت؟

مكتبة  
t.me/soramnqraa

تفحص توماس مجدداً، وأجابها:

- ثلاث دقائق.

ازدادت العاصفة بالخارج اهتياجاً، أخذ البرق يفجر الأرض، والسيول تنهمر بلا هوادة. تفجرت ضربة أخرى بسطح الكبسولة فتكون شق جديد تسبب في اتساع فتحة السقف حتى راحت المياه تنهمر بسرعة هائلة إلى الداخل، وتضرب برندا وخورخي مباشرة، مصحوبة بفوران وبخار أيضاً، إذ تسبب البرق في تسخين جسم الكبسولة.

صاحت برندا:

- إننا لن نظل هنا أطول من ذلك مهما يحدث، إن الجلوس هنا في انتظار الموت أسوأ كثيراً من مواجهته.

صاح بها توماس مجيباً:

- لقد تبقت دقيقتان فقط، فلنصمد قليلاً بعد.

جاء صوت من الخارج، بدا خافتاً في البداية، ويصعب تمييزه وسط ضجيج العاصفة، كان أشبه بأزيز عميق وخفيض أخذ يرتفع شيئاً فشيئاً حتى بدا جسد توماس بأكمله وكأنه يهتز على إثره.

سألت تيريسا:

- ما هذا بحق الجحيم؟

أجاب توماس:

- ليست لدي فكرة، ولكن بناء على أحداث يومنا، أنا واثق من أنه ليس بشيء جيد، علينا فقط أن نصمد لدقيقة أو اثنتين.

ازداد الصوت عمقاً وعلواً حتى طغى على صوت البرق والمطر، وأخذت جدران الكبسولة تهتز. سمع توماس صوت رياح عاتية بالخارج، وقد بدت مختلفة بطريقة ما عن تلك التي اعتادوا سماعها طوال اليوم، كانت قوية وكأنها... رياح اصطناعية.

أعلن توماس بصوت يحمل نبرة مختلفة على نحو مفاجئ:

- تبقت ثلاثون ثانية فقط، ربما أنتم على حق أيها الرفاق، ربما نغفل عن شيء مهم، أعتقد... أعتقد أن علينا أن نلقي نظرة.

قال خورخي:

- ماذا؟

- يجب أن نرى من أين يأتي هذا الصوت، هيا، ساعدني في فتح هذه.

- وماذا إذا ضربتني صاعقة برق جميلة وقامت بشواء مؤخرتي؟

ضغط توماس براحتي يديه على السقف، وقال:

- علينا أن نجرب حظنا، هيا، ادفع معي.

قالت تيريسا وهي ترفع يديها للمساعدة:

- إنه محق.

فعلت برندا مثلها، وما لبث خورخي أن انضم إليهم.

قال توماس:

- فلنفتحه شيئاً قليلاً فقط، جاهزون؟

بعد أن سمع بعض مهممات الإيجاب، قال:

- واحد... اثنان... ثلاثة!

دفع الجميع إلى الخارج، وبدأ أن قوتهم كانت أكثر من المطلوب بكثير، إذ انفرج الغطاء مفتوحاً عن آخره وارتطم بالأرض على الناحية الأخرى، كاشفاً الكبسولة تماماً، انهمر المطر فوق رؤوسهم كوابل من الرصاص، إذ راح يحلق أفقياً بفعل الرياح الشرسة التي تضربه.

مال توماس بجسده خارجاً عبر حافة الكبسولة ونظر فاغراً فاه إلى ما كان يحوم في الهواء على مسافة ثلاثين قدماً فقط من الأرض ويهبط بسرعة، كان شيئاً هائلاً ودائرياً، تنبعث منه أضواء وامضة ونيران ملتهبة ذات لون أزرق، كانت المركبة ذاتها التي أنقذته عندما كان مصاباً؛ البرج.

استرق توماس نظرة سريعة إلى ساعته في نفس اللحظة التي دقت فيها الثانية الأخيرة معلنة انتهاء الوقت، ثم رفع نظره إلى الأعلى مجدداً.

حطت البرج على الأرض مثل الصقر الذي يتشبث بمخالبه وبدأ باب ضخم ينفرج مفتوحاً من باطن السفينة.



## الفصل الحادي والستون

أدرك توماس أنهم لم يعد لديهم وقت ليضيعوه، لا وقت للأسئلة، لا وقت للخوف أو التذبذب، كان فقط وقت الفعل.

صاح وهو يجذب ذراع برندا في أثناء خروجه من الكبسولة:

- هيا بنا!

انزلق وتعثّر في أثناء خروجه، فأحدث سقوطه في الوحل صوتًا عاليًا، دفع نفسه كي ينهض على قدميه مجددًا، وراح يبصق ما علق في فمه ويفرك الطين من عينيه، لم ينفك المطر يهطل كالسيل، والرعد يرسل ضرباته المدوية من كل حدب وصوب، بينما أضاءت صواعق البرق الدنيا من حولهم بوميض يخطف الأبصار.

نجح خورخي وتيريسا في الخروج من الكبسولة إذ ساعدتهما برندا، نظر توماس نحو البرج التي تبعد نحو خمسة عشر قدمًا عنهم، وقد انفتح بابها الضخم الآن على مصراعيه، كان مدخلًا ككفك تمساح مشرّع عن آخره ومضيء من الداخل بضوء خافت، وبدت ظلال لأشخاص يقفون بالداخل ويحملون أسلحة، وينتظرون. كان أمرًا في غاية الوضوح أنهم ليست لديهم أي نية في الخروج ومساعدة أحد في الوصول إلى الملاذ الآمن، الملاذ الآمن الحقيقي.

صرخ وقد انطلق يعدو بالفعل:

- اهربوا!

أحكم قبضته على سكينه جيدًا إلى الأمام تحسبًا لأن يكون هناك أيُّ من تلك المخلوقات لا يزال على قيد الحياة وينتظر ليهاجمهم في أي لحظة.

وراح كل من تيريسا والآخرين يعدون إلى جواره.

جعلت الأرض الموحلة بفعل مياه المطر الأمر عسيرًا عليهم لكي يعدوا بسرعة كبيرة - حيث المركبة بعيدة عنهم-، كاد توماس يسقط على وجهه مرتين، وسقط بالفعل مرة واحدة، جذبته تيريسا من قميصه وشدته حتى نهض مجددًا، كان الآخرون من حولهم أيضًا يهربون للنجاة بحياتهم إلى المركبة، وجعل ظلام العاصفة الجاثم والمطر الذي ينهمر من فوقهم كحطام بناء ومضات البرق الساطعة والمتقطعة -من الصعب تمييز الأشخاص، ولم يكن هناك وقت للاعتناء بذلك.

من الناحية اليمنى، ظهر نحو عشرة من الوحوش ذات المصاييح يسرون بتناقل من خلف الطائرة، وتوجهوا إلى نقطة بحيث يقطعون الطريق إلى باب المركبة المفتوح أمام توماس وأصدقائه، كانت شفراتهم مبللة بالماء، وبعضها ملطخ بلون الدماء. على الأقل كانت نصف مصاييحهم المتوهجة القبيحة قد تدمرت، وانعكس ذلك على حركتهم المترنحة، ولكنهم بدوا في غاية الخطورة. بينما لم يقدم الأشخاص الذين يقفون بداخل البرج على فعل أي شيء، ووقفوا متفرجين فقط.

صرخ توماس بالجميع:

- فلتقضوا عليهم!

ظهر كل من مينهو ونيوت وبعض من أفراد الجلايد الآخرين وانضموا إلى المعركة، وانضمت إليهم هاريت وبعض من فتيات المجموعة (ب) أيضًا، وبدا على الجميع أنهم يدركون ما هم مقدمون على فعله: محاربة ما تبقى من تلك الوحوش القبيحة والهروب من هنا.

ربما للمرة الأولى منذ دخول الجلايد منذ أسابيع مضت، لم يشعر توماس بأي خوف، ولم يكن يعرف إذا كان سيشعر به مجددًا بعد الآن، لم يكن يعلم لماذا، ولكنه شعر بشيء قد تغير فيه. أخذ البرق يتفجر من حوله، وتعالَت صرخات أحدهم، واشتدت حدة الأمطار، أخذت الرياح تمزق الهواء تمزيقًا، وتضربهم بأحجار صغيرة وقطرات المياه التي يؤلم كل منها بنفس القدر، وأخذت الوحوش تضرب بشفراتها عبر الهواء وهم يصرخون بزئيرهم المزعج تأهبًا للمعركة، هرع توماس يعدو، قابضًا على سكينه ويرفعها فوق رأسه.

لا خوف.

انقض في الهواء على الوحش الذي يبعد عنه ثلاثة أقدام من المنتصف، وركل بساقيه المضمومتين إلى بعضهما بإحكام وهوى بقدميه ساحقًا المصاييح الناتئة في منتصف صدر الوحش، فانفجرت واحترقت وأنَّ الكائن على إثر الضربة بصوت جحيمي ومن ثم سقط على ظهره وهوى مرتطمًا بالأرض.

بينما هبط توماس في الوحل بعد توجيه ضربته، وعلى الفور انتصب قائمًا وراح يدور حول المخلوق وهو يوجّه له الضربات والطعنات بسكينه ليفجر ما تبقى من النتوءات المتوهجة.

تتابعت أصوات انفجار النتوءات واحدة تلو الأخرى.

أخذ توماس يراوغ ويتفادى طعنات شفرات الوحش الطائشة محاولةً الأخذ بثأره، وتتابعت الانفجارات إلى أن تبقت ثلاثة مصاييح فقط وأصبح بالكاد قادرًا على الحركة، اعتلى توماس ذلك الشيء في حركة سريعة واثقة وهوى عليه بسرعة بالطعنات النهائية القاضية.

ومع انفجار النتوء المتوهج الأخير وخفوت ضوئه، كان قد مات.

نهض توماس من فوقه، واستدار حول نفسه بحثًا عن أي أحد بحاجة إلى المساعدة، انتهت تيريسا من القضاء على خصمها، وكذلك مينهو وخورخي، بينما كان نيوت لا يزال يحث ساقه العرجاء، وبرندا تساعده في طعن النتوءات المتبقية في جسد خصمه.

استغرق الأمر بضع ثوانٍ أخرى حتى خمدت حركة كل المخلوقات، وانطفأت كل النتوءات البرتقالية الوهاجة، وانتهى الأمر تمامًا.

نظر توماس وسط أنفاسه الثقيلة المتلاحقة نحو مدخل المركبة الذي يبعد عنهم نحو عشرين قدمًا فقط، وفي أثناء ذلك اشتعلت نيران المحرك وأخذت السفينة ترتفع عن الأرض.

صرخ توماس بأعلى صوته وهو يشير بحركة محمومة نحو سبيلهم الوحيد للهرب:

- إنها تغادر، أسرعوا.

لم تكد الكلمة تغادر فمه حتى جذبته تيريسا من ذراعه وسحبته بينما تعدو باتجاه السفينة، تعثر توماس ثم وازن نفسه وراح يسحق الوحل بقدميه، بينما يسمع ضربات البرق تتفجر في الأرض من خلفهم، بينما ومضت السماء بأكملها من فوقهم بضوء ساطع، ثم تعالت صرخات شخص آخر، وآخرون إلى جانبه ومن حوله وبعض من تخطوه إلى المقدمة الآن، وكلهم ينطلقون عدواً، نيوت بحركته العرجاء، ومينهو إلى جواره يتابعه بعينه خشية أن يتعثر ويسقط على الأرض.

كانت البرج الآن قد ارتفعت نحو ثلاثة أقدام عن الأرض، ترتفع وتستدير في نفس الوقت، وتستعد إلى أن تحرك مضخاتها في أي لحظة وتمضي مبتعدة، تمكن اثنان من فتیان الجلايد وثلاث فتيات من المجموعة (ب) من الوصول إليها أولاً، وقفزوا في الهواء وتشبثوا بحافة الباب الذي ما زال مفتوحاً، ولا تزال آخذة في الارتفاع، تمكن آخرون من الوصول والتسلق إليها ثم ألقوا بأنفسهم إلى الداخل.

ثم نجح توماس وتيريسا في الوصول، الآن وقد أصبحت حافة الباب المفتوح مرتفعة إلى نصف طولهم تقريباً، قفز في الهواء وتشبث بيديه في السطح المعدني المستوي، تشنجت ذراعه وانغرست معدته في الحافة السميكة بينما أخذ يدفع بساقه اليمنى إلى الأعلى ليدعم باقي جسده، تمكن من دفع جسده بالكامل على الباب، بينما استمرت السفينة في الارتفاع، واستمر الآخرون في التسلق ومن ثم يهرعون لسحب آخرين إلى الأعلى، وكانت تيريسا في منتصف الطريق، تكافح من أجل شيء تتمسك به.

مد توماس ذراعه وجذبها من يدها وسحبها إلى الداخل، فانهار كل منهما فوق الآخر وتبادلا نظرة انتصار سريعة، ومن ثم نهضت من فوقه وذهب كلاهما نحو حافة الباب لكي يروا ما إذا كان هناك أحد بحاجة إلى المساعدة.

أصبحت البرج الآن على ارتفاع ستة أقدام عن الأرض، وراحت تستدير شيئاً فشيئاً بينما لا يزال هناك ثلاثة أشخاص متشبثين بالحافة، قام هاريت ونيوت بسحب فتاة إلى الداخل، بينما كان مينهو يساعد آريس، ولكن برندا، كان لا يزال جسدها معلقاً في الهواء وهي متشبثة بيديها فقط وتركل بقدميها لكي تدفع نفسها إلى الأعلى.

ألقى بنفسه على بطنه إلى الأرض وزحف إلى مسافة أقرب نحو الحافة، ومد يديه وأمسك بذراعها اليمنى بينما أمسكت تيريسا بذراعها الأخرى، كان الباب المعدني مبللاً وزلّقا، فانزلق توماس نحو الخارج بمجرد أن بدأ في سحب برندا، ولكنه توقف على نحو مفاجئ، وألقى نظرة سريعة من خلفه فوجد خورخي يثبت نصفه السفلي بأكمله ويمسك بكل من تيريسا وتوماس بإحكام.

أعاد توماس نظره مجدداً إلى برندا وراح يسحبها إلى الداخل مجدداً، وبمساعدة تيريسا ارتفعت نحو الحافة أخيراً بما يكفي لكي تتشبث بمعدتها، وقد أصبح الباقي أكثر سهولة من تلك النقطة، إذ أخذت تزحف حتى تمكنت من الصعود إلى الأعلى ثم إلى الداخل. ألقى توماس نظرة أخرى إلى الأرض بالأسفل، ثم ابتعد عائداً ببطء، لم يكن هناك شيء سوى تلك الوحوش الهائلة، جثث هامدة أغرقتها مياه الأمطار، تغطي أجسادها ثقوب فارغة من اللحم الذي كان منذ دقائق ممتلئاً يتوهج بالضوء، بالإضافة إلى بضع جثث بشرية، ولكن ليست كثيرة، ولم يكن توماس قريباً لأحد منهم.

عاد بظهره إلى الخلف بعيداً عن الحافة، وقد غمره قدر هائل من الارتياح، لقد نجحوا، معظمهم، نجحوا في هزيمة النزقين وصواعق البرق والوحوش الضارية، لقد نجحوا، تعثر بتيريسا واستدار في مواجهتها وسحبها ناحيته وضمها إليه بقوة، ناسياً ما قد حدث بينهما لثوان، لقد نجحوا.

- من يكون هذان الشخصان؟

ابتعد توماس بسرعة عن تيريسا ليرى من الذي يصيح هكذا، كان رجلاً ذا شعر أحمر قصير، يحمل في يده مسدساً أسود ويصوبه ناحية برندا وخورخي حيث جلس كل منهما ملتصقاً بالآخر، مبللان ويرتجفان ومثخانان بالجروح.

صاح الرجل مجدداً:

- فليجِبنِي أحد!

تكلم توماس قبل أن يفكر فيما سيقوله:

- لقد ساعدانا في الخروج من المدينة، لم نكن لنصبح هنا الآن لولا مساعدتهما.

أشار الرجل برأسه إلى توماس، وقال له:

- أنت... هل قمت باصطحابهما طوال الطريق؟

أوماً توماس، لم يعجبه المنحى الذي سلكه هذا الحديث، وقال:

- لقد عقدنا اتفاقاً معهما، ووعدناهما بالحصول على العقار أيضاً، لا يزال عددنا أقل كثيراً مما كان منذ بدأنا.

قال الرجل:

- لا يهم، لم نقل لكم إن باستطاعتكم إحضار المواطنين!

استمرت البرج في الارتفاع في السماء، لكن الباب المفتوح لم يُغلق، أخذت الرياح تعصف بعنف عبر الفتحة الواسعة، يمكن لأي منهم أن يسقط إلى حتفه لو حدث أي اضطراب بالداخل.

نهض توماس واقفاً على أي حال، مصمماً على الدفاع عن الميثاق الذي قطعه، قال:

- حسناً، لقد قلتُ لنا أن نأتي إلى هنا، وفعلنا ما كان علينا فعله.

توقف الرجل الممسك بسلاحه لثانية، وبدا أنه يفكر ملياً فيما قاله توماس كمبرر منطقي، ثم راح يقول:

- إنني أنسى أحياناً كم أن قدرتكم على فهم ما يحدث حقاً محدودة أيها الرفاق، لا بأس، يمكنك الاحتفاظ بواحد منهما، والآخر يذهب.

حاول توماس ألا يظهر الصدمة التي سببها له ما قاله:

- ما الذي تعنيه بأن... الآخر يذهب؟

ضغط الرجل على زناد المسدس، وقرب فوهته إلى رأس برندا، وقال:

- ليس لدينا وقت لهذا، لديك خمس ثوانٍ لتقرر من منهما تريده أن يبقى، لو لم تقرر سيموت كلاهما، واحد.

- انتظر!

نظر توماس إلى برندا وخورخي، كل منهما كان يحدق إلى الأرض ولم ينبسا ببنت شفة، وقد تغير لونهما من الرعب.

- اثنان.

كبح توماس رعبه المتزايد، وأغمض عينيه، لم يكن هناك شيء جديد هنا، لا، أصبح يدرك الأمر الآن، وأدرك ما عليه فعله.  
- ثلاثة.

لا مجال للخوف بعد الآن، لا مفاجآت، لا مزيد من التساؤل، عليه أن يتعامل مع ما لديه، ويتصرف على أساسه ليتجاوز الاختبارات، ويتجاوز التجارب.  
احمر وجه الرجل وهو يقول:

- أربعة، اختر الآن وإلا يموت كلاهما!

فتح توماس عينيه وخطا إلى الأمام، ثم أشار إلى برندا، ثم نطق بأكثر الأشياء التي تفوهت بها شفتاه حمقًا:  
- اقتلها.

بسبب التصريح الغريب بأن واحدًا فقط يمكنه البقاء، ظن توماس أنه أصبح يدرك اللعبة، ظن أنه كان يعرف ما سيحدث. وأن ذلك لم يكن سوى اختبار آخر وسوف يقتلون من لم يقم باختياره، ولكنه كان مخطئًا.

أغمد الرجل مسدسه في حزام سرواله، ثم انحنى وجذب برندا من ملابسها بكلتا يديه، وجر الفتاة وأنهضها على قدميها، ودون كلمة واحدة، تحرك بها إلى حافة الباب المفتوح.





## الفصل الثاني والستون

نظرت برندا إلى توماس بعينين يسكنهما الرعب ووجه يملؤه الألم بينما يقودها الرجل الغريب عبر سطح البرج المعدني، نحو الحافة حيث ستلقى حتفها الحتمي.

عندما قطع الرجل نحو نصف المسافة، تحرك توماس.

قفز في الهواء وانقض نحو ركبتي الرجل وأسقطه أرضاً وانزلق المسدس على الأرض بالقرب منه، سقطت برندا بدورها جانباً، ولكن تيريسا كانت هناك لتمسك بها وتسحبها مجدداً نحو الداخل بعيداً عن حافة الباب المفتوح الخطرة. ضغط توماس برسغ يده على حلقوم الرجل ومد يده الأخرى ليلتقط بها المسدس، تمكنت أصابعه من العثور عليه، فالتقطه وسحبه بالقرب منه، ثم قفز واقفاً وابتعد عن الرجل ممسكاً المسدس بكلتا قبضتيه وصوبه ناحية الغريب المطروح أرضاً على ظهره.

قال توماس من بين أنفاسه المتلاحقة، إذ كان مصدوماً مما يفعله بشكل

ما:

- لن يموت أحد آخر، لو أننا لم نفعل ما يكفي لاجتياز اختباراتكم الغبية، إذن فقد فشلنا، انتهت الاختبارات.

تساءل بعدما قال ذلك لو أن هذا ما يُفترض به أن يحدث، ولكن حتى ذلك لم يكن ذا أهمية، لقد كان يعني كل كلمة قالها، لا بد للموت والقتل بدم بارد من نهاية.

هشَّ وجه الغريب في شبه ابتسامة ثم اعتدل إلى وضعية الجلوس وأخذ يزحف بظهره إلى أن اصطدم بالجدار، وفي أثناء ذلك، بدأ باب المقصورة الضخم يقفل ببطء، وأخذت مفصلاته تصدر صريرًا، لم ينبس أي منهم بكلمة حتى أغلق الباب تمامًا وتمكنت موجة أخيرة من الرياح من التسلل إلى الداخل قبل إقفاله.

قال الرجل، وقد أصبح صوته عاليًا بعد الصمت المباغت الذي لم يحدسه غير صوت محركات ومضخات المركبة:

- اسمي ديفيد، ولا تقلقوا، أنتم محقون، لقد انتهى الأمر، انتهى كل شيء.  
أومأ توماس متهكمًا، وقال:

- أجل بالطبع، لقد سمعنا ذلك من قبل، ولكن هذه المرة نحن نعني ما نقول، لن نجلس كالمتفرجين ونسمح لكم أن تعاملونا كفتران التجارب بعد الآن، لقد انتهينا.

أخذ ديفيد ثانية ليمسح المقصورة بعينيه، ربما لينظر فيما لو كان الجميع يتفقون مع ما قاله توماس لتوه، ولكن توماس لم يخاطر بإبعاد ناظره عنه، كان عليه أن يثق بأنهم جميعًا يقفون خلفه.

بعد ذلك نظر ديفيد مجددًا إلى توماس، ثم نهض ببطء وهو يرفع يدها لعقد تسوية، وعندما استقام في وقفته، وضع كلتا يديه في جيبيه وراح يقول:

- إن ما لا تفهمونه هو أن كل شيء حدث وسيستمر في الحدوث كما هو مخطط له، ولكنك محق، لقد اكتملت مرحلة التجارب، وسنأخذكم إلى مكان آمن، مكان آمن حقًا، ليس هناك مزيد من الاختبارات، ولا يوجد مراوغة ولا كذب، لن يكون هناك المزيد من الخداع.

توقف لثوانٍ وأكمل:

- يمكنني فقط أن أؤكد لكم شيئًا واحدًا، وهو أنكم عندما تعلمون السبب الذي جعلناكم تخوضون غمار كل هذا من أجله، ولماذا من المهم جدًا أن ينجو الكثير من بينكم، سوف تفهمون. أؤكد لكم أنكم ستفهمون، أعدكم بذلك.

نخر مينهوه، وقال:

- إنني لم أسمع هراءً كهذا طوال حياتي.

لم يستطع توماس إلا أن يشعر بشيء من الارتياح لأن صديقه لا يزال لم يستسلم.

تابع مينهو:

- وماذا بشأن العقَّار؟ لقد وعدونا بالحصول عليه، نحن وهذان الاثنان اللذان ساعدانا في الوصول إلى هنا، كيف لنا أن نصدق أيًّا مما تخبروننا به؟

أجابه ديفيد:

- فكروا كما يحلو لكم الآن، كل شيء سوف يتغير بدءًا من هذه اللحظة، وسوف تحصلون على العقَّار كما وُعدتم بالضبط بمجرد وصولنا إلى المقر الرئيسي، ويمكنك الاحتفاظ بالمسدس، وبالمناسبة، سوف نزوِّدك بمزيد من الأسلحة إذا رغبت في ذلك، فلن يكون هناك شيء أمامكم لتقاتلوه، كما لن يكون هناك المزيد من الاختبارات أو التجارب لتقاوموها أو ترفضوها. سوف ترون ما إن تهبط البِزْجُ خاصتنا أنكم أصبحتم آمنين وأصحاء، وبعد ذلك سيكون بإمكانكم فعل ما تريدون. الشيء الوحيد الذي سنطلبه منكم بعد الآن هو أن تستمعوا لنا، فقط أن تستمعوا، إنني أكيد من أنكم ترغبون على الأقل في معرفة ما وراء كل هذا.

ود توماس أن يصرخ في وجه الرجل، ولكنه أدرك أن ذلك لن يكون ذا جدوى، وبدلاً من ذلك أجابه بصوت هادئ بقدر ما استطاع:

- لا مزيد من الألاعيب.

أضاف مينهو:

- لدى أدنى إشارة بالتلاعب، سنبدأ بالقتال، ولو كان في ذلك موتنا، إذن فليكن.

اتسعت ابتسامة ديفيد هذه المرة، وقال:

- أتعلمون شيئاً، إن هذا بالضبط رد الفعل الذي توقعناه منكم في هذه المرحلة.

أشار بيده نحو باب صغير في نهاية المقصورة، وقال:

- هيا بنا؟

خرج نيوت عن صمته هذه المرة:

- ما التالي في البرنامج اللعين؟

- فكرت فقط أنكم ستودون أن تأكلوا شيئاً ما، وربما ترغبون في أخذ حمام وقسطٍ من النوم.

سار بين حشد فتیان الجلايد والفتيات، ثم قال:

- إن أمامنا رحلة طويلة.

استغرق توماس والآخرين بضع ثوانٍ تبادلوا فيها النظرات، ولكنهم في النهاية تبعوا الرجل، لم يكن أمامهم أي خيار آخر حقاً.

## الفصل الثالث والستون

أمضى توماس نحو ساعتين يبذل جهدًا مضنيًا كيلا يفكر في أي شيء. لقد اتخذ موقفًا حازمًا، ولكن ما حدث بعد ذلك أن حماسهم وشجاعتهم ونشوة انتصارهم راحت تفتت بشكل أو بآخر بينما انهك الفريق في فعل الأنشطة الاعتيادية التي حرموا منها، كالوجبات الساخنة، والمشروبات الباردة، والعناية الطبية، وقضاء وقت طويل رائع في الاستحمام، والملابس النظيفة.

وفي خضم كل ذلك، أمسك توماس باحتمال أن يكون كل شيء يُعاد من جديد، أنه والآخرون يتم تسكينهم واقتيادهم ببطء إلى صدمة أخرى كالتى عايشوها عندما استيقظوا في مهجع النوم بعدما ظنوا أنهم هربوا من المتاهة، ولكن حقًا؟ ماذا تبقى لكي يحدث مجددًا؟ لم يشكل ديفيد ومن معه أي تهديد من أي نوع، ولم يفعلوا أي شيء يثير الريبة.

انتهى الأمر بتوماس بعد أن دلل نفسه بالطعام والاعتسال جالسًا على أريكة تتوسط جزءًا محدودًا بداخل غرفة في البرج، غرفة واسعة تعج بقطع أثاث غير متناسقة. كان يتجنب تيريسا، ولكنها أتت إليه وجلست إلى جواره، لا يزال يستثقل وجودها بالقرب منه، يستثقل التحدث إليها أو إلى أي أحد آخر، كان داخله يضطرم بنيران متأججة.

ولكنه تجاهل كل هذا، إذ لم يكن هناك سوى ذلك ليفعله، لم يكن يعرف كيفية قيادة البرج، ولا حتى إلى أين سيذهب بها لو كان يعرف، سوف يذهبون إلى حيث تأخذهم وكِد، وسوف يستمعون لما لديهم، ومن ثم يتخذون قرارهم.

سألته تيريسا أخيرًا:

- فيم تفكر؟

كان توماس سعيدًا لأنها تحدثت جهرًا، لم يكن واثقًا أنه سيرغب في التذاطر معها بعد الآن، أجابها:

- فيم أفكر؟ إنني أفكر في ألا أفكر.

- أجل، ربما علينا فقط أن نستمتع بالهدوء والسلام لبعض الوقت.

نظر توماس إلى تيريسا، كانت تجلس إلى جانبه كأن شيئًا لم يتغير بينهما على الإطلاق، كما لو كانا لا يزالان صديقين مقربين، ولم يستطع هو أن يحتمل هذا.

- إنني لا أطيق أنك تتصرفين وكأن شيئًا لم يحدث.

نكست تيريسا رأسها، وقالت:

- إنني أحاول أن أنسى ربما بقدر ما تحاول أنت، انظر، أنا لست غبية، وأدرك أننا لن نعود كالسابق أبدًا، ولكن هذا لا يغير من حقيقة أنني لا يمكنني أن أغير أي شيء، هكذا كانت الخطة وهكذا جرى الأمر، أنت على قيد الحياة وهذا كاف بالنسبة إلي، ربما تتمكن من مسامحتي يومًا ما.

شعر توماس أنه كاد يكرهها لأنها تحدثت بهذا القدر من العقلانية.

- حسنًا، إن كل ما أفكر فيه الآن هو إيقاف أولئك الناس، ليس صحيحًا كل ما فعلوه بنا، لا يهمني إلى أي حد كنت متورطًا في هذا الأمر، ولكنه خطأ.

تمددت تيريسا قليلًا لتسند رأسها إلى ذراع الأريكة، ثم قالت:

- بحقك يا توماس، ربما أنهم محوا ذكرياتنا، ولكنهم لم يستأصلوا أدمغتنا، لقد كنا أنا وأنت جزءًا من هذا الأمر، وعندما يشرحون لنا كل شيء، عندما نتذكر لماذا ورطنا أنفسنا في هذا الأمر، فسوف نقوم بأي شيء يطلبونه منا.

فكر توماس فيما قالته لثانية وأدرك أنه لا يستطيع أن يخالفها الرأي أكثر من ذلك، ربما راوده هذا الشعور ذات مرة، ولكن الآن لا، كما أن مناقشة أمر كهذا مع تيريسا كان آخر ما يرغب في فعله.

تمتم مجيبًا:

- ربما تكونين محقة.

سألته:

- متى كانت آخر مرة حصلنا على قسط من النوم؟ أقسم أنني لا أتذكر.

مجددًا، تتصرف كما لو أن شيئًا لم يحدث.

- أنا أتذكر عن نفسي، على أي حال. أظن أنها حدثت بفضل غرفة غاز

وسحقك لرأسي بواسطة رمح كبير.

تقلبت تيريسا في جلستها، وقالت:

- يمكنني فقط أن أقول آسفة لمئات المرات، على الأقل حصلت على قسط

من الراحة، إنني لم أنم لثانية واحدة منذ خروجك، أعتقد أنني لم أنم

منذ يومين كاملين.

تثاءب توماس وهو يقول:

- فتاة مسكينة.

لم يستطع منع نفسه، كان متعبًا أيضًا.

- مممم.

نظر إليها فوجد عينيها مغمضتين وقد تباطأت أنفاسها، غطت في النوم

في مكانها بهذه السرعة. نظر من حوله إلى بقية فتیان الجلايد وفتيات

المجموعة (ب)، كان معظمهم يغط في نوم عميق أيضًا، عدا مينهو، إذ

كان يحاول أن يتجاذب أطراف الحديث مع فتاة لطيفة، ولكن عينيها كانتا

مغمضتين، اختفى خورخي وبرندا عن الأنظار تمامًا، وهو أمر وجده توماس

غريبًا، وبث في داخله بعض القلق.

شعر في تلك اللحظة أنه يفتقد برندا بشدة، ولكن جفنيه قد استسلما  
للإنهاك والتعب وراح النوم يرخي سدوله على عينيه، وعندما غاص عميقاً في  
الأريكة الوثيرة، قرر أنه سوف يبحث عنها لاحقاً.  
وهكذا استسلم للنوم ورحب بالظلام الحلو لفقدان الوعي بأن يسحبه إليه.



## الفصل الرابع والستون

استيقظ. فتح عينيه وأخذ يفركهما عدة مرات ولم ير شيئاً سوى البياض التام. لم تكن هناك أجسام، ولا ظلال، ولا أي ألوان متداخلة، لا شيء سوى البياض.

تسلل الرعب إلى داخله إلى أن أدرك أنه لا بد وأنه يحلم. حلم غريب، ولكنه يحلم بكل تأكيد، كان بإمكانه أن يشعر بجسده وبلمس أصابعه على جلده، كان يشعر بأنفاسه ويسمعها، ولكنه كان محاطاً بعالم كامل من بياض ناصع لا تشوبه شائبة.

سمع صوت، صوتها، تتحدث بداخل عقله.

- توم.

هل بإمكانها أن تتحدث إليه بينما يحلم؟ هل حدث ذلك من قبل؟ نعم.

أجابها:

- مرحباً.

- هل أنت... بخير.

بدت متلعثمة، لا، كانت متلعثمة بالفعل.

- ماذا؟ أجل، أنا بخير، لماذا؟

- ظننت فقط أنك ستكون متفاجئاً قليلاً حالياً.

سرت موجة من الارتباك في داخله، سألتها:

- عم تتحدثين؟

- سوف تفهم كل شيء، تبقى وقت قليل جدًا.

أدرك توماس لأول مرة أن هناك خطبًا ما في هذا الصوت، هناك خطب ما في هذا الصوت.

- توم؟

لم يجب، ابتلعه الخوف قلبًا وروحًا، خوف فظيع مؤرق ومميت.

- توم؟

سأل أخيرًا، وكان مرتعبًا من الإجابة:

- من... من أنت؟

مرت ثوانٍ قبل أن تجيب.

- إنها أنا يا توم، برندا. إن الأمور على وشك أن تصبح سيئة معك.

راح يصرخ قبل أن يعرف ما الذي يفعل، استمر يصرخ ويصرخ ويصرخ إلى أن استيقظ أخيرًا.

## الفصل الخامس والستون

انتفض جالسًا لدى استيقاظه، كان غارقًا في عرقه، ومن قبل حتى أن يدرك كل ما يحيط به، ومن قبل أن تنقل أعصابه الحسية المعلومات إلى وظائف دماغه الإدراكية، كان قد أدرك بالفعل أن كل شيء كان خطأ، وأن كل شيء قد سُلب منه من جديد.

وجد نفسه مستلقيًا على الأرض، وحده، بداخل غرفة، الجدران، السقف، الأرض... كل شيء كان باللون الأبيض. كانت الأرض من تحته إسفنجية وصلبة وملساء، ولكن بما يكفي لكي تظل مريحة ووثيرة، تفحص الجدران ووجد أنها مبطنة ومرصعة بالأزرار على مسافات متباعدة على طولها، تبعد كل منها نحو أربعة أقدام عن غيرها، بينما غمر الغرفة ضوء أبيض ساطع آتٍ من مصدر ضوء مستطيل الشكل في السقف، والذي كان شاهقًا بالنسبة إليه ليتمكن من الوصول إليه، كان المكان ذا رائحة نظيفة، مثل رائحة الأمونيا والصابون، نظر توماس إلى نفسه ليجد أن حتى ملابسه كانت بلا أي لون: قميص، سروال قطني، وجوربان.

وجد مكتبًا بنياً قديمًا على بعد عشرة أقدام منه، وكان ذلك هو الشيء الوحيد في الغرفة بأكملها الذي لم يكن أبيض، وأمامه حيث موضع الجلوس يوجد كرسي خشبي قديم، ومن خلفه كان الباب، مبطن كبقية الغرفة.

شعر توماس بهدوء مريب، وأخبره حدسه أنه يجب أن ينهض على قدميه ويصرخ طلبًا للمساعدة، يجب أن يهرع ليضرب على الباب ضربات محمومة، ولكنه أدرك أن هذا الباب لن يُفتح، أدرك أن أحدًا لن يستمع إليه.

إنه في الصندوق من جديد، كان ينبغي له أن يدرك ذلك بدلاً من أن يترك آماله تحلق به في السماء.

قال لنفسه: لن أرتعب. لا بد وأنها مرحلة أخرى من الاختبارات، وهذه المرة سيحارب لكي يغير الأمور، لكي ينهيها من أساسها. كان الأمر غريباً، ولكن لما وجد خطة لديه، وأنه سيبذل مهما كلفه الأمر في سبيل حريته، كان هذا كافياً لكي يهدئ من روعه على نحو مفاجئ.

حاول أن يخاطر تيريسا، فنأداها:

- تيريسا؟

فكر أن في هذه اللحظة كانت هي وأريس سبيله الوحيد للتواصل مع العالم الخارجي.

- هل يمكنك سماعي؟ أريس؟ هل أنت هنا؟

لم يجبه أحد، لا تيريسا، لا أريس، ولا... برندا.

ولكن لا بد لهذا أن يكون حلماً، لا يمكن إلا أن يكون كذلك، مستحيل أن برندا تعمل مع وكِد، لا يمكنها أن تتحدث إليه في عقله.

بذل جهداً ذهنياً هائلاً وهو يحاول مجدداً:

- تيريسا؟ أريس؟

لا شيء.

نهض واقفاً وتوجه إلى المكتب، ولكن عندما أصبح بينه وبين المكتب مسافة قدمين، اصطدم بجدار خفي، حاجز كالذي رآه في السابق في مهجع النوم.

لم يدع توماس الخوف يتمكن منه، ولم يسمح للفرع أن يكبر في داخله، تنفس بعمق، وعاد أدراجه إلى زاوية الغرفة، ثم جلس وأسند ظهره إلى الحائط وأغمض عينيه واسترخى، وظل منتظراً حتى غلبه النوم.

- توم؟ توم؟

لم يستطع أن يعرف كم مرة نادته حتى أجابها أخيراً.

- تيريسا؟

استيقظ مفزوعًا، وراح ينظر من حوله وتذكر الغرفة البيضاء، سألتها:

- أين أنتِ؟

- لقد أخذونا إلى مهجع آخر بعد أن هبطت البرج، نحن هنا منذ بضعة

أيام، لا نعمل شيئًا سوى الجلوس هكذا، ما الذي حدث لك يا توم؟

بدا في صوت تيريسا القلق، والخوف حتى، كان واثقًا من هذا، أما بالنسبة

إليه فقد كان مشتتًا أكثر من أي شيء آخر، قال:

- بضعة أيام؟ ماذا...

- لقد أخذوك منا بمجرد أن لامست البرج الأرض، وظلوا يخبروننا أن

الأوان قد فات، وأن فيروس الوهج تمكن منك كليًا، قالوا لنا إنك فقدت

عقلك وأصبحت عنيفًا جدًا.

حاول توماس أن يتذكر كل شيء، وحاول ألا يفكر في كيف أن وكِد

بإمكانها محو الذكريات.

- تيريسا... إن هذا فقط جزء آخر من الاختبارات، لقد قاموا بحبسي في

هذه الغرفة البيضاء، ولكن، تقولين إنك هناك منذ أيام، كم يوم مضى؟

- لقد مضى أسبوع تقريبًا يا توم.

لم يستطع توماس أن يجيها، على الأرجح ود لو يتظاهر بأنه لم يسمع

ما قالت تيريسا للتو، أخذ الخوف الذي كان يكبته في داخله يتسرب إلى قلبه

شيئًا فشيئًا، هل يمكنه الوثوق بها؟ لقد خدعته كثيرًا بالفعل، وكيف له حتى

أن يثق بأن هذه هي حقًا؟ لقد حان الوقت لكي يقطع علاقته بتيريسا.

نادته تيريسا مجددًا:

- توم؟ ما الذي يحدث هنا؟ إنني لا أفهم شيئًا حقًا.

شعر توماس بمشاعر مختلطة تضطرم في داخله لدرجة جعلته يكاد

يجهش بالبكاء، لقد كانت تيريسا أقرب صديقة له ذات يوم، ولكن مستحيل

أن يعود الأمر كما كان مرة أخرى، كان كل ما يشعر به عندما يفكر بها الآن

هو الغضب.

- توم، لماذا لا...

- تيريسا، استمعي إليّ.

- مرحبًا؟ هذا ما أحاول أن...

- كلا، فقط... لا تقولي أي شيء آخر، حسنًا؟ فقط استمعي إليّ.

توقفت لثوان، ثم قالت بداخل عقله بصوت خافت وخائف:

- حسنًا.

لم يتمكن توماس من أن يكبح الأمر في نفسه أكثر، كان الغضب يثور في داخله، ولحسن الحظ أنه كان عليه فقط أن يفكر في الكلمات في عقله، لأنه لم يكن ليتمكن من أن ينطقها أبدًا.

- تيريسا، انذهبي.

- توم...

- كلا، لا تقولي كلمة أخرى، فقط... ابتعدي عني، ويمكنك أن تبليغي وكِد أنني لن أستمر في ألعيبهم، أخبرهم أن الأمر انتهى!

التزمت تيريسا الصمت لثوانٍ قبل أن تجيب:

- حسنًا.

ثم بعد مزيد من الصمت:

- حسنًا، إذن لدي فقط شيء واحد لأخبرك به.

زفر توماس متململاً، وقال:

- لا يمكنني أن أنتظر كثيرًا.

لم تقلها على الفور، حتى كاد يظن أنها قد غادرت لولا أنه كان بإمكانه أن يشعر بوجودها، إلى أن تكلمت مجددًا أخيرًا:

- توم؟

- ماذا؟

- وكِد تسعى للخير.

ثم ذهبت.

## خاتمة

مذكرة وكد، بتاريخ: 232.2.13، الوقت: 21:13.

إلى: شركائي.

من: المستشارة، إيفا بايج.

إرسال رد: اختبارات الأرض المحترقة، المجموعتان (أ)، و(ب).

ليس هذا بالوقت الذي يسمح للمشاعر بأن تتداخل مع المهمة المكلفين بها، أجل، لقد جرت بعض الأحداث في اتجاه لم نضعه في حسابنا، لم يجر كل شيء بشكل مثالي - يمكننا أن نقول إن الأمور قد خرجت عن السيطرة - ولكننا حققنا تقدمًا هائلًا ونجحنا في الحصول على عدد كبير من الأنماط التي نحتاج إليها، إنني أشعر بقدر كبير من الأمل.

أتوقع منّا جميعًا أن نحافظ على أسلوبنا العملي المحترف ونتذكر هدفنا دومًا. تقع حياة الكثير من الناس بين أيدي أناس قليلين جدًا، ولهذا السبب تحديدًا يتطلب منا الوقت الحالي يقظة ووعيًا كاملين. إن الأيام القادمة أساسية وجوهرية لهذه الدراسة التي نقوم بها، وإنني أثق تمام الثقة أننا عندما نعيد ذكرياتهم، فسيكون كل المبحوثين جاهزين لتحقيق ما نخطط لهم للقيام به. لا يزال لدينا المرشحون الذين نحتاج إليهم، وسنعتز على الحلقات الأخيرة المفقودة من أجل إعادة كل شيء إلى نصابه الصحيح.

إن مستقبل الجنس البشري لا يضاوي أهميته شيء، تستحق النتيجة الأساسية التي نسعى لها كل موت وكل تضحية نقدمها. لقد أضحت نهاية هذا الجهد الهائل قريبة، وأنا مؤمنة أن العملية ستؤتي أكلها، وأنا سنحصل

على أنماطنا المنشودة، وسنحصل على البيانات المطلوبة، وأننا سوف نحصل على عقارنا.

لا يزال الخبراء النفسيون يدرسون الأمر حتى الآن، ما إن يحددوا الوقت المناسب، سوف نزيل الشريحة ونخبر مبحثينا المتبقين إذا أصبحوا -أو لم يصبحوا- منيعين ضد فيروس الوهج.  
هذا كل شيء إلى الآن.

## نهاية الكتاب الثاني

مكتبة  
[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)



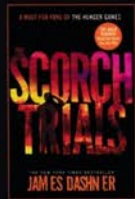
# الأرض المحترقة

كان توماس واثقًا أن الهروب من المتاهة يعني الحرية له ولأفراد الجلايد، ولكن وكبد لم تُخرج كل ما في جعبتها لهم بعد. لقد بدأت المرحلة الثانية، مرحلة الأرض المحترقة.

أفراد الجلايد لديهم أسبوعان لعبور الأرض المحترقة، وهي أشد أجزاء العالم دمازا. وحرصت وكبد على وضع العقبات أمامهم وخلق صعوبات من شأنها جعل مهمتهم مستحيلة.

والآن، أصبح هناك آخرون يعتمدون على هلاك أفراد الجلايد من أجل بقائهم على قيد الحياة، وسيحاربون من أجل النجاة. الصداقة سوف تُختبر، الوعود ستُكسر، وكل الرهانات خاسرة.

تحذير بحرق الأحداث: اقرأ "عداء المتاهة" أولاً.



telegram @soramnqraa



- www.aseeralkotb.com
- contact@aseeralkotb.com
- aseeralkotb
- aseeralkotb
- aseeralkotb